أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها

من غرائب آي التنزيل

1236

سؤال وجواب

تأليف

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي




بسم الله الرحمن الرحيم

أسئلة القرآن و أجوبتها

كاتب:

محمد بن ابى بكر الرازى

نشرت فى الطباعة:

المكتبة العصريه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

أسئلة القرآن و أجوبتها

اشارة

نـام كتاب: أسـئلة القرآن و أجوبتها نويسـنده: محمـد بن ابى بكر الرازى موضوع: پرسـش و پاسـخ قرآنى تاريـخ وفات مؤلف: قرن ۷ زبان: عربى تعداد جلد: ۱ ناشر: المكتبة العصريه مكان چاپ: بيروت سال چاپ: ۱۴۲۳ / ۲۰۰۳ نوبت چاپ: اوّل

مقدمهٔ

۱- المؤلف

۱- المؤلـف بسم اللّه الرّحمن الرحيم هو محمّـد بن شـمس الـدّين أبى بكر بن عبـد القـادر بن عبـد المحسن الرّازى (نسـبهٔ إلى الرّى) الحنفى. كنيته: أبو عبـد اللّه. و يلقب بزين الدّين. و ذكر له صاحب كتاب روضات الجنات (محمد باقر الخوانسارى)- فى ذيل ترجمته للفخر الرّازى صاحب التفسير الكبير- لقبا آخر هو «فخر الدّين»؛ ثم ردّه. و ذكره مرّهٔ صاحب «كشف الظنون» بلقب «شـمس الدين» و مرّهٔ بلقب «زين الـدين». و المؤسف أن مصادر الترجمات شـحيحهٔ بأخبار هذا الرّجل؛ حيث لا نقف على تاريخ مولده، أمّا تاريخ وفاته فلا يمكن الجزم به. ففى «كشف الظنون» أنه توفى سـنهٔ ۶۶۰ ه؛ غير أنه لا يمكن الأخـذ بقوله هـذا؛ لأنّ المترجم له كان قد رحل إلى تركيهٔ، و كان حيّا فى قونيهٔ إلى سـنهٔ ۶۶۶ ه. و ذكر بعضـهم أنه فى هذه السـنهٔ التقى العارف الكبير صدر الدّين القونوى، و أخذ عنه- سماعا- كتاب جامع الأصول لابن الأثير. فإذا صحّ الخبر فإن الرازى يكون قـد عاش بعـد هـذا التاريخ (۶۶۶ ه)؛ لأنه يبعـد- عادهٔ- أن ينهى أحد سـماع كتاب بحجم جامع الأصول فى مدّهٔ وجيزهٔ. من بين الأخبار القليلهٔ التى وصلتنا عن محمد بن أبى بكر الرازى ذكر أنه أقـام بمصـر فترهٔ من حياته و أخـذ عن بعض علمائها، كما يـذكر أنّه زار الشام. غير أنّ المؤكـد من أحوال الرّازى أنه كان مشاركا فى علوم عدهٔ، على عادهٔ القدامى، تدلنا على ذلك مؤلفاته التى طبع بعضها.

۲- مؤلفاته:

۲- مؤلفاته: أ- مختار الصـحاح. و قـد طبع عـدهٔ مرّات. و هو أشـهر كتبه و به يعرف. ب- كتاب الأمثال و الحكم. ج- شـرح المقامات الحريريهٔ. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۶ د- حدائق الحقائق. و هو كتاب فى المواعظ. ه- الذهب الإبريز فى تفسير الكتاب العزيز. و- تحفـهٔ الملوك. و هو كتاب فى الفقه. ز- أسـئلهٔ القرآن و أجوبتها. و هو هـذا الكتاب. ح- روضـهٔ الفصاحهٔ. و هو كتاب فى البلاغهٔ. و ذكرت له مصنفات أخرى، و لعل له غيرها، كما يذكر الرّازى نفسه فى هذا الكتاب الذى بين أيدينا.

۳- الكتاب

۳- الكتـاب أوّل ملاحظـهٔ ينبغى أن نسـجلها هى تعـدّد العناوين التى عرف بها الكتاب الـذى نحن بصـدده؛ و من هـذه العناوين ما هو مطوّل و منها ما هو مختصر. و هى: - أنموذج جليل فى أسئلهٔ و أجوبهٔ من غرائب آى التنزيل. - أسئلهٔ القرآن المجيد و أجوبتها. - من غرائب آى التنزيـل. - مسائـل الرّازى. أما الملاحظـهٔ الثانيـهٔ فتتعلق بجنس الكتاب؛ حيث يمكن أن يـدرج باطمئنان فى فن الكتابـهٔ فى معانى القرآن و تفسير غوامضه، و هو فن قديم، و لعلّ أقدم ما وصـلنا من الكتب المؤلفهٔ فى هذا الباب كتاب معانى القرآن للفرّاء (ت ۲۰۷ ه). و هـذا الجنس من التأليف غرضه بيان ما أشـكل من القرآن الكريم، و التصـدى لدحض الإشـكالات و التشـكيكات الموجههٔ لكتاب اللّه؛ سواء كانت واقعـهٔ فعلا أو مقدّرهٔ. و بذلك، فإن الرّازى الذى صـنّف كتابه هذا فى القرن السابع الهجرى قد وجد مؤلفات

عديدة أفاد منها، بلا أدنى شك، كما يصرح هو نفسه فى مقدمة كتابه. و عليه، فليس هذا الكتاب (أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها) تصنيفا مبتكرا؛ فقد سبق أن ألف فى هذا الفن (على غرار معانى الآثار و معانى الشعر) أبو عبيدة معمّر بن المثّنى و قطرب بن المستنير و الأخفش و الكسائى و الفرّاء و أبو عبيد و هى أسماء سيكرّر الرّازى ذكرها فى هذا الكتاب، تارة مستشهدا و أخرى مناقشا؛ إضافة إلى أسماء مفسّرين كالطبرى و الزمخشرى ... أو لغويين كالزّجّاج و الجوهرى (زيادة على من تقدم ذكرهم). لكن، الملاحظة الثالثة جديرة بأن نقف عندها، و فحواها أنّ هنالك كتبا- من بين ما صنّف فى معانى القرآن- أقرب إلى غرض الرّازى؛ غير أنّنا لا نجد إشارة لها أو لأصحابها. و بهذا الصدد يمكن أن نذكر، مثلا، أنّنا فى حين نجد ذكرا، من الرازى، لابن قتيبة صاحب كتاب «تأويل مشكل القرآن»، فإن علماء آخرين يغيب أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷ ذكرهم تماما؛ نخصّ بالذّكر منهم، هنا، القاضى عبد الجبّار الذى صنّف فى معانى القرآن و مشكلاته كتابين، هما: «متشابه القرآن» و «تنزيه القرآن عن المطاعن»، و الشريف المرتضى صاحب «غرر الفوائد و درر القلائد» الذى يعرف بأمالى المرتضى، و هى عبارة عن مجالس ألقاها حين قفل من الحج. غير أن الأهم من هذا و ذاك، فيما نحسب، هو كتاب الشريف الرضى المسمى «حقائق التأويل فى متشابه التنزيل» الذى لم يطبع منه سوى الجزء الخامس، أما باقى أجزاء هذا الكتاب الرّائع فهى مفقودة أو مجهولة المكان، فى حدود اطلاعى. و ما يعنينا من ذكر كتاب الرضى هنا، هو الشبه الكبير الذى نجده بينه و بين كتاب الرّازى الذى بين يدى القارئ، و لعل أهم أوجه الشبه هى: - وحدة الغرض من التصنيف ... - اتفاق الكتابين فى الشكل، حيث ينقسم الكتابان إلى فقرات، تتكفل كل فقرة بعرض المسألة (المشكلة) أو السؤال، ثم يردفه بالجواب، و طريقة الشريف الرضى، فى ذلك، أن يعرض المسألة أو الإشكال مبتدءا بالقول: «و من سأل عن معنى قوله تعالى ...»، ثم يأتى بالجواب، معدّدا الوجوه فيه، بقوله: «فالجواب ...»، و هكذا دواليك. أما الرّازى فإنه يعرض المسألة بقوله: «فإن قيل ...»، ثم يتبعها الجواب مستهلا إياه بقوله: «قلنا ...» على نسق واحد، من بداية الكتاب إلى نهايته. - تشابه كثير من المسائل و أجوبتها ... أو بعض وجوه أجوبتها. غير أن هناك أكثر من فرق بين الكتابين (كتاب الرضى و كتاب الرّازى). منها: أن الرضى سعى إلى استقصاء الأقوال، و جمع شتات الآراء، أمّا الرّازى فديدنه الانتقاء و الاختصار. و منها: أن المسحة الأدبية فى إنشاء الرضى واضحة، فى حين أن أسلوب الرّازى ينحو نحو البساطة، و خال من الاعتناء بجمال اللّغة. لم يكن الغرض من هذا الاستطراد استيعاب وجوه المقارنة بين الكتابين؛ بل التنويه بأثر كبير، و لفت نظر المهتمين إليه (أعنى كتاب الرضى). يبقى أن كتاب الرّازى يكاد يتفرد بميزة نكاد لا نجدها فى غيره من الكتب التى صنفت فى بيان معانى القرآن و حل مشكلاته، و هى كثرة المسائل التى يعالجها- على صغر حجمه- و هى تزيد على مائتى و ألف سؤال، و سهولة عبارته، و إيجازه؛ إضافة إلى وضوحه؛ بحيث يكون فى متناول فهم أكبر عدد من القراء، سواء فى ذلك العالم و المتعلم، أما المسائل الدقيقة التى تتعلق بوجوه الإعراب أو المعانى، و كثير من النكات البلاغية، فإن الرّازى قد تجنب غالبا الخوض فيها. و قد صرح هو نفسه- فى مقدمة الكتاب- بالمنهج الذى اختطه، و الغاية التى رامها؛ حيث قال: «و لكنّى قصدت اختصار هذا الأنموذج [من أسئلة القرآن]، و تقريبه إلى الأفهام، ليكثر الانتفاع به، و لا أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸ يهجر لدقّته و غموضه. و أمّا الأسئلة التى تتعلق بوجوه الإعراب، و بالمعانى التى هى أدق على الأفهام و أخفى فإنى وضعت لها مختصرا آخر، و أودعته أنموذجا منها أيضا ...». و مؤدّى ذلك، أنّ المؤلف قد التزم بطرح الأسئلة أو المشكلات التى قد تواجه القارئ العادى للقرآن، لا خصوص العلماء؛ لذلك فإنه لم يكثر من ذكر الشواهد، التى تغصّ بها كتب التفسير و الغريب و المعانى عادة، و هو ما جعل الكتاب لا يحتاج إلى تعليقات كثيرة. و من ثمّ، فقد كان عملنا لإخراج هذه الطبعة مناسبا لما يحتاجه الكتاب من ترقيم الآيات القرآنية، و تخريج الأحاديث النبويّة و الآثار، و تخريج الأشعار، و شرح المفردات الغريبة؛ إضافة إلى مقارنة رأى المؤلّف، فى بعض المسائل، بآراء علماء آخرين. كما قمنا بترقيم فقرات النصّ؛ حيث تتضمن كل فقرة المسألة، التى هى موضوع البحث، و جوابها. و جعلنا الإحالة فى الحواشى و الفهارس على أرقام الفقرات. و ترجمنا للعلماء الذين يذكرهم المؤلّف. و ذيّلنا الكتاب بفهارس فنّيّة. أخيرا، نسأل اللّه أن ينفع بهذا الكتاب، إنّه سميع الدّعاء. نجيب ماجدى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹

[مقدمة المؤلف]

[مقدمـة المؤلف] بسم اللّه الرحمن الرحيم قال الفقير إلى رحمـة اللّه ربه و مغفرته: محمّـد بن أبى بكر بن عبـد القادر الرّازى، عفا اللّه عنه، و غفر له و لجميع المسلمين: الحمد للّه ربّ العالمين، هذا مختصر جمعت فيه أنموذجا يسيرا من أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها؛ فمنه ما نقلته من كتب العلماء إلّا أنى نقحته و لخصته، و منه ما فتح اللّه تعالى علىّ به، بسبب مذاكرة أخ لى من إخوان الصفاء فى دين اللّه و محبـة كتابه؛ و كان صالحا تقيا سـليم الفطرة وقّاد الـذهن، جامعا لجملة من مكارم الأخلاق و صـفات الكمال الإنسانى. أنعم اللّه تعالى علىّ بصحبته و مذاكرته فى معانى كتابه. و كان شديد العناية بها، كثير البحث و السؤال عنها؛ قد هداه اللّه إليها، و فتح عليه فيها بغرائب لم نسـمعها من العلماء، و لا رأيناها فى كتبهم. فحملتنى فكرته القادحة و نيّته الصالحة على جمع هذه الصـبابة «۱»؛ و هى تزيد على ألف و مائتى سؤال؛ و إن كانت بالنّسبة إلى ما فى القرآن من العجائب و الغرائب كالقطرة من الـدّأماء «۲»، و السها «۳» من نجوم السـماء؛ و لكن، قصـدت اختصار هـذا الأنموذج منها و تقريبه إلى الأفهام، ليكثر الانتفاع به، و لا يهجر لـدقّته و غموضه. و أما الأسـئلة التى تتعلّق بوجوه الإـعراب، و بالمعـانى التى هى أدقّ على الأفهـام و أخفى، فـإنّى وضـعت لهـا مختصـرا آخر، و أودعته أنموذجا منها أيضا، فليطلب ثمّة. و باللّه أستعين، و عليه أتوكّل، و إليه أتضرع فى أن يجعل علمى و عملى خالصا لوجهه الكريم، و يتغمدنى و أخى الصالـــــــــــح بمغفرتـــــــــــه و رحمتـــــــــــه؛ إنّـــــــــــه غفـــــــــــور رحيـــــــــــم.

(____ ۱) الصـبابة: تقال للشىء القليل أو لما تبقّى من الشـىء، كالقليل من الماء أو البقية من الماء أو اللّبن و نحو ذلك. (۲) الدأماء: البحر. و يقال تأدم الماء الشّىء إذا غمره. (۳) السها: كوكب تصعب رؤيته من بنات نعش الكبرى. و يقال له الصيدق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰

سورة فاتحة الكتاب

سورة فاتحة الكتاب [۱] «۱» فـإن قيل: الرّحمن أبلغ فى الوصف بالرّحمـة من الرّحيم، بالنقل عن الزّجّاج و غيره، فكيف قـدمه؟ و عادة العرب فى صـفات المـدح الترقى من الأـدنى إلى الأـعلى، كقولهم: فلاـن عـالم نحرير؛ لأنّ ذكر الأعلى أوّلا، ثمّ الأدنى لا يتجـدّد فيه، بـذكر الأدنى، فائـدة؛ بخلاف عكسه؟ قلنا: قال الجوهرى و غيره: إنّهما بمعنى واحـد، كنديم و ندمان؛ فعلى هذا لا يرد السؤال. و على القول الأـوّل: إنّما قـدّمه؛ لأـن لفظ اللّه اسم خاص بالبارى تعالى. لا يسـمّى به غيره. لا مفردا و لا مضافا؛ فقـدّمه. و الرّحيم يوصف به غيره مفردا و مضافا فـأخّره. و الرحمن يوصف به غيره مضافـا و لاـ يوصف به مفردا إلّا اللّه تعـالى؛ فوسّـطه. [۲] فإن قيل: كيف قـدّم العبادة على الاستعانة، و الاستعانة مقدّمة؛ لأنّ العبد يستعين باللّه على العبادة؛ فيعينه اللّه تعالى عليها؟ قلنا: الواو لا تدلّ على الترتيب، أو المراد بهـذه العبـادة التوحيـد، و هو مقـدّم على الاسـتعانة على أداء سـائر العبادات؛ فإنّ من لم يكن موحّـدا لا يطلب الإعانـة على أداء العبادات. [۳] فإن قيل: المراد بالصـراط المستقيم: الإسلام، أو القرآن، أو طريق الجنّة، كما قيل بالنّقل؛ و المؤمنون مهتدون إلى ذلك؛ فما معنى طلب الهدايـة لهم بقولهم: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْـتَقِيمَ [الفاتحة: ۶]؛ إذا فيه تحصـيل الحاصـل؟ قلنـا: معناه ثبّتنا عليه و أدمنا على سلوكه؛ خوفـا من سوء الخاتمـة، نعوذ بـاللّه من ذلـك، كمـا تقول العرب للواقف: قف حتّى آتيـك، معنـاه: دم على وقوفـك و أثبت

(____ ۱) ([۱]) الزّجّاج: هـو إبراهيـم بن السرّى بن سـهل، أبو إسـحاق الزّجاج. نحوى و لغوى، ولـد ببغداد سـنة ۲۴۱ ه و توفى بهـا سـنة ۳۱۱ ه. أخـذ عن المبرّد. و كـانت له مناقشات مع ثعلب. من مؤلفاته: معانى القرآن، المثلث، الاشـتقاق، خلق الإنسان، الأمالى، شرح أبيات سيبويه، القوافى، ما ينصرف و ما لا ينصرف، الخ. - الجوهرى: هو إسماعيل بن حماد الجوهرى، أبو نصر، أحد أئمة اللّغة. توفى سنة ۳۹۳ ه. من مؤلفاته: الصحاح (و هو أشـهرها)، كتـاب فى العروض، و كتـاب فى النحو. يقـال إنه أوّل من حاول الطيران. أقام ببغـداد، و خالط الأعراب فى الباديـة، و عاش

آخر حياته فى نيسابور. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱ عليه، أو معناه: طلب زيادة الهدى كما قال اللّه تعالى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً [محمد: ۱۷]. و قال عزّ و جلّ: وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً [مريم: ۷۶]. [۴] فإن قيل: ما فائدة دخول «لا» فى قوله تعالى: وَ لَا الضَّالِّينَ و قوله: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و الضالين كاف فى المقصود؟ قلنا: فائدته تأكيد النفى الذى دلّ عليه غير. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲

سورة البقرة

سورة البقرة [۵] فإن قيل: كيف قال: لا رَيْبَ فِيهِ [البقرة: ۲] على سبيل الاستغراق؟ و كم ضالّ قد ارتاب فيه! و يؤيد ذلك قوله تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا؟ [البقرة: ۲۳]. قلنا: المراد أنه ليس محلا للرّيب، أو معناه: لا ريب فيه عند اللّه و رسوله و المؤمنين، أو هو نفى معناه النهى: أى لا ترتابوا فيه أنه من عند اللّه تعالى. و نظيره قوله تعالى: وَ أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها [الحج: ۷]. [۶] «۱» فإن قيل: كيف قال: هُدىً لِلْمُتَّقِينَ و المتّقون مهتدون فكأنّ فيه تحصيل الحاصل؟ قلنا: إنّما صاروا متّقين بما استفادوا منه من الهدى، أو أراد أنه ثبات لهم على الهدى و زيادة فيه، أو خصّهم بالذّكر، لأنّهم هم الفائزون بمنافعه، حيث قبلوه و اتّبعوه كقوله تعالى: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها [النازعات: ۴۵] أو أراد الفريقين من يتّقى و من لم يتّق، و اقتصر على أحدهما، كقوله تعالى: سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ [النمل: ۸۱]. [۷] فإن قيل: المخادعة إنّما تتصوّر فى حقّ من يخفى عليه الأمور، ليتمّ الخداع فى حقّه. يقال: خدعه إذا أراد به المكروه من حيث لا يعلم؛ و اللّه تعالى لا يخفى عليه شيء؛ فكيف قال: يُخادِعُونَ اللَّهَ؟ قلنا: معناه يخادعون رسول اللّه، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ [الفتح: ۱۰]، و قوله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء: ۸۰]؛ أو سمّى نفاقهم خداعا لشبهه بفعل المخادع. [۸] فإن قيل: كيف حصر الفساد فى المنافقين، بقوله: أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ [البقرة: ۱۲]، و معلوم أنّ غيرهم مفسد؟ قلنا: المراد بالفساد الفساد بالنّفاق. و هم كانوا مختصّين به.

(۱) ([۶]) سرابيل: مفردها سربال (بالكسر) و هو القميص. و قيل هو كل ما لبس و تسربل به، كالقميص و الدّرع. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳ [۹] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ [البقرة: ۱۵]. و الاستهزاء من باب العبث و السخرية. و هو قبيح. و اللّه تعالى منزّه عن القبيح؟ قلنا: سمّى جزاء الاستهزاء استهزاء مشاكلة؛ كقوله تعالى: وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها [الشورى: ۴۰]. فالمعنى: اللّه يجازيهم جزاء استهزائهم. [۱۰] «۱» فإن قيل: ما الفائدة فى قوله تعالى: أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ [البقرة: ۱۹] و معلوم أنّ الصيّب لا يكون إلّا من السماء؟ قلنا: فائدته أنه ذكر السماء معرفة و أضافه إليها ليدلّ على أنّه من جميع آفاقها، لا من أفق واحد، إذ كلّ أفق يسمّى سماء. قال الشّاعر: و من بعد أرض بيننا و سماء [۱۱] فإن قيل: كيف قال: فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ۲۲]، مع أنّ المشركين لم يكونوا عالمين أنه لا ندّ له، و لا شريك له؛ بل كانوا يعتقدون أنّ له أندادا و شركاء؟ قلنا: معناه و أنتم تعلمون أنّ الأنداد لا يقدرون على شيء ممّا سبق ذكره فى الآية، أو و أنتم تعلمون أنّه ليس فى التّوراة و الإنجيل جواز اتّخاذ الأنداد. [۱۲] فإن قيل: كيف قال: فَاتَّقُوا النَّارَ [البقرة: ۲۴]، فعرّف النار هنا، و نكّرها فى سورة التّحريم؟ قلنا: لأنّ الخطاب فى هذه مع المنافقين، و هم فى أسفل النار المحيطة بهم، فعرّفت بلام الاستغراق أو العهد الذّهنى، و فى تلك مع المؤمنين، و الذى يعذّب من عصاتهم بالنّار يكون فى جزء من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقللها. و قيل: لأنّ تلك الآية نزلت بمكّة، قبل هذه الآية، فلم تكن النار التى وقودها

(۱) ([۱۰]) صيّب: على وزن فيعل، مأخوذ من صاب يصوب، و المراد به المطر أو السحاب. كقول علقمة بن عبدة: فكأنّما صابت عليه سحابة صواعقها لطير هنّ دبيب - الشاهد الذى ذكره الرّازى عجز بيت حكاه الفراء فى كتابه معانى القرآن عن أبى الجراح. و البيت بتمامه: فأوّه من الذّكرى إذا ما ذكرتها و من بعد أرض بيننا و سماء و قوله: أوّه (مأخوذ من يتأوّه له) لغة فى بنى عامر، على ما ذكر الفرّاء. يراجع معانى القرآن، مج ۲

ص ۲۳. و قد وهم بعض فروى صدر البيت كالتالى: فأوه لذكراها إذا ما ذكرتها ...... أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴ الناس و الحجارة معروفة، فنكّرها. ثم، نزلت هذه الآية بالمدينة، فعرّفت؛ إشارة بها إلى ما عرفوه أوّلا. [۱۳] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ [البقرة: ۴۲]، ليسا فعلين متغايرين، فينهوا عن الجمع بينهما؛ بل أحدهما داخل فى الآخر؟ قلنا: هما فعلان متغايران، لأنّ المراد بتلبيسهم الحقّ بالباطل كتابتهم فى التّوراة ما ليس منها، و بكتمانهم الحقّ قولهم: لا نجد فى التّوراة صفة محمّد صلى اللّه عليه و سلم. [۱۴] فإن قيل: قوله: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ [البقرة: ۴۶]، ما فائدة الثانى و الأوّل يدلّ عليه و يقتضيه؟ قلنا: قوله: مُلاقُوا رَبِّهِمْ، أى: ملاقوا ثواب ربّهم، و ما وعدهم على الصبر و الصلاة؛ و قوله: وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ، أى موقنون بالبعث؛ فصار المعنى: أنهم موقنون بالبعث و بحصول الثّواب الموعود؛ فلا تكرار فيه. [۱۵] «۱» فإن قيل: كيف قال: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ [البقرة: ۵۹]؛ و هم لم يبدّلوا غير الذى قيل لهم؛ لأنّهم قيل لهم؛ قولوا حطّة، فقالوا حنطة؟ قلنا: معناه فبدّل الّذين ظلموا قولا، قيل لهم. و قالوا قولا، غير الّذى قيل لهم. [۱۶] «۲» فإن قيل: قوله: وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [البقرة: ۶۰] العثو: الفساد؛ فيصير المعنى: و لا تفسدوا فى الأرض مفسدين؟ قلنا: معناه و لا تعثوا فى الأرض بالكفر، و أنتم مفسدون بسائر المعاصى. [۱۷] «۳» فإن قيل: كيف قال: لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ [البقرة: ۶۱] و طعامهم كان المنّ و السلوى و هما طعامان؟

____

(۱) ([۱۵]) حطّة: قال الرّاغب فى مفرداته: هى كلمة أمر بها بنو إسرائيل، و معناه: حطّ عنّا ذنوبنا. و قيل: معناه: قولوا صوابا. (۲) ([۱۶]) العثو: و يقال العيث و العثى أيضا، من عثا عثوّا، و عثى عثوا، إذا أفسد أشدّ الإفساد. و هو قول ابن سيده. و ميّز الرّاغب فى مفرداته بين العيث و العثى بأنّ الأوّل (العيث) أكثر ما يقال للفساد الذى يدرك حسّا، و العثى فيما يدرك حكما، أى أنّ الأوّل يقال للفساد الحسّى، و الثّانى يقال للفساد المعنوى. غير أنّه لم يذكر مستنده فى ذلك. (۳) ([۱۷]) المنّ: قال فى القاموس هو كلّ طلّ ينزل من السماء على شجر أو حجر، و يحلو و ينعقد عسلا، و يجفّ جفاف الصمغ. و ذكر الرّاغب فى مفرداته نحو هذا المعنى باختصار. ثم، حكى القول بأن المن و السلوى شىء واحد، و كلاهما إشارة إلى ما أنعم اللّه به على بنى إسرائيل، لكن سمّاه منّا بحيث أنّه امتنّ به عليهم، و سمّاه سلوى من حيث إنّه كان لهم به التّسلى. أقول: و بهذا المعنى يبطل السؤال من رأس. و يلغو الجواب الذى حاوله الرّازى هنا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵ قلنا: المراد أنّه دائم غير متبدّل و إن كان نوعين. [۱۸] فإن قيل: كيف قال: وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ [البقرة: ۶۱]، و قتل النبيين لا يكون إلّا بغير الحق؟ قلنا: معناه بغير الحقّ فى اعتقادهم؛ و لأن التّصريح بصفة فعلهم القبيح أبلغ فى ذمّهم؛ و إن كانت تلك الصفة لازمة للفعل، كما فى عكسه؛ كقوله: قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ [الأنبياء: ۱۱۲]، لزيادة معنى فى التّصريح بالصّفة؛ و لأن قتل النبىّ قد يكون بحقّ؛ كقتل إبراهيم، صلوات اللّه على نبيّنا و عليه، ولده؛ لو وجد، لكان بحقّ. [۱۹] فإن قيل: كيف قال: فَقُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ [البقرة: ۶۵]، و انتقالهم من صورة البشر إلى صورة القردة ليس فى وسعهم؟ قلنا: هذا أمر إيجاد لا أمر إيجاب؛ فهو من قبيل قوله عزّ و جلّ: كُنْ فَيَكُونُ [النحل: ۴۰]. [۲۰] «۱» فإن قيل: كيف قال: عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ [البقرة: ۶۸]، و لفظة بين تقتضى شيئين فصاعدا. فكيف جاز دخولها على ذلك و هو مفرد؟ قلنا: ذلك يشاء به إلى المفرد و المثنى و المجموع؛ و منه قوله تعالى: بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا [يونس: ۵۸]، و قوله تعالى: وَ إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [آل عمران: ۱۸۶] و قوله تعالى: زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ [آل عمران: ۱۴]، إلى قوله تعالى: ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا. فمعناه عوان بين الفارض و البكر، و سيأتى تمامه فى قوله عزّ و جلّ: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ۲۸۵]، إن شاء اللّه تعالى.

____

و يمكن توجيه وحدة المسمّى و تعدد التسمية بأن يقال: المنّ اسم للنعمة الحسيّة و هو الطعام المذكور، و السلوى صفة مصاحبة لذلك الطّعام، و هى نعمة معنوية. و حاصله، أنّه أنزل لهم طعام المنّ و جعل لهم فيه السلوى. و لكنهم، مع ذلك، كفروا النعمة. هذا، و فسرت السلوى بأنها اسم طائر. ثمّ، لو فرض أن المن و السلوى طعامان، فيمكن أن يجاب بأن إفراد الطعام بلحاظ وحدة الجنس أو الغاية و هو المأكول، أو أنه جاء على

طريقة العرب فى الاكتفاء بالواحد عن الاثنين، أو الاكتفاء بالواحد عن الجمع، كقول الشاعر: و العين بعدهم كأنّ حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع (۱) ([۲۰]) عوان: تقال فى الحيوان كالبقر و الخيل على التى نتجت بعد بطنها البكر. و قال الرّاغب: العوان: المتوسط بين السنين. - فارض: يقال للمسن من البقر. - بكر: المراد بها فى الآية، التى لم تلد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶ [۲۱] فإن قيل: قوله تعالى: وَ إِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهارُ وَ إِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ [البقرة: ۷۴] كلاهما بمعنى واحد؛ فما فائدة الثّانى؟ قلنا: التّفجّر يدلّ على الخروج بوصف الكثرة، و الثانى يدلّ على نفس الخروج. و هما متغايران؛ فلا تكرار. [۲۲] فإن قيل: ما الفائدة فى قوله تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ [البقرة: ۷۹] و الكتابة لا تكون إلّا باليد؟ قلنا: فائدته تحقيق مباشرتهم ذلك التّحريف بأنفسهم؛ و ذلك، زيادة فى تقبيح فعلهم؛ فإنه يقال: كتب فلان كذا، و إن لم يباشره بنفسه؛ بل أمر غيره به، من كاتب له و نحو ذلك. [۲۳] فإن قيل: التّولّى و الإعراض واحد، فكيف قال تعالى: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُعْرِضُونَ [البقرة: ۸۳]. قلنا: معناه: ثمّ تولّيتم عن الوفاء بالميثاق و العهد، و أنتم معرضون عن الفكر و النظر فى عاقبة ذلك. [۲۴] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا [البقرة: ۹۶]، ما فائدة قوله تعالى: وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا، و هم من جملة الناس؟ قلنا: إنّما خصّوا بالذّكر بعد العموم؛ لأنّ حرصهم على الحياة أشدّ؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث. [۲۵] فإن قيل: قوله عزّ و جلّ: وَ ما أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ [البقرة: ۱۰۲] يدلّ على أنّ اللّه تعالى أنزل علم السحر على الملكين؛ فلم يكن حراما! قلنا: العمل به حرام؛ لأنّهما كانا يعلّمان الناس السحر ليجتنبوه. كما قال اللّه تعالى: وَ ما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ [البقرة: ۱۰۲]. نظيره لو سأل إنسان: ما الزّنا؟ لوجب بيانه له، ليعرفه، فيجتنبه. [۲۶] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَ لَبِئْسَ ما شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ [البقرة: ۱۰۲]. كيف أثبت لهما العلم أوّلا مؤكّدا بلام القسم، ثمّ نفاه عنهم. قلنا: المثبت لهم أنّهم علموا علما إجماليا أنّ من اختار السحر ماله، فى الآخرة، من نصيب؛ و المنفى عنهم أنّهم لا يعلمون حقيقة ما يصيرون إليه من تحسّر الآخرة، و لا يكون لهم نصيب منها؛ فالمنفى غير المثبت، فلا تنافى. [۲۷] فإن قيل: كيف قال: وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كانُوا أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷ يَعْلَمُونَ [البقرة: ۱۰۳]؛ و إنّما يستقيم أن يقال: هذا خير من ذلك، إذا كان فى كلّ واحد منهما خير؛ و لا خير فى السحر؟ قلنا: خاطبهم على اعتقادهم أنّ فى تعلّم السحر خيرا؛ نظرا منهم إلى حصول مقصودهم الدنيوى به. [۲۸] فإن قيل: كيف قال هنا: رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً [البقرة: ۱۲۶]. و قال فى سورة إبراهيم صلوات اللّه عليه: رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمِناً [إبراهيم: ۳۵]. قلنا: فى الدّعوة الأولى، كان مكانا قفرا؛ فطلب منه أن يجعله بلدا و آمنا؛ و فى الدّعوة الثّانية، كان بلدا غير آمن؛ فعرّفه و طلب له الأمن؛ أو كان بلدا آمنا؛ فطلب له ثبات الأمن و دوامه. و كون هذه السورة مدنيّة، و سورة إبراهيم مكّية، لا ينافى هذا؛ لأنّ الواقع من إبراهيم، صلوات اللّه عليه، بلغته على الترتيب الذى قلنا؛ و الإخبار عنه فى القرآن على غير ذلك الترتيب؛ أو أنّ المكّىّ، منه، ما نزل قبل الهجرة؛ فيكون المدنىّ متأخّرا عنه؛ و منه ما نزل بعد فتح مكّة؛ فيكون متأخّرا عن المدنىّ؛ فلم قلتم إنّ سورة إبراهيم، عليه السلام، من المكّى الّذى نزل قبل الهجرة؟! [۲۹] فإن قيل: أى مدح و شرف لإبراهيم، صلوات اللّه عليه، فى قوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [البقرة: ۱۳۰] مع ما له من شرف الرّسالة و الخلّة؟ قلنا: قال الزّجّاج: المراد بقوله: لَمِنَ الصَّالِحِينَ، أى من الفائزين. [۳۰] فإن قيل: الموت ليس فى وسع الإنسان و قدرته؛ حتّى تصحّ أن ينهى عنه، على صفة، أو يؤمر به على صفة؛ فكيف قال: وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟ [آل عمران: ۱۰۲]. قلنا: معناه: اثبتوا على الإسلام، حتّى إذا جاءكم الموت متّم على دين الإسلام. فهو فى المعنى أمر بالثّبات على الإسلام و الدّوام عليه، أو نهى عن تركه. [۳۱] فإن قيل: قوله عزّ و جلّ: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ ما آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا [البقرة: ۱۳۷]، إن أريد به اللّه تعالى فلا مثل له، و إن أريد به دين الإسلام فلا مثل له، أيضا؛ لأنّ دين الحق واحد؟ قلنا: كلمة مثل زائدة. معناه: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، يعنى بمن آمنتم به، و هو اللّه تعالى، أو بما آمنتم به، و هو دين الإسلام. و مثل قد تزاد فى الكلام، كما فى قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى: ۱۱]، و قوله تعالى: كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ [الأنعام: ۱۲۲]. و مثل و مثل بمعنى واحد؛ و قيل: الباء زائدة، كما فى قوله أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸ تعالى: بِجِذْعِ النَّخْلَةِ [مريم: ۲۵]، أى مثل إيمانكم باللّه

أو بدين الإسلام. [۳۲] فإن قيل: كيف قال: وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْها إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ [البقرة: ۱۴۳]، و هو لم يزل عالما بذلك؟ قلنا: قوله لنعلم: أى لنعلم كائنا موجودا ما قد علمناه أنّه يكون و يوجد، أو أراد بالعلم التّمييز للعباد، كقوله تعالى: لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ [الأنفال: ۳۷]. [۳۳] فإن قيل: كيف قال: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها [البقرة: ۱۴۴]، و هذا يدلّ على أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن راضيا بالتّوجه إلى بيت المقدس؛ مع أنّ التّوجه إليه كان بأمر اللّه تعالى و حكمه؟ قلنا: المراد بهذا الرّضا المحبّة بالطّبع، لا رضا التّسليم و الانقياد لأمر اللّه تعالى. [۳۴] فإن قيل: كيف قال: وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ [البقرة: ۱۴۵]، و لهم قبلتان: لليهود قبلة، و للنّصارى قبلة؟ قلنا: لمّا كانت القبلتان باطلتين، مخالفتين لقبلة الحقّ؛ فكانتا، بحكم الاتّحاد فى البطلان، قبلة واحدة. [۳۵] فإن قيل: كيف يكون للظّالمين من اليهود أو غيرهم حجّة على المؤمنين، حتى قال: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [البقرة: ۱۵۰]؟ قلنا: معناه إلّا أن يقولوا ظلما و باطلا، كقول الرجل لصاحبه: مالك عندى حقّ إلّا أن تظلم أو تقول الباطل؛ و قيل معناه: و الذين ظلموا منهم؛ فإلّا هنا، بمعنى واو العطف، كما فى قوله تعالى: إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ [النمل: ۱۰، ۱۱]؛ و قيل: إلّا فيهما بمعنى لكن. و حجتهم أنهم كانوا يقولون لمّا توجه النبىّ، عليه الصلاة و السلام، إلى بيت المقدس: ما درى محمّد أين قبلته حتّى هديناه، و كانوا يقولون، أيضا: يخالفنا محمّد فى ديننا، و يتبع قبلتنا؛ فلمّا حوّله اللّه تعالى إلى الكعبة انقطعت هذه الحجّة؛ فعادوا يقولون: لم تركت قبلة بيت المقدس؟ إن كانت باطلة فقد صلّيت إليها زمانا، و إن كانت حقّا فقد انتقلت عنها؛ فهذا هو المراد به بقوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [البقرة: ۱۵۰]؛ و قيل: المراد به قولهم: ما ترك محمّد قبلتنا إلّا ميلا لدين قومه و حبّا لوطنه؛ و قيل: المراد به قول المشركين: قد عاد محمّد إلى قبلتنا، لعلمه أنّ ديننا حقّ؛ و سوف يعود إلى ديننا. و إنّما سمّى اللّه باطلهم حجّة لمشابهته الحجّة فى الصورة، كما قال اللّه تعالى: حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ [الشورى: ۱۶]، أى باطلة، و قال: فَرِحُوا بِما عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ [غافر: ۸۳]. [۳۶] فإن قيل: ما الفائدة فى قوله: وَ لا تَكْفُرُونِ [البقرة: ۱۵۲]، بعد قوله: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹ وَ اشْكُرُوا لِي [البقرة: ۱۵۲]؛ و الشّكر نقيض الكفر؛ فمتى وجد الشّكر انتفى الكفر؟ قلنا: قوله: وَ اشْكُرُوا لِي معناه: استعينوا بنعمتى على طاعتى، و قوله: وَ لا تَكْفُرُونِ معناه: لا تستعينوا بنعمتى على معصيتى. و قيل: الأوّل أمر بالشكر. و الثانى أمر بالثّبات عليه. [۳۷] فإن قيل: كيف قال: وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ [البقرة: ۱۶۱]، و أهل دينه لا يلعنونه إذا مات على دينهم؟ قلنا: المراد بالنّاس المؤمنون فقط؛ أو هو على عمومه، و أهل دينه يلعنونه فى الآخرة؛ قال اللّه تعالى: ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً [العنكبوت: ۲۵]، و قال: كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها [الأعراف: ۳۸]. [۳۸] فإن قيل: ما الفائدة فى قوله: «إِلهٌ» فى: وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ [البقرة: ۱۶۳]؛ فهلّا قال: و إلهكم واحد، فكان أخصر و أوجز؟ قلنا: لو قال: و إلهكم واحد، لكان ظاهره إخبارا عن كونه واحدا فى الإلهية، يعنى لا إله غيره، و لم يكن إخبارا عن توحّده فى ذاته؛ بخلاف ما إذا كرّر ذكر الإله. و الآية إنّما سيقت لإثبات أحديته فى ذاته، و نفى ما يقوله النصارى أنّه واحد، و الأقانيم ثلاثة، أى الأصول؛ كما أنّ زيدا واحدا، و أعضاؤه متعدّدة. فلمّا قال: إله واحد دلّ على أحديّة الذّات و الصفة. و لقائل أن يقول: قوله: واحد يحتمل الأحديّة فى الذّات، و يحتمل الأحديّة فى الصفات، سواء كرّر ذكر الإله أو لم يكرّر؛ فلا يتمّ الجواب. [۳۹] فإن قيل: ما وجه صحّة التّشبيه فى قوله تعالى: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ [البقرة: ۱۷۱] و ظاهره تشبيه الكفّار بالرّاعى؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: و مثلك يا محمّد، مع الكفّار، كمثل الرّاعى مع الأنعام؛ أو تقديره: و مثل الّذين كفروا كمثل بهائم الرّاعى؛ أو و مثل واعظ الذين كفروا كمثل الناعق بالبهائم؛ أو مثل الّذين كفروا، فى دعائهم الأصنام، كمثل الرّاعى. [۴۰] فإن قيل: كيف خصّ المنعوق، بأنّه لا يسمع إلّا دعاء و نداء؛ مع أنّ كلّ عاقل كذلك؛ أيضا لا يسمع إلّا دعاء و نداء؟ قلنا: المراد بقوله: لا يسمع أنّه لا يفهم كقولهم: أساء سمعا فأساء إجابة، أى أساء فيهما. [۴۱] فإن قيل: كيف قال: وَ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ [البقرة: ۱۷۴]، و قال فى موضع آخر: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ۹۲، ۹۳]. قلنا: المنفى كلام التلطّف و الإكرام، و المثبت سؤال التوبيخ و الإهانة؛ فلا تنافى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰ [۴۲] فإن قيل: كيف قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ فِي الْقَتْلى [البقرة: ۱۷۸]، أى فرض؛ و القصاص ليس بفرض؛ بل الولىّ مخيّر فيه؛ بل مندوب إلى تركه؟ قلنا: المراد به فرض على القاتل التّمكين،

لا أنّه فرض على الولىّ الاستيفاء. [۴۳] فإن قيل: كيف قال: الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ [البقرة: ۱۸۰]، عطف الأقربين على الوالدين، و هما أقرب الأقربين، و العطف يقتضى المغايرة؟ قلنا: الوالدان ليسا من الأقربين؛ لأنّ القريب من يدلى إلى غيره بواسطة، كالأخ و العمّ و نحوهما؛ و الوالدان ليسا كذلك؛ و لو كانا منهم، لكان تخصيصهما بالذّكر لشرفهما، كقوله تعالى: وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [البقرة: ۹۸]. [۴۴] فإن قيل: كيف قال: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ [البقرة: ۱۸۳]، و صوم هذه الأمّة ليس كصوم أمّة موسى و عيسى، عليهما السلام؟ قلنا: التّشبيه فى أصل الصوم، لا فى كيفيّته، أو فى كيفيّة الإفطار؛ فإنّه كان، فى أوّل الأمر، الإفطار مباحا، من غروب الشّمس إلى وقت النوم، فقط؛ كما كان فى صوم من قبلنا؛ ثم نسخ بقوله تعالى: وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ [البقرة: ۱۸۷] الآية، أو فى العدد، أيضا؛ على ما روى عن ابن عباس، رضى اللّه عنهما، أنّه قال: فرض على النصارى صوم رمضان بعينه. فقدّموا عشرة، أو أخّروا عشرة؛ لئلّا يقع فى الصيف. و جبروا التّقديم و التّأخير، بزيادة عشرين. فصار صومهم خمسين يوما، بين الصيف و الشّتاء. [۴۵] فإن قيل: ما فائدة قوله: وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ [البقرة: ۱۸۵]، بعد قوله: هُدىً لِلنَّاسِ؟ قلنا: ذكر أوّلا أنه هدى؛ ثمّ ذكر أنّه بيّنات من الهدى، أى من جملة ما هدى اللّه به عبيده، و فرّق به بين الحقّ و الباطل، من الكتب السماويّة الهادية الفارقة بين الحقّ و الباطل؛ فلا تكرار. [۴۶] فإن قيل: ما فائدة إعادة ذكر المريض و المسافر؟ قلنا: فائدته أن الآية المتقدمة نسخ ممّا فيها تخيير الصحيح، و كان فيها تخيير المريض و المسافر، أيضا؛ فأعيد ذكرهما لئلّا يتوهّم أنّ تخييرهما نسخ، كما نسخ تخيير الصحيح. [۴۷] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ [البقرة: ۱۸۶] يدلّ على أنّه يجيب دعاء الدّاعين، و نحن نرى كثيرا من الدّاعين لا يستجاب لهم؟!

(____
۱) ([۴۷]) الحديث أخرجه الترمذى

۴۹- كتاب الدعوات، الباب ۱۳۵، حديث ۳۶۱۸ مرفوعا من طريق أبى الزناد عن أبى هريرة. و هو فى الموطأ ۱۵- كتاب القرآن، ۸- باب ما جاء فى الدعاء، حديث ۵۰۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱ قلنا: روى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، أنّه قال: «ما من مسلم دعا اللّه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم و لا- إثم إلّا أعطاه اللّه بها إحدى ثلاث خصال: إمّا أن يعجّل دعوته، و إمّا أن يدّخرها له فى الآخرة، و إمّا أن يدفع عنه من السوء مثلها». و لأنّ قبول الدّعاء شرطه الطّاعة للّه تعالى، و أكل الحلال، و حضور القلب، وقت الدّعاء؛ فمتى اجتمعت هذه الشّروط، حصلت الإجابة. و لأنّ الدّاعى قد يعتقد مصلحته فى الإجابة، و اللّه تعالى يعلم أنّ مصلحته فى تأخير ما سأل، أو فى منعه، فيجيبه إلى مقصوده الأصلى و هو طلب المصلحة؛ فيكون قد أجيب، و هو يعتقد أنّه منع عنه. [۴۸] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ [البقرة: ۱۹۶]؛ و معلوم أنّ ثلاثة و سبعة عشرة؟ ثمّ، ما فائدة قوله: كامِلَةٌ، و العشرة لا تكون إلّا كاملة؛ و كذا جميع أسماء الأعداء لا تصدق على أقلّ من المذكور، و لا على أكثر منه؟ قلنا: فائدة قوله: تِلْكَ عَشَرَةٌ أن لا يتوهّم أن الواو بمعنى أو، كما فى قوله تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ [النساء: ۳]، و ألّا تحلّ التّسع جملة. فنفى بقوله: تِلْكَ عَشَرَةٌ ظنّ وجوب أحد العددين، فقط؛ إمّا الثّلاثة فى الحجّ، أو السبعة بعد الرّجوع؛ و أن يعلم العددين من جهتين جملة و تفصيلا، فيتأكد العلم به؛ و نظيره فذلكة الحساب و تنصيف الكتاب. و أمّا قوله تعالى: كامِلَةٌ فتأكيد، كما فى قوله تعالى: حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ [البقرة: ۲۳۳]، أو معناه كاملة فى الثّواب؛ مع وقوعها بدلا عن الهدى، أو فى وقوعها موقع المتتابع؛ مع تفرّقها، أو فى وقوعها موقع الصوم بمكّة؛ مع وقوع بعضها فى غير مكّة؛ فالحاصل، أنّه كمال وصفا لا ذاتا. [۴۹] فإن قيل: ما فائدة تكرار الأمر بالذّكر فى قوله تعالى: فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ [البقرة: ۱۹۸]؟ قلنا: إنّما كرّره تنبيها على أنّه أراد ذكرا مكرّرا، لا ذكرا واحدا؛ بل مرّة بعد أخرى؛ و لأنه زاد فى الثّانى فائدة أخرى، و هى قوله تعالى: كَما هَداكُمْ، يعنى اذكروه بأحديّته، كما ذكركم بهدايته؛ أو إشارة إلى أنّه أراد بالذّكر الأول الجمع بين الصلاتين بمزدلفة، و بالثّانى الدّعاء، بعد الفجر، بها، فلا تكرار. [۵۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ [البقرة: ۱۹۸]. إلى أن قال: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ [البقرة: ۱۹۹] و أراد به الإفاضة من عرفات بلا خلاف، و بعد المجىء إلى مزدلفة و الذّكر فيها مرّتين، كما فسّرنا كيف يفيضون من عرفات. قلنا: فيه

تقديم و تأخير تقديره: من ربّكم. ثم، أفيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲ [۵۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ [البقرة: ۲۰۳]، و معلوم أن المتعجّل التّارك بعض الرّمى إذا لم يكن عليه إثم لا- يكون على المتأخّر الآتى بالرّمى كاملا؟ قلنا: كان أهل الجاهلية فريقين: منهم من جعل المتعجّل آثما، و منهم من جعل المتأخّر آثما؛ فأخبر اللّه تعالى بنفى الإثم عنهما جميعا؛ أو معناه لا إثم على المتأخّر، فى تركه الأخذ بالرخصة؛ مع أنّ اللّه تعالى يحبّ أن تؤتى رخصه، كما يحبّ أن تؤتى عزائمه؛ أو أنّ معناه أنّ انتفاء الإثم عنهما موقوف على التّقوى، لا على مجرّد الرّخصة أو العزيمة فى الرّمى. ثم، قيل: المراد به تقوى المعاصى فى الحجّ. و قيل: تقوى المعاصى بعد الحجّ، فى بقيّة العمر، بالوفاء بما عاهد اللّه تعالى عليه، بعرفة و غيرها من مواقف الحجّ، من التّوبة و الإنابة. و المشكل، فى هذه الآية، قوله تعالى: فِي يَوْمَيْنِ [البقرة: ۲۰۳]، و التّعجيل المرخّص فيه إنّما هو التّعجيل فى اليوم الثّانى، من أيّام التّشريق؛ فكيف ذكر لفظ اليومين، و أراد بهما اليوم الثّانى، فقط؟ [۵۲] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة: ۲۱۰] و هو يدلّ على أنّها كانت إلى غيره، كقولهم: رجع إلى فلان عبده و منصبه (____؟ ۱) ([۵۲])

البيت فى ديوان لبيد. و الشاهد فيه قوله: يحور، و هو مأخوذ من الحور و هو الرجوع و النقصان. و المعنى: يعود أو يرجع أو يؤول إلى حال الرماد. – ساطع: مرتفع. – الشهاب: شعلة من نار. أما ما يتعلق بالسؤال و جوابه، فقد سبق أن طرح الشريف الرضى فى كتابه حقائق التأويل هذه المسألة و بسط الجواب فيها من وجوه. و ما جاء به الرازى هنا، مجرد تلخيص لبعضها، غير أن ما يستوقفنا عند الرضى شرحه لمعنى الرجوع، ننقله لفائدته. يقول: «و الصحيح فى ذلك أن أصل الرّجع و الرجوع- فى اللغة- إنّما هو انعطاف الشىء إليك، و انقلابه نحوك، لا- أنه كان عندك ففارقك، ثم رجع إليك، و إنما استعمل فى المعنى الأخير مجازا، و حقيقته ما ذكرناه. و فى كلامهم الرّجعة المرّة الواحدة؛ و من ذلك قولهم: رجعت إليه القول، أى خاطبته و صرفت قولى إليه. و يقولون: هل جاءتك رجعة كتابك؟ و رجعانه، أى جوابه. و قال الشاعر: كأنّ من عسل رجعان منطقها إن كان رجع كلام يشبه العسلا قال تعالى: أَ فَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا [طه: ۸۹]. و كل ذلك يدل على المعنى الذى قلناه» (ص ۳۳۱). و البيت الذى أورده الرضى منسوب للحكيم بن ريحان من بنى عمر بن كلاب، كما أفاد محقق الكتاب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳ قلنا: هو خطاب لمن كان يعبد غير اللّه، و ينسب أفعاله إلى سواه؛ فأخبرهم أنّه إذا كشف لهم الغطاء، يوم القيامة، ردّوا ما أضافوه لغيره؛ بسبب كفرهم و ظلمهم؛ و لأنّ رجع يستعمل بمعنى صار و وصل، كقولهم: رجع علىّ من فلان مكروه؛ قال الشّاعر: و ما المرء إلّا كالشّهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع و لأنّها كانت إليه قبل خلق عبيده؛ فلما خلقهم ملّكهم بعضها، خلافة و نيابة؛ ثم، رجعت إليه، بعد هلاكهم؛ و منه قوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ [غافر: ۱۶]، و قوله تعالى: الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمنِ [الفرقان: ۲۶]. و إنّما قال: وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [البقرة: ۲۱۰]، و لم يقل: إليه، و إن كان قد سبق ذكره مرّة، لقصد التّعميم و التّعظيم؛ و ذلك ينافى الإيجاز و الاختصار. [۵۳] «۱» فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال فى قوله: يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ [البقرة: ۲۱۵]، فإنّهم سألوا عن بيان ما ينفقون، و أجيبوا عن بيان المصرف؟ قلنا: قد تضمن قوله تعالى: قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ [البقرة: ۲۱۵] بيان ما ينفقونه و هو كل خير، ثم زيد على الجواب بيان المصرف و نظيره قوله تعالى: وَ ما تِلْکَ بِيَمِينِکَ يا مُوسى قالَ هِيَ عَصايَ [طه: ۱۷، ۱۸] الآية، و قوله عليه الصلاة و السلام- و قد سئل عن الوضوء بماء البحر- «هو الطّهور ماؤه الحلّ ميتته». [۵۴] فإن قيل: كيف جاء يسألونك ثلاث مرات بغير واو يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ [البقرة: ۲۱۵- ۲۱۹] ثم جاء ثلاث مرات بالواو: وَ يَسْئَلُونَکَ ما ذا يُنْفِقُونَ وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْيَتامى وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِيضِ [البقرة: ۲۱۹- ۲۲۲]. قلنا: لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا، و عن الحوادث الأخر وقع فى وقت واحد، فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك. (____۱) ([۵۳]) الحديث أخرجه: مالك

فى الموطأ، ۲- كتاب الطهارة، ۳- باب الطهور للوضوء، حديث ۴۳. أبو داود، ۱- كتاب الطهارة، ۴۱- باب الوضوء بماء البحر، حديث

۸۳. الترمذی، أبواب الطهارة، ۵۲- باب ما جاء فی ماء البحر أنه طهور، حدیث ۶۹، النسائی، ۱- کتاب الطهارة، ۴۷- باب ماء البحر، حدیث ۵۹. ابن ماجة، ۱- کتاب الطهارة و سننها، ۳۸- باب الوضوء بماء البحر، حدیث ۳۸۶ و ۳۸۷ و ۳۸۸. الحلّ: (بکسر الحاء) الحلال. میتته: (بفتح المیم) حیوان البحر الذی یموت فیه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴ [۵۵] فإن قیل: کیف قال: وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ [البقرة: ۲۲۷] و عزمهم الطلاق ممّا یعلم لا ممّا یسمع؟ قلنا: الغالب أن العزم علی الطلاق و ترک الفیء لا یخلو عن مقاولة و دمدمة و إن خلا عنها فلا بد له أن یحدّث نفسه و یناجیها بما عزم علیه، و ذلک حدیث لا یسمعه إلا اللّه تعالی کما یسمع وسوسة الشیطان. [۵۶] فإن قیل: کیف قال: وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِکَ [البقرة: ۲۲۸]، و لا حق للنساء فی الرجعة، و أفعل یقتضی الاشتراک؟ قلنا: المراد أن الزوج إذا أراد الرجعة و أبت وجب إیثار قوله علی قولها؛ لأنّ لها حقّا فی الرجعة. [۵۷] فإن قیل: کیف قال تعالی: وَ بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِی ذلِکَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً [البقرة: ۲۲۸] و الزوج أحق بالرجعة سواء أراد الإصلاح أو الإضرار بها بتطویل العدة؟ قلنا: المراد أن الرجعة أصوب و أعدل إن أراد الزوج الإصلاح، و ترکها أصوب و أعدل إن أراد الإضرار. [۵۸] فإن قیل: کیف الجمع بین قوله تعالی: فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْیاهُمْ [البقرة: ۲۴۳] و قوله تعالی: لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولی [الدخان: ۵۶]. قلنا: المراد بالآیة الأولی إماتة العقوبة مع بقاء الأجل، و بالآیة الثانیة الإماتة بانتهاء الأجل، نظیره قوله تعالی فی قصة موسی علیه السلام: ثُمَّ بَعَثْناکُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِکُمْ [البقرة: ۵۶] لأنها کانت إماتة عقوبة، أو کان إحیاؤهم آیة لنبیهم علی ما عرف فی قصتهم، فصار کإحیاء العزیر حین مر علی قریة و آیات الأنبیاء نوادر مستثناة، فکان المراد بالآیة الثانیة الموتة التی لیست بسبب آیة نبی من الأنبیاء أو إحیاء قوم موسی آیة له أیضا فکان هذا جوابا عاما؛ مع أن فی أصل السؤال نظرا لأن الضمیر فی قوله لا یَذُوقُونَ للمتقین و قوله فیها للجنات، علی ما یأتی بیانه، فی سورة الدخان، إن شاء اللّه تعالی، علی وجه یندفع به السؤال من أصله. [۵۹] فإن قیل: کیف قال: وَ اللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ [البقرة: ۲۴۷] و اللّه تعالی لا یؤتی ملکه أحدا؟ قلنا: المراد بهذا الملک السلطنة و الرئاسة التی أنکروا إعطاءها لطالوت، و لیس المراد بأنه یعطی ملکه لأحد؛ لأن سیاق الآیة یمنعه. [۶۰] فإن قیل: کیف قال فی الماء: وَ مَنْ لَمْ یَطْعَمْهُ [البقرة: ۲۴۹] و لم یقل و من لم یشربه، و الماء مشروب لا مأکول؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵ قلنا: طعم بمعنی أکل و بمعنی ذاق، و الذوق هو المراد هنا و هو یعم. [۶۱] فإن قیل: کیف خص موسی، و عیسی من بین الأنبیاء بالذّکر فی قوله تعالی: تِلْکَ الرُّسُلُ [البقرة: ۲۵۳] الآیة؟ قلنا: لما أوتیا من الآیات الظاهرة و المعجزات الباهرة مع الکتابین العظیمین المشهورین. [۶۲] فإن قیل: کیف قال: مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ یَوْمٌ لا بَیْعٌ فِیهِ وَ لا خُلَّةٌ وَ لا شَفاعَةٌ [البقرة: ۲۵۴]، و فی یوم القیامة شفاعة الأنبیاء، و غیرهم، بدلیل قوله: مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة: ۲۵۵]، و قوله تعالی: وَ لا یَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضی [الأنبیاء: ۲۸]، و قوله تعالی: وَ لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ [سبأ: ۲۳]. قلنا: هذه الآیات لا تدلّ علی وجود الشفاعة یوم القیامة؛ بل تدلّ علی أنّها لا توجد و لا تنفع من غیر إذنه؛ و لا توجد لغیر مرضیّ عنده. و هذا لا ینافی نفی وجودها؛ بل المنافی له الإخبار عن وجودها، لا الإخبار عن إمکان وجودها. و لو سلّم، فالمراد به نفی شفاعة الأصنام و الکواکب، التی کانوا یعتقدونها؛ و لهذا عرّض بذکر الکفّار، بقوله تعالی: وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ. و قیل: المراد أنه لا شفاعة فی إثم ترک الواجبات؛ لأنّ الشّفاعة، فی الآخرة، فی زیادة الفضل لا غیر؛ و الخطاب، مع المؤمنین، فی النفقة الواجبة، و هی الزّکاة. [۶۳] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی: وَ الْکافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: ۲۵۴] علی وجه الحصر و غیرهم ظالم أیضا؟ قلنا: لأنّ ظلمهم أشدّ، فکأنّه لا ظالم إلّا هم؛ نظیره: إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ۲۸]. [۶۴] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی: اللَّهُ وَلِیُّ الَّذِینَ آمَنُوا یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ [البقرة: ۲۵۷] بلفظ المضارع؛ و لم یقل أخرجهم بلفظ الماضی؛ و الإخراج قد وجد؛ لأنّ الإیمان قد وجد؟ قلنا: لفظ المضارع فیه دلالة علی استمرار ذلک الإخراج، من اللّه تعالی، فی الزّمان المستقبل؛ فی حقّ من آمن، بزیادة کشف الشبه و مضاعفة الهدایة؛ و فی حق من لم یؤمن، ممّن قضی اللّه أنّه سیؤمن، بابتداء الهدایة و زیادتها، أیضا. و لفظ الماضی لا یدلّ علی هذا المعنی. [۶۵] فإن قیل: متی کان المؤمنون فی ظلمات الکفر، و الکافرون فی نور الإیمان لیخرجوا من ذلک؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶ قلنا: الإخراج یستعمل بمعنی المنع عن الدّخول؛ یقال لمن امتنع عن الدّخول فی أمر خرج منه، و

أخرج نفسه منه؛ و إن لم يكن دخل فيه. فعصمة اللّه تعالى المؤمنين عن الدخول فى ظلمات الضّلال إخراج لهم منها، و تزيين قرناء الكفار لهم الباطل الّذى يصدّونهم به عن الحقّ إخراج لهم من نور الهدى. و لأنّ إيمان رؤساء أهل الكتاب بالنّبيّ، عليه الصلاة و السلام، قبل أن يظهر، كان نورا لهم؛ و كفرهم به، بعد ظهوره، خروج منه، إلى ظلمات الكفر. و لأنّه لما ظهرت معجزاته، عليه الصلاة و السلام، كان موافقه و متّبعه خارجا من ظلمات الجهل، إلى نور العلم؛ و مخالفه خارجا من نور العلم، إلى ظلمات الجهل. [۶۶] فإن قيل: كيف انتقل إبراهيم، صلّى اللّه عليه و سلّم، إلى حجّة أخرى، و عدل عن نصرة الأولى؛ مع أنّه لم ينقطع بما عارضه به نمرود، من قتل أحد المجوسيين و إطلاق الآخر؛ فإن إبراهيم، صلّى اللّه عليه و سلّم، ما أراد هذا الإحياء و الإماتة؟ قلنا: إمّا لأنّه رأى خصمه قاصر الفهم عن إدراك معنى الإحياء و الإماتة التى أضافها إبراهيم، صلّى اللّه عليه و سلّم، إلى اللّه؛ حيث عارض معارضة لفظيّة، و عمى عن اختلاف المعنيين؛ أو لأنّه علم أنّه فهم الحجّة، لكنّه قصد التمويه و التلبيس على أتباعه و أشياعه؛ فعدل إبراهيم إلى أمر ظاهر يفهمه كلّ أحد، و لا يقع فيه تمويه و لا تلبيس. [۶۷] فإن قيل: كيف طبع اللّه على قلبه، فلم يعارض بالعكس، فى طلوع الشمس؟ قلنا: لأنّه لو عارض به لم يأت اللّه بها من المغرب، لأن ذلك أمارة قيام الساعة فلا يوجد إلا قريبا من قيامها، و لأنّه و أتباعه كانوا عالمين أنّ طلوعها من المشرق سابق على وجوده، فلو ادّعاه لكذّبوه. [۶۸] «۱» فإن قيل: كيف قال عزير، عليه السلام، منكرا مستبعدا: أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها [البقرة: ۲۵۹]، و هو نبيّ؛ و النبيّ لا تخفى عليه قدرة اللّه تعالى على إحياء قرية خربة و إعادة أهلها إليها؟ قلنا: ما قاله منكرا مستبعدا لعظيم قدرة اللّه تعالى؛ بل متعجّبا من عظيم قدرته تعالى أو طلبا لرؤية كيفيّة الإعادة؛ لأنّ أنّى بمعنى كيف، أيضا. و قد نقل عن مجاهد أنّ المارّ على القرية القائل ذلك كان رجلا كافرا شاكّا فى البعث؛ و إن كان الأوّل هو المشهور. (______________________________ ۱) ([۶۸]) مجاهد بن جبير، أبو الحجاج المكّى، مولى بنى مخزوم. تابعى، مفسّر. أخذ التفسير عن ابن عباس. ولد سنة ۲۱ ه و توفى ۱۰۴ ه. غير أنهم طعنوا فى آرائه فى التفسير، لاتهامه بأنه يأخذ عن أهل الكتاب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷ [۶۹] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى لإبراهيم عليه السلام: أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ [البقرة: ۲۶۰]؛ و قد علم أنه أثبت الناس إيمانا؟ قلنا: ليجيب بما أجاب به؛ فتحصل به الفائدة الجليلة للسّامعين من طلبه لإحياء الموتى. [۷۰] فإن قيل: كيف يجوز أن يكون النبيّ غير مطمئن القلب بقدرة اللّه على إحياء الموتى؛ حتّى قال إبراهيم: لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قالَ [البقرة: ۲۶۰]؛ مع أنّ قلبه مطمئن بقدرة اللّه على الإحياء؟ قلنا: معناه ليطمئنّ قلبى بعلم ذلك عيانا، كما اطمأنّ به برهانا؛ أو ليطمئنّ بأنّك اتّخذتنى خليلا؛ أو بأنّى مستجاب الدّعوة. و لقائل أن يقول: على الوجه الأول، كيف يزداد يقينا بالمشاهدة، و قد روى عن على، كرّم اللّه وجهه، أنّه قال: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا»، و إبراهيم صلوات اللّه عليه و سلامه أعظم رتبة و أجلّ؟ و جوابه: أنّ عليّا أراد بذلك قوّة يقينه قبل العيان؛ حتّى كأنّ الزّيادة الحاصلة له بالعيان يسيرة لا يعتدّ بها. [۷۱] فإن قيل: فما فائدة قوله: فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ [البقرة: ۲۶۰] أى فضمّهنّ، و لفظ الأخذ مغن عنه؟ قلنا: الفائدة فيه تأمّلها، و معرفة أشكالها و صفاتها؛ لئلّا يلتبس عليه بعد الإحياء فيتوهّم أنّه غيرها. [۷۲] فإن قيل: كيف مدح اللّه المتّقين بترك المنّ؛ و نهى عن المنّ، أيضا، مع أنّه وصف نفسه بالمنّان، فى نحو قوله تعالى: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: ۱۶۴]. قلنا: منّ بمعنى أعطى؛ و منه المنّان فى صفات اللّه تعالى. و قوله: فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ؛ و قوله: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [آل عمران: ۱۶۴]، أى أنعم عليهم؛ و قوله: فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ [محمد: ۴]، أى إنعاما بالإطلاق، من غير عوض؛ و منّ بمعنى اعتد بالنّعمة، و ذكرها، و استعظمها؛ و هو المذموم. [۷۲ م] فإن قيل: قوله: تعالى: بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ [الحجرات: ۱۷] من القسم الثانى. قلنا: ذلك اعتداد بنعمة الإيمان؛ فلا يكون قبيحا؛ بخلاف نعمة المال. و لأنه يجوز أن يكون من صفات اللّه تعالى ما هو مدح فى حقّه، ذمّ فى حقّ العبد، كالجبّار، و المتكبر، و المنتقم، و نحو ذلك. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸ [۷۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَ يَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنابٍ؛ ثم قال له: فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ [البقرة: ۲۶۶]. قلنا: لمّا كان النخيل و الأعناب أكرم الشّجر، و أكثرها منافع، خصّهما بالذّكر، و جعل الجنّة منهما؛ و إن كان فيها غيرهما؛ تغليبا لهما، و تفضيلا. [۷۴] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً [البقرة: ۲۷۳]، يدل بمفهومه على أنّهم كانوا

يسألون الناس برفق؛ فكيف قال: يَحْسَبُهُمُ الْجاهِلُ أَغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ [البقرة: ۲۷۳]. قلنا: المراد به نفى السؤال و الإلحاف جميعا، كقوله تعالى: لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ [البقرة: ۷۱] و كقول الأعشى: لا يغمز الساق من أين و لا وصب معناه: ليس بساقه أين و لا وصب، فيغمزها. [۷۵] فإن قيل: كيف قال: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا [البقرة: ۲۷۵] الآية؛ ألحق الوعيد بآكله؛ مع أنّ لابسه و مدّخره و واهبه، أيضا؛ فى الإثم سواء؟ قلنا: لمّا كان أكثر الانتفاع و الهمم بالمال، إنّما هو الأكل؛ لأنّه مقصود لا غناء عنه، و لا بدّ منه؛ عبّر عن أنواع الانتفاع بالأكل، كما يقال: أكل فلان ماله كله، إذا أخرجه فى مصالح الأكل و غيره؟ [۷۶] فإن قيل: كيف خصّ الآكل بذكر الوعيد دون المطعم، و كلاهما آثم؟ قلنا: لأنّ انتفاعه الدّنيوى بالرّبا أكثر من انتفاع المطعم. [۷۷] فإن قيل: كيف قال: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا [البقرة: ۲۷۵]، و الكلام إذ ذاك فى الرّبا، و مقصودهم تشبيهه بالبيع؛ فقياسه: إنّما الرّبا مثل البيع، فى حلّه؟ قلنا: جاءوا بالتّمثيل على طريق المبالغة؛ و ذلك أنه بلغ من اعتقادهم استحلال الرّبا أنهم جعلوه أصلا فى الحلّ، و البيع فرعا، كقولهم: القمر كوجه زيد، و البحر ككفّه، إذا أرادوا المبالغة (______________________________________. ۱) ([۷۴])

إلحاف: إلحاح. ذلول: أى منقادة، غير متصعّبة. أين: إعياء و تعب. وصب: السقم و المرض. و جمعه أوصاب. و الفعل: وصب. يغمز: من الغمز و هو الإشارة. و يكون بالعين و اليد و الجفن. يقال: فلان فيه غميزة، أى نقيصة و عيب. و يقال: غمزت الكبش، إذا فحصت بيدك عن شحمه و سمنه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹ [۷۸] فإن قيل: كيف قلتم إنّ أهل الكبائر لا يخلّدون فى النار، و قد قال اللّه تعالى، فى حقّ آكل الرّبا: وَ مَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ [البقرة: ۲۷۵]. قلنا: الخلود يستعمل بمعنى طول البقاء، و إن لم يكن بصفة التأبيد؛ يقال: خلّد الأمير فلانا فى الحبس، إذا أطال حبسه؛ أو أن قوله: فَأُولئِكَ إشارة إلى من عاد إلى استحلال الرّبا، بقوله: إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا [البقرة: ۲۷۵]، بعد نزول آية التحريم؛ و ذلك يكون كافرا، و الكافر مخلّد فى النار. [۷۹] فإن قيل: إنظار المعسر فرض بالنصّ، و التصدّق عليه تطوّع؛ فيكف قال: وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ [البقرة: ۲۸۰]. قلنا: كلّ تطوّع كان محصّلا للمقصود من الفرض، بوصف الزّيادة، كان أفضل من الفرض؛ كما أنّ الزّهد فى الحرام فرض و فى الحلال تطوّع، و الزّهد فى الحلال أفضل كما بيّنا؛ كذلك، هنا. [۸۰] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: بِدَيْنٍ [البقرة: ۲۸۲]؛ و قوله تعالى: تَدايَنْتُمْ مغن عنه؟ قلنا: فائدته رجوع الضّمير إليه فى قوله تعالى: فَاكْتُبُوهُ [البقرة: ۲۸۲] إذ لو لم يذكره لقال: فاكتبوا الدّين، فالأوّل أحسن نظما؛ أو لأنّ التّداين مشترك بين الإقراض و المبايعة و بين المجازاة، و إنّما يميّز بينهما بفتح الدّال و كسرها؛ و منه قوله تعالى: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة: ۴]، أى الجزاء يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ [الذاريات: ۱۲] فذكر الدّين ليتعيّن أى المعنيين هو المراد. [۸۱] فإن قيل: كيف شرط السفر فى الارتهان بقوله: وَ إِنْ كُنْتُمْ عَلى سَفَرٍ [البقرة: ۲۸۳] الآية، و جواز الرهن لا يختصّ بالسّفر؟ قلنا: لم يذكره لتخصيص الحكم به؛ بل لمّا كان السفر مظنّة عوز الكاتب، و الشّاهد الموثوق بهما، أمر- على سبيل الإرشاد- لحفظ مال المسافرين بأخذ الرّهان. [۸۲] فإن قيل: ما فائدة ذكر القلب فى قوله تعالى: فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ [البقرة ۲۸۳]، مع أنّ الجملة هى الموصوفة بالإثم لا القلب وحده؟ قلنا: كتمان الشهادة هو أن يضمرها و لا يتكلم بها؛ فلمّا كان ذلك إثما مقترنا بالقلب و مكتسبا له، أسند إليه؛ لأنّ إسناد الفعل إلى الجارحة الّتى يعمل بها أبلغ؛ كما يقال: هذا ما أبصرته عينى، و سمعته أذنى، و وعاه قلبى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰ [۸۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ [البقرة: ۲۸۴]، و ما يحدّث به الإنسان نفسه لا يأثم به ما لم يفعله؛ إمّا لأنّه لا يمكن الاحتراز عنه، فى الوسع و الطاقة، أو بالحديث المشهور فيه؟ قلنا: قيل: أريد بالآية العموم ثم نسخ بقوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها [البقرة: ۲۸۶]. و قيل: لا نسخ فيه؛ لأنّه خبر لا أمر أو نهى؛ بل العموم غير مراد؛ و إنّما المراد ما يمكن الاحتراز عنه، و هو العزم القاطع، و الاعتقاد الجازم؛ لا مجرّد حديث النفس و الوسوسة. و لأنّه أخبر عن المحاسبة لا عن المعاقبة؛ فهو يوم القيامة يخبر العباد بما أبدوا و ما أخفوا، ليعلموا إحاطة علمه بجميع ذلك؛ ثم يغفر لمن يشاء فضلا، و يعذّب من يشاء عدلا، كما أخبر فى الآية. [۸۴] فإن قيل: أىّ شرف للرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم فى مدحه بالإيمان؛ مع أنّه فى رتبة الرّسالة و درجتها، و هى أعلى من درجة الإيمان؛ فما فائدة قوله تعالى: آمَنَ الرَّسُولُ [البقرة: ۲۸۵]؟ قلنا: فائدة أن يبيّن للمؤمنين زيادة شرف الإيمان؛ حيث مدح به خواصّه و رسله؛ و نظيره، فى

سورة الصافات، قوله تعالى، فى خاتمة ذكر كلّ نبىّ: إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [الصافات: ۸۱]. [۸۵] فإن قيل: روى عن ابن عباس، رضى اللّه عنهما، أنّه قرأ: «ملائكته و كتابه»، فسئل عن ذلك، فقال: «كتاب أكثر من كتب» فما وجهه؟ قلنا: قيل فيه أنه أراد أنّ الكتاب جنس و الكتب جمع، و الجنس أكثر من الجمع؛ لأنّ حقيقته فى الكلّ على ما ذهب إليه بعضهم. و يرد على هذا أن يقال: الكلام فى الجمع المضاف و المفرد المضاف للاستغراق، عرفا و شرعا، كقوله لعبده: أكرم أصدقائى، و أهن أعدائى؛ و قوله: زوجاتى طوالق و عبيدى أحرار؛ بخلاف قوله: صديقى و عدوى و عبدى و امرأتى؛ فظهر أنّ الجمع المضاف أكثر. [۸۶] فإن قيل: قوله: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ۲۸۵]، كيف قال ذلك؛ مع أنّ بين لا تضاف إلّا إلى اثنين فصاعدا، فكيف قال: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ۲۸۵]. قلنا: أحد هنا بمعنى الجمع الذى هو آحاد كقوله تعالى: فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ [الحاقة: ۴۷] فإنّه ثمّ بمعنى الجمع، بدليل قوله تعالى: حاجِزِينَ فكأنه قال: لا نفرق بين آحاد من رسله، كقولك: المال بين آحاد الناس؛ و لأنّ أحدا يصلح للمفرد المذكر و المؤنث، و تثنيتهما و جمعهما نفيا و إثباتا، تقول: ما رأيت أحدا إلّا بنى فلان، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱ أو إلّا بنات فلان سواء. و تقول: إن جاءك أحد بكتابى فأعطه وديعتى، يستوى فيه الكلّ؛ فالمعنى لا نفرّق بين اثنين منهم، أو بين جماعة منهم، و منه قوله تعالى: يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ [الأحزاب: ۳۲]. [۸۷] «۱» فإن قيل: من أين دلّ قوله: لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ [البقرة: ۲۸۶] على أنّ الأوّل فى الخير و الثّانى فى الشّر؟ قلنا: قيل: هو من كسبت و اكتسبت، فإنّ الأوّل للخير و الثّانى للشرّ، و ليس بدليل؛ لقوله تعالى: وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً [النساء: ۱۱۲]، و قوله: كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر: ۳۸]، و قوله: أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِما كَسَبُوا [الشورى: ۳۴]، و قوله: وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً [الشورى: ۲۳]؛ و الاقتراف و الاكتساب بمعنى واحد. و قيل: هو من اللّام و على، و ليس بدليل، أيضا؛ لقوله تعالى: أُولئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [الرعد: ۲۵]، و قوله تعالى: إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها [الإسراء: ۷]، و قوله تعالى: أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ [البقرة: ۱۵۷]؛ اللّهمّ إلّا أن يدّعى أنّ اللّام و على، عند الإطلاق، يقتضيان ذلك؛ أو لأنّهما يستعملان لذلك، عند تقاربهما، كما فى هذه الآية؛ لا نفرّق بين ذكر الحسنة و السيئة، أو الحسن و القبيح. و يدل عليه قوله تعالى: وَ لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْها [الأنعام: ۱۶۴]. أطلقه و أراد به الشرّ؛ بدليل ما بعده. و قولهم: «الدّهر يومان، يوم لك و يوم عليك». و قولهم: فلان يشهد لك و فلان يشهد عليك. و يقول الرجل لصاحبه: هذا الكلام حجّة عليك لا لك، قال الشاعر: على أنّنى راض بأن أحمل الهوى و أخلص منه لا علىّ و لا ليا و أمّا قوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها [فصلت: ۴۶]، و إن كان مقيّدا، إلاّ أنّ فيه دلالة أيضا من جهة اللّام و على؛ لأنّ القيد شامل لطرفيه.

____

(۱) ([۸۷]) «الدهر يومان ...» هذه كلمة للإمام على، و هى فى نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ۳۹۶. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲

سورة آل عمران

سورة آل عمران [۸۸] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ. ثمّ قال تعالى: وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ [آل عمران: ۳]؟ قلنا: لأنّ القرآن أنزل منجّما، و التّوراة و الإنجيل نزلا جملة واحدة، كذا أجاب الزّمخشرى و غيره. و يرد عليه قوله تعالى، بعد ذلك: وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ [آل عمران: ۴] فإنّ الزمخشرى قال: أراد به جنس الكتب السماوية لا الثلاثة المذكورة خصوصا؛ أو أراد به الزّبور؛ أو أراد به القرآن، و كرّر ذكره تعظيما. و يرد عليه، أيضا قوله تعالى، بعد ذلك: هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ [آل عمران: ۷]، و قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ [البقرة: ۴]، و قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً [الفرقان: ۳۲]. و الذى وقع لى فيه- و اللّه أعلم- أنّ التّضعيف، فى نزّل، و الهمزة فى أنزل، كلاهما للتّعدية؛ لأنّ نزل فعل لازم، فى نفسه؛ و إذا كانا للتّعدية، لا يكونان لمعنى آخر، و هو التّكثير أو نحوه؛ لأنّه لا نظير له؛ و إنّما جمع بينهما، و المعنى واحد، و هو التّعدية؛ جريا على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام، و تصرّفهم فيه، على وجوه شتّى. و يؤيّد هذا

قوله تعالى: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ [الأنعام: ۳۷] و قال، فی موضع آخر: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ [الرعد: ۷]. [۸۹] فإن قیل: کیف قال: مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ [آل عمران: ۷]، و من للتبعیض؟ و قال: فی موضع آخر: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ [هود: ۱]؛ و هذا یقتضی کون جمیع آیاته محکمة (____؟ ۱) ([۸۸])

الزمخشری: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمی الزّمخشری. ولد سنة ۴۶۷ ه بزمخشر و توفی سنة ۵۳۸ ه بجرجانیة خوارزم. عرف بتضلّعه فی علوم عدة، منها التفسیر و اللغة و المعانی و البیان و النحو. و قد أخذ الأدب عن منصور أبی مضر. من مؤلفاته: تفسیره المعروف للقرآن المسمّی الکشاف عن حقائق غوامض التنزیل، المحاجاة بالمسائل النحویة، الفائق فی تفسیر غریب الحدیث، أساس البلاغة، ربیع الأبرار و نصوص الأخبار، المفرد و المرکب فی العربیة، متشابه أسامی الرّواة، المفصّل فی النحو، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳ قلنا: المراد بقوله: مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ [آل عمران: ۷]، أی ناسخات. وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ [آل عمران: ۷]، أی منسوخات. و قیل: المحکمات: العقلیات؛ و المتشابهات: الشرعیات. و قیل: المحکمات: ما ظهر معناها؛ و المتشابهات: ما کان فی معناها غموض و دقة. و المراد بقوله: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ [هود: ۱] أنّ جمیع القرآن صحیح ثابت، مصون عن الخلل و الزّلل فلا تنافی. [۹۰] فإن قیل: کیف قال، هنا: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ [آل عمران: ۷]، جعل بعضه متشابها و قال، فی موضع آخر: كِتاباً مُتَشابِهاً [الزمر: ۲۳]، وصفه کله بکونه متشابها؟ قلنا: المراد بقوله: وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ما سبق ذکره، و المراد بقوله: كِتاباً مُتَشابِهاً أنّه یشبه بعضه بعضا، فی الصحة، و عدم التّناقض، و تأیید بعضه بعضا؛ فلا تنافی. [۹۱] فإن قیل: ما فائدة إنزال المتشابهات، بالمعنی الأخیر؛ و المقصود من إنزال القرآن إنّما هو البیان و الهدی؛ و الغموض و الدّقة فی المعانی ینافی هذا المقصود، أو یبعده؟ قلنا: لما کان کلام العرب ینقسم إلی ما یفهم معناه سریعا، و لا یحتمل غیر ظاهره، و إلی ما هو مجاز و کنایة و إشارة و تلویح، و المعانی فیه متعارضة متزاحمة، و هذا القسم هو المستحسن عندهم و المستبدع فی کلامهم، نزل القرآن بالنّوعین تحقیقا لمعنی الإعجاز، کأنه قال: عارضوه بأی النوعین شئتم فإنه جامع لهما. و أنزله اللّه، عزّ و جلّ، محکما و متشابها، لیختبر من یؤمن بکلّه، و یردّ علم ما تشابه منه إلی اللّه، فیثیبه، و من یرتاب فیه و یشکّ، و هو المنافق، فیعاقبه؛ کما ابتلی عباده بنهر طالوت و غیره. أو أراد أن یشتغل العلماء بردّ المتشابه إلی المحکم بالنّظر و الاستدلال و البحث و الاجتهاد؛ فیثابون علی هذه العبادة. و لو کان کلّه ظاهرا جلیّا، لاستوی فیه العلماء و الجهال؛ و لماتت الخواطر بعدم البحث و الاستنباط؛ فإنّ نار الفکر إنّما تقدح بزناد المشکلات. و لهذا قال بعض الحکماء: عیب الغنی أنه یورث البلادة و یمیت الخاطر؛ و فضیلة الفقر أنّه یبعث علی إعمال الفکر، و استنباط الحیل، فی الکسب. [۹۲] فإن قیل: قوله تعالی: يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ، أی تری الفئة الکافرة الفئة المسلمة مثلی عدد نفسها؛ أو بالعکس، علی اختلاف القولین؛ و کیفما کان، فهو مناف لقوله تعالی، فی سورة الأنفال: وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ [الأنفال: ۴۴]؛ لأنّه یدلّ علی أنّ الفئتین تساوتا فی استقلال کلّ واحدة منهما للأخری. فکلّ منهما تری الأخری قلیلة؟ قلنا: التقلیل و التّکثیر فی حالین مختلفین. قلّل اللّه المشرکین فی نظر المؤمنین أوّلا، و المؤمنین فی نظر المشرکین؛ حتّی اجترأت کلّ فئة علی قتال صاحبتها. فلمّا التقتا، کثّر اللّه المؤمنین فی نظر المشرکین؛ حتّی جبنوا و فشلوا؛ فغلبوا. و کثّر اللّه المشرکین فی نظر المؤمنین، أو أراهم إیّاهم علی ما هم علیه، و کانوا فی الحقیقة أکثر من المؤمنین، لیعلموا صدق ما وعدهم اللّه تعالی، بقوله: فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ [الأنفال: ۶۶] الآیة، فإن المؤمنین غلبوهم فی هذه الغزاة و هی غزاة بدر. مع أنّهم کانوا أضعاف عدد المؤمنین. و قیل: أری اللّه المسلمین المشرکین مثل عدد المسلمین، و کانوا ثلاثة أمثالهم؛ لکنه قلّلهم فی أعین المسلمین؛ و أراهم إیاهم بقدر ما أعلمهم أنّهم یغلبونهم، لتقوی قلوبهم بما سبق من الوعد أنّ المائة، من المؤمنین، یغلبون المائتین، منهم. [۹۳] «۱» فإن قیل: ما فائدة تکرار قوله: لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فی قوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ [آل عمران: ۱۸]؟ قلنا: الأوّل قول اللّه عزّ و جلّ، و الثانی حکایة قول الملائکة و أولی العلم. و قال جعفر الصادق، رحمه اللّه تعالی: الأوّل وصف، و الثّانی تعلیم. أی قولوا و اشهدوا، کما شهدت. [۹۴] فإن قیل: ما فائدة قوله تعالی: وَ هُمْ مُعْرِضُونَ؛ فی قوله: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ

الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ [آل عمران: ۲۳]؛ و التّولّى و الإعراض واحد، كما سبق فى البقرة؛ فلم جمع بينهما؟ قلنا: معناه: يتولّون عن الدّاعى، و يعرضون عمّا دعاهم إليه، و هو كتاب اللّه؛ أو يتولون بأبدانهم، و يعرضون عن الحقّ بقلوبهم؛ أو كان الّذين تولّوا علماءهم و الذين أعرضوا أتباعهم.

(______________________________ ۱) ([۹۳]) الصادق: هو الإمام جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين السبط بن على بن أبى طالب، الهاشمى القرشى، أبو عبد اللّه، لقبه الصادق، سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان أعلم أهل زمانه. و إليه ينسب مذهب الإمامية فى الفروع، فيقال: المذهب الجعفرى. و ذلك أنّه أتيح له (و لأبيه الباقر من قبله) فرصة نشر علم بيت النبوّة، و هو ما لم يتح بنفس القدر لباقى الأئمة الاثنى عشر، أيام الأمويين و العباسيين الذين اضطهدوهم. أخذ عنه العلم خلق كثير، من أشهرهم الإمامان أبو حنيفة و مالك. و لقّب بالصّادق لأنّه لم يعرف عنه الكذب قط. كان جريئا على خلفاء بنى العباس، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر. ولد بالمدينة سنة ۸۰ ه و توفى بها سنة ۱۴۸ ه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵ [۹۵] فإن قيل: كيف قال: بِيَدِكَ الْخَيْرُ [آل عمران: ۲۶]؛ خصّ الخير بالذّكر، و بيده تعالى الخير و الشرّ، و النفع و الضّرّ، أيضا؟ قلنا: لأنّ الكلام إنّما ورد ردّا على المشركين؛ فيما أنكروه، ممّا وعد اللّه تعالى به نبيّه صلّى اللّه عليه و سلّم على لسان جبريل عليه السلام، من فتح بلاد الرّوم و فارس. و وعد النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم الصحابة بذلك. فلما كان الكلام فى الخير خصّه بالذّكر؛ باعتبار الحال. أو أراد الخير و الشرّ. فاكتفى بأحدهما، لدلالته على الآخر؛ كقوله تعالى: سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ [النحل: ۸۱]. و إنّما خصّ الخير بالذّكر؛ لأنّه المرغوب فيه، المطلوب للعباد، من اللّه تعالى. [۹۶] فإن قيل: كيف قال: يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ [الحج: ۶۱]، و إيلاج الشّىء، فى الشّىء، يقتضى اجتماع حقيقتهما، بعد الإيلاج؛ كإيلاج الخيط فى الإبرة، و الإصبع فى الخاتم، و نحوهما؛ و حقيقة اللّيل و النهار لا يجتمعان؟ قلنا: الإيلاج قد يكون كما ذكرتم؛ و قد يكون مع تبدّل صفة أحدهما، بغلبة صفة الآخر عليه؛ مع بقاء ذاته فيه؛ كإيلاج يسير من خبز فى لبن كثير؛ أو بالعكس. فإنّ الحقيقتين مجتمعتان ذاتا؛ و صفة إحداهما غالبة على الأخرى. كذلك اللّيل و النهار، إذا كان اللّيل أربع عشرة ساعة، بالنّسبة إلى زمن الاعتدال. ففيه من النهار ساعتان قطعا؛ و كذا على العكس. أو معناه: يولج زمن اللّيل، فى زمن النهار، و بالعكس. أو يولج اللّيل، فى النهار؛ و بالعكس. باعتبار أن ليل قوم هو نهار آخرين؛ و بالعكس. أو معناه أنه خلق ليلا صرفا خالصا. و خلق ما هو ممتزج منهما. و هو ما قبيل طلوع الشّمس، و قبيل غروبها. و الجواب الثّالث و الرّابع يعمّان جميع السنة. [۹۷] فإن قيل: ما فائدة قوله: وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى [آل عمران: ۳۶]، و هو معلوم من غير ذكر؟ قلنا: فائدته اعتذارها عمّا قالته ظنّا؛ فإنها ظنّت أنّ ما فى بطنها ذكر؛ و لهذا نذرت أن تجعله خادما لبيت المقدس. و كان من شريعتهم صحّة هذا النذر فى الذّكور، خاصة؛ فلمّا وضعت أنثى، استحيت؛ حيث خاب ظنّها، و لم يتقبّل نذرها؛ فقالت ذلك معتذرة. تعنى ليست الأنثى بصالحة، لما يصلح له الذّكر، فى خدمة المسجد؛ لا أنّها أرادت أنّ الأنثى ليست كالذّكر صورة أو قوّة، أو نحو ذلك. فلمّا قالت ذلك، منكرة خجلة، منّ اللّه عليها، بتخصيص مريم بقبولها فى النذر؛ دون غيرها من الإناث. فقال تعالى: فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ [آل عمران: ۳۷]. [۹۸] «۱» فإن قيل: المستعمل فى مثله إدخال حرف النفى على القاصر، و حرف

(______________________________ ۱) ([۹۸]) أبو اللّيث: هو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى، أبو الليث. يلقب بإمام الهدى. فقيه من- أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶ التّشبيه على الكامل كقولهم: ليس كالذّهب الفضّة، و ليس العبد كالحرّ، فوزانه: و ليس الأنثى كالذّكر. قلنا: لما كان جعل الأصل فرعا، و الفرع أصلا، فى التّشبيه، فى حالة الإثبات، يقتضى المبالغة فى المشابهة، كقولهم: القمر كوجه زيد، و البحر ككفّه، كان جعل الأصل فرعا، و الفرع أصلا، فى حالة النفى، يقتضى نفى المبالغة فى المشابهة، لا نفى المشابهة؛ و ذلك هو المقصود، هنا؛ لأنّ المشابهة واقعة بين الذّكر و الأنثى، فى أعمّ الأوصاف، و أغلبها؛ و لهذا يقاد أحدهما بالآخر؛ و إنّما أرادت أمّ مريم نفى المشابهة بينهما فى صحّة النذرية، خادما للبيت المقدس؛ لا غير. فلذلك عكس. الثّانى: أن ذلك قوله تعالى، و المعنى ليس الذّكر الّذى طلبت أن يكون خادما للكنيسة كالأنثى التى

وهبت؛ لما علم اللّه من جعلها و ابنها آية للعالمين. و هو تفسير للتّعظيم و التّفخيم المجمل فى قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ [آل عمران: ۳۶]. و هى لا تعرف مقدار شرفه، و اللّام فى الذّكر و الأنثى للعهد. هذا كلّه قول الزّمخشرى، و تمامه فى الكشّاف. و قال الفقيه أبو اللّيث رحمه اللّه تعالى: قال بعضهم: هذا قول اللّه تعالى لمحمّد، عليه الصلاة و السلام. أى وَ لَيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى يا محمّد. و قال بعضهم: هو من كلام أمّ مريم. [۹۹] فإن قيل: كيف نادت الملائكة زكريّا، و هو قائم يصلّى فى المحراب، و أجابها و هو فى الصلاة، كما قال اللّه تعالى: فَنادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَ هُوَ قائِمٌ يُصَلِّى [آل عمران: ۳۹] الآية؟ قلنا: المراد بقوله يصلّى: أى يدعو، كقوله تعالى: وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها [الإسراء: ۱۱۰] أى بدعائك. [۱۰۰] فإن قيل: ما فائدة تخصيص يحيى، عليه السلام، بقوله: أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ [آل عمران: ۳۹]، و كلّ واحد من المؤمنين مصدّق بجميع كلمات اللّه تعالى؟ قلنا: معناه مصدّقا بعيسى الذى كان وجوده بكلمة من اللّه تعالى؛ و هو قوله: «كُنْ» من غير واسطة أب فى الوجود. و كان تصديق يحيى بعيسى أسبق من تصديق كلّ أحد، فى الوجود، أو فى الرتبة.

– أئمة الحنفية. كان زاهدا متصوفا.

توفى سنة ۳۷۳ ه. من مؤلفاته: تفسير القرآن، عمدة العقائد، بستان العارفين (فى التصوف)، تنبيه الغافلين، المقدمة، عيون المسائل، مختلف الرّواية، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷ [۱۰۱] فإن قيل: زكريّا سأل الولد بقوله: هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً [آل عمران: ۳۸] و اللّه تعالى بشّره بيحيى، عليه السلام، على لسان الملائكة؛ فكيف أنكر، بعد هذا كلّه، قدرة اللّه تعالى على إعطائه الولد، حتى قال: رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ [آل عمران: ۴۰]. قلنا: إنّما قاله على سبيل الاستفهام و التّعجّب من عظيم قدرة اللّه تعالى، لا على طريق الإنكار و الاستبعاد؛ أو اشتبه عليه كيف يعطى الولد، و هو شيخ، و امرأته عاقر؛ أو تزول عنهما هاتان الصفتان لكشف الحال. تقديره: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَ قَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عاقِرٌ [آل عمران: ۴۰]. و لقائل أن يقول: آخر الآية لا يناسب هذا الجواب. [۱۰۲] فإن قيل: ما فائدة تكرار ذكر الاصطفاء، فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفاكِ [آل عمران: ۴۲]. قلنا: الاصطفاء الأوّل: العبادة التى هى خدمة البيت المقدّس، و تخصيصها بقبولها فى النذر؛ مع كونها أنثى. و الاصطفاء الثّانى: لولادة عيسى، عليه السلام؛ أو أعيد ذكر الاصطفاء، ليفيد بقوله: عَلى نِساءِ الْعالَمِينَ [آل عمران: ۴۲] فيندفع و هم أنّها مصطفاة على الرّجال. [۱۰۳] فإن قيل: كيف نفى حضور النبيّ، عليه الصلاة و السلام، فى زمن مريم بقوله: وَ ما كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ [آل عمران: ۴۴]، الآية؛ و ذلك معلوم عندهم، لا شكّ فيه، و ترك نفى استماعه ذلك الخبر من حفّاظه و هو الّذى كانوا يتوهّمونه؟ قلنا: كان معلوما، أيضا، عندهم، علما يقينا أنّه ليس من أهل القراءة و الرّواية. و كانوا منكرين للوحى. فلم يبق إلّا المشاهدة و الحضور، و هى فى غاية الاستحالة؛ فنفيت، على طريق التهكّم بالمنكرين للوحى؛ مع علمهم أنّه لا قراءة له و لا رواية. و نظيره قوله تعالى: وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِيِّ وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ [القصص: ۴۴- ۴۶]. [۱۰۴] فإن قيل: كيف قال: اسمه المسيح عيسى ابن مريم، و الخطاب مع مريم، و هى تعلم أنّ الولد الّذى بشّرت به يكون ابنها؟ قلنا: لأنّ الأبناء ينسبون إلى الآباء، لا إلى الأمهات؛ فأعلمت، بنسبته إليها، أنه يولد من غير أب؛ فلا ينسب إلّا إلى أمه. [۱۰۵] فإن قيل: أىّ معجزة لعيسى، عليه الصلاة و السلام، فى تكليم الناس كهلا؟ و أىّ خصوصيّة له فى هذا؛ حتّى قال: وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا [آل عمران: ۴۶]؟ قلنا: معناه و يكلّم الناس، فى هاتين الحالتين، بكلام الأنبياء؛ من غير تفاوت بين حال الطفوليّة و حال الكهوليّة الّتى يستحكم فيها العقل، و يتبأ فيها الأنبياء. فكأنه أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸ قال: و يكلّم الناس فى المهد، كما يكلّمهم كهلا. و قال الزّجّاج: هذا، خرج مخرج البشارة لمريم أنّه، عليه الصلاة و السلام، سيبقى إلى زمن الكهولة. فهو بشارة لها بطول عمره. و قيل: المقصود منه أنّ الزّمان يؤثّر فيه، كما يؤثّر فى غيره، و ينقله من حال إلى حال؛ و لو كان إلها لم يجز عليه التغيير. [۱۰۶] فإن قيل: كيف قال: إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ [آل عمران: ۵]؛ و اللّه تعالى رفعه و لم يتوفه؟ قلنا: لمّا هدّده اليهود بالقتل، بشّره اللّه بأنه إنّما يقبض روحه بالوفاة لا بالقتل؛ و الواو لا تفيد التّرتيب؛ فلا يلزم من الآية موته قبل رفعه. الثّانى: أنّ فيه تقديما و تأخيرا، أى أنّى رافعك و متوفيك. و الثّالث: أنّ معناه: قابضك من الأرض تامّا،

وافيا فى أعضائك و جسدك، لم ينالوا منك شيئا؛ من قولهم: توفّيت حقّى على فلان، إذا استوفيته تامّا وافيا. الرّابع: أنّ معناه: إنّى متوفّيك فى نفسك بالنّوم، من قوله تعالى: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها [الزمر: ۴۲] و رافعك إلىّ، و أنت نائم؛ حتّى لا تخاف، بل تستيقظ و أنت فى السماء. [۱۰۷] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ [آل عمران: ۵۹]، و آدم خلق من التراب، و عيسى خلق من الهواء؛ و آدم خلق من غير أب و أمّ، و عيسى خلق من أمّ. قلنا: المراد به التّشبيه فى وجوده بغير واسطة أب. و التّشبيه لا يقتضى المماثلة من جميع الوجوه، بل من بعضها. [۱۰۸] فإن قيل: كيف خصّ أهل الكتاب بأنّ منهم أمينا و خائنا، بقوله: وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ [آل عمران: ۷۵] الآية؛ و المسلمون و غيرهم من أهل الملل كذلك، منهم الأمين و الخائن. قلنا: إنّما خصّهم باعتبار واقعة الحال؛ فإنّ سبب نزول الآية أنّ عبد اللّه بن سلام أودع ألفا و مائتى أوقية من الذّهب، فأدّى الأمانة فيها؛ و فنحاص بن عازوراء أودع دينارا، فخانه؛ و لأنّ خيانة أهل الكتاب المسلمين تكون عن استحلال، بدليل آخر الآية؛ بخلاف خيانة المسلم المسلم، فلذلك خصّهم بالذّكر. [۱۰۹] فإن قيل: كيف قال: وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً [آل عمران: ۸۳] و أكثر الجنّ و الإنس كفرة؟ قلنا: المراد بهذا: الاستسلام و الانقياد لما قضاه اللّه عليهم، و قدّره من الحياة و الموت، و المرض و الصحة، و الشّقاء و السعادة، و نحو ذلك. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹ [۱۱۰] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ [آل عمران: ۹۰]؛ و معلوم أن المرتدّ و إن ازداد ارتداده كفرا فإنّه مقبول التّوبة؟ قلنا: الآية نزلت فى قوم ارتدّوا، ثم أظهروا التّوبة بالقول، لستر أحوالهم، و الكفر فى ضمائرهم؛ قاله ابن عباس. و قيل: نزلت فى قوم تابوا من ذنوبهم غير الشّرك. و قيل: معناه: لن تقبل توبتهم وقت حضور الموت. [۱۱۱] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ [آل عمران: ۹۶] و كم من بيت بنى قبل الكعبة، من زمن آدم إلى زمن إبراهيم عليه السلام؟ قلنا: معناه أن أول بيت وضع قبلة للنّاس و مكان عبادة لهم؛ أو وضع مباركا للنّاس، أو لأنّ ابن عباس قال: أوّل من بناه آدم عليه السلام. لمّا هبط من السماء أوحى اللّه تعالى إليه ابن لى بيتا فى الأرض، و اصنع حوله نحو ما رأيت الملائكة تصنع حول عرشى؛ فبناه، و جعل يطوف حوله. [۱۱۲] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ [آل عمران: ۱۱۰] و لم يقل أنتم خير أمّة؟ قلنا: معناه كنتم فى سابق علم اللّه، أو كنتم يوم أخذ الميثاق على الذرية؛ فأراد الإعلام بكون ذلك صفة أصليّة فيهم، لا عارضة متجددة. أو معناه خلقتم و وجدتم؛ فهى كان التامة؛ و خير أمة نصب على الحال؛ و تمام الكلام فى كان يذكر فى قوله تعالى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ مَقْتاً [النساء: ۲۲]. [۱۱۳] فإن قيل: كيف قال: وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ [آل عمران: ۱۱۰] و لا يصح أن يقال: هذا خير من ذلك إلّا إذا كان فى كلّ واحد منهما خير؛ مع أنّ غير الإيمان لا خير فيه؛ حتى يقال: إنّ الإيمان خير منه؟ قلنا: معناه إيمانهم بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم مع إيمانهم بموسى و عيسى عليهما السلام، خير من إيمانهم بموسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام فقط. [۱۱۴] «۱» فإن قيل: كيف قال: مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها

(____ ۱) ([۱۱۴]) صرّ: هو شدّة البرد، أو البرد. - ثعلب: هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيبانى بالولاء، أبو العبّاس، اشتهر بثعلب، إمام الكوفيين فى النحو و اللغة. كان محدّثا و راوية للشعر. ولد فى بغداد سنة ۲۰۰ ه و توفى فيها سنة ۲۹۱ ه. من مؤلفاته: قواعد الشعر، الفصيح، شرح ديوان زهير، مجالس ثعلب، معانى القرآن، ما تلحن فيه العامة، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۰ صِرٌّ [آل عمران: ۱۱۷]، الآية؛ و المقصود تشبيه نفقة الكفّار و أموالهم، فى تحصيل المفاخر، و طلب الصيت و السمعة؛ أو ما ينفقونه فى الطّاعات، مع وجود الكفر؛ أو ما ينفقونه فى عداوة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، بالزرع الذى أصابته ريح شديدة البرد، فأهلكته، فضاع، و لم ينتفع به؛ و التّشبيه فى الحقيقة بالزّرع، و فى لفظ الآية بالرّيح؟ قلنا: فيه إضمار، تقديره: إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح فيها صرّ؛ أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح؛ و نظيره قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ [آل عمران: ۲۶۱] الآية؛ و قوله تعالى: وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ [آل عمران: ۱۷۱]، الآية. و قال ثعلب: فيه تقديم و تأخير تقديره: كمثل حرث قوم، ظلموا أنفسهم، أصابته ريح فيها صرّ،

فأهلكته. [۱۱۵] فإن قيل: كيف قال: إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها [آل عمران: ۱۲۰] فوصف الحسنة بالمسّ و السيئة بالإصابة؟ قلنا: المسّ مستعار، بمعنى الإصابة، توسعة فى العبارة؛ و إلّا فكان المعنى واحدا. أ لا ترى إلى قوله تعالى فى الفريقين: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۹]. و قوله:* إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً [المعارج: ۱۹- ۲۱]. [۱۱۶] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ سارِعُوا [آل عمران: ۱۳۳]؛ و النبيّ، عليه أفضل التّحية، يقول: «العجلة من الشّيطان و التأنّى من الرّحمن»؟ قلنا: قد استثنى النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم خمسة مواضع، فقال: «إلّا فى التّوبة من الذّنب و قضاء الدّين الحال، و تزويج البكر البالغ، و دفن الميّت و إكرام الضّيف إذا نزل». و المسارعة المأمور بها فى الآية هى المسارعة إلى التّوبة و ما فى معناها من أسباب المغفرة. [۱۱۷] فإن قيل: كيف قال: وَ الَّذِينَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [آل عمران: ۱۳۵] عطف عليه بكلمة أو، و فعل الفاحشة داخل فى ظلم النفس؛ بل هو أبلغ أنواع ظلم النفس؟ قلنا: أريد بالفاحشة نوع من أنواع ظلم النفس، و هو الزنا؛ أو كلّ كبيرة. فخصّ بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه، و أريد بظلم النفس ما وراء ذلك من الذنوب.

(____ ۱) ([۱۱۶]) الحديث أخرجه الترمذى و أبو يعلى و غيرهما. يراجع: عارضة الأحوذى ۸/ ۱۷۲ و مجمع الزوائد ۸/ ۲۲، و كشف الخفاء ۱/ ۱۹۵. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۱ [۱۱۸] فإن قيل: كيف قال، هنا: وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ۱۳۵] و قال، فى موضع آخر: وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ [الشورى: ۳۷]؛ و قال: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا [الجاثية: ۱۴]؟ قلنا: معناه و من يستر الذنوب من جميع الوجوه إلّا اللّه، و مثل هذا الغفران لا يوجد إلّا من اللّه. [۱۱۹] فإن قيل: كيف قال: أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ [آل عمران: ۱۴۴]؛ و هلّا اقتصر على قوله: أَ فَإِنْ ماتَ؛ و كان القتل يدخل فيه، فإنه موت؟ قلنا: القتل و إن كان موتا، لكن إذا أطلق الميّت فى العرف لا يفهم منه المقتول؛ فلذلك عطف أحدهما على الآخر. [۱۲۰] فإن قيل: كيف قال: وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ [آل عمران: ۱۶۱]؛ و قال، فى موضع آخر: وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [الأنعام: ۹۴]. قلنا: معناه يأتى به مكتوبا فى ديوانه؛ أو يأتى به حاملا- إثمه. و معنى فرادى منفردين عن الأموال و الأهل؛ أو عن الشّركاء فى الغىّ؛ أو عن الآلهة المعبودة من دون اللّه. و تمام الآية يشهد للكلّ. [۱۲۱] فإن قيل: قد جاء فى الصحيحين، عن النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم أنّ الغالّ يأتى يوم القيامة حاملا عين ما غلّه على عنقه صامتا كان أو ناطقا؛ هذا معنى الحديث، فاندفع الجواب. قلنا: على هذا يكون المراد بالآية الأخرى فرادى عن مال و أهل يعتزّون بهما، و يستنصرون؛ و يشهد بصحته تمام الآية. [۱۲۲] فإن قيل: كيف قال: هُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ اللَّهِ [آل عمران: ۱۶۳] و العبيد ليسوا نفس الدرجات؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: هم ذوو درجات أو أهل درجات؛ فحذف المراد لعدم الإلباس. و قيل: المراد بالدرجات الطّبقات؛ فلا يكون فيه إضمار، معناه أنّهم طبقات عند اللّه متفاوتون كتفاوت الدّرجات. [۱۲۳] فإن قيل: كيف يجعل لكلّ الفريقين درجات، و أحد الفريقين لهم دركات لا درجات؟ قلنا: الدّرجات تستعمل فى الفريقين؛ بدليل قوله تعالى، فى سورة الأحقاف، بعد ذكر الفريقين: وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا [الأنعام: ۱۳۲] و تحقيقه أنّ بعض أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۲ أهل النار أخفّ عذابا، فمكانه فيها أعلى؛ و بعضهم أشدّ عذابا، و مكانه فيها أسفل. و لو سلّم اختصاص الدّرجات بأهل الدرجات، كان قوله: «هم درجات» راجعا إليهم خاصّة، تقديره: أ فمن اتّبع رضوان اللّه، و هم درجات عند اللّه، كَمَنْ باءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ [آل عمران: ۱۶۲]، و هم دركات! إلّا أنّه حذف البعض لدلالة المذكور عليه. [۱۲۴] فإن قيل: الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِياءُ [آل عمران: ۱۸۱] كانوا فى زمن النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قالوا ذلك لمّا سمعوا قوله تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً [البقرة: ۲۴۵] فكيف قال: سَنَكْتُبُ ما قالُوا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِياءَ [آل عمران: ۱۸۱] أى و نكتب قتلهم الأنبياء، و هم لم يقتلوا نبيّا قط؟ قلنا: لمّا رضوا بقتل أسلافهم الأنبياء، كأنهم باشروا ذلك؛ فأضيف إليهم. و قد تكرر هذا المعنى فى القرآن كثيرا. [۱۲۵] فإن قيل: كيف قال: وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [آل عمران: ۱۸۲] و ظلّام صيغة مبالغة من الظلم؛ و لا- يلزم من نفى الظلّام نفى الظّالم؛ و على العكس يلزم. فهلّا قال: ليس بظالم ليكون أبلغ فى نفى الظلم عن ذاته المقدّسة؟ قلنا: صيغة المبالغة جىء بها لكثرة العبيد، لا لكثرة الظّلم؛ كما قال اللّه تعالى: وَ لا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً [الكهف: ۴۹] و قال: عالِمُ الْغَيْبِ [الأنعام: ۷۳]

و عَلَّامُ الْغُيُوبِ [التوبـة: ۷۸]. لمّا أفرد المعمول لم يأت بصيغة المبالغـة. و نظيره قولهم: زيـد ظالم لعبـده، و عمرو ظلّام لعبيده؛ فهما فى الظّلم سيّان. و كـذلك قال اللّه تعالى: مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ [الفتح: ۲۷]، فشـدّد لكثرة الفاعلين لا لتكرار الفعل. أو الصيغة هنا للنّسب، أى لا ينسب إليه ظلم؛ فالمعنى ليس بـذى ظلم. الثانى: أنّ العـذاب من العظيم القـدر الكثير العـدل، لو لا سبق الجنايـة، يكون أفحش و أقبح من الظلم ممّن ليس عظيم القـدر كثير العـدل. فيطلق عليه اسم الظلّام باعتبـار زيـادة قبح الفعـل منه، لاـ باعتبار تكرره. فحاصـله، أنّ صيغة المبالغة تارة تكون باعتبار زيادة ذات الفعل، و تارة باعتبار صفته. ففعل الظلم لو وجد من اللّه تعالى و تقدس لكان أعظم من ألف ظلم يوجـد من عبيده؛ باعتبار زيادة وصف القبح؛ و نظيره قوله تعالى: وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا [الأحزاب: ۷۲] على مـا يـأتى بيانه فى موضـعه إن شاء اللّه تعالى. [۱۲۶] فإن قيل: فى قوله تعالى: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ [آل عمران: ۱۸۴] من حقّ الجزاء أن يتعقّب الشّـرط، و هـذا سابق له؟ قلنا: جواب الشّـرط محذوف، إذ لا يصـلح قوله: فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۳ [آل عمران: ۱۸۴]، جوابا؛ لأنـه سابق عليه. و معناه: و إن يكـذبوك فتأسّ بتكـذيب الرّسـل قبلك، وضعا للسّبب، و هو تكذيبهم، موضع المسبّب، و هو التأسى بهم. [۱۲۷] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لا تَكْتُمُونَهُ، فى قوله: وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لاـ تَكْتُمُونَهُ [آل عمران: ۱۸۷]، و الأـوّل مغن عن الثّـانى؟ قلنـا: معناه ليبيّننّه فى الحال، و يدومون على ذلك البيان و لا يكتمونه، فى المسـتقبل. الثانى: أن الضّمير الأوّل للكتاب، و الثانى لنعت النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكره، فإنّه قد سبق ذكر النبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم قبيل هذا. [۱۲۸] فـإن قيل: متى بيّنوا الكتاب لزم من بيانه بيان صـفة النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و ذكره؛ لأنّه من جملـة الكتاب الّذى هو التّوراة و الإنجيل؛ فقوله، بعد ذلك، و لا يكتمونه تكرار. قلنا: على هذا يكون تأكيدا. [۱۲۹] «۱» فإن قيل: كيف قال: رَبَّنا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ [آل عمران: ۱۹۲]، و قال: فى موضع آخر: يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم: ۸۸]؛ و يلزم من هـذا أن لاـ يـدخل المؤمنين النار كما قالت المعتزلـة و الخارجيّـة؟ قلنا: أخزيتـه بمعنى أذللته و أهنته، من الخزى و هـو الـذلّ و الهـوان؛ و قـوله: يَوْمَ لاـ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم: ۸۸] من الخزايـة و هى النكال و الفضـيحة. فكل من يـدخل النار يذلّ. و ليس كل من يدخلها ينكّل به و يفضح. أو المراد بالآية الأولى إدخال الإقامـة و الخلود، لاـ إدخال تحلّة القسم المـدلول عليها بقوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها [مريم: ۷۱]. أو إدخال التّطهير الّـذى يكون لبعض المؤمنين، بقـدر ذنوبهم. و قيل: إن قوله تعالى: يَوْمَ لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ [التحريم: ۸۸] كلام مبتدأ غير معطوف على ما قبله (________________________________. ۱) ([۱۲۹]) تحلة القسم:

أى ما ينحل به القسم (أى اليمين). و ذهب الأكثر إلى أن المراد بذلك قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها [مريم: ۷۱]؛ و يشكل بالنسبة إلى الأنبيـاء و الأوليـاء و الصالحين و القصّر، الـخ. فقيل، فى توجيهه، إن من كان من هؤلاء لا يـدخل النار للعقاب؛ بل يمرّ بها مجتازا (لمجرد تحليل قسمه تعالى)، و هو مشـكل. و الأصوب ما ذهب إليه البعض من أنه لم يعن به قسـما معينا، و إنما هو كناية عن المبالغة فى التقليل، و هو ما يناسب استعمال هذه العبارة التى جرت مجرى المثل. و لعل كلام المصـنف ناظر إلى ما روى عن النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم: «لاـ يموت للرجـل ثلاثـة من الأولاـد فتمسّه النـار إلّا تحلـة القسم» و الحـديث أخرجه مالك فى الموطأ، حـديث ۵۵۴، و البخارى، حديث ۶۶۵۶، و مسلم و الترمذى و النسائى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۴ [۱۳۰] فإن قيل: كيف قال: سَمِعْنا مُنادِياً [آل عمران: ۱۹۳]، و المسـموع نـداء المنادى لا نفس المنادى؟ قلنا: لما قال مناديا ينادى، صار تقـديره: نداء مناد، كما يقال: سـمعت زيدا يقول كذا، أى سـمعت قول زيد، فمناديا مفعول سمع، و ينادى حال دالّة على محذوف مضاف للمفعول. [۱۳۱] فإن قيل: ما فائدة قوله تعـالى: رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا [آل عمران: ۱۹۳] و تكفير السيئات داخل فى غفران الـذّنوب؟ قلنا: المعنى مختلف؛ لأنّ الغفران مجرد فضل، و التكفير محو السيئات بالحسنات. [۱۳۲] فإن قيل: ما فائـدة قولهم: وَ تَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ [آل عمران: ۱۹۳]؛ مع أنّهم لاـ ينفعهم توفّيهم مع الأبرار؛ بل النافع لهم كونهم من الأبرار؛ سواء توفّاهم معهم، أو قبلهم، أو بعـدهم؟ قلنا: معناه و توفّنا مخصوصـين بصـحبتهم معـدودين فى جملتهم، كمـا يقال: أعطانى الأمير مع أصـحاب الخلع و الجوائز، أى جعلنى من جملتهم؛ و إن تقـدّم إعطاؤه

عنهم أو تأخّر. [۱۳۳] فإن قيل: كيف قال: وَ آتِنا ما وَعَدْتَنا عَلى رُسُلِكَ [آل عمران: ۱۹۴]، أى على لسان رسلك. دعوه بإنجاز الوعد، مع علمهم، و قولهم، أيضا: إنه لا ـ يخلف الميعاد؟ قلنا: الوعد من اللّه تعالى على ألسنة الرّسل للمؤمنين عامّ، يحتمل أن يراد به الخصوص، كما فى أكثر عمومات القرآن؛ فسألوا اللّه تعالى أن يجعلهم من الدّاخلين فى حكم الوعد. الثانى: أنهم سألوا تعجيل النصر الّذى وعدوا؛ فإنه تعالى وعدهم النصر على أعدائهم، غير موقّت بوقت خاصّ. [۱۳۴] فإن قيل: كيف يجوز أن يغترّ الرسول بنعم الذين كفروا حتّى نهى عن الاغترار، بقوله تعالى: لا ـ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ [آل عمران: ۱۹۶]، أى تصرّفهم فيها بالتجارات متنعّمين؟ قلنا: معناه لا يغرنّكم أيّها المؤمنون، فإن رئيس القوم و مقدّمهم يخاطب بشىء، و المراد به أتباعه و جماعته. الثانى: أنه عليه الصلاة و السلام كان غير مغترّ بحالهم؛ فقيل له ذلك تأكيدا أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۵ و تثبيتا على الدّوام عليه، كما قيل له: فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكافِرِينَ [القصص: ۸۶] وَ لا ـ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام: ۱۴] فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ [القلم: ۸]. [۱۳۵] فإن قيل: كيف ينهى عن التّقلّب و هو ممّا ليس ينهى عنه؟ قلنا: معناه لا تغترّ بتقلّبهم، فيكون تقلّبهم قد غرّك، و هذا من تنزيل السبب منزلة المسبّب؛ لأنّ تقلّبهم لو غرّه لاغترّ به، فمنع السبب، و هو غرور تقلبهم إياه، ليمتنع المسبّب، و هو اغتراره بتقلّبهم. [۱۳۶] فإن قيل: كيف قال: لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ [آل عمران: ۱۹۶]؛ و لم يقل لا ـ يغرنك نعمهم و أموالهم؛ و الذى يحتمل أن يغرّ الرّسول و المؤمنين النعم و الأموال لا التقلب فى البلاد؟ قلنا: المراد بتقلّبهم تصرّفهم فى التّجارات و النعم، و التّلذّذ بالأموال؛ و الفقير إنّما يتألّم، و ينكسر قلبه، إذا رأى الغنىّ يتقلّب فى النعمة، و يتمتع بها، فلذلك ذكر التقلّب. و قيل: معناه لا ـ يغرنّك تقلّبهم فى المعاصى، غير مأخوذين بذنوبهم. [۱۳۷] فإن قيل: كيف قال: أُولئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ [آل عمران: ۱۹۹]؛ مع أنّ قوله: لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ موضع البشارة بالثّواب؛ و سرعة الحساب إنّما تذكر فى موضع التّهديد و العقاب؟ قلنا: معناه لا يشترون بآيات اللّه ثمنا قليلا، خوفا من حسابه، فإنّه سريع الحساب؛ فهو راجع إلى ما قبله. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۶

سورة قصة النساء

سورة قصة النساء [۱۳۸] فإن قيل: قوله تعالى: وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها [النساء: ۱] إذا كانت حوّاء مخلوقة من آدم، و نحن مخلوقون منه أيضا، تكون نسبة حواء إلى آدم نسبة الولد؛ لأنها متفرعة منه، فتكون أختا لنا لا أمّا. قلنا: قال بعض المفسرين: «من» لبيان الجنس لا للتبعيض، معناه: و خلق من جنسها زوجها، كما فى قوله تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸] الثانى: و هو الّذى عليه الجمهور أنّها للتّبعيض؛ و لكنّ خلق حوّاء من آدم لم يكن بطريق التوليد، كخلق الأولاد من الآباء؛ فلا يلزم منه ثبوت البنتية و الأختية فيها. [۱۳۹] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ آتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ [النساء: ۴]، و اليتيم لا يعطى ماله حتّى يبلغ اتّفاقا؟ قلنا: المراد به إذا بلغوا؛ و إنّما سمّوا يتامى لقرب عهدهم بالبلوغ، باعتبار ما كان، كما تسمّى الناقة عشراء بعد الوضع، و قد يسمّى البالغ يتيما باعتبار ما كان، كما يسمّى الحى ميتا و العنب خمرا، باعتبار ما يكون. قال اللّه تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: ۳۰]. و قال: إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً [يوسف: ۳۶]. و منه قولهم للنّبىّ عليه الصلاة و السلام، بعد ما نبّأه اللّه: يتيم أبى طالب. [۱۴۰] فإن قيل: أكل مال اليتيم حرام وحده، و مع أموال الأوصياء؛ فلم ورد النهى مخصوصا عن أكله معها، لقوله تعالى: وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ [النساء: ۲] أى معها؟ قلنا: لأنّ أكل مال اليتيم، مع الاستغناء عنه، أقبح؛ فلذلك خصّ بالنّهى. و لأنّهم كانوا يأكلونه، مع الاستغناء عنه. فجاء النهى على ما وقع منهم. [۱۴۱] فإن قيل: لمّا قال: مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ [النساء: ۷]، دخل

(۱) ([۱۳۹]) عشراء: هى من النوق التى مضى لحملها عشرة أشهر أو ثمانية. و تطلق على كل من فى بطنها حمل من الحيوان. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۷ فيه القليل و الكثير؛ فما فائدة قوله: مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ [النساء: ۷]؟ قلنا: إنما قال ذلك على جهة التأكيد و الإعلام أنّ كلّ تركة تجب قسمتها، لئلّا يتهاون بالقليل من التّركات و يحتقر؛ فلا يقسم، و ينفرد به بعض الورثة. [۱۴۲] فإن قيل: كيف قال: وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ

مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ [النساء: ١١]؛ مع أنه لو كان الولـد بنتا فللأب الثلث؟ قلنا: الآيـة وردت لبيان الفرض دون التّعصيب؛ و ليس للأب مع البنت بالفرض إلّا السدس. [۱۴۳] فإن قيل: كيف قطع على العاصى الخلود فى النار بقوله: وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها [النساء: ١۴]؟ قلنا: أراد به من يعص اللّه بردّ أحكامه و جحودها، و ذلك كفر؛ و الكافر يستحق الخلود فى النار. [۱۴۴] فإن قيل: كيف قال: حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ [النساء: ۱۵] و التّوفى و الموت بمعنى واحد؛ فصار كأنّه قال: حتّى يميتهن الموت؟ قلنا: معناه حتّى يتوفّاهنّ ملائكة الموت. الثّانى: معناه: حتّى يأخذهنّ ملائكة الموت، و تتوفّى أرواحهنّ. [۱۴۵] فإن قيل: كيف قال: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ [النساء: ۱۷]، و لم يقل: إنّما التوبة على العبد؛ مع أنّ التّوبة واجبة على العبد؟ قلنا: معناه إنّما قبول التّوبة على اللّه بحذف المضاف. الثانى: أنّ معنى التّوبة من اللّه رجوعه على العبد بالمغفرة و الرّحمة، لأنّ التّوبة فى اللّغة الرّجوع. [۱۴۶] فإن قيل: كيف قال: بِجَهالَةٍ [النساء: ۱۷]، و لو عمله بغير جهالة، ثم تاب، قبلت توبته؟ قلنا: معناه بجهالة بقدر قبح المعصية و سوء عاقبتها، لا بكونها معصية و ذنبا، و كلّ عاص جاهل بذلك حال مباشرة المعصية، معناه أنّه مسلوب كمال العلم به، بسبب غلبة الهوى، و تزيين الشّيطان. [۱۴۷] فإن قيل: كيف قال: ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ [النساء: ۱۷]، مع أنهم لو تابوا بعد الذّنب، من بعيد، قبلت توبتهم؟ قلنا: ليس المراد بالقريب مقابل البعيد إذ حكمهما واحد؛ بل معناه قبل معاينة أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۸ سلطان الموت، كذا قاله ابن عباس، رضى اللّه عنهما، بقرينة قوله: حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ [النساء: ۱۸]. [۱۴۸] فإن قيل: كيف قال: وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً [النساء: ۲۰] الآية؛ مع أنّ حرمة الأخذ ثابتة، و إن لم يكن قد أعطاها المهر؛ بل كان فى ذمّته، أو فى يده؟ قلنا: المراد بالإيتاء الضّمان و الالتزام، كما فى قوله تعالى: إِذا سَلَّمْتُمْ ما آتَيْتُمْ [البقرة: ۲۳۳] أى ما غنمتم و التزمتم. [۱۴۹]] «۱» فإن قيل: كيف قال: أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً [النساء: ۲۰]، و أخذ مهر المرأة ظلم و ليس ببهتان؛ لأنّ البهتان الكذب؟ قلنا: ابن عباس و ابن قتيبة قالا: المراد بالبهتان الظّلم. و قال الزّجّاج: المراد به الباطل. و المشهور فى كتب اللّغة أنّ البهتان أن يقول الإنسان على غيره ما لم يفعله. قالوا: فالمراد به أنّ الرّجل ربما رمى امرأته بتهمة ليتوصّل بذلك إلى أن يأخذ منها مهرها و يفارقها. و قيل: المراد به إنكاره أن لها مهرا فى ذمّته. [۱۵۰] فإن قيل: كيف قال: إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ، وَ لا تَنْكِحُوا [النساء: ۲۲]؛ نهى عن الفعل المستقبل، و إلّا ما قد سلف ماض، فكيف يصحّ استثناء الماضى من المستقبل؟ قلنا: قيل إنّ إلّا، هنا بمعنى بعد، كما فى قوله: لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى [الدخان: ۵۶]. و قيل: هو استثناء من محذوف تقديره: فإنّكم تعذّبون به، إلّا ما قد سلف. و قيل: فيه تقديم و تأخير، تقديره: إنّه كان فاحشة إلّا ما قد سلف. [۱۵۱] «۲» فإن قيل: كيف قال: إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً [النساء: ۲۲] بلفظ الماضى، مع أنّ نكاح منكوحة الأب فاحشة فى الحال و فى الاستقبال إلى يوم القيامة. قلنا: كان تارة تستعمل للماضى المنقطع كقوله: كان زيد غنيّا، و كان الخزف

(____ ۱) ([۱۴۹]) ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينورى. ولد سنة ۲۱۳ ه و اختلف فى تاريخ وفاته، فقيل: كانت فى ۲۷۰ ه، و قيل: ۲۷۱ ه. و قيل: ۲۷۶ ه. و هو نحوى لغوى. روى عن إسحاق بن راهويه و أبى حاتم السجستانى و أبى إسحاق إبراهيم بن سفيان بن سليمان (يرجع نسبه إلى زياد بن أبيه). من مؤلفاته: المعارف، أدب الكاتب، غريب القرآن الكريم، غريب الحديث، عيون الأخبار، إصلاح الغلط، مشكل القرآن، كتاب القراءات و غيرها. (۲) ([۱۵۱]) البيت فى ديوان الهذليين ۳/ ۹۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۹ طينا، و تارة تستعمل للماضى المستمر المتّصل للحال، كقول أبى جندب الهذلى: و كنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمّر حتّى ينصف الساق مئزرى أى و إنّى الآن، لأنّه إنّما يتمدح بصفة ثابتة له فى الحال، لا بصفة زائلة ذاهبة. و المضوفة بالفاء: الأمر الّذى يشفق منه، و القاف تصحيف. و منه قوله تعالى: وَ كانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً وَ كانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً [الأحزاب: ۴۰، ۲۷]. و ما أشبه ذلك. و ما نحن فيه من هذا القبيل؛ و سيأتى الكلام فى كان، بعد هذا، إن شاء اللّه، فى قوله تعالى: إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً [النساء؛ ۱۰۳]. [۱۵۲] فإن قيل: كيف قال: وَ رَبائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ [النساء: ۲۳]؛ قيّد التّحريم بكون الرّبيبة فى حجر زوج أمّها، و الحرمة ثابتة مطلقا، و إن لم تكن فى حجره؟ قلنا: أخرج ذلك مخرج العادة، و الغالب لا مخرج الشّرط و القيد؛ و لهذا اكتفى فى موضع الإحلال

بنفى الدّخول، فى قوله تعالى: فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ [النساء: ٢٣]، فتأمل. [١٥٣] فإن قيل: لمّا قال: مِنْ نِسائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ [النساء: ٢٣]، ثم قال فى آخر الآية: وَ أُحِلَّ لَكُمْ ما وَراءَ ذلِكُمْ [النساء: ٢۴]، علم من مجموع ذلك أنّ الرّبيبة لا تحرم إذا لم يدخل بأمّها؛ فما فائدة قوله: فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ [النساء: ٢٣]. قلنا: فائدته أن لا يتوهّم أن قيد الدّخول خرج مخرج العادة و الغالب لا مخرج الشّرط كما فى الحجر. [١۵۴] فإن قيل: كيف قال، فى نكاح الإماء: فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ [النساء: ٢٣]؛ و المهر ملك المولى؛ و إنّما يجب تسليمه إلى المولى لا إلى الأمة؟ قلنا: لمّا كانت الأمة و ما فى يدها ملك المولى، كان أداؤه إليها كأدائه إلى المولى. الثانى: أنّ معناه: و آتوا مواليهنّ أجورهنّ، بطريق حذف المضاف. [١۵۵] فإن قيل: كيف قال: ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ [النساء: ٢۵]؛ و جوزا نكاح الأمة ثابت من غير خوف العنت عند بعض العلماء؟ قلنا: فيه إضمار، تقديره: ذلك أصوب و أصلح لمن خشى العنت منكم. فيكون شرطا لما هو الأرشد و الأصلح، كما فى قوله تعالى: فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً [النور: ٣٣]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵٠ [١۵۶] فإن قيل: كيف قال: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ [النساء: ٢۶] و الإرادة إنّما تقرن بأن يقال: يريد أن يفعل، و قال اللّه تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ [النساء: ٢٨]؟ قلنا: قد ورد فى الكتاب العزيز اللّام بمعنى أنّ كثيرا؛ قال اللّه تعالى: وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ [الشورى: ١۵]. و قال اللّه تعالى: وَ أُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعالَمِينَ [الأنعام: ٧١]، و قال تعالى، فى موضع آخر: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا [الصف: ٨]، فكذلك هذا. [١۵٧] فإن قيل: كيف خصّ التّجارة بالذّكر، فى قوله تعالى: إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ [النساء: ٢٩]؛ مع أنّ الهبة، و الصدقة، و الوصيّة، و الضّيافة، و غيرها، تقتضى الحلّ أيضا، كالتجارة؟ قلنا: إنّما خصّها بالذّكر، لأنّ معظم تصرّف الخلق فى الأموال إنّما هو بالتّجارة؛ أو لأنّ أسباب الرّزق أكثرها متعلق بها. [١۵٨] فإن قيل: قوله تعالى: لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ [النساء: ۴٢]، قالوا: معناه أنّهم يتمنون أن يجعلوا يوم القيامة ترابا، كما جاء فى آخر سورة النبأ؛ و ظاهر اللفظ يعطى أنّهم يتمنون أن تجعل الأرض مثلهم ناسا، كما تقول: سوّيت زيدا بعمرو، و معناه جعلت زيدا و هو المسوى مثل عمرو هو المسوى به. قلنا: قولهم سويت هذا بهذا له معنيان: أحدهما: إجراء حكم الثانى على الأوّل، كقولك سويت زيدا بعمرو؛ و كما تقول ساويت. و الثانى: أن يكون المسوى مفعولا و المسوى به آلة، كقولك: سويت القلم بسكين، و الثوب بالمقراض؛ بمعنى أصلحته به. قلنا: فقوله: لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ [النساء: ۴٢] يحتمل وجهين: أن يكون بمعنى ساويت و يكون من المقلوب، أى لو يسوون بالأرض بجعلهم ترابا، كقوله تعالى: لَتَنُوأُ [القصص: ٧۶] قوله: وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ [المائدة: ۶]؛ فى قول من لم يجعل الباء زائدة، كقولهم: أدخلت الخاتم فى إصبعى و نحوه، و أن يكون بمعنى الآلة. معناه: ودّوا لو تمهّد بهم الأرض و توطّد، بأن يجعلوا ترابا، و يبثوا فى وهادها و حضيضها، لتساوى بقاعها و آكامها، و قوله تعالى: لا تَرى فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً [طه: ١٠٧]، انخفاضا و لا ارتفاعا، و إن كان يدلّ على أنّ الأرض يوم القيامة متساوية السطوح، فجعلها متساوية السطوح إن كان قبل البعث، فإذا بعث الموتى من قبورهم خلت منهم قبورهم و حفرهم فحصل فى الأرض تفاوت، و إن كان بعد البعث فيجوز أن يكون هذا التّمنى سابقا على جعلها متساوية السطوح. [١۵٩] فإن قيل: قولنا هذا خير من ذلك يقتضى أن يكون فى كلّ واحد منهما أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵١ خير حتّى يصحّ تفضيل أحدهما على الآخر؛ لأنّ خيرا، فى الأصل، أفعل تفضيل؛ فكيف قال: لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَ أَقْوَمَ [النساء: ۴۶] بعد ما سبق من قولهم فى أول الآية؟ قلنا: المراد بالخير هاهنا الخير الّذى هو ضد الشرّ، لا الّذى هو أفعل التفضيل، كما تقول: فى فلان خير. [١۶٠] فإن قيل: كيف قال: وَ كانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا [النساء: ۴٧]، و المفعول مخلوق، و أمر اللّه و قوله غير مخلوق؟ قلنا: ليس المراد بهذا الأمر ما هو ضدّ للنهى؛ بل المراد به ما يحدث من الحوادث، فإن الحادثة تسمّى أيضا أمرا؛ و منه قوله تعالى: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً [الطلاق: ١]، و قوله: أَتاها أَمْرُنا لَيْلًا أَوْ نَهاراً [يونس: ٢۴]. [١۶١] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ [النساء: ۴٨]؛ مع أنّ شرك الساهى و المكره و التّائب مغفور؟ قلنا: المراد به شرك غير هؤلاء المخصوص من عموم الآية بأدلة من خارج؛ أو نقول قيد المشيئة متعلّق بالفعلين المنفى و المثبت، كأنه قال: إن اللّه لا يغفر الشّرك لمن يشاء، و يغفر ما دونه لمن يشاء. [١۶٢] «١» فإن قيل: هذه الآية تدلّ على أنّ غير الشّرك من الذّنوب لا يقطع بانتفاء مغفرته؛ بل ترجى مغفرته، و قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ

يَكَنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَ لا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً [النساء، ۱۶۸، ۱۶۹]، يدلّ على القطع بانتفاء المغفرة فى الكفر و الظلم و هما غير الشرك، فكيف الجمع بينهما؟ قلنا: المراد بالظّلم هنا الشرك، قال مقاتل: و الشّرك يسمّى ظلما؛ قال اللّه تعالى: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: ۱۳]، فكأنه قال: إن الذين أشركوا. الثانى: أو قوله تعالى: وَ يَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ [النساء: ۴۸]، ليس قطعا بالمغفرة لغير المشرك، و هو تعليق للمغفرة له بالمشيئة؛ ثمّ بيّن بالآية الأخرى أنّ الكافر ليس داخلا فيمن يشاء المغفرة له؛ فيتعين دخوله فيمن لا ـ يغفر له؛ لأنّه لا واسطة بينهما. الثالث: أنّه عام خصّ بالآية الثانية، كما خصّ قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً [الزمر: ۵۳] بالآية الأولى. و يؤيّد هذا إجماع الأمّة على أنّ الكافر و المشرك

(____۱) ([۱۶۲]) مقاتل: هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدى ولاء، البلخى. أحد مشاهير المفسرين. توفى بالبصرة سنة ۱۵۰ ه. كان من القائلين بإثبات الصفات للبارى، على عكس أوائل المعتزلة، حتى انتهى إلى التشبيه. و كان متروك الحديث. من مؤلفاته: التفسير الكبير، الردّ على القدرية، متشابه القرآن، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۲ سواء، فى عدم المغفرة و التّخليد فى النار، و قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها [البينة: ۶]. [۱۶۳] فإن قيل: كيف قال: وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ [النساء: ۴۹]، ذمّهم على ذلك، و قال أيضا: فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى [النجم: ۳۲]، و قد زكّى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم نفسه فقال: «و اللّه إنّى لأمين فى السماء أمين فى الأرض». و يوسف، عليه السلام، قال: اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ؟. قلنا: إنّما قال ذلك حين قال المنافقون: اعدل فى القسمة، تكذيبا لهم؛ حيث وصفوه بخلاف ما كان عليه من العدل و الأمانة. و أمّا يوسف، عليه السلام، فإنّه إنّما قال ذلك ليتوصّل به إلى ما هو وظيفة الأنبياء، و هو إقامة العدل و بسط الحقّ و إمضاء أحكام اللّه تعالى؛ و لأنّه علم أنّه لا أحد، فى ذلك الوقت، أقوم منه بذلك العمل؛ فكان متعيّنا عليه؛ فلذلك طلبه و أثنى على نفسه. و مع ذلك كله، فإنّه روى عن النبىّ، عليه الصلاة و السلام، أنّه قال: «رحم اللّه أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض، لاستعمله من ساعته؛ و لكنّه أخّر ذلك سنة». [۱۶۴] «۱» فإن قيل: كيف قال: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ [النساء: ۵۱] إلى أن قال: أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، حصر لعنته فيهم؛ لأن هذا الكلام للحصر؛ و ليست لعنة اللّه منحصرة فيهم؛ بل هى شاملة لجميع الكفّار. قلنا: قوله: أُولئِكَ إشارة إلى القائلين: لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا [النساء: ۵۱]؛ و هذا القول موجود من جميع الكفّار، فكانت اللّعنة شاملة للجميع. [۱۶۵] «۲» فإن قيل: كيف قال: كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا

(____۱) ([۱۶۴]) الجبت: هو الرذل و النذل الذى لا خير فيه و لا مروءة ترجى منه. و يطلق على كل ما يعبد من دون اللّه و يطاع جبت، كحكام الجور و الكهنة. - الطاغوت: يقال لكل متعدّ، و متجاوز لحدّه، أو لكل معبود من دون اللّه سبحانه. و يطلق على الواحد و الجمع. و يقال لكل من يحرف الناس عن سبيل الحق طاغوت. (۲) ([۱۶۵]) البيت لم نقف على نسبته لقائل، و يروى أيضا هكذا: فما الناس بالنّاس الذين عهدتهم و لا الدّار بالدّار التى كنت أعرف أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۳ الْعَذابَ [النساء: ۵۶]؛ أخبر أنّه يعذّب جلودهم الّتى لم تعص، مكان الجلود العاصية، و تعذيب البرىء ظلم؟ قلنا: الجلود المجددة و إن عذبت فالألم بتعذيبها إنّما يحصل للقلوب، و هى غير مجدّدة؛ بل هى العاصية باعتقاد الشّرك و نحوه. الثانى: أنّ المراد بتبديلها إعادة النضيج غير نضيج، و الجلود هى الجلود بعينها؛ و إنّما قال غيرها باعتبار صفة النضيج و عدمه، كما قال اللّه تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ [إبراهيم: ۴۸]، و أراد تبديل الصفات، لا تبديل الذات، و كما قال الشاعر: و ما الناس بالنّاس الّذين عهدتهم و ما الدّار بالدّار الّتى كنت أعهد [۱۶۶] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا [النساء: ۵۷]، و ليس فى الجنّة شمس، ليكون فيها حرّ يحتاج بسببه إلى ظلّ ظليل أو غير ظليل؟ قلنا: هو مجاز عن المستقرّ المستلذ المستطاب، جريا على المتعارف بين الناس؛ لأنّ بلاد الحجاز شديدة الحرّ؛ فأطيب ما عندهم موضع الظل؛ فخاطبهم

بما يعقلون و يفهمون، كما قال عزّ و جل: وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَ عَشِيًّا [مريم: ۶۲] و ليس فى الجنّة طلوع شمس و لا غروبها، فيكون فيها بكرة و عشيا؛ لكن، لما كان فى عرفهم تمام نعمة الغذاء و كمال وظيفته أن يكون حاضرا مهيأ فى طرفى النهار عبّر عن حضوره و تهيئته بذلك. [۱۶۷] فإن قيل: كيف قال: فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّدِّيقِينَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصَّالِحِينَ [النساء: ۶۹]، و هذا مدح لمن يطيع اللّه و الرّسول، و عادة العرب فى صفات المدح الترقّى من الأدنى إلى الأعلى، و هذا عكسه لأنّه نزول من الأعلى إلى الأدنى! قلنا: هذا ليس من الباب الذى ذكرتموه؛ بل هو كلام المقصود منه الإخبار عن كون المطيعين للّه و رسوله يكونون يوم القيامة مع الأشراف و الخواص. ثمّ، كأنّ سائلا سأل، من الأشراف و الخواص، ففصّلوا له، زيادة فى الفائدة، بعد تمام المعنى المقصود بالذّكر، بقوله: فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ [النساء: ۶۹]؛ و أتى فى تفصيلهم بذكر الأشرف فالأشرف و الأخصّ فالأخص، إذ هو الغالب فى تعديد الأشراف و الخواص، كما فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي (______________________________ ۱) ([۱۶۶])- ما جاء به المصنف فى الجواب فيه نظر ظاهر. و أقله فى قوله: «لأن بلاد الحجاز شديدة الحرّ، الخ» لأنه قد يقال ما بال من كانت بلادهم باردة، بل شديدة البرودة؟! و كيف يستقيم جوابه و القرآن قد جاء للناس أجمعين و إن كان نزل بلغة العرب! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۴ الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ۵۹]، و قوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ [آل عمران: ۱۸]، الآية. و الدّليل على أنّ المراد من الآية الإخبار جملة لا تفصيلا، أنّه لمّا علّم عباده أن يسألوه هذا المعنى أرشدهم إلى طلبه مجملا بقوله: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ [الفاتحة: ۶، ۷]. [۱۶۸] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً [النساء: ۷۶] و قال، فى كيد النساء: إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ [يوسف: ۲۸]؛ و معلوم أن كيد الشّيطان أعظم من كيد النسوان؟ قلنا: المراد أن كيد الشيطان ضعيف فى جنب نصرة اللّه و حفظه لأوليائه المخلصين من عباده، كما قال اللّه تعالى: إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ [الحجر: ۴۲]. و قال: حكاية عن إبليس: إِلَّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [الحجر: ۴۰]. و المراد بالآية الأخرى أنّ كيد النسوان عظيم بالنسبة إلى الرجال. الثانى: القائل إنّ كيدكن عظيم هو عزيز مصر لا اللّه تعالى، فلا تناقض و لا معارضة. [۱۶۹] فإن قيل: كيف عاب على المشركين و المنافقين قولهم: وَ إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ [النساء: ۷۸] و ردّ عليهم ذلك، بقوله: قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [النساء: ۷۸]؛ ثمّ قال، بعد ذلك: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۹]، و أخبره بعين قولهم المردود عليهم؟ قلنا: قيل إنّ الثّانى حكاية قولهم، أيضا؛ و فيه إضمار، تقديره: فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً [النساء: ۷۸] فيقولون: ما أَصابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ [النساء: ۷۹]، الآية. و قيل معناه: ما أصابك أيها الإنسان من حسنة، أى رخاء و نعمة، فمن فضل اللّه، و ما أصابك من سيّئة، أى قحط و شدّة، فبشؤم فعلك و معصيتك، لا بشؤم محمّد، عليه الصلاة و السلام، كما زعم المشركون. و يؤيّده قوله تعالى: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [الشورى: ۳۰]. [۱۷۰] فإن قيل: كيف قيل إنّ الشرّ و المعصية بإرادة اللّه، و اللّه تعالى يقول: وَ ما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء: ۷۹]. قلنا: ليس المراد بالحسنة و السيئة الطاعة و المعصية؛ بل القحط و الرّخاء، و النصر و الهزيمة، على ما اختلف فيه العلماء. أ لا ترى أنّه قال: ما أَصابَكَ، و لم يقل ما عملت من سيّئة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۵ [۱۷۱] فإن قيل: قوله تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [النساء: ۸۲]؛ السؤال فيه من وجهين: أحدهما: أنّه يدلّ من حيث المفهوم على أنّ فى القرآن اختلافا قليلا، و إلّا لما كان للتقييد بوصف الكثرة فائدة؛ مع أنّه لا اختلاف فيه أصلا. الثانى: أنّه إنّما يدلّ عدم الاختلاف الكثير، فى القرآن، على أنّه من عند اللّه، أن لو كان كلّ كتاب من عند غير اللّه فيه اختلاف كثير؛ و ليس الواقع كذلك؛ لأنّ المراد من الاختلاف: إمّا الكذب و التباين فى نظمه، و إما التناقض فى معانيه، أو التفاوت بين بعضه و بعضه، من الجزالة و البلاغة و الحكمة و كثرة الفائدة. قلنا: الجواب عن السؤال الأوّل: أنّ التقييد بوصف الكثرة للمبالغة فى إثبات الملازمة، فكأنه قال: لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل؛ لكنه من عند اللّه، فليس فيه اختلاف كثير و لا قليل، فكيف يكون من عند غير اللّه؟ فهذا هو المقصود من التقييد بوصف الكثرة، لا أنّ القرآن

مشتمل على اختلاف قليل. و عن السؤال الثانى: أنّ كلّ كتاب فى فنّ من العلوم إذا كان من عند غير اللّه يوجد فيه اختلاف ما بأحد التفاسير المذكورة لا محالة يعرف ذلك بالاستقراء؛ و القرآن جامع لفنون من علوم شتّى؛ فلو كان من عند غير اللّه لوجد فيه بالنسبة إلى كل فنّ اختلاف ما، فيصير مجموع الاختلاف اختلافا كثيرا. [۱۷۲] فإن قيل: كيف قال: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: ۸۳]؛ استثنى القليل، على تقدير انتفاء الفضل و الرّحمة؛ مع أنّه لو لا فضله بالهداية و العصمة و رحمته لاتّبع الكلّ الشيطان، من غير استثناء؟ قلنا: الاستثناء راجع إلى ما تقدّم؛ تقديره: أذاعوا به إلّا قليلا. و قيل: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلّا قليلا. و قيل: معناه: و لو لا فضل اللّه عليكم بإرسال الرّسل لاتّبعتم الشّيطان، فى الكفر و الضّلال، إلا قليلا منكم كانوا يهتدون بعقولهم إلى معرفة اللّه تعالى و توحيده، كقسّ بن ساعدة، و ورقة بن نوفل، و نحوهما؛ قبل بعث النبىّ عليه الصلاة و السلام. [۱۷۳] فإن قيل: على الجواب الأخير إذا كان المراد أنّ من لوازم نفى الفضل و الرّحمة بالطّريق الخاص، و هو بإرسال الرّسل، اتباع الشيطان، و نفى الفضل و الرّحمة بالطّريق الخاص معلوم حقّ فى الرّسول؛ لأنّه لم يرسل إليه رسول و مع هذا لم يتبع الشّيطان؟ قلنا: لا نسلم أنه لم يرسل إليه رسول، بل أرسل إليه الملك و أنّه رسول. الثانى: التقييد فى الفضل و الرّحمة بتعيين الطّريق يكون فى حقّ الأمّة، أمّا فى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۶ حقّ الرّسل، و من آمن بغير رسول، يكون اللّفظ باقيا على ظاهره. [۱۷۴] فإن قيل: هذه الآية تقتضى وجود فضله و رحمته المانع من اتباع أكثر الناس للشيطان مع أنّ الواقع خلافه؛ فإن أكثر الناس كفرة؛ يؤيده قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الإسلام فى الكفر كالشّعرة البيضاء فى الثّور الأسود». قلنا: الخطاب فى هذه الآية للمؤمنين لا لكلّ الناس. [۱۷۵] «۱» فإن قيل: إذا كان الخطاب خاصّا للمؤمنين فما معنى الاستثناء؟ فإنه إن كان المراد به اتباعه فيما يدعو إليه و يوسوس من المعاصى فأكثر المؤمنين متبعون له فى ذلك، و لو فى العمر مرّة واحدة فى بعض الكبائر، و إن كان المراد به اتباعه فى دعائه إلى الكفر فأحد من المؤمنين لم يتبعه فى الكفر. قلنا: معناه و لو لا فضل اللّه عليكم أيها المؤمنون و رحمته بالهداية بالرسول لاتبعتم الشيطان فى الكفر و عبادة الأصنام و غير ذلك، إلّا قليلا منكم، كقس بن ساعدة و ورقة بن نوفل و نحوهما، فإنهم لو لا الفضل و الرحمة بالرسول لما اتبعوا الشيطان؛ لفضل و رحمة خصّهم اللّه تعالى بها غير إرسال الرسول، و هو زيادة الهداية و نور البصيرة. [۱۷۶] «۲» فإن قيل: كيف قال: وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً [النساء: ۸۷]؛ مع أنّه لا تفاوت بين صدق و صدق فى كونه صدقا، كما فى القول و العلم لا يقال هذا القول أقول، و لا هذا العلم أعلم، و لا هذا الصدق أصدق؛ لأنّ الصدق عبارة عن الإخبار المطابق للواقع؛ و متى ثبت أنه مطابق للواقع لا يحتمل الزيادة و النقصان؟ قلنا: أصدق هنا صفة للقائل لا صفة للقول، و القائلان يتفاوتان فى الصدق فى نفس الأمر و إن تساويا فى قصة واحدة أخبرا بها و كان كل واحد منهما صادقا فيها. و حاصله أن هذا استفهام معناه النفى، كما فى قوله تعالى: وَ مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ [آل عمران: ۱۳۵] معناه لا أحد يغفرها إلّا اللّه، فمعناه هنا، لا أحد أصدق فى حديثه من اللّه، فيكون ترجيحا للمحدّث على المحدّث فى الصدق، لا ترجيحا لأحد الصدقين على الآخر، و لا شك أنه لا أحد أصدق فى حديث من اللّه؛ لأن غيره يجوز عليه غير الصدق عقلا و يقع منه أيضا و لو نادرا، و اللّه تعالى منزه عن الأمرين جميعا. [۱۷۷] فإن قيل: قوله تعالى: كُلَّما رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيها [النساء: ۹۱] يقال (______________________________ (۱) (:

[۱۷۵])- قول المصنّف هنا: «فإنهم لو لا الفضل و الرحمة بالرسول لما اتبعوا الشّيطان؛ الخ». غير مسلّم؛ بل مشكل. فتأمّل! (۲) ([۱۷۶])- قول المصنف: «و يقع منه أيضا و لو نادرا» على إطلاقه مشكل؛ بل ضرورى البطلان فى حق الأنبياء و من شاكلهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۷ ركسه و أركسه، أى ردّه، فيصير معناه كلّما ردّوا إلى الفتنة ردّوا فيها و هو تكرار. قلنا: جوابه أن الفاعل مختلف فانتفى التكرار و صار المعنى: كلما دعاهم قومهم إلى الشرك ردّهم اللّه إليه و قلبهم بشؤم نفاقهم، فالرد الأول بمعنى الدّعاء، و الركس بمعنى الرد و النكس. [۱۷۸] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً [النساء: ۹۲]؛ مع أنه ليس له أن يقتله خطأ. قلنا: إلا بمعنى و لا، كما فى قوله تعالى: إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ، و قوله تعالى: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [البقرة: ۱۵۰]. الثانى: معناه أنه ليس له أن يقتله مع تيقن إيمانه؛ بل له أن يقتله إذا غلب على ظنه أنه ليس

بمؤمن، و هو فى صف المشركين، و إن كان فى نفس الأمر مؤمنا. [۱۷۹] فإن قيل: كيف يقال إن أهل الكبائر من المؤمنين لا يخلدون فى النـار و اللّه تعـالى يقول: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً [النساء: ۹۳]. قلنـا: معناه متعمـدا قتله بسـبب إيمانه، و الـذى يفعل ذلك يكون كافرا. الثانى: أن المراد بالخلود طول المكث، لأن الخلود إذا لم يكن بالأبديـة يطلق على طول المكث، كما يقال: خلّد السـلطان فلانا فى الحبس إذا أطال حبسه. [۱۸۰] فإن قيل: كيف قال: فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقاعِدِينَ دَرَجَةً [النساء: ۹۵]، ثم قال: وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجاتٍ مِنْهُ [النساء: ۹۵، ۹۶]؟ قلنا: المراد بالأوّل التفضيل على القاعـدين عن الغزاة بعذر، فإن لهم فضـلا لكونهم مع الغزاة بالهمة و العزيمة و القصـد الصالـح؛ و لهذا قال: وَ كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنى [النساء: ۹۵]، يعنى الجنـة، أى من المجاهـدين و القاعـدين بعذر. و المراد بالثانى

(____ ۱) ([۱۷۸])- قول المصـنف، فى الجواب: «قلنا: إلّا بمعنى و لا» فيه نظر؛ و لعل الأولى جعل قوله تعالى: إِلَّا خَطَأً استثناء منفصلا، لانصراف القتل عادة إلى العمد، فيكون القتـل الخطـأ من غير جنسه و أجنبيـا عنه. و المعنى، حينئـذ، لكن إن قتله خطأ فالحكم فيه كـذا أو فعليه كـذا. و هو نحو قول سـيبويه و الزجـاج و العكبرى. و قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ يحتمل أن تكون ما للنهى، و يكون المؤدّى تحريم القتل. و يجوز أن تكون للنفى؛ و حاصل الوجه الثانى: أنه ليس من شأن المؤمن و صـفته قتل المؤمن عمدا، و عليه، إن قتله فليس بمؤمن. فتأمّل!- أما الوجه الثانى فى جواب المصنف، ففيه غرابة بحسب صنعة الفقه، فلاحظ! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۸ التفضيل على القاعدين عن الغزاة بغير عذر، و أولئك لا فضل لهم؛ بل هم مقصـرون و مسيئون؛ فظهر فضل الغزاة عليهم بدرجات لانتفاء الفضل لهم؟ [۱۸۱] فإن قيل: كيف صح قولهم: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ [النساء: ۹۷]، جوابـا لقول الملائكـة؛ فِيمَ كُنْتُمْ؛ مع أنه ليس مطابقـا للسؤال، و الجواب المطـابق أن يقولوا كنّا فى كذا، أو لم نكن فى شـىء؟ قلنا: معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا فى شـىء من الدّين؛ حيث قدروا على المهاجرة و لم يهاجروا فصار قوله: فيم كنتم؟ مجازا عن قوله لم تركتم الهجرة؟ فقالوا كنا مستضـعفين، اعتذارا عما وبخوا به تعلّلا؛ فردت عليهم الملائكـة ذلـك بقولهم: أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها [النساء: ۹۷]، يعنى أنكم إن كنتم عـاجزين عن الهجرة إلى المـدينة لبعدها عليكم كنتم قادرين على الخروج من مكّة إلى بعض البلاد القريبة منكم التى تقدرون فيها على إظهار دين الإسـلام. [۱۸۲] فإن قيل: كيف قال: فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ [النساء: ۱۰۰]، أى وجب، و العبـد لا يسـتحق على مولاه أجرا؛ لأنه ليس بأجير له إنما هو عبد قنّ؟ قلنا: معناه وجب من جهة أنه وعد عباده أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، و الخلف فى وعده عز و جل محال، فالوجوب من هذه الجهـة؛ مع أن ذلك الوعد ابتداء فضل منه. [۱۸۳] فإن قيل: كيف شـرط فى إباحة القصـر للمسافر خوف العدو بقوله: وَ إِذا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ [النساء: ۱۰۱] الآية، و القصـر جائز مع أمن المسافر؟ قلنا: خرج ذلك مخرج الغالب لا مخرج الشرط، و غالب أسفار رسول اللّه عليه الصـلاة و السـلام و أصحابه لم تخل من خوف العدو فصار نظير قوله تعالى: فَكاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً [النور: ۳۳]. الثانى: أنّ الكلام قـد تم عنـد قوله تعالى: أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ و قوله: إِنْ خِفْتُمْ كلام مسـتأنف، و جوابه محـذوف تقديره: فاحتاطوا أو تأهبوا. الثالث: أن المراد به القصـر من شـروطها و أركانها حالة اشـتداد الخوف بترك الركوع و السجود و النزول عن الدّابة و استقبال القبلة و نحو ذلك، لا من عدد الركعات، و ذلك القصر مشـروط بالخوف. [۱۸۴] فـإن قيـل: كيف قال: إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً [النساء: ۱۰۳]، و كـان لفـظ دال على المضـىّ، و الصـلاة فى الحال و إلى يوم القيامـة أيضا على المؤمنين فرض موقت؟ أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۵۹ قلنـا «كان» فى القرآن العزيز على خمسـة أوجه: كان بمعنى الأزل و الأبـد، كما فى قوله تعالى: وَ كانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً [النساء: ۱۰۴]. و كـان بمعنى المضـىّ المنقطع، كمـا فى قوله تعـالى: وَ كـانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ [النمل: ۴۸]، و هو الأصـل فى معـانى كـان، كمـا تقول: كـان زيـد صالحـا أو فقيرا أو مريضـا و نحو ذلـك. و كان بمعنى الحال، كما فى قوله تعالى: إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً [النساء: ۱۰۳]. و كان بمعنى الاسـتقبال، كما فى قوله تعالى: وَ يَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً [الإنسان: ۷]. و كـان بمعنى صـار، كمـا فى قوله تعالى: وَ كـانَ مِنَ الْكافِرِينَ [ص: ۷۴]، أى صـار. [۱۸۵] «۱» فـإن قيـل: كيف قال: وَ

تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ [النساء: ١٠۴] و الكافرون أيضا يرجون الثواب فى محاربة المؤمنين؛ لأنهم يعتقدون أن دينهم حق، و أنهم ينصرون دين اللّه و يذبون عنه و يقاتلون أعداءه، كما يعتقد المؤمنون، فالرجاء مشترك؟ قلنا: قيل إن الرجاء هنا بمعنى الخوف، كما فى قوله: ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً [نوح: ١٣]، و قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ [الجاثية: ١۴]. و قول الشاعر: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و على قول من قال إنه بمعنى الأمل، تقول: قد بشّر اللّه المؤمنين فى القرآن و وعدهم بإظهار دينهم على الدّين كله؛ و مثل هذه البشارة و الوعد لم يوجد فى سائر الكتب فافترقا. (____١) ([١٨۵]) تمام البيت: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عوامل و هو لأبى ذؤيب الهذلى. يراجع ديوان الهذليين ١/ ١۴٣، و تفسير القرطبى ٨/ ٣١١ و تفسير الطبرى ١١/ ۵۶، و معانى الفرّاء ١/ ٢٨۶. و يروى البيت ب «خالفها» بدل «خالفها». و قول الشاعر: لم يرج لسعها: أى لم يخفه و لم يكترث به. و خالفها: أى جاء إلى جنى عسلها حال غيابها، أو أخذ عسلها رغما عنها. و النوب: فسّره الفرّاء بأنه ذكر النحل. و قيل: هو النحل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶٠ و قيل: الرّجاء ما يكون مستندا إلى سبب صحيح و مقدّمات حقة، و الطمع ما يكون مستندا إلى خلاف ذلك؛ فالرجاء للمؤمنين، و أما الكافرون فلهم طمع لا رجاء. [١٨۶] «١» فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، بعد قوله: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً [النساء: ١١٠]، و ظلم النفس من عمل السوء، فلم لم يقتصر على الأول؛ مع أنّ الثانى داخل فيه؟ قلنا: «أو» بمعنى الواو، فمعناه و يظلم نفسه بذلك السوء حيث دسّاها بالمعصية. و قيل: المراد بعمل السوء التلبس بما دون الشرك، و بظلم النفس الشرك. و قيل: المراد بعمل السوء الذّنب المتعدّى ضرره إلى الغير، و بظلم النفس الذنب المقتصر ضرره على فاعله. [١٨٧] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ [النساء: ١١٣]، ظاهره نفى وجود الهم منهم بإضلاله، و المنقول فى التفاسير أنهم هموا بإضلاله، و زادوا على الهمّ الذى هو القصد القول المضل أيضا. يعرف ذلك من تفسير أول القصّة، و هو قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ؟ [النساء: ١٠۵]. قلنا: قوله لَهَمَّتْ ليس جواب «لو لا» بل هو كلام مقدّم على لو لا، و جوابها فى التقدير مقول على طريق القسم، و جواب لو لا محذوف تقديره: لقد همت طائفة منهم أن يضلوك و لو لا فضل اللّه عليك و رحمته لأضلوك. [١٨٨] «٢» فإن قيل: النجوى فعل و من اسم، فكيف صح استثناء الاسم من الفعل فى قوله تعالى: لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ [النساء: ١١۴]؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: إلا نجوى من أمر بصدقة، فيكون استثناء الفعل من الفعل، و نظيره قوله تعالى: وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنْ [البقرة: ١٧٧] تقديره: برّ من آمن باللّه (____. ١) ([١٨۶]) دسّاها: قال الرّاغب: أى دسّسها فى المعاصى، فأبدل من إحدى السينات ياء. (٢) ([١٨٨])- قول المصنف فى مفروض المسألة: «النجوى فعل، الخ» هذا وجه لا ينحصر به تفسير النجوى، إذ يحتمل أن يكون اسما بمعنى الناس الذين يتناجون و على الوجه الأخير يكون الاستثناء متصلا، و يصح لأنه استثناء اسم من اسم و منه قوله تعالى: وَ إِذْ هُمْ نَجْوى [الإسراء: ١٧]. - أما جواب المصنف فهو مبنى على اختيار أن النجوى بمعنى التناجى، غير أنه غير حاصر، إذ يمكن أن يكون هناك وجه آخر فى الجواب، و هو أن الاستثناء منقطع، لأن من ليست من جنس التناجى، و فى هذا الوجه نظر فتأمّل! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶١ [١٨٩] فإن قيل: كيف قال: إِلَّا مَنْ أَمَرَ [النساء: ١١۴]، ثم قال: وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ [النساء: ١١۴]؟ قلنا: ذكر الآمر بالخير ليدل به على خيرية الفاعل بالطريق الأولى، ثم ذكر الفاعل و وعده الأجر العظيم إظهارا لفضل الفاعل المؤتمر على الآمر. الثانى: أنه أراد: و من يأمر بذلك، فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر أنواع الفعل، و إذا كان الآمر موعودا بالأجر العظيم كان الفاعل موعودا به بالطّريق الأولى. [١٩٠] «١» فإن قيل: كيف قال: إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِناثاً [النساء: ١١٧]، أى ما يعبدون من دون اللّه إلّا اللّات و العزّى و مناة و نحوها، و هى مؤنثة، ثم قال: وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطاناً مَرِيداً [النساء: ١١٧]، أى ما يعبدون إلّا الشّيطان؟ قلنا: معناه أن عبادتهم للأصنام هى فى الحقيقة عبادة للشيطان، إمّا لأنّهم أطاعوا الشيطان فيما سوّل لهم و زيّن من عبادة الأصنام بالإغواء و الإضلال، أو لأنّ الشّيطان موكل بالأصنام يدعو الكفّار إلى

عبادتها شفاها و يتزيّى للسدنة فيكلمهم ليضلّهم. [۱۹۱] فإن قيل: كيف يقال إن العبد يحكم بكونه من أهل الجنة بمجرد الإيمان، و اللّه تعالى شرط لذلك العمل الصالح بظاهر قوله: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ [النساء: ۵۷] و قوله: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ [النساء: ۱۲۴] و إلا لما كان للتقييد فائدة؟ قلنا: قيل إن المراد بالعمل الصالح الإخلاص فى الإيمان، و قيل: الثبات عليه إلى الموت، و كلاهما شرط فى كون الإيمان سببا لدخول الجنة. [۱۹۲] فإن قيل: كيف قال: و مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ [النساء: ۱۲۳] و التائب المقبول التوبة غير مجزىّ بعمله، و كذلك من عمل سيئة ثم أتبعها حسنة، لأنها مذهبة لها و ماحية بنص القرآن؟ قلنا: المراد من يعمل سوءا و يمت مصرا عليه، فإن تاب منه لم يجز به. الثانى: أن المؤمن يجازى فى الدّنيا بما يصيبه فيها من المرض و أنواع المصائب و المحن، كما جاء فى الحديث؛ و الكافر يجازى فى الآخرة. [۱۹۳] فإن قيل: كيف خصّ المؤمنين الصالحين بأنّهم لا يظلمون بقوله:

(۱) ([۱۹۰]) السدنة: مفردها سادن و هو من يقوم على خدمة المعبد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۲ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ [النساء: ۱۲۴] الآية؛ مع أن غيرهم لا يظلم، أيضا؟ قلنا: قوله: وَ لا يُظْلَمُونَ نَقِيراً [النساء: ۱۲۴] راجع إلى الفريقين عمال السوء و عمال الصالحات لسبق ذكر الفريقين. الثانى: أن يكون من باب الإيجاز و الاختصار فاكتفى بذكره عقب الجملة الأخيرة عند ذكر أحد الفريقين لدلالته على إضماره عقب ذكر الفريق الآخر، و لا يظلم المؤمنون بنقصان أعمالهم، و لا الكافرون بزيادة عقاب ذنوبهم. الثالث: أن المراد بالظلم نفى نقصان ثواب الطاعات، و هذا مخصوص بالمؤمنين، لأن الكافرين ليس لهم على أعمالهم ثواب ينقص منه. [۱۹۴] فإن قيل: طلب الإيمان من المؤمنين تحصيل حاصل، فكيف قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ [النساء: ۱۳۶] الآية؟ قلنا: معناه: يا أيها الذين آمنوا بعيسى آمنوا باللّه و رسوله محمد. و قيل: معناه: يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق آمنوا الآن. و قيل معناه: يا أيها الذين آمنوا علانية آمنوا سرّا. [۱۹۵] فإن قيل: قوله تعالى: الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قالُوا أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ [النساء: ۱۴۱] لم سمّى ظفر المؤمنين فتحا، و ظفر الكافرين نصيبا؟ قلنا: تعظيما لشأن المؤمنين و تحقيرا لحظ الكافرين؛ لأنّ ظفر المسلمين أمر عظيم؛ لأنه متضمن نصرة دين اللّه و عزة أهله؛ تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أولياء اللّه، و ظفر الكافرين ليس إلا حظا دنيئا و عرضا من متاع الدنيا يصيبونه، و ليس بمتضمن شيئا مما ذكرنا. [۱۹۶] فإن قيل: كيف قال: وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا [النساء: ۱۴۱]، و قد نصر الكافرين على المؤمنين يوم أحد، و فى غيره أيضا، إلى يومنا هذا؟ قلنا: المراد به السبيل بالحجة و البرهان، و المؤمنون غالبون بالحجة دائما. [۱۹۷] فإن قيل: كيف كان المنافق أشد عذابا من الكافر؛ حتّى قال اللّه تعالى، فى حقهم: إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: ۱۴۵]؛ مع أنّ المنافق أحسن حالا من الكافر، بدليل أنه معصوم الدم و غيره محكوم عليه بالكفر، و لهذا قال اللّه تعالى فى حقهم مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَ لا إِلى هؤُلاءِ [النساء: ۱۴۳] فلم يجعلهم مؤمنين و لا كافرين؟ قلنا: المنافق و إن كان فى الظّاهر أحسن حالا من الكافر، إلّا أنه عند اللّه، فى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۳ الآخرة، أسوأ حالا منه، لأنه شاركه فى الكفر، و زاد عليه الاستهزاء بالإسلام و أهله، و المخادعة للّه و للمؤمنين. [۱۹۸] «۱» فإن قيل: الجهر بالسوء غير محبوب للّه تعالى أصلا؛ بل المحبوب عنده العفو و الصفح و التجاوز فكيف قال: لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ [النساء: ۱۴۸] أى إلا جهر من ظلم. قلنا: معناه و لا جهر من ظلم، فإلّا بمعنى و لا، و قد سبق نظيره و شاهده فى قوله تعالى: وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً [النساء: ۹۲]. [۱۹۹] فإن قيل: كيف يجوز دخول «بين» على أحد فى قوله تعالى: وَ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ [النساء: ۱۵۲] و بين تقتضى اثنين فصاعدا، يقال فرقت بين زيد و عمرو، و بين القوم، و لا يقال فرقت بين زيد؟ قلنا: قد سبق هذا السؤال و جوابه فى قوله تعالى: عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ [البقرة: ۶۸] فى آخر سورة البقرة، أيضا. [۲۰۰] فإن قيل: ما فائدة إعادة الكفر فى الآية الثانية بقوله تعالى: وَ بِكُفْرِهِمْ [النساء: ۱۵۶] بعد قوله: فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ وَ كُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ [النساء: ۱۵۵] الآية. قلنا: لأنه قد تكرر الكفر منهم فإنهم كفروا بموسى و عيسى عليهما السلام، ثم بمحمد عليه الصلاة و السلام، فعطف بعض كفرهم على بعض. [۲۰۱] فإن

قيل: اليهود كانوا كافرين بعيسى ابن مريم، عليه الصلاة و السلام، يسمونه الساحر ابن الساحرة، و الفاعل ابن الفاعلة؛ فكيف أقرّوا أنّه رسول اللّه بقولهم: إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ [النساء: ۱۵۷]؟ قلنا: قالوه على طريق الاستهزاء، كما قال فرعون: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. [۲۰۲] فإن قيل: كيف وصفهم بالشك بقوله: وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ [النساء: ۱۵۷]، ثم وصفهم بالظن بقوله: ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ [النساء: ۱۵۷] (____۱) ([۱۹۸])- الوجه الذى اختاره المصنف، فى الجواب، ضعيف و للمفسرين فى الآية أقوال أرجح مما ذكر هنا. و لعل الأمر أشكل على الرّازى هنا من جهة كلمة السوء، فى حين أن المراد بها فى الآية ذكر معايب الناس و إفشاءها، و استثنى من ذلك ما كان ظلما فى حق الغير؛ فإن للمظلوم ذكر ما اقترفه الظالم فى حقه، فى مقام التظلّم. و فسرها الفراء بحسب الجرى و المصداق: بأن المراد بها أن يذكر الضيف بخل من امتنع عن استضافته إذا نزل عنده فلم يكرمه، و هو من باب التظلّم كما تقدم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۴ و الشك تساوى الطرفين، و الظن رجحان أحدهما؛ فكيف يكونون شاكين ظانين؛ و كيف استثنى الظن من العلم، و ليس الظن فردا من أفراد العلم؛ بل هو قسيمه؟ قلنا: استعمل الظن بمعنى الشك مجازا لما بينهما من المشابهة فى انتفاء الجزم؛ و أما استثناء الظن من العلم فهو استثناء من غير الجنس، كما فى قوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلَّا سَلاماً [مريم: ۶۲]. و قيل: لأنّ المراد بالشك هنا ما يشمل الظن، و استثناء الظن من العلم فى الآية منقطع؛ فإلّا فيها بمعنى لكن، كما فى قوله تعالى: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلًا سَلاماً سَلاماً [الواقعة: ۲۵، ۲۶]، و ما أشبهه. [۲۰۳] فإن قيل: كيف يكون للنّاس على اللّه حجّة قبل الرّسل، و هم محجوجون بما نصبه لهم من الأدلة العقلية الموصلة إلى معرفته، حتى قال: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ [النساء: ۱۶۵]؟ قلنا: الرسل و الكتب منبهة من الغفلة، و باعثة على النظر فى أدلة العقل و مفصّلة لمجمل الدنيا و أحوال التكليف التى لا يستقل العقل بمعرفتها، فكان إرسالهم إزاحة للعلة و تتميما لإلزام الحجة، لئلا يقولوا: لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولًا [طه: ۱۳۴] فيوقظنا من سنة الغفلة و ينبهنا لما وجب الانتباه له. [۲۰۴] فإن قيل: كيف قال: أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ [النساء: ۱۶۶] و لم يقل أنزله بقدرته أو بعلمه و قدرته؛ مع أن اللّه تعالى لا يفعل إلّا عن علم و قدرة؟ قلنا: معناه أنزله متلبسا بعلمه: أى عالما به، أو و فيه علمه، أى معلومه أو معلمه من الشرائع و الأحكام. و قيل معناه: أنزله عليك بعلم منه أنّك أولى بإنزاله عليك من سائر خلقه. [۲۰۵] فإن قيل: كلام اللّه صفة قديمة قائمة بذاته، و عيسى عليه الصلاة و السلام مخلوق و حادث فكيف صح إطلاق الكلمة عليه فى قوله تعالى: رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ [النساء: ۱۷۱]. قلنا: معناه أن وجوده فى بطن أمه كان بكلمة اللّه تعالى، و هو قوله: «كُنْ» من غير واسطة أب، بخلاف غيره من البشر سوى آدم. و قيل: المراد بالكلمة الحجة. [۲۰۶] فإن قيل: على الوجه الأول، لو كان صحة إطلاق الكلمة على عيسى، صلوات اللّه على نبينا و عليه، لهذا المعنى لصح إطلاقها على آدم عليه الصلاة و السلام لأن هذا المعنى فيه أتم و أكمل لأنه وجد بهذه الكلمة من غير واسطة أب و لا أم أيضا. قلنا: لا نسلم أنه لا يصح إطلاقها عليه لهذا المعنى، بل يصح. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۵ [۲۰۷] فإن قيل: لو صح إطلاقها عليه لجاء به القرآن كما جاء فى حق عيسى عليه الصلاة و السلام؟ قلنا: خص ذلك بعيسى لأن المجىء فى حقّ عيسى، عليه الصلاة و السلام، إنما كان للرد على من افترى عليه و على أمه و نسبه إلى أب؛ و لم يوجد هذا المعنى فى حقّ آدم، عليه الصلاة و السلام، لاتفاق الناس كلهم على أنه غير مضاف إلى أب و لا إلى أم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۶

سورة المائدة

سورة المائدة [۲۰۸] فإن قيل: كيف الارتباط و المناسبة بين قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: ۱] و قوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ [المائدة: ۱]؟ قلنا: المراد بالعقود عهود اللّه عليهم فى تحليل حلاله و تحريم حرامه، فبدأ بالمجمل ثم أتبعه بالمفصل من قوله: أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعامِ [المائدة: ۱] و قوله بعده: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ [المائدة: ۳] الآية. [۲۰۹] فإن قيل: ما أكله السبع و

عدم و تعذر أكله، فكيف يحسن فيه التحريم حتى قال: وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ [آل عمران: ۵]؟ قلنا: معناه و ما أكل منه السبع، يعنى الباقى بعد أكله. [۲۱۰] فإن قيل: قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً [المائدة: ۳]، يدل من حيث المفهوم عرفا على أنه لم يرض لهم الإسلام دينا قبل ذلك اليوم، و ليس كذلك، فإن الإسلام لم يزل دينا مرضيا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه عند اللّه منذ أرسله عليه الصلاة و السلام. قلنا: قوله اليوم ظرف للجملتين الأوليين لا للجملة الثالثة؛ لأن الواو الأولى للعطف، و الثانية للابتداء؛ فالجملة الثالثة مطلقة غير موقتة. [۲۱۱] فإن قيل: قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ [المائدة: ۴] كيف صلح جوابا لسؤالهم و الطيبات غير معلومة و لا ـ متفق عليها لأنها تختلف باختلاف الطباع و البقاع؟ قلنا: المراد بالطيبات هنا الذبائح، و العرب تسمى الذبيحة طيّبا و تسمى الميتة خبيثا، فصار المراد معلوما لكنه عام مخصوص كغيره من العمومات. [۲۱۲] «۱» فإذا قيل: ما فائدة قوله: مُكَلِّبِينَ بعد قوله: وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ [المائدة: ۴] و المكلّب هو المعلم من كلاب الصيد (____ ؟ ۱) ([۲۱۲]) قول المصنف:

«فعلى هذا لا ـ يكون تكرارا» وجه غير ظاهر بمجرد تفسير (مكلبين) بما ذكر؛ بل دفع التكرار إنما يتم بأن يكون مكلبين حالا من ضمير علمتم، كما هو رأى العكبرى فى إملائه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۷ قلنا: قد جاء فى تفسير المكلّب أيضا أنه المضرى للجارح و المغرى له فعلى هذا لا ـ يكون تكرارا، و على القول الأول يكون إنما عمم ثم خصص فقال مكلبين بعد قوله: وَ ما عَلَّمْتُمْ [المائدة: ۴]؛ لأن غالب صيدهم كان بالكلاب، فأخرجه مخرج الغالب الواقع منهم. [۲۱۳] فإن قيل: ظاهر قوله تعالى: وَ ما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ مُكَلِّبِينَ [المائدة: ۵] يقتضى إباحة الجوارح المعلمة و هى حرام. قلنا: فيه إضمار و تقديره: مصيد ما علمت من الجوارح، يؤيده ما فى تمام الكلام من قوله: فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ [المائدة: ۴]. [۲۱۴] فإن قيل: المؤمن به هو اللّه لقوله تعالى: قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ [البقرة: ۱۳۶] فالمكفور به يكون هو اللّه أيضا، و يؤيده قوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ [البقرة: ۲۸] و إذا ثبت هذا فكيف قال: وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمانِ [المائدة: ۵] مع أنه لا يصح أن يقال آمن بالإيمان فكذلك ضده؟ قلنا: المراد به: و من يرتد عن الإيمان يقال كفر فلان بالإسلام إذا ارتد عنه، فكفر بمعنى ارتد؛ لأن الردة نوع من الكفر، و الباء بمعنى عن، كما فى قوله تعالى: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ [المعارج: ۱] و قوله تعالى: فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً [الفرقان: ۵۹]. و قيل: المراد هنا بالإيمان المؤمن به تسمية للمفعول بالمصدر، كما فى قوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ [المائدة: ۹۶]، أى مصيده، و قولهم: ضرب الأمير، و نسج اليمن. [۲۱۵] فإن قيل: كيف قال: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ [المائدة: ۹] و لم يقل: و عملوا السيئات؛ مع أن الغفران يكون لفاعل السيئات لا ـ لفاعل الحسنات؟ قلنا: كل أحد لا يخلو من سيئة صغيرة أو كبيرة، و إن كان ممن يعمل الصالحات و هى الطاعات، و المعنى: أن من آمن و عمل الحسنات غفرت له سيئاته. قال تعالى: إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ [هود: ۱۱۴]. [۲۱۶] فإن قيل: كيف قال فى آخر قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ [المائدة: ۱۲] الآية، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ [المائدة: ۱۲] مع أن الذى كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل؟ قلنا: نعم و لكن الضلال بعد ما ذكر من النعم أقبح؛ لأن قبح الكفر بقدر عظم النعم المكفورة، فلذلك خصه بالذكر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۸ [۲۱۷] فإن قيل: كيف قال: وَ مِنَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّا نَصارى [المائدة: ۱۴] و لم يقل و من النصارى؟ قلنا: لأن هؤلاء كانوا كاذبين فى دعواهم أنهم نصارى، و ذلك أنهم إنما سموا أنفسهم نصارى ادعاء لنصرة اللّه تعالى، و هم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار اللّه، ثم اختلفوا بعده نسطورية و يعقوبية و ملكانية أنصارا للشيطان، فقال ذلك توبيخا لهم. [۲۱۸] فإن قيل: كيف قال: يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [المائدة: ۵] مما كتمتموه من الكتاب فلا يظهره و لا يبين كتمانكم إياه، فكيف يجوز للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يمسك عن إظهار حق كتموه مما فى كتبهم؟ قلنا: إنما لم يبين البعض لأنه كان يتبع الأمر و لا يفعل شيئا من الأمور الدينية من تلقاء نفسه بل اتباعا للوحى، فما أمر ببيانه بينه، و ما لم يؤمر ببيانه أمسك عنه إلى وقت أمره ببيانه، و على هذا الجواب يكون لفظ العفو مجازا عن الترك، فيكون قد أعلمه اللّه به و أطلعه عليه و لم يأمره ببيانه لهم فترك تبيانه لهم. الثانى: أن ما كان فى بيانه إظهار حكم شرعى كصفته و

نعته و البشارة به و آية الرجم و نحوها بينه، و ما لم يكن فى بيانه حكم شرعى و لكن فيه افتضاحهم و هتك أستارهم فإنه عفا عنه. الثالث: أن عقد الذمة اقتضى تقريرهم على ما بدلوا و غيروا من دينهم، إلا ما كان فى إظهاره معجزة له و تصديق لنبوته من نعته و صفته، أو ما اختلفوا فيه فيما بينهم و تحاكموا إليه فيه كحكم الزنا و نحوه. [۲۱۹] فإن قيل: كيف قال: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ [المائدة: ۱۵، ۱۶]، مع أنّ العبد ما لم يهده اللّه أولا، لا يتبع رضوانه؛ فيلزم الدور؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: يهدى به اللّه من علم أنه يريد أن يتبع رضوانه، كما قال تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا [العنكبوت: ۶۹]، أى و الذين أرادوا سبيل المجاهدة فينا لنهدينهم سبل مجاهدتنا. [۲۲۰] فإن قيل: لم نر و لم نسمع أن قوما من اليهود و النصارى قالوا نحن أبناء اللّه فكيف أخبر اللّه تعالى عنهم بذلك؟ قلنا: المراد بقولهم أبناء اللّه خاصة اللّه، كما يقال أبناء الدنيا و أبناء الآخرة. و قيل: فيه إضمار تقديره: أبناء أنبياء اللّه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۶۹ [۲۲۱] فإن قيل: كيف يصح الاحتجاج عليهم بقوله تعالى: قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ [المائدة: ۱۸] مع أنهم ينكرون تعذيبهم بذنوبهم، و يدعون أن ما يذنبون بالنهار يغفر بالليل، و ما يذنبون بالليل يغفر بالنهار. قلنا: هم كانوا مقرين أنه يعذبهم أربعين يوما و هى مدة عبادتهم العجل، فى غيبة موسى عليه السلام لميقات ربه؛ و لذلك قالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً [البقرة: ۸۰]. و قيل: أراد به العذاب الذى أوقعه ببعضهم فى الدنيا من مسخهم قردة كما فعل بأصحاب السبت، و خسف الأرض كما فعل بقارون، و هذا لا ينكرونه، و على هذا الوجه يكون المضارع بمعنى الماضى فى قوله: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ [المائدة: ۱۸] و الإضافة إليهم بمعنى الإضافة إلى آبائهم، كأنه قال: فلم عذب آباءكم. [۲۲۲] فإن قيل: قوله تعالى: بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ [المائدة: ۱۸] إن أريد به يغفر لمن يشاء منكم أيها اليهود و النصارى، و يعذب من يشاء يلزم جواز المغفرة لهم و أنه غير جائز لقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ [النساء: ۴۸] و إن أريد به يغفر لمن يشاء من المؤمنين و يعذب من يشاء لا يصلح جوابا لقولهم. قلنا: المراد به يغفر لمن يشاء منهم إذا تاب من الكفر. و قيل: يغفر لمن يشاء ممن خلق و هم المؤمنون، و يعذب من يشاء و هم المشركون. [۲۲۳] فإن قيل: كيف قيل: يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً [المائدة: ۲۰] و لم يكن قوم موسى عليه السلام ملوكا؟ قلنا: المراد جعل فيكم ملوكا، و هم ملوك بنى إسرائيل، و هم اثنا عشر ملكا، لاثنى عشر سبطا، لكل سبط ملك. و قيل: المراد به أنه رزقهم الصحّة، و الكفاية، و الزوجة الموافقة، و الخادم، و البيت، فسماهم ملوكا لذلك. و قيل: المراد به أنه رزقهم المنازل الواسعة التى فيها المياه الجارية. [۲۲۴] فإن قيل: من أين علم الرجلان أنهم الغالبون، حتى قالا: فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ [المائدة: ۲۳]؟ قلنا: من جهة وثوقهم بإخبار موسى صلّى اللّه عليه و سلّم بذلك بقوله: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ [المائدة: ۲۱]. و قيل: علما ذلك بغلبة الظن، و ما عهداه من صنع اللّه تعالى بموسى عليه الصلاة و السلام فى قهر أعدائه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۰ [۲۲۴ م] فإن قيل: قوله تعالى: وَ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة: ۲۳] يدل على أن من لم يتوكل على اللّه لا يكون مؤمنا و إلا لضاع التعليق و ليس كذلك. قلنا: «إن» هنا بمعنى إذ، فتكون بمعنى التعليل، كما فى قوله تعالى: وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ۲۷۸]. [۲۲۵] فإن قيل: كيف التوفيق بين قوله تعالى: ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ [المائدة: ۲۱] و بين قوله: فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ [المائدة: ۲۶]. قلنا: معناه كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها، فلما أبوا الجهاد قيل: فإنها محرمة عليهم. الثانى: أن كل واحد منهما عام أريد به الخاص، فالكتابة للبعض و هم المطيعون، و التحريم على البعض و هم العاصون. الثالث: أن التحريم موقت بأربعين سنة و الكتابة غير موقتة، فيكون المعنى أن بعد مضى الأربعين يكون لهم. و هذا الجواب تام على قول من نصب الأربعين بمحرمة و جعلها ظرفا؛ فأمّا من جعل الأربعين ظرفا لقوله: يَتِيهُونَ [المائدة: ۲۶] مقدما عليه فإنه جعل التحريم مؤبدا فلا يتأتى على قوله هذا الجواب؛ لأن التقدير عنده: فإنها محرمة عليهم أبدا، يتيهون فى الأرض أربعين سنة؛ و هو موضع قد اختلف فيه المفسرون، و الفرّاء من جملة من جوّز نصب الأربعين بمحرمة و يتيهون؛ و الزّجّاج من جملة من منع جواز نصبه بمحرمة، و نقل أن التحريم كان مؤبدا، و أنّهم لم يدخلوها بعد الأربعين، و نقل غيره أنه دخلها بعد الأربعين من بقى منهم و ذرية من مات منهم. و يعضد الوجه الأوّل كون الغالب فى الاستعمال تقدّم الفعل على الظرف

الذی هو عدد لا تأخّره عنه، یقال: سافر زید أربعین یوما و ما أشبه ذلک، و قلما یقال علی العکس. [۲۲۶] «۱» فإن قیل: کیف قال: إِذْ قَرَّبا قُرْباناً [المائدة: ۲۷] و لم یقل قربانین؛ لأنّ کل واحد منهما قرّب قربانا؟ (____۱) ([۲۲۶]) البیت بتمامه: فمن یک

أمسی بالمدینة رحله فإنّی و قیّارا بها لغریب و هو من قصیدة لضابئ بن الحارث البرجمیّ قالها حین حبسه عثمان بن عفان فی المدینة. و قیّار اسم جمل الشاعر، و قیل: اسم فرسه. و قد جاء عند الرّازی مرفوعا و هی روایة أخری للبیت. و الوجه فی الرفع علی مذهب الکسائی ضعف إنّ أما الفرّاء فالوجه فیه عنده عطفه علی اسم مکنی عنه، و المکنی لا- تظهر فیه علامة الرفع. و البیت من شواهد الکتاب ۱/ ۸. و هو فی خزانة الأدب ۴/ ۳۲۳. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۱ قلنا: أراد به الجنس فعبّر عنه بلفظ الفرد، کقوله تعالی: وَ الْمَلَکُ عَلی أَرْجائِها [الحاقة: ۱۷]. الثانی: أن العرب تطلق الواحد و ترید الاثنین، و علیه جاء قوله تعالی: عَنِ الْیَمِینِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِیدٌ [ق: ۱۷]. و قال الشاعر: فإنّی و قیار بها لغریب تقدیره: فإنی بها لغریب و قیار کذلک، کما فی قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا وَ الَّذِینَ هادُوا وَ النَّصاری وَ الصَّابِئِینَ [البقرة: ۶۲] الآیة. و قیل: إنما أفرده لأن فعیلا یستوی فیه الواحد و المثنّی و المجموع. [۲۲۷] فإن قیل: کیف صلح قوله: إِنَّما یَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِینَ [المائدة: ۲۷] جوابا لقوله: لَأَقْتُلَنَّکَ [المائدة: ۲۷]؟ قلنا: لما کان الحسد لأخیه علی تقبل قربانه هو الذی حمله علی توعده بالقتل قال له ذلک کنایة عن حقیقة الجواب و تعریضا، معناه إنما أتیت من قبل نفسک لانسلاخها من لباس التقوی لا- منّی فلم تقتلنی؟ [۲۲۸] «۱» فإن قیل: کیف قال هابیل لقابیل: إِنِّی أُرِیدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِی وَ إِثْمِکَ [المائدة: ۲۹]، أی تنصرف بهما؛ مع أن إرادة السوء و الوقوع فی المعصیة للأجنبی حرام، فکیف للأخ؟ قلنا: فیه إضمار حرف النفی تقدیره: إنّی أرید أن لا تبوء بإثمی و إثمک، کما فی قوله تعالی: وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ [النمل: ۱۵]، أی أن لا تمید بکم، و قوله تعالی: تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْکُرُ یُوسُفَ [یوسف: ۸۵]، و قول امرئ القیس: فقلت یمین اللّه أبرح قاعدا الثانی: أن فیه حذف مضاف تقدیره: إنی أرید انتفاء أن تبوء بإثمی و إثمک، کما فی قوله تعالی: وَ أُشْرِبُوا فِی قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ [البقرة: ۹۳]، أی حبّ العجل. الثالث: أن معناه، إنّی أرید ذلک إن قتلتنی لا مطلقا. الرابع: أنه کان ظالما، و جزاء الظالم تحسن إرادته من اللّه تعالی فتحسن من العبد أیضا (____. ۱) ([۲۲۸]) تمام البیت: فقلت

یمین اللّه أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسی لدیک و أوصالی و هو من قصائد دیوانه: ۳۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۲ [۲۲۹] «۱» فإن قیل: قوله تعالی: فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِینَ [المائدة: ۳۱]، یدل علی أنّ قابیل کان تائبا، لقوله علیه الصلاة و السلام: «الندم توبة»؛ فلا یستحق النار. قلنا: لم یکن ندمه علی قتل أخیه؛ بل علی حمله علی عنقه سنة، أو علی عدم اهتدائه إلی الدفن الذی تعلّمه من الغراب، أو علی فقد أخیه لا علی المعصیة، و لو سلمنا أن ندمه کان علی قتل أخیه، و لکن یجوز أن الندم لم یکن توبة فی شریعتهم، بل فی شریعتنا، أو نقول: التّوبة تؤثر فی حقوق اللّه تعالی لا فی حقوق العباد، و الدّم من حقوق العباد، فلا تؤثر فیه التّوبة. [۲۳۰] «۲» فإن قیل: کیف یکون قتل الواحد کقتل الکل، و إحیاء الواحد کإحیاء الکل و الدلیل یأباه من وجهین: أحدهما: أن الجنایة کلما تعددت و کثرت کانت أقبح فتناسب زیادة الإثم و العقوبة، هذا هو مقتضی العقل و الحکمة. الثانی: أن المراد بهذا التشبیه إما أن یکون تساوی قتل الواحد و الکل فی الإثم و العقوبة، أو تقاربهما، و إنما کان یلزم منه أنه إذا قتل الثانی أو الثالث و هلم جرا أن لا یکون علیه إثم آخر، و لا یستحق عقوبة أخری؛ لأنه أثم إثم قتل الکل، و استحق عقوبة قتل الکل بمجرد قتل الأول، أو الأول و الثانی؛ لأن قتل الواحد إذا کان یساوی قتل الکل أو یقاربه، فقتل الاثنین یجعل علیه إثم قتل الکل و عقوبة قتل الکل؛ فکیف یزداد بعد ذلک بقتل الثالث و الرابع و هلم جرا، و لو قتل الکل لما ازداد عن قتل الکل و عقوبة قتل الکل، و لا یجوز أن یستحق بقتل الواحد أو الاثنین إثم قتل الکل، و بقتل الکل إثم قتل الکل! قلنا: أقرب ما قیل فیه أن المراد من قتل نفسا واحدة بغیر حقّ کان جمیع الناس خصومه فی الدنیا إن لم یکن له ولی، و فی الآخرة مطلقا، لأنهم من أب و أم واحدة. و قیل: معناه من قتل نفسا نبیا و إماما عادلا فهو کمن قتل الناس جمیعا من حیث إبطال المنفعة علی الکل؛ لأن منفعتهما عامة للکل. و قیل: المراد بمن قتل هو قابیل، فإن علیه من الإثم بمنزلة إثم قتل الکل؛

لأنه أول من سن القتل؛ فكل قتل يوجد بعده يلحقه شيء من وزره بغلبة التسبب، لقوله عليه الصلاة و السلام: «من سنّ سنّة حسنة» الحديث؛ و هذا أحسن في المعنى؛ و لكن اللفظ لا يساعد عليه، و هو قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما [المائدة: ٣٢]؛ لأنّ هذا المعنى إذا أريـــــد بـــــه قابيـــــل لا تختص كتـــــابته ببنى إســـــرائيل.

(____١) ([٢٢٩]) الحديث أخرجه أحمد في مسنده: ١/ ٣٧۶. (٢) ([٢٣٠]) الحديث أخرجه مسلم في باب الزكاة، حديث ١٠١٧، و أحمد في مسنده: ۴/ ٣۶٢. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٧٣ [٢٣١] فإن قيل: كيف وجه قوله تعالى: إِنَّما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ [المائدة: ٣٣] الآية، و حقيقة المحاربة بين العبد و الرب ممتنعة؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: يحاربون أولياء اللّه. و قيل: أراد بالمحاربة المخالفة. [٢٣٢] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ [المائدة: ٣۶] و لم يقل بهما، و المذكور شيئان؟ قلنا: قد سبق جواب مثله قبيل هذا في قوله: إِذْ قَرَّبا قُرْباناً [المائدة: ٢٧]، و هنا جواب آخر و هو أن يكون وضع الضمير موضع اسم الإشارة كأنه قال ليفتدوا بذلك، و ذلك يشار به إلى الواحد و الاثنين و الجمع. [٢٣٣] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ [المائدة: ۴٢] و حال النبى عليه الصلاة و السلام مع أهل الكتاب لا يخلو عن هذين القسمين؛ لأنه إما أن يحكم بينهم أو يعرض عنهم؟ قلنا: فائدته تخيير النبى، عليه الصلاة و السلام، بين الحكم بينهم و عدمه، ليعلم أنه لا يجب عليه أن يحكم بينهم كما يجب عليه ذلك بين المسلمين إذا تحاكموا إليه؛ و قيل: إن هذا التخيير منسوخ بقوله تعالى: فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ [المائدة: ۴٨] و هو القرآن يدل عليه أول الآية وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ [المائدة: ۴٨] في الحكم بالتوراة. [٢٣۴] فإن قيل: لما أنزل اللّه القرآن صار الإنجيل منسوخا به، فكيف قال: وَ لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ [المائدة: ۴٧]؟ قلنا: هو عام مخصوص، أى ما أنزل اللّه فيه من صدق نبوة محمد، عليه الصلاة و السلام، بعلاماته المذكورة في الإنجيل، و ذلك غير منسوخ. [٢٣۵] فإن قيل: كيف قال: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ [المائدة: ۴٩]؛ مع أن الكفار معاقبون بكل ذنوبهم؟ قلنا: أراد به عقوبتهم في الدنيا، و هو ما عجله من إجلاء بنى النضير و قيل بنى قريظة و ذلك جزاء بعض ذنوبهم لأنه جزاء منقطع، و أما جزاؤهم على شركهم فهو جزاء دائم لا يتصور وجوده في الدنيا. و قيل: أراد بذلك البعض ذنب التولى عن الرضا بحكم القرآن، و إنما أبهمه تفخيما له و تعظيما. [٢٣۶] فإن قيل: حسن حكم اللّه و صحته أمر ثابت على العموم بالنسبة إلى الموقنين و غير الموقنين، فكيف قال: وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة: ۵٠]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٧۴ قلنا: لما كان الموقنون أكثر انتفاعا به من غيرهم، بل هم المنتفعون به في الحقيقة لا غير كانوا أخص به، فأضيف إليهم لذلك، و نظيره: قوله تعالى: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها [النازعات: ۴۵]. [٢٣٧] فإن قيل: قوله تعالى: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [المائدة: ۵١] يقتضى أن يكون من وادّ أهل الكتاب و صادقهم كافرا و ليس كذلك لقوله تعالى: لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ [الممتحنة: ٨] الآية. قلنا: المراد بقوله: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ [المائدة: ۵١] المنافقون، لأنها نزلت في شأنهم و هم كانوا من الكفار في الدنيا ضميرا و اعتقادا، و معناه أنه منهم في الآخرة جزاء و عقابه أشد. [٢٣٨] فإن قيل: كيف قال: إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [المائدة: ۵١]، و كم من ظالم هداه اللّه تعالى فتاب و أقلع عن ظلمه؟ قلنا: معناه لا يهديهم ما داموا مقيمين على ظلمهم. الثانى: أن معناه: لا يهدى من قضى في سابق علمه أنه يموت ضالا. الثالث: أن معناه: لا يهدى القوم الظالمين يوم القيامة إلى طريق الجنة، أى المشركين. [٢٣٩] فإن قيل: كيف قال: أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ [المائدة: ۵۴] و لم يقل أذلة للمؤمنين، و إنما يقال ذل له لا ذل عليه؟ قلنا: لأنه ضمن الذل معنى الحنوّ و العطف فعدّاه تعدّيته، كأنه قال: حانين على المؤمنين عاطفين عليهم. [٢۴٠] فإن قيل: كيف قال: وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ [المائدة: ۵۶] و كم مرة غلب حزب اللّه تعالى في زمن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و بعده إلى يومنا هذا؟ قلنا: المراد به الغلبة بالحجة و البرهان لا بالدولة و الصولة، و حزب اللّه هم المؤمنون غالبون بالحجة أبدا. [٢۴١] فإن قيل: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف قال: قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ [المائدة: ۶٠] الآية؟ قلنا: لا نسلم أن الثواب و المثوبة مختص بالإحسان؛ بل هو الجزاء مطلقا بدليل قوله تعالى: هَلْ

ثُوِّبَ الْكُفَّارُ ما كانُوا يَفْعَلُونَ [المطففين: ۳۶]، أى هـل جوزوا، و قوله تعالى: فَأَثابَكَمْ غَمًّا بِغَمٍّ [آل عمران: ۱۵۳] و هو كلفظ البشارة لا اختصـاص له أسـئلة القرآن و أجوبتهـا، ص: ۷۵ لغـة بـالخبر السـار؛ بـل هو عـام شامل للشر؛ قال اللّه تعالى: فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ [آل عمران: ۲۱]. [۲۴۲] فإن قيل: ما فائدة إرسال الكتاب و الرسول إلى أولئك الكثيرين الذين قال فى حقهم: وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَ كُفْراً [المائدة: ۶۴]؟ قلنا: فائدته إلزام الحجة عليهم. الثانى: تبجيل الكتاب و الرسول فإنّ الخطاب بالكتاب إذا كـان عامّـا، و الرّسول إذا كان مرسـلا إلى الخلق كلهم، كان ذلك أفخم و أعظم للرسول و المرسل. [۲۴۳] فـإن قيل: قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ [المائدة: ۶۶] الآية، يقتضـى تعلق الرخاء و سعة الرزق بالإيمان بالكتاب و العمل بما فيه، و ليس كذلك، فإن كثيرا من المؤمنين بالكتب الأربعة العاملين بما فيها ممّا لم ينسخ، عيشـهم فى الدنيا منكد، و رزقهم مضـيّق. قلنا: هذا التعليق خاص فى حقّ أهل الكتاب؛ لأنهم اشتكوا من ضيق الرزق حتى قالوا: يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ [المائدة: ۶۴] فأخبرهم اللّه تعالى أن ذلك التضييق عقوبة لهم بشؤم معاصـيهم و كفرهم، و اللّه تعالى يجعل ضـيق الرزق و تقـديره نعمـة فى حق بعض عباده، و نقمة فى حقّ بعضـهم و كذلك الرخاء و السعة فيعاقب بهما على المعصـية، و يثيب بهما على الطاعة، و يختلف ذلك باختلاف أحوال الأشـخاص، فلا يلزم من توسيع الرزق الإـكرام. و لاـ من تضـييقه الإهانـة و لا يلزم عكسه أيضا، و لهـذا رد اللّه تعالى ذلك بقوله: فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ [الفجر: ۱۵] إلى قوله تعالى: كَلَّا [الفجر: ۱۷]، أى ليس الأمر كما ظن الإنسان و زعم من أن توسيع الرزق دليل الكرامة و تضييقه دليل الإهانة، بل دليل الكرامة هو الهداية و التوفيق للطاعات، و دليل الإهانة هو الإضـلال و حرمة التوفيق. [۲۴۴] «۱» فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ [المائـدة: ۶۷] و معلوم أنه إذا لم يبلغ المنزل إليه لم يكن قد بلّـغ الرسالـة (____؟ ۱) ([۲۴۴])- قـول المصنف فى الجواب: «المراد حثه على تبليغ ما أنزل عليه من معايب اليهود و مثالبهم». كتفسير للآية أو كبيان لسبب نزولها مخالف لما هو معروف مشهور عنـد جمهور المفسـرين، و هو أنها نزلت حين قفل النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم من حجـة الوداع. و فى حدود هذا التاريخ كان القرآن مملوءا بذكر معايب اليهود و مثالبهم، فأى معايب لهم بعد ليكون عدم تبليغها و إظهارها- و قد نصر اللّه المسلمين و أعزهم- مساوقا لعدم تبليغ الرسالة جملة؟! يراجع فى ذلك تفسـير الآية عند الفخر الرازى، و ابن كثير و السيوطى فى الدّر المنثور، و غيرهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۶ قلنـا: المراد حثه على تبليغ ما أنزل عليه من معايب اليهود و مثالبهم. فالمعنى بلغ الجميع، فإن كتمت منه حرفا كنت فى الإثم و المخالفة كمن لم يبلغ شـيئا البتة، فجعل كتمان البعض ككتمان الكل. و قيل: أمر بتعجيل التبليغ كأنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان عازما على تبليغ جميع ما نزل إليه، إلا أنه أخر تبليغ البعض خوفا على نفسه و حذرا؛ مع عزمه على تبليغه فى ثانى الحال، فأمر بتعجيل التبليغ، يؤيد هذا القول قوله تعالى: وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائدة: ۶۷]. [۲۴۵] فإن قيل: كيف ضمن اللّه تعـالى لرسوله العصـمة بقوله: وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ [المائـدة: ۶۷] ثم إنه شـجّ وجهه يوم أحـد و كسـرت ربـاعيته؟ قلنا: المراد به العصـمة من القتـل لاـ من جميع الأذى، فإن جميع العصـمة من جميع المكاره لا تناسب أخلاق الأنبياء عليهم الصـلاة و السـلام؛ لأنهم جامعون مكارم الأخلاق و من أشرف مكارم الأخلاق تحمّل الأذى. الثانى: أن هذه الآية نزلت بعد أحد؛ لأن سورة المائدة من آخر ما نزلت من القرآن. [۲۴۶] فـإن قيل: كيف قال: وَ ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ [البقرة: ۲۷۰]؛ مع أن بعض الظـالمين و هم العصاة من المؤمنين يشـفع فيهم النبىّ صـلّى اللّه عليه و سلّم يوم القيامة فيكون ناصرا لهم؟ قلنا: المراد بالظالمين هنا المشركون، يعلم ذلك من أول الآية و وسطها. [۲۴۷] فإن قيل: ما فائـدة قوله تعالى: وَ ضَـلُّوا عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ [المائـدة: ۷۷]، بعـد قوله: قَدْ ضَـلُّوا مِنْ قَبْلُ [المائدة: ۷۷]؟ قلنا: المراد بالضـلال الأول ضـلالهم عن الإنجيل، و بالضـلال الثانى ضلالهم عن القرآن. [۲۴۸] فـإن قيـل: قوله تعالى: كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ [المائدة: ۷۹] و النهى عن المنكر بعد فعله و وقوعه لا معنى له؟ قلنا: فيه إضمار حذف مضاف تقديره: كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله، كما يرى الإنسان أمارات الخوض فى الفسق و آلاته تسوّى و تهيّأ فينكر، و يجوز أن يريد بقوله: لا يَتَناهَوْنَ لا ينتهون و لا يمتنعون عن منكر فعلوه، بل يصـرون عليه و يداومون، يقال: تناهى عن الأمر و انتهى عنه بمعنى واحد:

أي امتنع عنه و تركه. [۲۴۹] فإن قيل: كيف قال: وَ لكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ [المائدة: ۸۱] و المراد بقوله منهم المنافقون أو اليهود على اختلاف القولين و كلهم فاسقون؟ قلنا: المراد به فسقهم بموالاة المشركين و دسّ الأخبار إليهم لا مطلق الفسق، و ذلك الفسق الخاص مخصوص بكثير منهم، و هم المذكورون فى أوّل الآية فى قوله: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۷ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ [المائدة: ۸۰] الآية لا شامل لجميعهم. [۲۵۰] فإن قيل: كيف قال: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ [المائدة: ۹۰] و هذه الأعيان كلها مخلوقات للّه تعالى فأين عمل الشيطان فى وجودها؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: إنما تعاطى الخمر و الميسر إلى آخره أو مباشرته إلخ. [۲۵۱] فإن قيل: مع هذا الإضمار كيف قال من عمل الشيطان، و تعاطى الخمر و القمار و نحوهما من عمل الإنسان حقيقة؟ قلنا: إنما أضيف إلى الشيطان مجازا؛ لأنه هو السبب فى وجود الفعل بواسطته و وسوسته و تزيينه ذلك للفساق فصار كما لو أغرى رجل رجلا بضرب آخر فضربه، فإنه يجوز أن يقال للمغرى هذا من عملك. [۲۵۲] فإن قيل: كيف جمع الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام فى الآية الأولى، ثم خص الخمر و الميسر فى الآية الثانية؟ قلنا: لأن العداوة و البغضاء بين الناس تقع كثيرا بسبب الخمر و الميسر و كذلك يشتغلون بهما عن الطاعة، بخلاف الأنصاب و الأزلام فإن هذه المفاسد لا توجد فيها، و إن كانت فيها مفاسد أخر. و قيل: إنما كرّر ذكر الخمر و الميسر فقط لأن الخطاب للمؤمنين؛ بدليل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا [المائدة: ۹۴] و هم إنما يتعاطون الخمر و الميسر فقط، و إنما جمع الأربعة فى الآية الأولى إعلاما للمؤمنين أن هذه الأربعة من أعمال الجاهلية، و إنه لا فرق بين من عبد صنما أو أشرك باللّه تعالى بدعوى علم الغيب، و بين من شرب الخمر أو قامر مستحلا لهما. [۲۵۳] فإن قيل: كيف يحسن أن يفعل اللّه تعالى فعلا يتوسل به إلى تحصيل علم حتى قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنالُهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِماحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخافُهُ بِالْغَيْبِ [المائدة: ۹۴]؟ قلنا: معناه ليميز اللّه الخائف من غير الخائف عند الناس. و قيل: معناه ليعلم عباد اللّه من يخافه بالغيب و هو قريب من الأول. و قيل: معناه ليعلم الخوف واقعا كما علمه منتظرا. [۲۵۴] «۱» فإن قيل: كيف قال: وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ

(۱) ([۲۵۴]) الزهرى: هو محمد بن مسلم بن عبد اللّه، يعرف بابن شهاب الزهرى، من بنى زهرة بن كلاب. كلفه عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث، و لذلك يقال عادة إنه أول من دوّن الحديث. كان فقيه الأمويين بالشام. ولد سنة ۵۸ ه و توفى سنة ۱۲۴ ه. أخذ عنه كثيرون الفقه و الحديث، من أشهرهم مالك بن أنس. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۷۸ [المائدة: ۹۵] و وصف العمدية ليس بشرط لوجوب الجزاء، فإنه لو قتله ناسيا أو مخطئا وجب الجزاء أيضا؟ قلنا: عند ابن عباس و جماعة من الصحابة و التابعين رضى اللّه عنهم وصف العمدية شرط لوجوب الجزاء، فلا يرد عليهم السؤال، و أما على قول الجمهور فإنما قيده بوصف العمدية؛ لأن الواقعة التى كانت سبب نزول الآية كانت عمدا على ما يروى عن الصحابة أنه اعترض حمار وحش بالحديبية و هم محرمون، فطعنه أبو اليسر برمحه فقطعه فنزلت الآية، فخرج وصف العمدية مخرج الواقع لا مخرج الشرط. و قال الزهرى: نزل الكتاب بالعمد، و وردت السنة بالوجوب فى الخطأ. [۲۵۵] فإن قيل: كيف قال: هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ [المائدة: ۹۵]؛ مع أن الشرط بلوغه إلى الحرم لا غير؟ قلنا: لما كان المقصود من بلوغ الهدى إلى الحرم تعظيم الكعبة ذكر الكعبة تنبيها على ذلك. و قيل: معناه بالغ حرم الكعبة. [۲۵۶] فإن قيل: قوله تعالى:* جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنَّاسِ وَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ الْهَدْيَ وَ الْقَلائِدَ ذلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [المائدة: ۹۷] أى دلالة لهذه الأمور المذكورة على علم اللّه تعالى بما فى السموات و ما فى الأرض و أنه بكل شىء عليم؟ قلنا: ذلك إشارة إلى كل ما سبق ذكره من الغيوب فى هذه السورة من أحوال الأنبياء و المنافقين و اليهود لا إلى المذكور فى هذه الآية: الثانى: أن العرب كانت تسفك الدماء و تنهب الأموال، فإذا دخل الشهر الحرام أو دخلوا إلى البلد الحرام كفوا عن ذلك، فعلم اللّه تعالى أنه لو لم يجعل لهم زمانا أو مكانا يقتضى كفهم عن القتل و نهب الأموال لهلكوا، فظهرت المناسبة. [۲۵۷] «۱» فإن قيل: كيف قال: ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لا سائِبَةٍ وَ لا وَصِيلَةٍ وَ لا حامٍ [المائدة: ۱۰۳] و الجعل هو الخلق بدليل قوله تعالى: وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها [الأعراف:

(____١) ([٢٥٧]) بحيرة: من قولهم بحرت البعير، أى شـققت أذنه شـقا واسعا. و كان أهل الجاهلية إذا ولدت الناقة عشرة أبطن شقوا أذنها و سيبوها فلا تركب، و لا يحمل عليها. – سائبة: يقال للناقة إذا ولدت خمسة أبطن؛ فتسيّب فى المرعى، فلا تردّ عن حوض و لا علف. – وصـيلة: من قول الجاهليين، حين تلد الشاة ذكرا و أنثى، وصلت أخاها، يريدون حمته عن الذبح، فلا يذبحون الذكر من أجلها. – حام: يقوله عرب الجاهلية للفحل إذا ضرب عشرة أبطن. يريدون: حمى ظهره، فلا يركب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٧٩ ١٨٩] و قوله تعالى: وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ [الأنعام: ١] و خالق هذه الأشياء هو اللّه تعالى؟ قلنا: المراد بالجعل هنا الإيجاب و الأمر: أى ما أوجبها و لا أمر بها. و قيل: المراد بالجعل التحريم. [٢٥٨] فإن قيل: قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ [المائدة: ١٠٥] يدل على عدم وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و هما واجبان؟ قلنا: معنى قوله أنفسكم: أى أهل دينكم كما قال تعالى: وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [النساء: ٢٩] أى أهل دينكم. و قيل: المراد به آخر الزمان عند فساد الزمان و تعذر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و هو زماننا هذا. [٢٥٩] فإن قيل: كيف يقول الرسل لا عِلْمَ لَنا [المائدة: ١٠٩] إذا قال اللّه تعالى لهم: ما ذا أُجِبْتُمْ [المائدة: ١٠٩] و هم عالمون بما ذا أجيبوا؟ قلنا: هذا جواب الدهشة و الحيرة حين تطيش عقولهم من زفرة جهنم نعوذ باللّه تعالى منها، و مثله لا يفيد نفى العلم و لا إثباته. الثانى: أنهم قالوا ذلك تعريضا بالتشكى من قومهم و إظهارا للالتجاء إلى اللّه تعالى فى الانتقام منهم، كأنهم قالوا: أنت أعلم بما أجابونا به من التصديق و التكذيب. الثالث: معناه: لا علم لنا بحقيقة ما أجابونا به؛ لأنا نعلم ظاهره و أنت تعلم ظاهره و مضمره، و يؤيده ما بعده. [٢٦٠] فإن قيل: أىّ معجزة لعيسى صلّى اللّه عليه و سلّم فى تكليم الناس كهلا حتى قال: تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا [المائدة: ١١٠]؟ قلنا: قد سبق جوابه فى سورة آل عمران مستقصى. [٢٦١] فإن قيل: كيف قال الحواريون هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ [المائدة: ١١٢] شكوا فى قدرة اللّه تعالى على بعض الممكنات و ذلك كفر، و وصفوه بالاستطاعة و ذلك تشبيه؛ لأن الاستطاعة إنما تكون بالجوارح، و الحواريون خلص أتباع عيسى عليه السلام و المؤمنون به بدليل قوله تعالى حكاية عنهم قالُوا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ [المائدة: ١١١]. قلنا: هذا استفهام عن الفعل لا عن القدرة، كما يقول الفقير للغنى القادر: هل تقدر أن تعطينى شيئا، و هذا يسمى استطاعة المطاوعة لا استطاعة القدرة، أو المعنى: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٨٠ هل يسهل عليك أن تسأل ربك؟ كقولك لآخر: هل تستطيع أن تقوم معى؟ و أنت تعلم استطاعته لذلك. [٢٦٢] فإن قيل: لو كان المراد هذا المعنى فلم أنكر عليهم عيسى عليه السلام بقوله: قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [المائدة: ١١٢]؟ قلنا: إنكاره عليهم إنما كان لأنهم أتوا بلفظ يحتمل المعنى الذى لا يليق بالمؤمن المخلص إرادته و إن كانوا لم يريدوه. [٢٦٣] فإن قيل: كيف قال عيسى عليه السلام وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ [المائدة: ١١٦] و كل ذى نفس فهو ذو جسم؛ لأن النفس عبارة عن الجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير، و اللّه تعالى منزه عن الجسم؟ قلنا: النفس تطلق على معنيين: أحدهما هذا و الثانى حقيقة الشىء و ذاته، كما يقال: نفس الذهب و الفضة محبوبة، أى ذاتهما، و المراد به فى الآية ثانيا هذا المعنى. [٢٦٤] فإن قيل: كيف قال عيسى عليه السلام: ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا ما أَمَرْتَنِي بِهِ [المائدة: ١١٧] الآية، مع أنه قال لهم كثيرا من الكلام المباح غير الأمر بالتوحيد؟ قلنا: معناه ما قلت لهم فيما يتعلق بالإله. [٢٦٥] فإن قيل: إذا كان عيسى لم يمت و إنما هو حى فى السماء فكيف قال فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي [المائدة: ١١٧]؟ قلنا: أراد بالتوفّى إتمام مدة إقامته فى الأرض، و إتمامه قد سبق فى قوله تعالى: إِذْ قالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ [آل عمران: ٥٥] و السؤال إنما يتوجه على قول من قال: إن السؤال و الجواب و جدا يوم رفعه إلى السماء، و أما من قال: إن السؤال إنما يكون يوم القيامة، و عليه الجمهور، فالجواب مطابق و لا إشكال فيه. [٢٦٦] فإن قيل: لو قال عيسى عليه السلام: إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم، و إن تغفر لهم فإنهم عبادك، كان أظهر مناسبة؟ قلنا: معناه إن تعذبهم فإنهم عبادك، و تصرف المالك المطلق الحقيقى فى عبيده مباح: أى تصرف كان، و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الذى لا ينقص من عزه شىء بترك العقوبة و الانتقام ممن عصاه، الحكيم فى كل ما يفعله من العذاب أو المغفرة. [٢٦٧] فإن قيل: كيف قال: يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ [المائدة: ١١٩] يعنى يوم القيامة، و الصدق نافع فى الدنيا و الآخرة، و لفظ الآية فى قوة

الحصر؟ قلنا: لما كان نفع الصدق فی الآخرة هو الفوز بالجنة و النجاة من النار و نفعه فی أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۱ الدنيا دون ذلک، كان كالعدم بالنسبة إلی نفعه فی الآخرة فلم يقيد به فی مقابلته. [۲۶۸] «۱» فإن قيل: قوله: هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ [المائدة: ۱۱۹] إن أراد به صدقهم فی الآخرة فالآخرة ليست بدار عمل، و إن أراد به صدقهم فی الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه، و هو الشهادة لعيسی عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة؟ قلنا: أراد به الصدق المستمر بالصادقين فی دنياهم و آخرتهم و عن قتادة رحمه اللّه: متكلمان صدقا يوم القيامة، فنفع أحدهما صدقه دون الآخر: أحدهما إبليس قال: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ [إبراهيم: ۲۲] الآية، و صدق يومئذ فلم ينفعه صدقه؛ لأنه كان كاذبا قبل ذلک. و الآخر عيسی عليه السلام كان صادقا فی الدنيا و الآخرة فنفعه صدقه. [۲۶۹] فإن قيل: ما فی السموات و الأرض العقلاء و غيرهم، فهلّا غلّب العقلاء فقال: للّه ملک السموات و الأرض و من فيهن؟ قلنا: لأن كلمة «ما» تتناول الأجناس كلها تناولا عامّا بأصل الوضع و «من» لا تتناول غير العقلاء بأصل الوضع، فكان استعمالا «ما» فی هذا الموضع أوفی.

(____۱) ([۲۶۸]) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطّاب السدوسی، البصری. ولد سنة ۶۱ ه و توفی بواسط سنة ۱۱۸ ه. كان ضريرا، حافظا للحديث و مفردات اللغة و تاريخ العرب و أنسابها، و مفسّرا للقرآن. و أخذ عليه تدليسه فی الحديث، و قوله بالقدر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۲

سورة الأنعام

سورة الأنعام [۲۷۰] فإن قيل: كيف جمع الظلمة دون النور فی قوله تعالی: وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ [الأنعام: ۱]؟ قلنا: ترک جمعه استغناء عنه بجمع الظلمة قبله فإنه يدل عليه، كما ترک جمع الأرض أيضا استغناء عنه بجمع السماء قبله فی قوله تعالی: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [الأنعام: ۱]. الثانی: أن الظلمة اسم و النور مصدر، نقله المفضل، و المصادر لا تجمع. [۲۷۱] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالی: وَ جَهْرَكُمْ [الأنعام: ۳] بعد قوله: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ [الأنعام: ۳] و معلوم أن من يعلم السر يعلم الجهر بالطريق الأولی؟ قلنا: إنما ذكره للمقابلة كما فی قوله تعالی: فَمَنْ تَعَجَّلَ فِی يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ [البقرة: ۲۰۳] فی بعض الوجوه. [۲۷۲] فإن قيل: كيف خص السكون بالذكر دون الحركة فی قوله: وَ لَهُ ما سَكَنَ فِی اللَّيْلِ وَ النَّهارِ [الأنعام: ۱۳] علی قول من فسره بما يقابل الحركة؟ قلنا: لأن السكون أغلب الحالتين علی كل مخلوق من الحيوان و الجماد، و لأن الساكن من المخلوقات أكثر عددا من المتحرک، أو لأن كل متحرک يصير إلی السكون من غير عكس، أو لأن السكون هو الأصل و الحركة حادثة عليه و طارئة. و قيل: فيه إضمار تقديره: ما سكن و تحرک فاكتفی بأحدهما اختصار لدلالته علی مقابله، كما فی قوله تعالی: سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ [النحل: ۸۱] أی و البرد. [۲۷۳] فإن قيل: كيف قال: وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لا يُطْعَمُ [الأنعام: ۱۴] و لم يقل و هو ينعم و لا ينعم عليه، و هذا أعم لتناوله الإطعام و غيره؟ قلنا: لأن الحاجة إلی الرزق أمس فخص بالذكر. و الثانی: أن كون المطعم آكلا متغوطا أقبح من كونه منعما عليه، فلذلک ذكره. [۲۷۴] «۱» فإن قيل: قوله تعالی: قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً قُلِ اللَّهُ [الأنعام: ۱۹] يقتضی

(____۱) ([۲۷۴])- قوله فی الجواب: «أ لا تری أن الموجود، الخ». فيه نظر، فتأمل! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۳ أن يسمی اللّه تعالی شيئا، و لو صح ذلک لصح نداؤه به كالحی القيوم و نحوهما؟. قلنا: صحة ندائه تعالی مخصوصة بما يدل علی المدح و صفة الكمال كالحی و القيوم و نحوهما، لا بكل ما يصح إطلاقه عليه؛ أ لا تری أن الموجود و الثابت يصح إطلاقه عليه سبحانه و تعالی لا يصح نداؤه به؟ كذا ذكروا. [۲۷۵] فإن قيل: استشهاد المدعی باللّه لا يكفی فی صحة دعواه و ثبوتها شرعا حتی لو قال المدعی اللّه شاهدی لا يكفی هذا، فكيف صح ذلک من النبی صلّی اللّه عليه و سلّم حيث قال: قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِی وَ بَيْنَكُمْ [الأنعام: ۱۹]؟ قلنا: إنما لم يصح ذلک من غير النبی صلّی اللّه عليه و سلّم لأنه لا يقدر علی إقامة الدليل علی أن اللّه تعالی يشهد له، و النبی صلّی اللّه عليه و سلّم أقام الدليل علی ذلک بقوله: وَ أُوحِيَ

إِلَيَّ هـذَا الْقُرْآنُ [الأنعام: ١٩] لأنه معجز. [٢٧۶] فإن قيل: فى قوله تعالى: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ٢٣] كيف يكذبون يوم القيامة بعد معاينة حقائق الأمور، و قد بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ [العاديات: ٩، ١٠]؟ قلنا: المبتلى يوم القيامة ينطق بما ينفعه و بما يضره لعدم التمييز بسبب الحيرة و الدهشة، كحال المبتلى المعذب فى الدنيا يكذب على نفسه و على غيره، و يتكلم بما يضره، أ لا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها و قد أيقنوا بالخلود فيها، و قالوا: يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ [الزخرف: ٧٧] و قد علموا أنه لا يُقْضى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَ لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها [فاطر: ٣۶]. [٢٧٧] فإن قيل: كيف الجمع بين هذه الآية و بين قوله تعالى: وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً [النساء: ۴٢]؟ قلنا: القيامة مواقف مختلفة؛ ففى بعضها لا يكتمون، و فى بعضها يحلفون كاذبين، كما قال عزّ و جلّ: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ٩٢، ٩٣] و قال تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ [الرحمن: ٣٩] و قيل إن حلفهم كاذبين يكون قبل شهادة جوارحهم عليهم، وَ لا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً [النساء: ۴٢] يكون بعد شهادتها عليهم. [٢٧٨] فإن قيل: كيف قال: وَ لَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ [الأنعام: ٣٢] و هو خير لغير المتقين أيضا كالأطفال و المجانين؟ قلنا: إنما خصهم بالذكر لأنهم الأصل فيها من حيث أن درجتهم أعلى و غيرهم تبع لهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٨۴ [٢٧٩] «١» فإن قيل: كيف قال لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم: فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِينَ [الأنعام: ٣۵] فخاطبه بأفحش الخطابين، و قال لنوح عليه السلام: إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ [هود: ۴۶] فخاطبه بألين الخطابين مع أن محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم أعظم رتبة و أعلى منزلة منه؟ قلنا: لأن نوحا عليه الصلاة و السلام كان معذورا فى جهله بمطلوبه؛ لأنه تمسك بوعد اللّه تعالى فى إنجاء أهله، و ظن أن ابنه من أهله. و محمد صلّى اللّه عليه و سلّم ما كان معذورا؛ لأنه كبر عليه كفرهم؛ مع علمه أن كفرهم و إيمانهم بمشيئة اللّه تعالى، و أنهم لا يهتدون إلا أن يديهم اللّه. [٢٨٠] فإن قيل: إذا بعث اللّه تعالى الموتى من قبورهم فقد رجعوا إلى اللّه بالحياة بعد الموت، فما فائدة قوله تعالى: وَ الْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [الأنعام: ٣۶]؟ قلنا: المراد به وقوفهم بين يديه للحساب و الجزاء، و ذلك غير البعث و هو إحياؤهم بعد الموت فلا تكرار فيه. [٢٨١] فإن قيل: قوله تعالى: وَ قالُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً [الأنعام: ٣٧] لو صح من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم هذا الجواب لصح لكل من ادعى النبوّة و طولب بآية أن يقول إن اللّه قادر على أن ينزل آية؟ قلنا: إذا ثبتت نبوته بما شاء اللّه من المعجزة يصح له أن يقول ذلك، بخلاف ما إذا لم تثبت نبوته، و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان قد ثبتت نبوته بالقرآن و انشقاق القمر و غيرهما. [٢٨٢] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ [الأنعام: ٣٨] و الدابة لا تكون إلا فى الأرض؛ لأن الدابة فى اللغة اسم لما يدبّ على وجه الأرض؛ و ما فائدة وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ [الأنعام: ٣٨] و الطير لا يكون إلا بالجناح؟ قلنا: فيه فوائد: الأولى: للتأكيد كقولهم: هذه نعجة أنثى، و قولهم كلمته بلسانى، و مشيت إليه برجلى، و كما قال اللّه تعالى: لا تَتَّخِذُوا إِلهَيْنِ اثْنَيْنِ [النحل: ۵١] و قال تعالى: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [الفتح: ١١ (______________________________]. ١) ([٢٧٩])- لا يخفى أن المصنّف قد خانه التعبير؛ و خرج عن حدود الأدب مع مقام أشرف الخلق صلّى اللّه عليه و سلّم. وليته تجنب ما فى عبارته من خشونة. كما أن جوابه غير متين. و لعل الأصوب فى الجواب أن يقال: إن القرآن نزل الكثير من آياته على طريقة إيّاك أعنى و اسمعى يا جارة، على عادة العرب فى كثير من كلامهم. فالخطاب ظاهره أن المراد به النبى، غير أنه فى الحقيقة خطاب لعموم المؤمنين، أو لمناسبته مع قضية خارجية كانت مناسبة للنزول. و اللّه أعلم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٨۵ الثانية: نفى توهم المجاز فإنه يقال: طار فلان فى أمر كذا إذا أسرع فيه، و طار الفرس إذا أسرع الجرى. الثالثة: زيادة التعميم و الإحاطة، كأنه قال جميع الدواب الدابة و جميع الطيور الطائرة. [٢٨٣] فإن قيل: قوله تعالى: قُلْ أَ رَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ [الأنعام: ۴٠] إلى أن قال: فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ [الأنعام: ۴١] و من جملة ما ذكر الدعاء فيه عذاب الساعة و هو لا يكشف عن المشركين؟ قلنا: لم يخبر عن الكشف مطلقا؛ بل مقيدا بشرط المشيئة و عذاب الساعة لو شاء كشفه عن المشركين لكشفه. [٢٨۴] فإن قيل: قوله تعالى: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ [الأنعام: ۵٠]، كيف ذكر القول فى الجملة الأولى و الثالثة و ترك

ذكره فى الجملة الثانية؟ قلنا: لما كان الإخبار بالغيب كثيرا مما يدّعيه البشر، كالكهنة و المنجمين و واضعى الملاحم، ثم إن كثيرا من الجهال يعتقدون صحة أقاويلهم و يعملون بمقتضى أخبارهم بالغ فى سلبه عن نفسه بسلب حقيقته عنه بخلاف الإلهية و الملكية، فإن انتفاءهما عنه و عن غيره من البشر ظاهر فاكتفى فى نفيهما بنفى القول، إذ غير الدعوى فيهما لا تتصور فى نفس الأمر و لا فى زعم الناس، بخلاف علم الغيب فافترقا، و المراد بقوله: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ [الأنعام: ۵۰] أی لا أدعی الإلهية، كذا قاله بعض المفسرين. [۲۸۵] فإن قيل: قوله تعالى: وَ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ وَ لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ [الأنعام: ۵۵] كيف ذكر سبيل المجرمين و لم يذكر سبيل المؤمنين و كلاهما محتاج إلى بيانه؟ قلنا: لأنه إذا ظهر سبيل المجرمين ظهر سبيل المؤمنين أيضا بالضرورة إذ السبيل سبيلان لا غير. [۲۸۶] فإن قيل: كيف قال: وَ يَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بِالنَّهارِ [المائدة: ۶۰] أی ما كسبتم، و هو يعلم ما جرحوا ليلا و نهارا؟ قلنا: لأن الكسب أكثر ما يكون بالنهار لأنه زمان حركة الإنسان، و الليل زمان سكونه لقوله تعالى: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ [القصص: ۷۲] بعد قوله: مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ [القصص: ۷۲]. [۲۸۷] فإن قيل: كيف قال: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ [الأنعام: ۶۲] يعنى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۶ مولى جميع الخلائق. و قال، فى موضع آخر: وَ أَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ [محمد: ۱۱]. قلنا: المولى الأول بمعنى المالك أو الخالق أو المعبود، و المولى الثانى بمعنى الناصر فلا تنافى بينهما. [۲۸۸] فإن قيل: كيف خص كون قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ [الأنعام: ۷۳] بيوم القيامة، فقال: قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِی الصُّورِ [الأنعام: ۷۳]؛ مع أن قوله الحق فى كل وقت و له الملك فى كل زمان؟ قلنا: لأن ذلك اليوم ليس لغيره فيه ملك بوجه من الوجوه، و فى الدنيا لغيره ملك خلافة عنه أو هبة منه و إنعاما بدليل قوله تعالى فى حقّ داود عليه السلام: وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ [البقرة: ۲۵۱] و قوله: وَ اللَّهُ يُؤْتِی مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ [البقرة: ۲۴۷] و قوله فى ذلك اليوم هو الحق الذى لا يدفعه أحد من العباد، و لا يشك فيه شاكّ من أهل العناد، لانكشاف الغطاء فيه للكل، و انقطاع الدعاوى و الخصومات، و نظيره قوله تعالى: وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [الانفطار: ۱۹] و إن كان الأمر له فى كل زمان، و كذا قوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ [غافر: ۱۶]؟ [۲۸۹] فإن قيل: كيف قال تعالى فى معرض الامتنان: وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ [الأنعام: ۸۴] و لم يذكر إسماعيل؛ مع أنه كان هو الابن الأكبر؟ قلنا: لأن إسحاق وهب له من حرة و إسماعيل من أمة، و إسحاق وهب له من عجوز عقيم؛ فكانت المنّة فيه أظهر. [۲۹۰] فإن قيل: كيف قال فى وصف القرآن: وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ [الأنعام: ۹۲] و كثير ممن يؤمن بالآخرة من اليهود و النصارى و غيرهم لا يؤمن به؟ قلنا: معناه و الذين يؤمنون بالآخرة إيمانا نافعا مقبولا هم الذين يؤمنون به إما تصديقا به قبل إنزاله لما بشر به موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام، أو اتباعا له بعد إنزاله و الأمر كذلك، فإنّ من لم يصدق موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام فى بشارتهما بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم و بالقرآن أو كان بعد بعثه و لم يؤمن به فإيمانه بالآخرة غير معتدّ به و لا معتبر. [۲۹۱] فإن قيل: كيف أفرد قوله تعالى: أَوْ قالَ أُوحِیَ إِلَيَّ [الأنعام: ۹۳] بالذكر بعد قوله: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً [الأنعام: ۲۱] و ذلك أيضا افتراء؟ قلنا: لأن الأول عام و الثانى خاص، و المقصود الإنكار فيهما، و لا يلزم من وجود العام وجود الخاص، و لكن يلزم من الذم على العام و إنكاره الذم على الخاص و إنكاره لا محالة، و ما نحن فيه من هذا القبيل. و الجواب المحقق أن يقال: إن هذا أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۷ الخاص لما كان مخصوصا بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء خصّه بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه و الإثم. [۲۹۲] فإن قيل: قوله تعالى: بَدِيعُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [الأنعام: ۱۰۱] الآية، ما فائدة قوله: خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ [الأنعام: ۱۰۲] بعد قوله: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ [الأنعام: ۱۰۱]؟ قلنا: ذكره أولا استدلالا به على نفى الولد، ثم ذكره ثانيا توطئة و تمهيدا لقوله تعالى: فَاعْبُدُوهُ [المائدة: ۲۰۱] فإن كونه خالق كل شىء يقتضى تخصيصه بالعبادة و الطاعة، فكانت الإعادة لفائدة جديدة. [۲۹۳] فإن قيل: فى قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ [الأنعام: ۱۰۳] كيف خص الأبصار بإدراكه لها و لم يقل و هو يدرك كل شىء مع أنه أبلغ فى التمدح؟ قلنا: لوجهين: أحدهما: مراعاة المقابلة اللفظية فإنه نوع من البلاغة. الثانى: أن هذه الصفة خاصة بينه و بين الأبصار أنه يدركها، بمعنى الإحاطة بها و هى لا تدركه، فأما غيره مما يدرك الأبصار فهى تدركه أيضا، فلهذا خصّها بالذّكر. [۲۹۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ

إِلَيْكُمُ الْكِتابَ مُفَصَّلًا [الأنعام: ۱۱۴] و لم يقل و هو الـذى أنزل إلىّ؛ مع أن اللّه تعالى قال: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ [المائدة: ۸]. قلنا: لما كان إنزاله إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم ليبلغه إلى الخلق، و يهديهم به، كان فى الحقيقة منزلا إليهم، لكن بواسطة النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فصلح إضافة الإنزال إليه و إليهم. [۲۹۵] فإن قيل: فى قوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآياتِهِ مُؤْمِنِينَ [الأنعام: ۱۱۸] كيف علّق الكون من المؤمنين بأكل الذبيحة المسمّى عليها، و الكون من المؤمنين حاصل و إن لم تؤكل الذّبيحة أصلا؟ قلنا: المراد اعتقاد الحل لا نفس الأكل؛ فإن بعض من كان يعتقد حلّ الميتة من العرب كان يعتقد حرمة الذبيحة. [۲۹۶] فإن قيل: كيف أبهم فاعل التزيين هنا، فقال: كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [الأنعام: ۱۲۲] و قال فى آية أخرى زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ [النمل: ۴]، و قال فى آية أخرى وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ [النمل: ۲۴] فمن هو مزين الأعمال للكفار فى الحقيقة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۸ قلنا: التزيين من الشّيطان بالإغواء و الإضلال و الوسوسة و إيراد الشبه، و من اللّه تعالى بخلق جميع ذلك فصحت الإضافتان. [۲۹۷] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَ لَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ [الأنعام: ۱۳۰]، و الرسل إنما كانت من الإنس خاصة؟ قلنا: المراد برسل الجنّ هم الذين سمعوا القرآن من النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم ثم ولّوا إلى قومهم منذرين، كما قال تعالى: وَ إِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ [الأحقاف: ۲۹] الآية. الثانى: أنه كقوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [الرحمن: ۲۲] و المراد من أحدهما؛ لأنه إنما يخرج من الملح. و الثالث: أنّه بعث إليهم رسل منهم، قاله الضّحّاك و مقاتل. [۲۹۸] فإن قيل: كيف ذكر شهادتهم على أنفسهم فى قوله تعالى: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ [الأنعام: ۱۳۰] الآية، و المعنى فيهما واحد؟ قلنا: المعنى المشهود به متعدد و إن كان فى الشهادة واحدا، إلا أنهم فى الأولى شهدوا على أنفسهم بتبليغ الرسل و إنذارهم، و فى الثانية شهدوا على أنفسهم بالكفر و هما متغايران. [۲۹۹] فإن قيل: كيف أقروا فى هذه الآية بالكفر و شهدوا على أنفسهم به و جحدوه فى قولهم: وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳]. قلنا: مواقف القيامة و مواطنها مختلفة، ففى بعضها يقرون و فى بعضها يجحدون، أو يكون المراد هنا شهادة أعضائهم عليهم حين يختم على أفواههم كما قال تعالى: الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلى أَفْواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ [يس: ۶۵]. [۳۰۰] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ [الأنعام: ۱۴۰] و السفه لا يكون إلا عن جهل؟ قلنا: معنى قوله: بِغَيْرِ عِلْمٍ بغير حجة. و قيل: بغير علم بمقدار قبحه، و مقدار العقوبة فيه؛ و على الوجهين لا يكون مستفادا من الأوّل. [۳۰۱] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ [الأنعام: ۱۴۰] بعد قوله: قَدْ ضَلُّوا [الأنعام: ۱۴۰]؟

(____ ۱) ([۲۹۷]) الضّحّاك: هو الضّحّاك بن مزاحم البلخى الخراسانى، أبو القاسم. مفسّر اشتغل بتأديب الأطفال، و كانت له مدرسة تضمّ عددا كبيرا منهم. توفى بخراسان سنة ۱۰۵ ه. ألّف كتابا فى التفسير. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۸۹ قلنا: فائدته الإعلام بأنهم بعد ما ضلوا لم يهتدوا مرة أخرى، فإن من الناس من يضل ثم يهتدى بعد ضلاله. [۳۰۲] «۱» فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: إِذا أَثْمَرَ [الأنعام: ۱۴۱] بعد قوله: كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ [الأنعام: ۱۴۱] و معلوم أنه إنما يؤكل من ثمره إذا أثمر؟ قلنا: فائدته نفى توهم توقف الإباحة على الإدراك و النضج بدلالته على الإباحة من أول إخراج الثمر. [۳۰۳] فإن قيل: قوله تعالى: قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ [الأنعام: ۱۴۵] الآية، و فى القرآن تحريم أكل الربا و مال اليتيم و مال الغير بالباطل و غير ذلك؟ قلنا: محرما مما كانوا يحرمونه فى الجاهلية، و قيل: مما كانوا يستحلون فيها. [۳۰۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ [الأنعام: ۱۴۷] و الموضع موضع العقوبة، فكان يحسن أن يقال فيه ذو عقوبة شديدة أو عظيمة و نحو ذلك؟ قلنا: إنما قال ذلك نفيا للاغترار بسعة رحمته فى الاجتراء على معصيته، و ذلك أبلغ فى التهديد معناه: لا تغتروا بسعة رحمته، فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم. و قيل معناه: فقل ربكم ذو رحمة واسعة للمطيعين، و لا يرد عذابه عن العاصين. [۳۰۵] فإن قيل: كيف قال: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ [الأنعام: ۱۵۱]، ثم فسره بعشرة أحكام، خمسة منها واجبة، و التّلاوة وصف للفظ لا للمعنى كيلا يقال أضدادها محرمة؟ قلنا: قوله: أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ لا ينفى تلاوة غيره فقد تلا ما حرم و تلا غيره أيضا. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: أتل ما حرم ربكم عليكم و أوجب. [۳۰۶] فإن قيل: كيف خص مال اليتيم بالنهى عن

قربانه بغير الأحسن و مال البالغ أيضا كذلك؟ قلنا: إنما خصه بالنهى لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعف مالكه و عجزه و قلة الحافظين له و الناصرين، بخلاف مال البالغ (____. ۱)

([۳۰۲])- يبدو أن في السؤال فضولا- لا يصدر عمّن له ذوق عربى و درايـة بأساليب العرب فى البيان، و لا يخفى ما فى الجواب من تكلف ... أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۰ الثانی: أن التخصيص لمجموع الحكمين و هما النهى عن قربانه بغير الأحسن، و وجوب قربانه بالأحسن، أو جواز قربانه بالأحسن بغير إذن مالكه؛ و مجموع الحكمين مختص بمال اليتيم، و هذا هو الجواب عن كونه مغيّا ببلوغ الأشد؛ لأن المجموع ينتفى ببلوغ الأشد لانتفاء الحكم الثانى. و قيل إن الغاية لمحذوف تقديره: حتّى يبلغ فسلموه إليه. [۳۰۷] فإن قيل: كيف خص العدل بالقول فقال: وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا [الأنعام: ۱۵۲] و لم يقل: و إذا فعلتم فاعدلوا، و الحاجة إلى العدل فى الفعل أمس؛ لأن الضرر الناشئ من الجور الفعلى أقوى من الضرر الناشئ من الجور القولى؟ قلنا: إنما خصه بالقول ليعلم وجوب العدل فى الفعل بالطريق الأولى كما قال تعالى: فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ [الإسراء: ۲۳] و لم يقل: و لا تشتمهما و لا تضربهما لما قلنا. [۳۰۸] فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: وَ لا- تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الأنعام: ۱۶۴] و بين قوله: وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ [العنكبوت: ۱۳]، و قوله: لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [النحل: ۲۵] و قد جاء فى الحديث المشهور: «من عمل سيّئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة». قلنا: المراد بالآية الأولى وزر لا يكون مضافا إليها بمباشرة أو تسبب لتحقيق إضافته إلى غيرها على الكمال، أما إذا لم يكن كذلك فهو وزرها من وجه فتزره. و قيل معناه: لا تزره طوعا كما زعم المشركون بقولهم للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: ارجع إلى ديننا و نحن كفلاء بما يلحقك من تبعة فى دينك. و قول الذين كفروا للذين آمنوا: اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ [العنكبوت: ۱۲] إلى قوله تعالى: عَمَّا كانُوا يَفْتَرُونَ [العنكبوت: ۱۳] و معنى باقى النّصوص أنّنا نحمله كرها فلا تنافى بينهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۱

سورة الأعراف

سورة الأعراف [۳۰۹] فإن قيل: النهى فى قوله تعالى: فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ [الأعراف: ۲] متوجه إلى الحرج فما وجهه؟ قلنا: هو من باب قولهم لا- أرينك هنا، معناه: لا- تقم هنا فإنك إن أقمت رأيتك، فمعنى الآية، فكن على يقين منه و لا تشك فيه؛ لأن المراد بالحرج الشك. [۳۱۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: أَهْلَكْناها فَجاءَها بَأْسُنا [الأعراف: ۴] و الإهلاك إنما هو بعد مجىء البأس و هو العذاب؟ قلنا: معناه أردنا إهلاكها كقوله تعالى: إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ [المائدة: ۶] و قوله تعالى: فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ [النحل: ۹۸]. [۳۱۱] فإن قيل: ميزان القيامة واحد فكيف قال تعالى: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ [الأعراف: ۸، ۹]؟ قلنا: إنما جمعه لأنه أراد بالميزان الموزونات من الأعمال. و قيل: إنما جمعه لأنه ميزان يقوم مقام موازين و يفيد فائدتها؛ لأنه يوزن به ذرات الأعمال و ما كان منها فى عظم الجبال. [۳۱۲] «۱» فإن قيل: كيف توزن الأعمال و هى أعراض لا ثقل لها و لا جسم، و الوزن من خواص الأجسام؟ قلنا: الموزون صحائف الأعمال. الثانى: أنه قد ورد أن اللّه تعالى يحيلها فى جواهر و أجسام، فتتصور أعمال المطيعين فى صورة حسنة، و أعمال العاصين فى صورة قبيحة، ثم يزنها و اللّه على كل شىء قدير. [۳۱۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ [الأعراف: ۱۱] و كلمة ثم للترتيب، و خطاب الملائكة عليهم السلام بالسجود سابق على خلقنا و تصويرنا؟

(____۱) ([۳۱۲])- السؤال و جوابه لا يحتاج إلى تعليق؛ و هو كما ترى! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۲ قلنا: المراد و لقد خلقنا أباكم ثم صورناه بطريق حذف المضاف. و قيل: المراد: و لقد خلقنا أباكم ثم صوّرناكم فى ظهره. و القول الأول أظهر. [۳۱۴] فإن قيل: كيف قال تعالى لإبليس فَاهْبِطْ مِنْها فَما يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها [الأعراف: ۱۳]، أى فى السماء، و ليس له و لا- لغيره أن يتكبر فى الأرض أيضا؟ قلنا: لما كانت السماء مقر

الملائكـة المطيعين الذين لا توجد منهم معصـية أصـلا كان وجود المعصـية منهم أقبح، فلذلك خص مقرهم بالذكر. [۳۱۵] فإن قيل: كيف أجيب إبليس إلى الإنظـار، و إنما طلب الإنظار ليفسـد أحوال عباد اللّه تعالى و يغويهم؟ قلنا: لما فى ذلك من ابتلاء العباد، و لما فى مخالفته من عظم الثواب، و نظير ذلك ما خلقه اللّه تعالى فى الدنيا من أصـناف الزخارف و أنواع الملاذ و الملاهى، و ما ركّبه فى الأنفس من الشـهوات ليمتحن بها عباده. [۳۱۶] «۱» فـإن قيـل: كيف قال تعالى: فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطانُ لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما [الأعراف: ۲۰] و لم يكن غرضه من الوسوسة كشف عورتهما؛ بل إخراجهما من الجنة، و يؤيده قوله تعالى: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ [البقرة: ۳۶]؟ قلنـا: اللّام فى ليبـدى لاـم العاقبـة و الصيرورة، لا لام كى، كما فى قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً [القصـص: ۸] و قول الشاعر: لدوا للموت و ابنوا للخراب فكلّكم يصـير إلى التّراب [۳۱۷] فإن قيل: أى آيـة للّه تعالى فى اللباس و الكسوة حتّى قال تعالى فى آيـة اللباس و الكسوة ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ [الأعراف: ۲۶]؟ قلنا: معناه أن اللباس و الكسوة للإنسـان خاصـة علامـة من العلامـات الدالـة على أن اللّه تعـالى فضـله على سائر الحيوانات، و قيل معناه: ذلك من نعم اللّه. [۳۱۸] فإن قيل: كيف قال تعالى فى حقّ إبليس: يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما [الأعراف: ۲۷] و نازع لباسهما هو اللّه تعالى؟ قلنا: لما كان ذلك السبب بسبب وسوسته و إغوائه أضيف النزع إليه، كما يقال: أشبعنى الطعام و أروانى الشراب، و المشبع و المروى فى الحقيقة إنما هو اللّه تعـالى و هما سـبب (______________________________ ۱) ([۳۱۶])

البيت لأبى العتاهيـة، و هو فى ديوانه: ۳۳. و يروى أيضا: لدوا للموت و ابنوا للخراب فكلكم يصـير إلى تباب أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۳ [۳۱۹] فإن قيل: كيف قال: كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ [الأعراف: ۲۹]، و هو بدأنا أولا نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاما، ثم لحما، كما ذكر؛ و نحن لا نعود عنـد الموت، و لا عنـد البعث بعـد الموت، على ذلك الترتيب؟ قلنا: معناه كما بدأكم أولا من تراب كذلك تعودون ترابا. و قيل معناه: كما أوجـدكم أولا بعد العدم كذلك يعيدكم بعد العدم، فالتشبيه فى نفس الإحياء و الخلق لا فى الكيفية و الترتيب. و قيـل معناه: كما بـدأكم سـعداء و أشـقياء، كـذلك تعودون، و يؤيـده تمام الآيـة. و قيل معناه: كما بـدأكم لا تملكون شـيئا كذلك تعودون، كما قال تعالى: وَ لَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى [الأنعام: ۹۴] الآية. [۳۲۰] فإن قيل: كيف قال تعالى مخبرا عن الزينة و الطيبات: قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الـدُّنْيا [الأعراف: ۳۲] مع أن الواقع المشاهـد أنها لغير الذين آمنوا أكثر و أدوم؟ قلنا: فيه إضـمار تقديره: قل هى للـذين آمنوا غير خالصـة فى الحياة الـدنيا؛ لأن المشـركين شاركوهم فيها؛ خالصـة للمؤمنين فى الآخرة. [۳۲۱] فإن قيل: كيف قال: وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ [الأعراف: ۴۳] و الميراث عبارة عما ينتقل من ميت إلى حى و هو مفقود هنا؟ قلنـا: هو على تشبيه أهـل الجنـة و أهـل النار بالوارث و بالموروث عنه. و ذلك أن اللّه تعالى خلق فى الجنـة منازل للكفار على تقـدير الإيمان، فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة. الثانى: أن نفس دخول الجنة بفضل اللّه و رحمته من غير عوض، فأشبه الميراث، و إن كـانت الـدرجات فيهـا بحسب الأعمال. [۳۲۲] فـإن قيـل: كيف قـال تعـالى: أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ [الأعراف: ۵۴]، أمـا الخلق بمعنى الإيجاد و الإحـداث فظاهر أنه مختص به سـبحانه و تعالى، و أما الأمر فلغيره أيضا بـدليل قوله تعالى: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ [التوبـة: ۷۱] و قوله: وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ [الأعراف: ۱۹۹]، و قوله: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ [طه: ۱۳۲]؟ قلنا: المراد بالأمر هنا قوله تعالى: كُنْ عند خلق الأشياء، و هذا الأمر الذى به الخلق مخصوص به كالخلق. الثانى: أن المراد بالخلق و الأمر ما سبق ذكرهما فى هذه الآية، و هو خلق السموات و الأـرض، و أمر تسـخير الشـمس و القمر و النجوم كمـا ذكر، و ذلك مخصوص به عز و جل. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۴ [۳۲۳] فإن قيل: لم قال نوح عليه الصـلاة و السـلام: ليس بى ضـلالة بالتاء، و لم يقل ليس بى ضـلال كما وصفه قومه به، و ذلك أشد مناسبة ليكون نافيا عين ما أثبتوه؟ قلنا: الضّـلال أقل من الضـلال، فكان نفيها أبلغ فى نفى الضّـلال عنه، كأنه قال: ليس بى شـىء من الضلال، كمـا لو قيـل: أ لك ثمر فقلت: ما لى ثمرة؟ كان ذلك أبلغ فى النفى من قولك مالى ثمر. [۳۲۴] فإن قيل: كيف وصف الملأ بالذين كفروا فى قصـة هود دون قصة نوح عليهما السـلام؟ قلنا: لأنه كان فى أشـراف قوم هود من آمن به منهم عند هذا القول، فلم يكن كل الملأ من قومه قائلين: إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفاهَةٍ [الأعراف: ۶۶] بخلاـف قوم نوح فـإنه لم يكن منهم من آمن به عنـد قولهم: إِنَّا لَنَراكَ فِي

ضَلالٍ مُبِينٍ [الأعراف: ۶۰] فكان كل الملأ قائلين ذلك، هكذا أجاب بعض العلماء، و هذا الجواب منقوض بقوله تعالى فى سورة هود فى قصة نوح عليه السلام فَقالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا [هود: ۲۷] و كذا فى سورة المؤمنين، و جواب هذا النقض أنه يجوز أن القول كان وقع مرتين، و المرة الثانية بعد إيمان بعضهم. [۳۲۵] فإن قيل: كيف قال صالح عليه السلام لقومه، بعد ما أخذتهم الرجفة و ماتوا: يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ [الأعراف: ۷۹] و لا يحسن من الحى مخاطبة الميت لعدم الفائدة؟ قلنا: هذا مستعمل فى العرف، فإن من نصح إنسانا فلم يقبل منه حتى قتل أو صلب و مر به ناصحه فإنه يقول له: كم نصحتك يا أخى فلم تقبل حتى أصابك هذا. و فائدة هذا القول حث السامعين له على قبول النصيحة ممن ينصحهم لئلّا يصيبهم ما أصاب المنصوح الذى لم يقبل النصيحة حتى هلك. [۳۲۶] فإن قيل: لم قال شعيب عليه السلام لقومه: وَ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها [الأعراف: ۵۶] و هم ما زالوا كافرين مفسدين لا مصلحين؟ قلنا: بعد أن أصلحها اللّه تعالى بالأمر بالعدل و إرسال الرسل. و قيل: معناه بعد أن أصلح اللّه تعالى أهلها بحذف المضاف. و قيل: معناه بعد الإصلاح فيها، أى بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء و أتباعهم العاملين بشرائعهم، فإضافته كإضافة قوله تعالى: بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ [سبأ: ۳۳] يعنى بل مكرهم فى الليل و النهار. [۳۲۷] فإن قيل: كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود فى الكفر بقولهم: لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا [الأعراف: ۸۸] و هو أجابهم أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۵ بقوله: إِنْ عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْها [الأعراف: ۸۹] و هو لم يكن فى ملتهم، قط؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا يجوز عليهم شىء من الكبائر خصوصا الكفر؟ قلنا: العرب تستعمل عاد بمعنى صار ابتداء، و منه قوله تعالى: حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [يس: ۳۹]. الثانى: أنهم قالوا ذلك على طريق تغليب الجماعة على الواحد؛ لأنهم عطفوا على ضميره الذين آمنوا منهم بعد كفرهم، فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على حكم التغليب، و على ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه، و مراده عود قومه المعطوفين عليه. [۳۲۸] فإن قيل: لم قال فرعون: فَأْتِ بِها [الأعراف: ۱۰۶] بعد قوله: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ [الأعراف: ۱۰۶]؟ قلنا: معناه إن كنت جئت بآية من عند اللّه فأتنى بها، أى أحضرها عندى. [۳۲۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ [الأعراف: ۱۰۹] و فى سورة الشعراء: قالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ [الشعراء: ۳۴] فنسب هذا القول إلى فرعون؟ قلنا: قاله هو و قالوه هم، فحكى قوله ثمّ و قولهم هنا. [۳۳۰] فإن قيل: السحرة إنما سجدوا للّه تعالى طوعا، لما تحققوا معجزة موسى عليه السلام؛ فكيف قال تعالى: وَ أُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ [الأعراف: ۱۲۰]؟ قلنا: لما زالت كل شبهة لهم بما عاينوا من آيات اللّه تعالى على يد نبيه اضطرهم ذلك إلى مبادرة السجود، فصاروا من غاية المبادرة كأنهم ألقوا إلى السجود تصديقا للّه و الرسول. [۳۳۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى هنا حكاية عن السحرة الذين آمنوا و عن فرعون: قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ [الأعراف: ۱۲۱] إلى قوله: وَ تَوَفَّنا مُسْلِمِينَ [الأعراف: ۱۲۶] ثم حكى عنهم هذا المعنى فى سورة طه و سورة الشعراء بزيادة و نقصان فى الألفاظ المنسوبة إليهم، و هذه الواقعة ما وقعت إلا مرة واحدة، فكيف اختلفت عبارتهم فيها؟ قلنا: الجواب عنه أنهم إنما تكلموا بذلك بلغتهم لا بلغة العربية، و حكى اللّه ذلك عنهم باللغة العربية مرارا لحكمة اقتضت التكرار و الإعادة نبينها فى سورة الشعراء إن شاء اللّه تعالى، فمرة حكاه مطابقا للفظهم فى الترجمة رعاية للّفظ، و بعد ذلك أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۶ حكاه بالمعنى جريا على عادة العرب فى التفنن فى الكلام و المخالفة بين أساليبه، لئلا يمل إذا تمحض تكراره. [۳۳۲] فإن قيل: كيف قالوا: مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها [الأعراف: ۱۳۲] سموها آية، ثم قالوا لتسحرنا بها؟ قلنا: ما سموها آية لاعتقاد أنها آية؛ بل حكاية لتسمية موسى عليه السلام على طريق الاستهزاء و السخرية. [۳۳۳] فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: وَ دَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ [الأعراف: ۱۳۷] أى أهلكنا، و قوله تعالى: فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ كُنُوزٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ كَذلِكَ وَ أَوْرَثْناها بَنِي إِسْرائِيلَ [الشعراء: ۵۷- ۵۹]؟ قلنا: معنى و دمرنا: أى أبطلنا ما كان يصنع فرعون و قومه من المكر و المكيدة فى حقّ موسى عليه السلام: وَ ما كانُوا يَعْرِشُونَ [الأعراف: ۱۳۷] أى يبنون من الصرح الذى أمر فرعون هامان ببنائه ليصعد بواسطته إلى السماء. و قيل: هو على ظاهره؛ لأن اللّه تعالى أورث ذلك بنى إسرائيل مدة ثم دمره جميعه. [۳۳۴] فإن قيل: قوله تعالى: وَ إِذْ نَجَّيْناكُمْ

مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُذَبِّحُونَ أَبْناءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [البقرة: ۴۹] قوله تعالى: وَ فِي ذلِكُمْ إن كان إشارة إلى الإنجاء فليس فيه بلاء؛ بل هو محض نعمة، و إن كان إشارة إلى القتل و الأسر فإضافته إلى آل فرعون بقوله تعالى: وَ فِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ [البقرة: ۴۹] أشد مناسبة لسياق الآية و هو الامتنان، و لهذا قال: يقتلون و يستحيون، فأضاف إليهم الفعلين. قلنا: البلاء مشترك بين النعمة و المحنة؛ لأنه من الابتلاء و هو الاختبار، يقال بلاه و ابتلاه، أي اختبره؛ و اللّه تعالى يختبر شكر عباده بالنعمة و يختبر صبرهم بالمحنة، يؤيده قوله تعالى: وَ بَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَ السَّيِّئاتِ [الأعراف: ۱۶۸] و قوله تعالى: وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً [الأنبياء: ۳۵] فمعنى الآية و فى ذلك الإنجاء نعمة عظيمة من ربكم عليكم. [۳۳۵] فإن قيل: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ [الأعراف: ۱۴۲] المواعدة كانت أمره بالصوم فى هذا العدد، فكيف ذكر الليالى مع أنها ليست محلا للصوم؛ بل يقع فى القلب أن ذكر الأيام أولى؛ لأنها محل الصوم الذى وقعت به المواعدة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۷ قلنا: العرب فى أغلب تواريخها إنما تذكر الليالى، و إن كان مرادها الأيام؛ لأن الليل هو الأصل فى الزمان، و النهار عارض؛ لأنّ الظلمة سابقة فى الوجود على النور. و قيل: إنه كان فى شريعة موسى عليه السلام جواز صوم الليل؟ [۳۳۶] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً [الأعراف: ۱۴۲] و قد علم مجموع الميقات من قوله تعالى: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ؟ قلنا: فيه فوائد: إحداها: التأكيد. الثانية: أن يعلم أن العشر ليال لا ساعات. الثالثة: أن لا يتوهم أن العشر التى وقع بها الإتمام كانت داخلة فى الثلاثين، يعنى كانت عشرين و أتمت بعشر، كما فى قوله تعالى: وَ بارَكَ فِيها وَ قَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ [فصلت: ۱۰] على ما نذكره مشروحا فى حم السجدة. [۳۳۷] «۱» فإن قيل: لم قال موسى عليه الصلاة و السلام: وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ [الأعراف: ۱۴۳] و قد كان قبله كثير من المؤمنين، و هم الأنبياء و من آمن بهم؟ قلنا: معناه و أنا أول المؤمنين بأنك يا اللّه لا ترى بالحاسة الفانية من الجسد الفانى فى دار الفناء. و قيل معناه: و أنا أول المؤمنين من بنى إسرائيل فى زمانى. و قيل: أراد بالأول الأقوى و الأكمل فى الإيمان، يعنى لم يكن طلبى للرؤية لشك عندى فى وجودك أو لضعف فى إيمانى؛ بل لطلب مزيد الكرامة. [۳۳۸] فإن قيل: كيف قال: وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها [الأعراف: ۱۴۵] أى التوراة؛ و هم مأمورون بالعمل بكل ما فى التوراة؟

____

(۱) ([۳۳۷]) قول المصنف فى آخر الوجه الثالث من الجواب، و إن كان أورده بلسان الحكاية، بالقول: «بل لطلب مزيد الكرامة» مناقض للوجه الأول، و فيه من البعد ما لا يخفى، و حسبك أن مقام نبى من أولى العزم العارفين باللّه سبحانه حقّ معرفته، يمنع من أن يلتمس موسى صلوات اللّه و سلامه عليه من اللّه مزيد الكرامة بأمر ممتنع؛ بل المقالة التى أوردها المصنف أشبه بمقالة الحشوية و المشبهة و المجسّمة، لا بمقالة الأنبياء، خاصة اللّه و أهل ولايته و العارفين به، نعوذ باللّه من الضّلالة فى الدين. أما قوله فى ذيل الوجه الأول من الجواب: «فى دار الفناء» فكأنه يلمح إلى جواز رؤية البارى تعالى فى الآخرة، بهذه العين الفانية. و أقل ما فيه: أن الممتنع عقلا، كرؤية البارى تعالى، ممتنع فى كل الظروف و الأحوال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۸ قلنا: معناه بحسنها و كلها حسن. الثانى: أنهم أمروا فيها بالخير و نهوا عن الشر، ففعل الخير أحسن من ترك الشر. الثالث: أن فيها حسنها و أحسن كالاقتصاص و العفو، و الانتصار و الصبر، و الواجب و المندوب و المباح، فأمروا بالأخذ بالعزائم و الفضائل و ما هو أكثر ثوابا. [۳۳۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ [الأعراف: ۱۴۸] و اتخاذهم العجل كان فى زمن موسى عليه السلام بالنقل، و فى سياق الآية ما يدل على ذلك. قلنا: معناه من بعد ذهابه إلى الجبل. و قيل: من بعد الأخذ عليهم أن لا يعبدوا غير اللّه. [۳۴۰] فإن قيل: كيف عبر عن الندم بالسقوط فى اليد فى قوله تعالى: وَ لَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ [الأعراف: ۱۴۹] و أى مناسبة بينهما؟ قلنا: لأنّ من عادة من اشتد ندمه و حسرته على فائت أن يعض يده غما، فتصير يده مسقوطا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها؛ و سقط مسند إلى قوله فى أيديهم، و هو من كنايات العرب كقولهم للنائم: ضرب على أذنه. [۳۴۱] فإن قيل: غَضْبانَ أَسِفاً [الأعراف: ۱۵۰] و هما متقاربان فى المعنى؟ قلنا: لأنّ الآسف الحزين، و قيل: الشديد الغضب، ففيه فائدة جديدة. [۳۴۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِي نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ [الأعراف: ۱۵۴] و لم

يقل و فيها، و إنما يقال نسختها لشيء كتب مرة ثم نقل، فأما أول مكتوب فلا يسمى نسخة، و الألواح لم تكتب من مكتوب آخر؟ قلنا: لمّا ألقى الألواح، قيل إنه انكسر منها لوحان، فنسخ ما فيهما في لوح ذهب و كان فيهما الهدى و الرحمة، و في باقي الألواح تفصيل كل شيء. و قيل: إنما قال: وَ فِي نُسْخَتِها [الأعراف: ۱۵۴]؛ لأن اللّه تعالى لقّن موسى عليه السلام التوراة ثم أمره بكتابتها، فنقلها من صدره إلى الألواح فسماها نسخة. [۳۴۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ [الأعراف: ۱۵۷]، أي مع النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم يعني القرآن، و القرآن إنما أنزل مع جبريل عليه السلام على النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم لا مع النبي صلّى اللّه عليه و سلّم. قلنا: معه، أي مقارنا لزمانه. و قيل: معه، أي عليه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۹۹ و قيل: معه، أي إليه. و يجوز أن يتعلق معه باتبعوا لا ـ بأنزل، معناه: و اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي صلّى اللّه عليه و سلّم و العمل بسنته، أو و اتبعوا القرآن كما اتبعه هو مصاحبين له في اتباعه. [۳۴۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ [الأعراف: ۱۶۲]. و هم إنما بدلوا القول الذي قيل لهم؛ لأنهم قيل لهم: وَ قُولُوا حِطَّةٌ [الأعراف: ۱۶۱]. فقالوا: حنطة؟ قلنا قد سبق هذا السؤال و جوابه في سورة البقرة. [۳۴۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ [الأعراف: ۱۶۶] و انتقالهم من صورة البشر إلى صورة القردة ليس في وسعهم؟ قلنا: قد سبق هذا السؤال و جوابه في سورة البقرة. [۳۴۶] فإن قيل: الحلم من صفات اللّه تعالى فكيف قال: إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ و سرعة العقاب تنافي صفة الحلم؛ لأن الحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة على العصاة؟ قلنا: معناه شديد العقاب. و قيل: معناه سريع العقاب، إذ جاء وقت عقابه، لا يردّه عنه أحد. [۳۴۷] فإن قيل: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة، و منها إقامة الصلاة فكيف قال تعالى: وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ [الأعراف: ۱۷۰]؟ قلنا: إنما خصها بالذكر إظهارا لمزيتها لكونها عماد الدين بالحديث، و ناهية عن الفحشاء و المنكر بالآية. [۳۴۸] فإن قيل: قوله تعالى: فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ [الأعراف: ۱۷۶] تمثيل لحال بلعام، فكيف قال بعده: ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا [الأعراف: ۱۷۷] و المثل لم يضرب إلا لواحد؟ قلنا: المثل في الصورة و إن ضرب لبلعام و لكن أريد به كفار مكة كلهم؛ لأنهم صنعوا مع النبي صلّى اللّه عليه و سلّم و سلّم بسبب ميلهم إلى الدنيا و شهواتها من الكيد و المكر ما يشبه فعل بلعام مع موسى عليه السلام. الثاني: أن ساءَ مَثَلًا الْقَوْمُ راجع إلى قوله تعالى: مَثَلًا الْقَوْمُ [الأعراف: ۱۷۷] لا إلى أول الآية. [۳۴۹] فإن قيل: كيف قال: إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: ۱۸۸] و هو صلّى اللّه عليه و سلّم كان بشيرا و نذيرا للناس كافة، كما قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً [سبأ: ۲۸]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۰ قلنا: المراد بقوله: لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأعراف: ۱۸۸] لقوم كتب عليهم في الأزل أنهم يؤمنون، و إنما خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بالإنذار و البشارة دون غيرهم؛ فكأنه نذير و بشير لهم خاصة، كما قال تعالى: إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها [النازعات: ۴۵]. و يجوز أن يكون متعلق النذير محذوفا تقديره: إن أنا إلا نذير للكافرين و بشير لقوم يؤمنون؛ فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر، كما استغنى بالجملة عن التفصيل في تلك الآية؛ لأن المعنى: و ما أرسلناك إلا كافة للنّاس بشيرا للمؤمنين و نذيرا للكافرين. [۳۵۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى حكاية عن آدم عليه السلام، و حواء، رضي اللّه عنها: جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيما آتاهُما، و قال عزّ و جل: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الأعراف: ۱۹۰] و الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر فضلا عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر؟ قلنا: المراد بقوله: جَعَلا لَهُ أي جعل أولادهما بطريق حذف المضاف. و كذا قوله تعالى: فِيما آتاهُما أي فيما آتى أولادهما، و يؤيد هذا قوله تعالى: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الأعراف: ۱۹۰] حيث ذكر ضمير الجمع و لم يقل يشركان، و معنى إشراك أولادهما فيما آتاهم اللّه تعالى تسميتهم أولادهم بعبد العزى و عبد مناة و عبد شمس و نحو ذلك، مكان عبد اللّه و عبد الرحمن و عبد الرحيم. و قيل: الضمير جعلا للولد الصالح و هو السليم الخلق، و إنما قال جعلا لأن حواء كانت تلد في بطن ذكرا و أنثى. و قيل: المراد بذلك تسميتهما إياه عبد الحارث. و الحارث اسم إبليس في الملائكة، و سبب تلك التسمية يعرف من تفسير الآية، و إنما قال شركاء إقامة للواحد مقام الجمع، و لم يذهب آدم و حواء إلى أن الحارث ربه؛ بل قصد أنه كان سبب نجاته. و قال جمهور المفسرين: قوله تعالى: فَتَعالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الأعراف: ۱۹۰] في مشركي العرب خاصة، و هو منقطع عن قصة آدم و حواء عليهما السلام. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص:

۱۰۱

سورة الأنفال

سورة الأنفال [۳۵۱] فإن قيل: قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [الأنفال: ۲] إلى آخر الآيتين، يدل على أن من لم يتصف بجميع تلك الصفات لا يكون مؤمنا؛ لأن كلمة إنما للحصر. قلنا: فيه إضمار تقديره: إنما المؤمنون إيمانا كاملا، و إنما الكاملون فى الإيمان، كما يقال: الرجل من تصبّر على الشدائد، يعنى الرجل الكامل. [۳۵۲] فإن قيل: قوله تعالى: أُولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأنفال: ۷۴] ينفى إرادة ما ذكرتم. قلنا: معناه أولئك هم المؤمنون إيمانا كاملا حقا. و قيل: إنّ حقا متعلق بما بعده لا بما قبله، و المؤمنون تمام الكلام. [۳۵۳] فإن قيل: كيف يقال: إن الإيمان لا يقبل الزيادة و النقصان، و قد قال تعالى: وَ إذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً [الأنفال: ۲]؟ قلنا: المراد هنا آثار الإيمان من الطمأنينة و اليقين و الخشية و نحو ذلک؛ لأن تظاهر الأدلة على المدلول مما يزيده رسوخا فى العقائد و ثبوتا، فأما حقيقة الإيمان فهو التصديق و الإقرار بوحدانية اللّه تعالى. و كما أن الإلهية الوحدانية لا تقبل الزيادة و النقصان، فكذا الإقرار بها. [۳۵۴] فإن قيل: قوله تعالى: کَما أَخْرَجَکَ رَبُّکَ مِنْ بَيْتِکَ بِالْحَقِّ [الأنفال: ۵] تشبيه، فأين المشبه و المشبه به؟ قلنا: معناه أمض على ما رأيته صوابا من تنفيل الغزاة فى قسمة الغنائم و إن كرهوا، كما مضيت فى خروجك من بيتك للحرب بالحق و هم كارهون. و قيل معناه: فاتقوا اللّه و أصلحوا ذات بينكم فهو خير لكم و إن كرهتم، كما كان إخراجك من بيتك بالحق. [۳۵۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْباطِلَ [الأنفال: ۸] و كلاهما متعذر، لأنه تحصيل الحاصل؟ قلنا: المراد بالحق الإيمان، و الباطل الشرک، فاندفع السؤال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۲ [۳۵۶] فإن قيل: ما فائدة التكرار فى قوله تعالى: وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِکَلِماتِهِ وَ يَقْطَعَ دابِرَ الْکافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ [الأنفال: ۷، ۸]؟ قلنا: إنما ذكر أولا لبيان أن إرادتهم كانت متعلقة باختيار الطائفة التى كانت فيها الغنيمة، و إرادة اللّه تعالى باختيار الطائفة التى فى قهرها نصرة الدين. فذكره أولا للتمييز بين الإرادتين، ثم ذكره ثانيا لبيان الحكمة فى قطع دابر الكافرين. [۳۵۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمى [الأنفال: ۱۷] و معلوم أن المؤمنين يوم بدر قتلوا الكفار و رماهم النبى عليه الصلاة و السلام بكف من حصا الوادى فى وجوههم و قال: شاهت الوجوه، فلم يبق مشرك إلا وقع فى عينيه شىء من ذلك، فشغلوا بعيونهم و انهزموا، فتبعهم المؤمنون يقتلون و يأسرون؟ قلنا: لما كان السبب الأقوى فى قتلهم إنما هو مدد الملائكة و إلقاء الرعب فى قلوب الكافرين و تثبيت قلوب المؤمنين و أقدامهم، و ذلك كله فعل اللّه تعالى، نفى الفعل عنهم و نسبه إليه، يعنى إن كان ذلك فى الصورة منكم فهو فى الحقيقة منى، فسبيلكم الشكر دون العجب و الفخر، و كذلك الرمية أثبتها لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؛ لأن صورتها وجدت منه، و نفاها عنه؛ لأن أثرها الذى لا يوجد مثله عن رمى البشر فعل اللّه تعالى، و نظير هذا قولك لمن يصدر عنه قول حسن أو فعل مكروه بتسليط من هو أعلى رتبة منه: هذا ليس قولك و لا فعلك. و قيل: معنى قوله تعالى: وَ ما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ [الأنفال: ۱۷] و ما رميت الرعب فى قلوبهم إذ رميت الحصا فى وجوههم و لكن اللّه رمى الرعب فى قلوبهم. و لأهل الحقيقة فى هذه الآية و فى نظائرها من الكتاب و السنة مباحث لا يحتملها هذا المختصر، و هى مستقصاة فى كتب التصوف. [۳۵۸] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ [الأنفال: ۲۰] ثنّى فى الأمر ثم أفرد فى النهى؟ قلنا: كما يذكر فى لغة العرب الاسم المفرد و يراد به الاثنان و الجمع، فكذلك يذكر ضمير المفرد و يراد به ضمير الاثنين كقولهم: إنعام فلان و معروفه يغشينى، و الإنعام و المعروف لا ينفع مع فلان، و عليه جاء قوله تعالى: وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ [التوبة: ۶۲]، أى يرضوهما، فكذا هنا، معناه: و لا تولوا عنهما.

(______________________________ ۱) ([۳۵۸])- الحديث أخرجه

أحمد: ۴/ ۲۵۶، بنحو اللفظ الذى أورده الرّازى هنا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۳ الثانى: أنه إنّما أفرد باعتبار عود الضمير إلى اللّه وحده لأنه الأصل، مع أن طاعة اللّه و طاعة رسوله متلازمان، قال اللّه تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ [النساء: ۸۰]، و قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ [الفتح: ۱۰] فكان الإعراض عن الرسول إعراضا عن اللّه تعالى فاكتفى بذكره. الثالث: أن معناه: و لا تولوا عن هذا الأمر و عن أمثاله، فالضـمير للأمر لا للرسول عليه الصلاة و السلام. الرابع: أنّه إنما لم يقل و لا تولوا عنهما لئلّا يلزم منه الإخلال بالأدب من النبى عليه الصـلاة و السـلام عنـد نهيه للكفار فى قرانه بين اسـمه و اسم اللّه تعالى فى ذكرهما بلفظ واحد من غير تقـديم اسم اللّه، كما روى: أن خطيبا خطب فقال: من أطاع اللّه و رسوله فقد رشـد، و من عصاهما فقد غوى، فقال له النبى صـلّى اللّه عليه و سلّم: «بئس خطيب القوم أنت! هلّا قلت: و من عصى اللّه و رسوله فقد غوى»؟ [۳۵۹] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ [الأنفال: ۲۳] الآيـة؟ قلنا: معناه و لو علم اللّه فيهم تصـديقا و إيمانا فى المسـتقبل لأسـمعهم سـماع فهم و قبول، أو لأنطق لهم الموتى يشهدون بصدق نبوتك كما طلبوا. و قيل: معنى لأسمعهم: لرزقهم الفهم و البصيرة، و أسمعهم و حالهم هذه الحال، و هو أنه لم يعلم فيهم الخير، لتولوا و هم معرضون، لعنـادهم و جحودهم الحق بعـد ظهوره. [۳۶۰] فإن قيل: التولى و الإعراض واحد، فما فائـدة قوله: لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ [الأنفال: ۳۲]. قلنـا: معناه لتولوا عن الإيمان و أعرضوا عن البرهان فلا تكرار. [۳۶۱] فإن قيل: فما فائـدة ذكر السـماء فى قوله تعالى: فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ [الأنفال: ۳۲] و المطر إنما يكون من السـماء؟ قلنا: المطر المطلق. إنما يكـون من السـماء، و لكن المطر المضـاف هنـا و هو مطر الحجـارة قـد يكون من رءوس الجبـال و من حيطـان المسـاكن و القصور و سقوفهـا، فكـان ذكر السـماء مفيـدا لأن الحجـارة إذا نزلت من المساء كانت أشـد نكايـة و أكثر ضـررا. الثانى: أنه لما كانت الحجارة المسومـة للعـذاب و هى السـجيل معهودة النزول من السـماء ذكر السـماء إشـارة إلى إرادة المعهود من الحجارة، كأنه قال: فأمطر علينا حجارة من سجيل، فوضع قوله من السماء موضع قوله من سجيل كما تقول: صب عليه مسرودة من حديث، يعنى درعا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۴ [۳۶۲] فـإن قيـل: كيف قـال تعـالى: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال: ۳۳] و يوم بـدر عذبهم اللّه تعالى بالقتل و الأسـر و هو فيهم؟ قلنا: معناه و أنت مقيم فيهم بمكة، و كان كذلك؛ لأن النبى عليه الصـلاة و السـلام ما دام بمكة لم يعذبوا، فلما أخرجوه من مكـة و خرجوا لحربه عذبوا. و قيل معناه: و ما كان اللّه ليعذبهم عذاب الاستئصال و أنت فيهم. و قيل معناه: و ما كان اللّه ليعـذبهم العذاب الذى طلبوه و هو إمطار الحجارة و أنت فيهم. [۳۶۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى أولا: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [الأنفـال: ۳۳] الآيـة، ثم قـال: وَ مـا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ [الأنفال: ۳۴] الآيـة، و هو يوهـم التنـاقض؟ قلنـا: معنـاه و ما لهم أن لا يعذبهم اللّه بعد خروجك من بينهم و خروج المؤمنين و المستغفرين. و قيل: المراد بالعذاب الأول عذاب الاستئصال، و بالثانى عذاب غير الاستئصال. و قيل: المراد بالأول عذاب الدنيا، و بالثانى عذاب الآخرة. [۳۶۴] «۱» فإن قيل: وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَ تَصْدِيَةً [الأنفال: ۳۵] و المكاء الصـفير، و التصدية التّصـفيق، و هما ليسا بصـلاة؟ قلنا: معناه أنهم أقاموا المكاء و التّصدية مقام الصلاة، كمـا يقول القائـل: زرت فلانـا، فجعـل الجفـاء صـلتى، أى أقـام الجفاء مقام صـلتى، و منه قول الفرزدق: أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجـة سـمرا أراد بالأداهم القيود، و بالمحدرجة السـياط، و وضـعهما موضع العطاء. [۳۶۵] فـإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ يَعُودُوا [الأنفال: ۳۸] و هم لم ينتهوا عن الكفر، فكيف قال: وَ إِنْ يَعُودُوا؛ و العود إلى الشىء إنما يكون بعد تركه و الإقلاع عنه؟

(۱) ([۳۶۴]) المكاء: يقال: مكا الطير يمكو مكاء، أى صفر. فالمكاء الصفير. - التصدية قال الرّاغب: التصدية كل صوت يجرى مجرى الصدى فى أن لا غناء فيه، (أى باطلا و لاـ جـدوى من ورائه). و فسـرت التصديـة بالتصـفيق. - يروى البيت و هو فى ديوان الفرزدق ۱/ ۲۲۷: فلمّا خشـيت أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سـمرا و زياد هو ابن أبيه و قد كان توعد الفرزدق، ثم تظاهر بالرضا عنه، و لوّح له بأن يصـله إذا هو أتاه؛ فلم يطمئن له الشاعر. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۵ قلنا: معناه إن ينتهوا عن عـداوة رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم و محاربته يغفر لهم ما قـد سـلف من ذلك، و إن يعودوا إلى قتاله و عـداوته فقـد مضت سـنة الأولين منهم الـذين حاق بهم مكرهم يوم بـدر، أو فقد مضت سـنة الذين تحزّبوا على أنبيائهم من الأمم الماضيـة. و قيل معناه: إن ينتهوا عن الكفر بالإيمان يغفر لهم ما قد سـلف من الكفر و

المعاصی، کما قال النبی، علیه الصلاهٔ و السلام: «الإسلام یجبّ ما کان قبله». و إن یعودوا إلی الکفر بالارتداد بعد ما أسلموا فقد مضت سنهٔ الأولین من الأمم من أخذهم بعذاب الاستئصال. [۳۶۶] فإن قیل: الفائدهٔ فی تقلیل الکفار فی أعین المؤمنین ظاهرهٔ، و هی زوال الرعب من قلوب المؤمنین و تثبیت أقدامهم و زیادهٔ اجترائهم علی القتال، فما فائدهٔ تقلیل المؤمنین فی أعین الکفار حتی قال اللّه تعالی: وَ یُقَلِّلُکُمْ فِی أَعْیُنِهِمْ [الأنفال: ۴۴] مع أن فی ذلک زوال الرعب من قلوب الکافرین و تثبیت أقدامهم و اجترائهم علی القتال؟ قلنا: فائدته أن لا یستعد الکفار کل الاستعداد، فیجترئوا علی المؤمنین معتمدین علی قلتهم، ثم تفجئهم الکثرهٔ فیدهشوا و یتحیروا، و أن یکون ذلک سببا یتنبه به المشرکون علی نصرهٔ الحق إذا رأوا المؤمنین مع قلتهم فی أعینهم منصورین علیهم. و فی التقلیل من الطرفین معارضهٔ تعرف بالتأمل. [۳۶۷] فإن قیل: قوله تعالی: وَ لا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِیحُکُمْ [الأنفال: ۴۶] یدل علی حرمهٔ المنازعهٔ و الجدال أیضا؛ لأنه منازعهٔ، فکیف تجوز المناظرهٔ و هی منازعهٔ و جدال؟ قلنا: المراد بالمنازعهٔ هنا، المنازعهٔ فی أمر الحرب و الاختلاف فیه، لا المنازعهٔ فی إظهار الحق بالحجّهٔ و البرهان. و الدلیل علیه أن ذلک مأمور به. قال اللّه تعالی: وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ [النحل: ۱۲۵]؛ و لکن للجواز شروط یندر وجودها فی زمننا هذا، أحدها أن یکون کل المقصود منها ظهور الحق علی لسان أیّ الخصمین، کما کانت مناظرهٔ السلف؛ و علامهٔ ذلک أن لا یفرح بظهور الحق علی لسانه أکثر مما یفرح بظهوره علی لسان خصمه. [۳۶۸] فإن قیل: کیف قال إبلیس إِنِّی أَخافُ اللَّهَ [الأنفال: ۴۸] و هو لا یخاف اللّه، لأنه لو خافه لما خالفه ثم أضل عبیده؟ قلنا: قال قتادهٔ: صدق عدوّ اللّه فی قوله: إِنِّی أَری ما لا تَرَوْنَ [الأنفال: ۴۸] یعنی جبریل و الملائکهٔ علیهم السلام معه نازلین من السماء لنصرهٔ المسلمین یوم بدر، و کذب فی قوله: إِنِّی أَخافُ اللَّهَ [الأنفال: ۴۸]. و اللّه ما به مخافهٔ اللّه، و لکن علم أنه لا قوهٔ له بهم. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۶ و قیل: لما رأی نزول الملائکهٔ علی صورهٔ لم یرها قط خاف قیام الساعهٔ التی هی غایهٔ إنظاره، فیحل به العذاب الموعود. و قیل: معنی أخاف اللّه: أعلم صدق وعده لنبیه بالنصر، و قد جاء الخوف بمعنی العلم، و منه قوله تعالی: إِلَّا أَنْ یَخافا أَلَّا یُقِیما حُدُودَ اللَّهِ [البقرهٔ: ۲۲۹]. و یحتمل عندی أن یکون خاف أن یحل به من الملائکهٔ ما دون الإهلاک من الأذی إذ لم یخف الإهلاک. ثم، أقول: کیف تؤخذ علیه کذبهٔ واحدهٔ، و هو أفسق الفسقهٔ، و أکفر الکفرهٔ؛ فلا عجب فی کذبه و إنما العجب فی صدقه! [۳۶۹] فإن قیل: أی مناسبهٔ بین الشرط و الجزاء فی قوله تعالی: وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ حَکِیمٌ [الأنفال: ۴۹]. قلنا: لما أقدم المؤمنون و هم ثلاث مائهٔ و بضعهٔ عشر علی قتال المشرکین و هم زهاء ألف متوکلین علی اللّه، و قال المنافقون: غرّ هؤلاء دینهم حتی أقدموا علی ثلاثهٔ أمثالهم عددا أو أکثر. قال اللّه تعالی ردّا علی المنافقین و تثبیتا للمؤمنین وَ مَنْ یَتَوَکَّلْ عَلَی اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ [الأنفال: ۴۹]، أی غالب یسلط القلیل الضعیف علی الکثیر القوی و ینصره علیه، حکیم فی جمع أفعاله. [۳۷۰] فإن قیل: کیف قال وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ [الأنفال: ۵۱] و لم یقل لیس بظالم، و هو أبلغ فی نفی الظلم عن ذاته المقدسهٔ؟ قلنا: قد سبق هذا السؤال و جوابه فی سورهٔ آل عمران. [۳۷۱] فإن قیل: قوله عزّ و جلّ: ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ یَکُ مُغَیِّراً نِعْمَهً أَنْعَمَها عَلی قَوْمٍ حَتَّی یُغَیِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ [الأنفال: ۵۳] و ذلک إشارهٔ إلی إهلاک کفار مکهٔ و آل فرعون و لم تکن لهم حال مرضیهٔ غیروها؟ قلنا: کما تغیر الحال المرضیهٔ إلی المسخوطهٔ تغیر الحال المسخوطهٔ إلی أسخط منها و أسوأ، و أولئک کانوا قبل بعث الرسول إلیهم عباد أصنام، فلما بعث الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم إلیهم بالآیات البینات فکذبوه و عادوه و سعوا فی قتله غیروا حالهم إلی أسوأ منها، فغیر اللّه تعالی ما أنعم به علیهم من الإمهال و عاجلهم بالعذاب. [۳۷۲] فإن قیل: ما فائدهٔ قوله تعالی: فَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ [الأنفال: ۵۵] بعد قوله: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِینَ کَفَرُوا [الأنفال: ۵۵]؟ قلنا: مراده أن یبین أن شر الکفار الذین کفروا و استمروا علی الکفر إلی وقت الموت. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۷ [۳۷۳] فإن قیل: ما فائدهٔ تکرار المعنی الواحد فی مقاومهٔ الجماعهٔ لأکثر منها قبل التخفیف و بعده فی قوله تعالی: إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ [الأنفال: ۶۵] إلی قوله: وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِینَ [الأنفال: ۶۶]؟ قلنا: فائدته الدلالهٔ علی أن الحال مع القلهٔ و الکثرهٔ واحدهٔ لا تتفاوت؛ بل کما ینصر اللّه تعالی العشرین علی المائتین ینصر المائهٔ علی الألف، و کما ینصر المائهٔ علی المائتین ینصر الألف علی الألفین. [۳۷۴] فإن قیل: کیف أخبر اللّه تعالی عن هذه الغلبهٔ و نحن نشاهد الأمر بخلافها، فإن المائهٔ من الکفار قد تغلب

المائة من المسلمين؛ بل المائتين في بعض الأحوال؟ قلنا: إنما أخبر اللّه عز و جل عن هذه الغلبة بشرط الصبر الذي هو الثبات في موقف الحرب، أو الذي هو الموافقة بين المسلمين ظاهرا و باطنا؛ فمتى وجد الشرط تحققت الغلبة للمسلمين مع قلتهم لا محالة. و لقائل أن يقول إن هذه الغلبة مخصوصة بطائفة كان النبي صلّى اللّه عليه و سلّم أحدهم، و سياق الآية يدل عليه. [۳۷۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى وَ اللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ [الأنفال: ۶۷] مع أنه يريد الدّنيا أيضا؛ لأنه لو لا إرادته إياها لما وجدت، فما فائدة هذا التخصيص؟ قلنا: المراد بالإرادة هنا الاختيار و المحبة، لا إرادة الوجود و الكون، فالمعنى أ تحبون عرض الحياة الدنيا و تختارونه، و اللّه يختار ما هو سبب الجنة و هو إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۸

سورة التوبة

سورة التوبة [۳۷۶] فإن قيل: لأي سبب تركت كتابة البسملة في أول هذه السورة بخلاف سائر السور؟ قلنا: لما تشابهت هي و الأنفال و اختلفت الصحابة في كونهما سورتين أو سورة واحدة تركت بينهما فرجة عملا بقول من قال هما سورتان، و تركت البسملة بينهما عملا بقول من قال هما سورة واحدة، و ممن قال بذلك قتادة رحمه اللّه. الثاني: أن اسم اللّه تعالى سلام و أمان، و براءة فيها قتل المشركين و محاربتهم فلا يناسب كتابتها. [۳۷۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ [التوبة: ۱۲] خص الأمر بالقتال بأئمة الكفر، مع أن النكث و الطعن ليس مخصوصا بهم؛ بل هو مسند إلى جميع المشركين؟ قلنا: المراد بأئمة الكفر رءوس المشركين و قادتهم. و قيل: كفار مكة؛ لأنهم كانوا قدوة جميع العرب في الكفر، فكأن النكث و الطعن لم يوجد إلا منهم لما كانوا هم الأصل فيه، فلذلك خصهم بالذكر. [۳۷۸] فإن قيل: كيف قال: وَ قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ [التوبة: ۳۰] و نحن نسأل اليهود و النصارى عن ذلك فينكرونه و يجحدونه؟ قلنا: طائفة من اليهود و طائفة من النصارى هم الذين يقولون ذلك لا كلّهم، فالألف و اللام للعهد لا للجنس و لا للاستغراق، أو أطلق اسم الكل و أراد البعض، كما قال تعالى: وَ إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ [آل عمران: ۴۲] و إنما قال لها جبريل وحده. [۳۷۹] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ [التوبة: ۳۰] و قول كل أحد إنما يكون بفمه. قلنا: معناه أنه قول لا تعضده حجة و برهان، إنما هو مجرد لفظ لا أصل له. و قيل: ذكر ذلك للمبالغة في الرد عليهم و الإنكار لقولهم، كما يقول الرجل لغيره: أنت قلت لي ذلك بلسانك. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۰۹ [۳۸۰] فإن قيل: دين الحق هو جملة الهدى فما فائدة عطفه على الهدى في قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَ دِينِ الْحَقِّ [التوبة: ۳۳]؟ قلنا: المراد بالهدى هنا القرآن، و بدين الحق الإسلام و هما متغايران. الثاني: أنه و إن كان داخلا في جملة الهدى و لكنه خصه بالذكر تشريفا له و تفضيلا كما في قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: ۲۳۸] و قوله تعالى: وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [البقرة: ۹۸]. [۳۸۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ [التوبة: ۳۳] و لم يقل على الأديان كلها؛ مع أنه أظهره على الأديان كلها؟ قلنا: المراد بالدين هنا اسم الجنس، و اسم الجنس المعرف باللام يفيد معنى الجمع، كما في قولهم: كثر الدرهم و الدينار في أيدي الناس. [۳۸۲] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة: ۳۴] و المذكور الذهب و الفضة، فأعاد الضمير على أحدهما؟ قلنا: أعاد الضمير على الفضة؛ لأنها أقرب المذكورين، أو لأنها أكثر وجودا في أيدي الناس، فيكون كنزها أكثر، و نظيره قوله تعالى: وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ [البقرة: ۵۴]. الثاني: أنه أعاد الضمير على المعنى؛ لأن المكنوز دنانير و دراهم و أموال، و نظيره قوله تعالى: وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا [الحجرات: ۴۹] لأن كل طائفة مشتملة على عدد كثير، و كذا قوله تعالى: هذانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ [الحج: ۱۹] يعني المؤمنين و الكافرين. الثالث: أن العرب إذا ذكرت شيئين يشتركان في المعنى تكتفي بإعادة الضمير على أحدهما، استغناء بذكره عن ذكر الآخر؛ لمعرفة السامع باشتراكهما في المعنى. و منه قول حسان بن ثابت: إنّ شرخ الشّباب و الشّعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا و لم يقل ما لم يعاصيا. و قول الآخر: فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنّي و قيّار بها لغريب

(____۱) ([۳۸۲]) البيت فى ديوان حسّان:

۲۳۶. و قوله: ما لم يعاص، أى لم يقهر و يغلب و يرد جماح نزق الشباب و فورة الفتوة. كأنه من قولهم: أعوص بالخصم عياصا و عوصا، أى لوى عليه أمره. - أما البيت الثانى فهو لضابئ البرجمى و قد تقدم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۰ و لم يقل لغريبان، و منه قوله تعالى: وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ [التوبة: ۶۲] و قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لا تَوَلَّوْا عَنْهُ [الأنفال: ۲۰] و ليس قوله تعالى: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها [الجمعة: ۲۶] و قوله تعالى: وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً [النساء: ۱۱۲] من هذا القبيل؛ لأن الإضمار ثم عن أحدهما لوجود لفظة أو، و هى لإثبات أحد المذكورين، فمن جعله نظير هذا فقد سها؛ إلا أن يثبت أن أو فى هاتين الآيتين بمعنى الواو. و فى هاتين الآيتين لطيفة و هى أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده فى الآية الأولى على التجارة، و إن كانت أبعد، و مؤنثة أيضا؛ لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة اللّه تعالى من اللهو؛ لأن المشتغلين بها أكثر من المشتغلين باللهو، أو لأنها أكثر نفعا من اللهو، أو لأنها كانت أصلا و اللهو تبعا؛ لأنه ضرب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير الآية، و أعاده فى الآية الثانية على الإثم رعاية لمرتبة القرب و التذكير. [۳۸۳] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً [التوبة: ۳۶] و هى عند الناس أيضا كذلك فى كل ملة سواء كانت الشهور قمرية أو شمسية؟ قلنا: فائدته أن يعلم أن هذا التقسيم و العدد ليس مما أحدثه الناس و ابتدعوه بعقولهم من ذات أنفسهم؛ و إنما هو أمر أنزله اللّه فى كتبه على ألسنة رسله. [۳۸۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ [التوبة: ۳۶] خص الأربعة الحرم بذلك و ظلم النفس منهى عنه فى كل زمان؟ قلنا: قال ابن عباس، رضى اللّه عنهما، الضّمير فى قوله تعالى: فِيهِنَّ راجع إلى قوله: اثْنا عَشَرَ شَهْراً لا الأربعة الحرم فقط، فاندفع السؤال. الثانى: أن الضمير راجع إلى الأربعة الحرم فقط، إما لأنها أقرب، أو لما قاله الفراء: إن العرب تقول فى العشرة و ما دونها لثلاث ليال خلون و أيام خلون و هن و هؤلاء، فإذا جاوزت العشرة قالت خلت و مضت، للفرق بين القليل و هو العشرة فما دونها، و بين الكثير و هو ما زاد عليها، و لهذا قال فى الاثنى عشر: منها، و قال فى الأربعة: فيهن. فعلى هذا يكون تخصيصها بالذكر إما لمزيد فضلها و حرمتها عندهم فى الجاهلية فيكون ظلم النفس فيها أقبح، و نظيره قوله تعالى: فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ [البقرة: ۱۹۷] و إن كان ذلك منهيا عنه فى غير الحج أيضا، أو لأن المراد بالظلم النسىء، و هو كان مخصوصا بها، أو قتال الكفار فيها ابتداء، أو ترك قتالهم إذا ابتدءوا و كل ذلك مخصوص بها؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۱ [۳۸۵] فإن قيل: الشهر مذكر فقياسه فيها؟ قلنا: الضمير بالهاء و النون لا يختص بالمؤنث، و لو اختص فالمراد بقوله فِيهِنَّ ساعات الأشهر و هى مؤنثة. [۳۸۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ و الإنسان لا يظلم نفسه؛ بل يظلم غيره؟ قلنا: لا نسلم أنه لا يظلم نفسه قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ [النساء: ۱۱۰] و قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: ۱]. الثانى: أن معناه فلا يظلم بعضكم بعضا كما قال تعالى: وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ [البقرة: ۸۴] و قال تعالى: فَتُوبُوا إِلى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ [البقرة: ۵۴] و قال تعالى: وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ [الحجرات: ۱۱]. الثالث: أن معناه فلا تنقصوا حظ أنفسكم من الآخرة بالمعصية، فإن من عصى فقد ظلم نفسه بنقصه ثوابها و توجيه العقاب و الذم إليها، و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ [الطلاق: ۱]. الرابع: أن كل ظالم لغيره فهو ظالم لنفسه فى الحقيقة؛ لأن ضرر ظلمه فى حق المظلوم ينقطع عن قريب؛ لأنه لا يتعدى الدنيا، و ضرر ظلمه فى حقّ نفسه يراه فى الآخرة حيث لا ينقطع، أو يكون أشد و أدوم. [۳۸۷] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ [التوبة: ۳۷] يدل على قبول الكفر للزيادة و النقصان، فكذلك الإيمان الذى هو ضده، فيكون حجة للشافعى رحمة اللّه عليه فى قوله: الإيمان يقبل الزيادة و النقصان. قلنا: معناه زيادة معصية فى الكفر. [۳۸۸] فإن قيل: قوله تعالى: لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة: ۴۴] إن كان نهيا فأين الجزم؟ و إن كان نفيا فقد وقع المنفى؛ لأن كثيرا من المؤمنين المخلصين استأذنوه فى التخلف عن الجهاد لعذر، و يعضده قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذا كانُوا مَعَهُ عَلى أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ [النور: ۶۲] فقيل إن المراد به كل أمر طاعة اجتمعوا عليه كالجهاد و الجمعة و العيد و

نحوها (____؟ ۱) ([۳۸۷]) الشافعی: هو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع الهاشمی القرشی المطلبی، أبو عبد اللّه، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، و إليه ينسب المذهب الشافعی. ولد سنة ۱۵۰ ه و توفی سنة ۲۰۴ ه. من مؤلفاته: الأم، المسند، أحكام القرآن، السنن، الرّسالة، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۲ قلنا: هو نهی بصيغة النفی كقوله تعالی: فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِی الْحَجِّ [البقرة: ۱۹۷]. الثانی: قال ابن عباس، رضی اللّه عنهما، هی منسوخة بقوله تعالی: لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّی يَسْتَأْذِنُوهُ. الثالث: أن المراد بقوله: يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ الآية، الاستئذان فی التخلف عن الجهاد من غير عذر، و كذا المراد بالآية التی بعدها، و بقوله: لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّی يَسْتَأْذِنُوهُ إباحة الاستئذان فی التخلف عن الأمر الجامع لعذر فلا نسخ لإمكان العمل بالآيتين؛ لأنّ محل الحكم مختلف، و هو وجود العذر و عدمه. [۳۸۹] فإن قيل: كيف قال تعالی: وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ [التوبة: ۴۶] أخبر أنهم أمروا بالقعود، و ذمهم علی القعود و التخلف عن الخروج للجهاد و الاستئذان فی القعود؟ قلنا: ليس فی الآية ما يدل علی أن اللّه تعالی هو الآمر لهم، فقيل: الآمر لهم بذلك هو الشيطان بالوسوسة و التزيين. الثانی: أن بعضهم أمر بعضا. الثالث: أن النبیّ صلّی اللّه عليه و سلّم قال لهم ذلك غضبا عليهم. الرابع: أنه أمر توبيخ و تهديد من اللّه تعالی لهم كقوله تعالی: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ [فصلت: ۴۰] يعضده قوله تعالی: مَعَ الْقاعِدِينَ أی مع النساء و الصبيان و الزمنی الذين شأنهم القعود و الجثوم فی البيوت. [۳۹۰] فإن قيل: إذا كان اللّه تعالی علم أن المنافقين لو خرجوا مع المؤمنين للجهاد ما زادوهم إلا خبالا: أی فسادا، و لأوضعوا خلالهم، أی و لأسرعوا السعی بينهم بالنمائم، فكيف أمرهم بالخروج مع المؤمنين؟ قلنا: أمرهم بالخروج لإلزامهم الحجة و لإظهار نفاقهم. [۳۹۱] فإن قيل: قوله تعالی: قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فاسِقِينَ [التوبة: ۵۳] يدل علی أن الفسق يمنع قبول الطاعات؟ قلنا: المراد بالفسق هنا الفسق بالكفر و النفاق لا مطلق الفسق، و ذلك محبط للطاعات و مانع من قبولها؛ و يعضده قوله عزّ و جلّ: وَ ما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ [التوبة: ۵۴] الآية. [۳۹۲] فإن قيل: لم عدل فی آية الصدقات عن اللام إلی «فی» فی المصارف الأربعة الأخيرة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۳ قلنا: للتنبيه علی أنهم أقوی فی استحقاق الصدقة ممن سبق ذكره؛ لأن «فی» للظرفية و الوعاء، فنبه بها علی أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات و يجعلوا مصبا لها، لما ورد فی فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر و فی فك الغارمين عن الدين من التخليص و الإنقاذ، و لجمع الغازی الفقير أو المنقطع فی الحج بين الفقر و مثل هذه العبادة الشاقة، و كذلك ابن السبيل جامع بين الفقر و الغربة عن الأهل و المال، و لا يرد المؤلفة قلوبهم؛ لأن بعضهم كفار و بعضهم مسلمون ضعيفو النية فی الإسلام، فكيف يعارض بهم من ذكرنا، أو لأن اللّه تعالی علم أن وجوب إعطائهم سينسخ، فلذلك جعلهم فی القسم المقدم الذی هو أضعف. [۳۹۳] فإن قيل: لم كرر «فی» فی الأربعة الأخيرة و لم يكرر اللام فی الأربعة الأولی؟ قلنا: للتنبيه علی ترجيح استحقاق المصرفين الأخيرين علی الرقاب و الغارمين من جهة أن إعادة العامل تدل علی مزيد قوة تأكيد كقولك مررت بزيد و بعمرو. [۳۹۴] فإن قيل: لم عدّی فعل الإيمان إلی اللّه تعالی بالباء و إلی المؤمنين باللام فی قوله تعالی: يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ [التوبة: ۶۱]؟ قلنا: لأنه قصد التصديق باللّه الذی هو ضد الكفر به، فعدّاه بالباء، كما يعدّی ضده بها، و قصد التسليم و الانقياد للمؤمنين فيما يخبرون به لكونهم صادقين عنده، فعداه بما يعدّی به التسليم و الانقياد، و يعضده قوله تعالی: وَ ما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَ لَوْ كُنَّا صادِقِينَ [يوسف: ۱۷] و قوله تعالی: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ [البقرة: ۷۵] و قوله تعالی: فَما آمَنَ لِمُوسی إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ [يونس: ۸۳] و قوله تعالی: أَ نُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ [الشعراء: ۱۱۱] و أما قوله تعالی: قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [طه: ۷۱] فمشترك الدلالة؛ لأنه قال فی موضع آخر قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ [الأعراف: ۱۲۳]. و قال ابن قتيبة، فی الجواب عن أصل السؤال: إن الباء و اللّام زائدتان، و المراد بالإيمان التصديق، فمعناه يصدّق اللّه و يصدّق المؤمنين. [۳۹۵] فإن قيل: قوله تعالی: أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها [التوبة: ۶۳] يدل علی تخليد أصحاب الكبائر فی النار؛ لأن المراد بالمحادة المخالفة و المعاداة؟ قلنا: قوله تعالی: أَ لَمْ يَعْلَمُوا خبر عن المنافقين الذين سبق ذكرهم، فيكون المراد به المحادة بالكفر و النفاق، و ذلك موجب للتخليد فی النار. [۳۹۶] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالی: يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ

تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ [التوبة: ۶۴]، و سور القرآن إنما تنزل على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لا على المنافقين؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۴ قلنا: معناه أن تنزل فيهم، فعلى هنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى: عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ [البقرة: ۱۰۲] و قولهم كان ذلك على عهد فلان. الثانى: أن الإنزال هنا بمعنى القراءة؛ فمعناه أن تقرأ عليهم. [۳۹۷] فإن قيل: الحذر فى هذه الآية واقع منهم على إنزال السورة، فكيف قال تعالى: قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ [التوبة: ۶۴]؟ قلنا: قوله تعالى: مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ أى مظهر ما تحذرون ظهوره من نفاقكم بإنزال السورة، و هو مناسب لقوله تعالى: تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ [التوبة: ۶۴]. الثانى: أن معناه مظهر و مبرز ما تحذرون من إنزال السورة. [۳۹۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ و إنباؤهم بما فى قلوبهم تحصيل الحاصل؛ لأنّهم عالمون به فما فائدته؟ قلنا: معناه تنبئهم بأن أسرارهم و ما كتموه من النفاق شائعة ذائعة؛ و تفضحهم بظهور ما اعتقدوا أنه لا يعرفه غيرهم و لا يطلع عليه سواهم، و هذا ليس تحصيل الحاصل. [۳۹۹] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ [التوبة: ۶۷] و قال بعده وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ [التوبة: ۷۱] و كلمة «من» أدل على المشابهة و المجانسة من حيث أنها تقتضى الجزئية و البعضية، فكانت بالمؤمنين أولى و أحرى؛ لأنهم أشد تشابها و تجانسا فى الصفات و الأخلاق؟ قلنا: المراد بقوله تعالى: بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أى بعضهم على دين بعض، أى على عادتهم و خلقهم بإضمار لفظة الدين أو الخلق و نحوه؛ لأن «من» تأتى بمعنى على، و منه قوله تعالى: وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا [الأنبياء: ۷۷] و قوله تعالى: لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسائِهِمْ [البقرة: ۲۲۶]، أى يحلفون على وطء نسائهم، و هذا هو المعنى المراد فى قوله عليه الصلاة و السلام: «فمن رغب عن سنّتى فليس منّى» و قوله عليه الصلاة و السلام: «من غشّنا فليس منّا»، و المراد بقوله تعالى: بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ، أى أنصارهم و أعوانهم فى الدين، و كل واحدة من العبارتين صالحة للفريقين، إلا أنه خص المنافقين بتلك العبارة تكذيبا لهم فى حلفهم السابق فى قوله تعالى: وَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ [التوبة: ۵۶] و تقريرا لقوله تعالى: وَ ما هُمْ مِنْكُمْ [التوبة: ۵۶]؟ [۴۰۰] فإن قيل: أىّ فائدة فى قوله تعالى: فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ [التوبة: ۶۹] مع أن قوله تعالى: فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ

(۱) ([۳۹۹])- قول النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «فمن رغب عن سنتى فليس منى» أخرجه أحمد فى مسنده: ۲/ ۱۵۸. - قول النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «من غشّنا فليس منّا» أخرجه أحمد فى مسنده: ۲/ ۵۰. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۵ [التوبة: ۶۹] بوضع الظاهر موضع الضمير مغن عنه، كما قال تعالى: وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا [التوبة: ۶۹] من غير تكرار؟ قلنا: فائدته تصدير التشبيه بذم المشبه بهم باستمتاعهم بما أوتوا من حظوظ الدنيا و اشتغالهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة الباقية و طلب الفلاح فى الآخرة، و تهجين حالهم و تقبيح صفتهم؛ ليكون التشبيه بعد ذلك أبلغ فى ذم المشبهين بأولئك الأولين، كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حقّ و يظلم و يفسق و أنت تفعل مثل فعله. و أما قوله تعالى: وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خاضُوا فإنه لما كان معطوفا على ما قبله و هو التشبيه المصدّر بتلك المقدمة أغنى ذلك عن إعادة تلك المقدمة المذكورة للتقبيح و التهجين. [۴۰۱] فإن قيل: قوله تعالى: أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ [التوبة: ۶۹] حبوط العمل إن كان عبارة عن بطلان ثوابه فذلك إنما يكون فى الآخرة، و إن كان عبارة عن بطلان منفعته فأعمال المنافقين فى الدنيا ليست باطلة المنفعة؛ لأنهم ينتفعون بها فى حقن دمائهم و أموالهم و جريان أحكام المسلمين عليهم؟ قلنا: المراد بالأعمال إن كانت نوعى أعمالهم الدينية و الدنيوية، فالحبوط فى الدنيا راجع إلى أعمالهم الدنيوية و هى كيدهم و مكرهم و خداعهم و نفاقهم الذى كانوا يقصدون به إطفاء نور اللّه تعالى و رفع آياته و بيناته و يأبى اللّه إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، فلم ينالوا من ذلك ما أملوه و قصدوه عن إبطال دين اللّه تعالى و ستر نبوة محمد عليه الصلاة و السلام، و الحبوط فى الآخرة راجع إلى أعمالهم الدينية و هى عباداتهم و طاعاتهم؛ لأنهم فعلوها نفاقا و رياء فبطل ثوابها فى الآخرة؛ و إن كان المراد بأعمالهم مجرد الأعمال الدينية فحبوطها فى الدنيا هو عدم قبولها؛ لأنّ اللّه تعالى يقبل العبادة فى الدنيا ثم يثيب عليها فى الآخرة، و المراد بحبوطها فى الدنيا عدم قبولها و عدم إطلاق الأسماء الشريفة عليها، كالعبادة و القربة و الحسنة و نحو ذلك، و هذا ضد قوله

تعالى: وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الـدُّنْيا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: ۲۷] فدل على أن للطاعات أجرا معجلا فى الدنيا غير الأجر المؤجل إلى الآخرة، و هو القبول و حسن الثناء و الذكر و إلقاء المحبة فى قلوب الخلق، كما قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا [مريم: ۹۶] قيل معناه: يحبهم و يحببهم إلى عباده من غير سبب بينه و بينهم يوجب المحبة، و كذلك على العكس حال العصاة و الفساق يبغضهم و يبغّضهم إلى عباده من غير سبب بينه و بينهم يوجب البغض. [۴۰۲] فإن قيل: قوله تعالى: وَ ما لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ [التوبة: ۷۴] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۶ لم خص الأرض بالنفى؛ مع أن المنافقين ليس لهم ولى و لا نصير من عذاب اللّه فى الأرض و لا فى السماء، فى الدنيا و لا فى الآخرة؟ قلنا: لما كان المنافقون لا يعتقدون الوحدانية و لا يصدقون بالآخرة، كان اعتقادهم وجود الولى و النصير مقصورا على الدنيا، فعبّر عن الدنيا، بالأرض، و خصها بالذكر لذلك. الثانى: أنه أراد بالأرض أرض الدنيا و الآخرة فكأنه قال: و ما لهم فى الدنيا و الآخرة من ولى و لا نصير. [۴۰۳] فإن قيل: لم خص السبعين بالذكر فى قوله: إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [التوبة: ۸۰] مع أن اللّه تعالى لا يغفر للمنافقين و لو استغفر لهم الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم ألف مرة بدليل قوله تعالى: سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ [المنافقون: ۶] و لأنهم مشركون، و اللّه تعالى لا يغفر أن يشرك به؟ قلنا: جرت عادة العرب بضرب المثل فى الآحاد بالسبعة، و فى العشرات بالسبعين، و فى المئات بسبعمائة استعظاما لها و استكثارا، لا أنهم يريدون بذكرها الحصر، فكأنه قال: إن تستغفر لهم أعظم الأعداد و أكثرها فلن يغفر اللّه لهم، و يعضده ما ذكره بعد ذلك من بيان الصارف عن المغفرة فى قوله تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ [التوبة: ۸۰]. [۴۰۴] فإن قيل: لو كان ما ذكرتم لما خفى ذلك على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و هو أفصح العرب و أعلمهم بأساليب الكلام و تمثيلاته؛ حتّى قال، لما نزلت هذه الآية: إن اللّه تعالى قد رخص لى فسأزيد على السبعين. و فى رواية أخرى: فسأستغفر لهم أكثر من السبعين لعل اللّه أن يغفر لهم؟ قلنا: لم يخف عليه ذلك و إنما أراد بما قال إظهار غلبة رحمته و رأفته بمن بعث إليهم، كما وصفه اللّه تعالى بقوله: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸] الآية و فى إظهار النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الرأفة و الرحمة لطف لأمته، و حث لهم على التراحم، و شفقة بعضهم على بعض، و هذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، أ لا ترى إلى قول إبراهيم صلوات اللّه عليه وَ مَنْ عَصانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [إبراهيم: ۳۶]. [۴۰۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [التوبة: ۹۱] و المغفرة و الرحمة إنما تكون للمسيئين لا للمحسنين؟ قلنا: معناه و اللّه غفور رحيم للمسيئين إذا تابوا، فهو متعلق بمحذوف لا بالمحسنين؛ لأنهم قد سدوا بإحسانهم طريق العقاب و الذم؛ فليس عليهم سبيل فيهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۷ الثانى: أن المحسن من الناس و إن تناهى فى إحسانه لا يخلو عن إساءة بينه و بين اللّه تعالى، أو بينه و بين الناس، لكنه إذا أحسن باجتناب الكبائر غفر اللّه له صغائر سيئاته و رحمه، كما قال تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ [النساء: ۳۱] [۴۰۶] فإن قيل: قوله تعالى: فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ [التوبة: ۱۰۵] أى سيعلم؛ لأن السين للاستقبال، و الرؤية من اللّه تعالى بمعنى العلم، و اللّه تعالى عالم بعملهم حالا و مآلا؟ قلنا: معناه فى حقّ اللّه أنه سيعلمه واقعا موجودا كما علمه غيبا؛ لأن اللّه تعالى يعلم كل شىء على ما هو عليه، فيعلم المنتظر منتظرا و يعلم الواقع واقعا، و أما فى حق الرسول عليه الصلاة و السلام فهو على ظاهره. [۴۰۷] فإن قيل: إن اللّه تعالى قد وصف العرب بالجهل فى القرآن بقوله تعالى: وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ [التوبة: ۹۷] فكيف يصح الاحتجاج بألفاظهم و أشعارهم على كتاب اللّه و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قلنا: هذا وصف من اللّه لهم بالجهل فى أحكام القرآن لا فى ألفاظه، و نحن لا نحتج بلغتهم فى بيان الأحكام؛ بل نحتج بلغتهم فى بيان معانى الألفاظ؛ لأن القرآن و السنة جاءا بلغتهم. [۴۰۸] فإن قيل: كيف قال تعالى فى صفة المنافقين: مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ [التوبة: ۱۰۱] و قال فى موضع آخر وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ [محمد: ۳۰]؟ قلنا: هذه الآية نزلت قبل تلك الآية فلا تناقض؛ لأنه نفى علمه لهم فى زمان ثم أثبته بعد ذلك فى زمان آخر. [۴۰۶] فإن قيل: قوله تعالى: خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً [التوبة: ۱۰۲] قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فأين المخلوط به؟ قلنا: كل واحد مخلوط و مخلوط به؛ لأن معناه: خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك: خلطت الماء و اللبن، تريد

خلطت كل واحد منهما بصاحبه، و فيه من المبالغة ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن، لأنك بالباء جعلت الماء مخلوطا و اللبن مخلوطا به، و بالواو جعلت الماء و اللبن مخلوطين و مخلوطا بهما، كأنك قلت: خلطت الماء باللبن و اللبن بالماء؛ و يجوز أن تكون الواو بمعنى الباء كقولهم: بعت شاة و درهما، يعنون شاة بدرهم. [۴۱۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ [التوبة: ۱۱۲] بالواو و ما قبلها من الصفات بغير واو؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۸ قلنا: لأنها صفة ثامنة، و العرب تدخل الواو بعد السبعة إيذانا بتمام العدد، فإن السبعة عندهم هي العقد التام كالعشرة عندنا، فأتوا بحرف العطف الدال على المغايرة بين المعطوف و المعطوف عليه، و نظيره قوله تعالى: وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ [الكهف: ۲۲] بعد ما ذكر العدد مرتين بغير واو، و قوله تعالى في صفة الجنة وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها [الزمر: ۷۳] بالواو لأنها ثمانية. و قال في صفة النار نعوذ باللّه منها فتحت أبوابها بغير واو لأنها سبعة، و ليس قوله تعالى: ثَيِّباتٍ وَ أَبْكاراً [التحريم: ۵] من هذا القبيل، لأن الواو لو أسقطت فيه لاستحال المعنى لتناقض الصفتين. و قيل: إنما دخلت الواو على الناهين عن المنكر إعلاما بأن الآمر بالمعروف ناه عن المنكر في حال أمره بالمعروف، فهما صفتان متلازمتان بخلاف باقي الصفات المذكورة فإنها ليست متلازمة، و لا ينقض هذا بقوله تعالى: الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ [التوبة: ۱۱۲]؛ لأنهما ليستا صفتين متلازمتين؛ لأن السجود يلزم الرّكوع، أما الرّكوع فلا يلزم السجود بدليل سجود التلاوة و سجود الشكر، و الزمخشري لم يتكلم على هذه الواو. [۴۱۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [التوبة: ۱۲۱] أي بأحسن الذي كانوا يعملون بإضمار حرف الجر، مع أنهم يجزون بحسنة أيضا لقوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ [الزلزلة: ۷]؟ قلنا: معناه بحسن الذي كانوا يعملون، و هو الطاعات كلها، لا بسيئة و هو المعاصي، فالأحسن هنا بمعنى الحسن، و سيأتي في سورة الرّوم في قوله تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷] ما يوضح هذا إن شاء اللّه تعالى. الثاني: أنّ معناه ليجزيهم اللّه أحسن من الذي كانوا يعملون. [۴۱۲] فإن قيل: قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً [التوبة: ۱۲۴] يدل على أن الإيمان يقبل الزيادة؟ قلنا: قال مجاهد: معناه فزادتهم علما؛ لأن العلم من ثمرات الإيمان فجعل مجازا عنه، و اللّه أعلم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۱۹

سورة يونس عليه السلام

سورة يونس عليه السلام [۴۱۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ [يونس: ۵] و اللّه تعالى فصل الآيات للعلماء و الجهال أيضا. قلنا: لما كان يقع تفصيل الآيات مخصوصا بالعلماء و انتفاعهم بالتفصيل أكثر أضاف التفصيل إليه و خصهم به. [۴۱۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ آخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [يونس: ۱۰] مع أن أقوال أهل الجنة و أحوالهم لا آخر لها، لأن الجنّة دار الخلود؟ قلنا: معناه و آخر دعائهم في كل مجلس دعاء أو ذكر أو تسبيح، فإن أهل الجنة يسبحون و يذكرون للتنعم و التلذذ بالذكر و التسبيح. [۴۱۵] فإن قيل: قد أنكر اللّه تعالى على الكفار احتجاجهم بمشيئته في قوله تعالى: لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا [الأنعام: ۱۴۸] و لهذا لا يجوز للعاصي أن يحتج في وجود المعصية منه بقوله لو شاء اللّه ما فعلت هذه المعصية فلا تقيموا عليّ حدها: فكيف قال النبي صلّى اللّه عليه و سلّم: لو شاء اللّه ما تلوته عليكم؟ قلنا: النبي صلّى اللّه عليه و سلّم قال هذه الجملة بأمر اللّه تعالى، لأن اللّه عزّ و جلّ قال له: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ [يونس: ۱۶] و للعبد أن يحتج بمشيئة اللّه إذا أمره اللّه أن يحتج بها، أما ما ليس كذلك فليس له أن يحتج بمجرد المشيئة، و ما أوردتموه كذلك. [۴۱۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلَمَّا أَنْجاهُمْ إِذا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ [يونس: ۲۳] و البغي لا يكون إلا بغير الحق؛ لأن البغي هو التعدي و الفساد من قولهم بغي الجرح إذا فسد، كذا قاله الأصمعي، فما فائدة التقييد؟ قلنا: قد يكون الفساد بالحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار و هدم دورهم و إحراق زروعهم و قطع أشجارهم، كما فعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ببني قريظة. [۴۱۷] فإن قيل: كيف شبه اللّه تعالى الحياة الدنيا بماء السماء دون ماء الأرض (

____
۱) ([۴۱۶])

الأصمعي: هو عبد اللّه بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي. رواية لشعر العرب و لغتهم. ولد في البصرة سنة ۱۲۲ ه

و توفى بها سنة ۲۱۶ ه. من مؤلفاته: الإبل، الأضداد (ينسب إليه و لا- يعلم على التحقيق أنه من تأليفه)، خلق الإنسان، الفرق، الخيل، الدارات، النبات و الشجر، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۰ فقال: إِنَّما مَثَلُ الْحَياةِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ [يونس: ۲۴]؟ قلنا: لأن ماء السماء و هو المطر لا تأثير لكسب العبد فيه و لا حيلة للعبد فى زيادته و نقصانه، كما أن الحياة لا حيلة للعبد فى زيادتها و نقصانها. الثانى: أن ماء السماء يستوى فيه جميع الخلائق، الوضيع و الشريف، و الغنى و الفقير و الحيوان و غيره كالمدر و الحجر و الشوك و الثمر، كما أن الحياة كذلك، فكأن تشبيه الحياة بماء السماء أشد مناسبة و مطابقة. [۴۱۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكاؤُكُمْ [يونس: ۲۸]. و قال فى موضع آخر: وَ لا- يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ [البقرة: ۱۷۴]؟ قلنا: يوم القيامة مواقف و مواطن، ففى موقف لا يكلمهم، و فى موقف يكلمهم، و نظيره قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا- جَانٌّ [الرحمن: ۳۹] و قوله: فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ۱۵]. الثانى: المراد أنه لا يكلمهم كلام إكرام؛ بل كلام توبيخ و تقريع. [۴۱۹] فإن قيل: قوله تعالى: قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ [يونس: ۳۱] إلى آخر الآية يدل على أنهم معترفون أن اللّه تعالى هو الخالق و الرازق و المدبر لجميع المخلوقات، فكيف يعترفون بذلك كله ثم يعبدون الأصنام؟ قلنا: كانوا يعتقدون فى عبادة الأصنام أنهم يتقرّبون بها إلى عبادة اللّه؛ فطائفة كانت تقول نحن لا نتأهل لعبادة اللّه تعالى بغير واسطة لعظمة إجلاله و نقصنا و حقارتنا، فجعلوا الأصنام وسائط، كما قال تعالى: ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر: ۳] و طائفة كانت تقول: نتخذ أصناما على هيئة الملائكة و نعبدهم لتشفع لنا الملائكة عند اللّه ليقربونا إلى اللّه، و طائفة كانت تقول: الأصنام قبلة لنا فى عبادة اللّه، كما أن الكعبة قبلة فى عبادته، و طائفة و هى الأكثر كانت تقول: على كل صنم شيطان موكل به من عند اللّه، فمن عبد الصنم حقّ عبادته قضى الشيطان حوائجه على وفق مراده بأمر اللّه، و من قصر فى عبادة الصنم أصابه الشيطان بنكبة بأمر اللّه، فكل الطوائف من عبدة الأصنام كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة اللّه و التقرب إليه و لكن بطرق مختلفة. [۴۲۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [يونس: ۳۴] و هم غير معترفين بوجود الإعادة أصلا لا- من اللّه و لا- من غيره؟ قلنا: لما كانت الإعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها و هو القدرة على ابتداء أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۱ الخلق، و الإعادة أهون بالنسبة إلينا لزمهم الاعتراف بها، فصاروا كأنهم مسلّمون وجودها من حيث ظهور الحجة و وضوحها. [۴۲۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَإِلَيْنا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلى ما يَفْعَلُونَ [يونس: ۴۶] رتب كونه شهيدا على أفعالهم على رجوعهم إليه فى القيامة، مع أنه شهيد على أفعالهم فى الدنيا و الآخرة؟ قلنا: ذكر الشهادة و أراد مقتضاها و نتيجتها و هو العقاب و الجزاء، فكأنه قال: ثم اللّه يعاقب على ما يفعلون أو مجاز على ما يفعلون. كما قال تعالى: وَ ما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ [البقرة: ۱۹۷] و نظائره فى القرآن العزيز كثيرة. [۴۲۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: بَياتاً أَوْ نَهاراً [يونس: ۵۰] و لم يقل ليلا أو نهارا و هو أظهر فى المطابقة استعمالا مع النهار فى القرآن العزيز و غيره؟ قلنا: لأن المعهود المألوف فى كلام العرب عند ذكر البطش و الإهلاك و الوعيد و التهديد ذكر لفظ البيات سواء قرن به النهار أو لا، فلذلك لم يقل ليلا. [۴۲۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما ذا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ [يونس: ۵۰] أى ما ذا يستعجلون منه، و أول الآية للمواجهة؟ قلنا: أراد بذكر المجرمين الدلالة على موجب ترك الاستعجال و هو الإجرام، لأن من حقّ المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه و يفزع من مجيئه، و إن أبطأ فضلا عن أن يستعجله. [۴۲۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا [يونس: ۵۸] و لم يقل فبذينك، و المشار إليه اثنان الفضل و الرحمة. قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فى سورة البقرة فى قوله تعالى: عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ [البقرة: ۶۸]. [۴۲۵] فإن قيل: قوله تعالى: وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيامَةِ [يونس: ۶۰] تهديد؛ لأن فيه محذوفا تقديره: و ما ظنهم أن اللّه فاعل بهم يوم القيامة بكذبهم، فكيف يناسبه قوله تعالى بعده إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ [البقرة: ۲۴۳]؟ قلنا: هو مناسب لأن معناه أن اللّه لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل و الوحى و الهداية و تأخر العذاب و فتح باب التوبة، فكيف يفترون على اللّه الكذب مع توافر نعمه عليهم؟ [۴۲۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ ما تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ [يونس: ۶۱] فأفرد ثم قال: وَ لا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ [يونس: ۶۱] فجمع، و الخطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم؟

أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۲ قلنا: قال ابن الأنبارى: إنما جمع فى الفعل الثالث ليدل على أنّ الأمة داخلون مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى الفعلين الأولين. و قال غيره: المراد بالفعل الثالث أيضا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم وحده، و إنّما جمع تفخيما له و تعظيما كما فى قوله تعالى: أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ [البقرة: ۷۵] على قول ابن عباس، رضى اللّه عنهما، و كما فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ [المؤمنون: ۵۱] و المراد به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، كذا قاله ابن عباس و الحسن و غيرهما، و اختاره ابن قتيبة و الزّجّاج. [۴۲۷] فإن قيل: كيف قدم الأرض على السماء فى قوله تعالى: وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي السَّماءِ [يونس: ۶۱] و قدم السماء على الأرض فى قوله تعالى فى سورة سبأ: عالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَ لا فِي الْأَرْضِ [سبأ: ۳]؟ قلنا: حق السماء أن تقدم على الأرض مطلقا لأنها أشرف، لكنه كما ذكر هنا فى صدر الآية شهادته على شئون أهل الأرض و أقوالهم و أعمالهم ثم أردفه بقوله: وَ ما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ [يونس: ۶۱] ناسب ذلك تقديم الأرض على السماء. الثانى: أن العطف بالواو نظير التثنية و حكمه حكمها، فلا يعطى رتبة كالتثنية. [۴۲۸] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً [يونس: ۶۵] و قال فى موضع آخر [وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ [المنافقون: ۸]؟ قلنا: أثبت الاشتراك فى نفس العزة التى هى فى حقّ اللّه تعالى القدرة و الغلبة، و فى حق الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم علو كلمته و إظهار دينه، و فى حقّ المؤمنين نصرهم على أعدائهم، و قوله تعالى: إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً [يونس: ۶۵] أراد به العزة الكاملة التى يندرج فيها عزة الإلهية و الخلق و الإماتة و الإحياء و البقاء الدائم و ما أشبه ذلك فلا تنافى. [۴۲۹] فإن قيل: إذا كانت السموات و الأرض و ما فيهما من المخلوقات و ما وراءهما كل ذلك للّه تعالى ملكا و خلقا، فما فائدة التخصيص فى قوله تعالى: مَنْ فِي السَّماواتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ [يونس: ۶۶]؟ قلنا: إنما خص العقلاء المميزين بالذكر و هم الملائكة و الثقلان، ليعلم أن هؤلاء إذا كانوا عبيدا له و هو ربهم، و لا يصلح أحد منهم للربوبية و لا للشركة معه، فما وراءهم مما لا ـ يعقل كالأصنام و الكواكب و نحوهما أحق أن لا تكون له ندا و شريكا. [۴۳۰] فإن قيل: كيف قال لهم موسى عليه السلام: أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جاءَكُمْ أَ سِحْرٌ هذا [يونس: ۷۷] على طريق الاستفهام، و هم إنما قالوا ذلك على طريق الإخبار أو التحقيق المؤكد بإن و اللام لا على طريق الاستفهام، قال اللّه تعالى: فَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إِنَّ هذا لَسِحْرٌ مُبِينٌ [يونس: ۷۶]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۳ قلنا: فيه إضمار تقديره: أ تقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين. ثم قال أ سحر هذا إنكارا لما قالوه، فالاستفهام من قول موسى عليه السلام لا مفعول لقولهم. [۴۳۱] فإن قيل: كيف نوّع الخطاب فى قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى مُوسى وَ أَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ [يونس: ۸۷] فثنى أولا، ثم جمع، ثم أفرد؟ قلنا: خوطب أولا موسى و هارون أن يتبوءا لقومهما بيوتا و يختاراها للعبادة، و ذلك مما يفوض إلى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ثم سبق الخطاب عاما لهما و لقومهما باتخاذ المساجد و الصلاة فيها، لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها أو تعظيما له عليه السلام. [۴۳۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما [يونس: ۸۹] أضافها إليهما، و الدعوة إنما صدرت من موسى عليه السلام، قال اللّه تعالى: وَ قالَ مُوسى رَبَّنا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً [يونس: ۸۸] إلى آخر الآية؟ قلنا: نقل أن موسى عليه السلام كان يدعو و هارون كان يؤمن على دعائه؛ و التأمين دعاء فى المعنى فلهذا أضاف الدعوة إليهما. الثانى: أنه يجوز أن يكون هارون دعا أيضا مع موسى، إلا أن اللّه تعالى خص موسى بالذكر؛ لأنه كان أسبق بالدّعوة أو أحرص عليها أو أكثر إخلاصا فيها. [۴۳۳] فإنه قيل: لو كان كذلك لقال تعالى دعوتاكما بالتثنية؟ قلنا: لما كانت الدعوة مصدرا اكتفى بذكرها فى موضع الإفراد و التثنية و الجمع بصيغة واحدة كسائر المصادر، و نظيره قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ [البقرة: ۷]. [۴۳۴] فإنه قيل: كيف قال تعالى: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ [يونس: ۹۴] و إن إنما تدخل على ما هو محتمل الوجود، و شك النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى القرآن منتف قطعا؟ قلنا: الخطاب ليس للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم بل لمن كان شاكّا فى القرآن و فى نبوّة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، فكأنه قال: «فإن كنت أيها الإنسان فى شك». [۴۳۵] فإن قيل: قوله تعالى: مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ [يونس: ۹۴] يدل على أن الخطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم لا لغيره. قلنا: لا يدل، قال اللّه

تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً [النساء: ۱۷۴] و قال تعالى: يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ [التوبة: ۶۴]. الثانى: أن الخطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و المراد غيره كما فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۴ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ [الأحزاب: ۱] و يعضده قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً [النساء: ۹۴] و يعضد هذا الوجه قوله تعالى بعده: قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي [يونس: ۱۰۴]. الثالث: أن تكون إن بمعنى ما، تقديره: فما كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل. المعنى لسنا نأمرك أن تسأل أحبار اليهود و النصارى عن صدق كتابك، لأنك فى شك منه، بل لتزداد بصيرة و يقينا و طمأنينة. الرابع: أن الخطاب للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع انتفاء الشك منه قطعا أو المراد به إلزام الحجة على الشاكين الكافرين كما يقول لعيسى عليه السلام: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة: ۱۱۶] و هو عالم بانتفاء هذا القول منه لإلزام الحجة على النصارى. [۴۳۶] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً [يونس: ۹۹] ما فائدة ذكر «جَمِيعاً» بعد قوله «كُلُّهُمْ» و هو يفيد الشمول و الإحاطة؟ قلنا: كل يفيد الشمول و الإحاطة، و لا يدل على وجود الإيمان منهم بصفة الاجتماع. و جميعا يدل على وجوده منهم فى حالة واحدة، كما تقول جاءنى القوم جميعا، أى مجتمعين، و نظيره قوله تعالى: فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ [الحجر: ۳۰]. [۴۳۷] فإن قيل: قوله تعالى: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [يونس: ۱۰۱] كيف يصح هذا الأمر؛ مع أنّا لا نعلم جميع ما فيهما و لا نراه؟ قلنا: هو عام أريد ما ندركه بالبصر مما فيهما، كالشمس و القمر و النجوم و الجبال و البحار و المعادن و الحيوانات و النبات و نحو ذلك مما يدل على وجود الصانع و توحيده و عظيم قدرته، فيستدل به على ما وراءه. [۴۳۸] فإن قيل: قوله تعالى: وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ [الأنعام: ۱۷] الآية ما الحكمة فى ذكر المس فى الضر و الإرادة فى الخير؟ قلنا: لاستعمال كل من المس و الإرادة فى كل من الضر و الخير، و أنه لا مزيل لما يصيب به منهما و لا رادّ لما يريده فيهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس فى أحدهما و الإرادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما لم يذكر؛ مع أنّه قد ذكر المس فيهما فى سورة الأنعام. و إنما عدل هنا عن لفظ المس المذكور فى سورة الأنعام إلى لفظ الإرادة، لأن الجزاء هنا قوله تعالى: فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ [يونس: ۱۰۷] و الرد إنما يكون فيما لم يقع بعد، و المس إنما يكون فيما وقع، فلهذا قال ثم وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [الأنعام: ۱۷] و معناه فإن شاء أدام ذلك الخير، و إن شاء أزاله، فلا يطلب دوامه و زيادته إلا منه تعالى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۵

سورة هود عليه السلام

سورة هود عليه السلام [۴۳۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ [هود: ۳] مع أن التوبة مقدمة على الاستغفار؟ قلنا: المراد استغفروا ربكم من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، كذا قاله مقاتل. و هذا الاستغفار مقدّم على هذه التّوبة. الثانى: أن فيه تقديما و تأخيرا. الثالث: قال الفراء: ثم هنا بمعنى الواو، و هى لا تفيد ترتيبا فاندفع السؤال. [۴۴۰] فإن قيل: من لم يستغفر و لم يتب فإن اللّه يمتعه متاعا حسنا إلى أجله، أى يرزقه و يوسع عليه كما قال ابن عباس، أو يعمره كما قال ابن قتيبة، فما فائدة قوله تعالى: وَ أَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى [هود: ۳]؟ قلنا: قال غيرهما المتاع الحسن المشروط بالاستغفار و التوبة هو الحياة فى الطاعة و القناعة، و مثل هذه الحياة إنما تكون للمستغفر التائب التقى. [۴۴۱] فإن قيل: قوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ [هود: ۶] كيف لم يقل على الأرض؛ مع أنه أشد مناسبة لتفسير الدابة لغة فإنها ما يدب على وجه الأرض؟ قلنا: فى هنا بمعنى على، كما فى قوله تعالى: وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه: ۷۱] و قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ [الطور: ۳۸]. الثانى: أن لفظة «فى» أعم و أشمل، لأنها تتناول كل دابة على وجه الأرض و كل دابة فى باطن الأرض بخلاف على. [۴۴۲] فإن قيل: كيف خص الدّابة بذكر ضمان الرزق، و الطير كذلك رزقه على اللّه تعالى، و هو غير الدّابة، بدليل قوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ [الأنعام: ۳۸]؟ قلنا: إنما خص الدابة بالذكر؛ لأنّ الدواب أكثر من الطيور عددا، و فيها ما هو أكبر جثة

من كل فرد من أفراد الطير كالفيل و الحوت، فيكون أحوج إلى الرزق، فلذلك خصه بالذكر. [۴۴۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُها [هود: ۶] و على أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۶ للوجوب، و اللّه تعالى لا يجب عليه شيء و إنما يرزقها تفضلا منه و كرما. قلنا: على هنا بمعنى من، كما في قوله تعالى: إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ [المطففين: ۲]. الثاني: أنه ذكره بصيغة الوجوب ليحصل للعبد زيادة سكون و طمأنينة في حصوله. [۴۴۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا [هود: ۷] و الخطاب عام للمؤمنين و الكافرين، فإنه امتحن الفريقين بالأمر بالطاعة و النهي عن المعصية، و أعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى أحسن و أحسن، فأما أعمال الفريقين فتفاوتها إلى حسن و قبيح. قلنا: قوله تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ [هود: ۷] عام أريد به الخاص و هو المؤمنون؛ تشريفا لهم و تخصيصا؛ فصح قوله أحسن عملا. [۴۴۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ [هود: ۱۲] و لم يقل و ضيّق؟ قلنا: ليدل على أن ضيقه عارض غير ثابت، لأن النبي صلّى اللّه عليه و سلّم كان أفسح الناس صدرا، و نظيره قولك: زيد سائد و جائد، فإذا أردت وصفه بالسيادة و الجود الثابتين المستقرين قلت: زيد سيد و جواد، كذا قال الزمخشري. [۴۴۶] فإن قيل: قال تعالى: فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ [هود: ۱۳] أمرهم بالإتيان بمثله و ما يأتون به لا يكون مثله، لأن ما يأتون به مفترى و القرآن ليس بمفترى. قلنا: أراد به مثله في البلاغة و الفصاحة و إن كان مفترى. و قيل معناه: مفتريات، كما أن القرآن مفترى في زعمكم و اعتقادكم فيتماثلان. [۴۴۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ فَأْتُوا [هود: ۱۳] فأفرد في قوله «قُلْ» ثم جمع فقال: فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا [هود: ۱۴]؟ قلنا: الخطاب للنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم في الكل، و لكنه جمع في قوله: لَكُمْ فَاعْلَمُوا [هود: ۱۴] تفخيما له و تعظيما. الثاني: أن الخطاب الثاني للنبي صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه، لأن النبي صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه كانوا يتحدونهم بالقرآن، و قوله تعالى في موضع آخر فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ [القصص: ۵۰] يعضد الوجه الأول. الثالث: أن يكون الخطاب في الثاني و الثالث للمشركين، و الضمير في يستجيبوا لمن استطعتم؛ يعني فإن لم يستجب لكم من تدعونه المظاهرة على معارضته لعجزهم فاعلموا أيها المشركون أنما أنزل بعلم اللّه، و هذا وجه لطيف. [۴۴۸] فإن قيل: قوله تعالى: وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها [هود: ۱۶] يدل على أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۷ بطلان عملهم، فما فائدة قوله بعده وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [هود: ۱۶]؟ قلنا: المراد بقوله تعالى: وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها [هود: ۱۶] أي بطل ثواب ما صنعوا من الطاعات في الدنيا وَ بَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ [هود: ۱۶] من الرياء. [۴۴۹] فإن قيل: كيف قال نوح عليه السلام: وَ يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ [هود: ۲۹] بالواو و قال هود عليه السلام: يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ [هود: ۵۱] بغير الواو؟ قلنا: لأن الضمير في قولهما عليه لتبليغ الرسالة المدلول عليه بأول الكلام في القصتين، و لكن في قصة نوح عليه السلام وقع الفصل بين الضمير و بين ما هو عائد عليه بكلام آخر، فجيء بواو الابتداء. و في قصة هود عليه السلام لم يقع بينهما فصل فلم يحتج إلى واو الابتداء، هذا ما وقع لي فيه، و اللّه أعلم. [۴۵۰] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [هود: ۴۳] لا يناسبه المستثنى في الظاهر و هو قوله: إِلَّا مَنْ رَحِمَ [هود: ۴۳] لأن المرحوم معصوم، فظاهره يقتضي لا معصوم إلا من رحم، أي لا معصوم من الغرق بالطوفان إلا من رحمة اللّه بالإنجاء في السفينة؟ قلنا: عاصم هنا بمعنى معصوم، كقوله تعالى: مِنْ ماءٍ دافِقٍ [الطارق: ۶] مدفوق، و قوله تعالى: فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ [الحاقة: ۲۱]، أي مرضية، و قول العرب: سر كاتم، أي مكتوم. الثاني: أن معناه: لا عاصم اليوم من أمر اللّه إلا من رحم، أي إلا الرّاحم و هو اللّه تعالى، و ليس معناه المرحوم، فكأنه قال: لا عاصم إلا اللّه. الثالث: أن معناه: لا عاصم اليوم من أمر اللّه إلا مكان من رحم اللّه من المؤمنين (______________________________ ۱) ([۴۵۰]) قال

العكبري: «قوله تعالى: لا عاصِمَ الْيَوْمَ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه اسم فاعل على بابه، فعلى هذا يكون قوله تعالى: إِلَّا مَنْ رَحِمَ فيه وجهان: أحدهما، هو استثناء متصل و مَنْ رَحِمَ بمعنى الرّاحم، أي لا عاصم إلّا اللّه، و الثاني، أنه منقطع، أي لكن من رحمه اللّه يعصم. و الوجه الثاني: أن عاصما بمعنى معصوم، مثل ماءٍ دافِقٍ أي مدفوق؛ فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا، أي إلّا من رحمه اللّه. و الثالث: أن عاصما بمعنى ذا عصمة على النسب، مثل حائض و طالق، و الاستثناء على هذا متصل أيضا، فأما خبر لا فلا يجوز أن يكون اليوم، لأن ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة؛ بل الخبر من أمر اللّه، و اليوم معمول من أمر، و لا يجوز أن يكون اليوم معمول عاصم، إذ

لو كان كـذلك لنوّن». إملاء ما منّ به الرحمن، ج ۲ ص ۳۹. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۸ و نجاهم و هو السفينة، و يناسب هذا الوجه قوله تعالى:* وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [هود: ۴۱] و هذا لأن ابن نوح عليه السلام لما جعل الجبل عاصما من الماء رد نوح عليه السلام ذلك، و دله على العاصم و هو اللّه تعالى، أو المكان الذى أمر اللّه بالالتجاء إليه و هو السفينة. [۴۵۱] فإن قيل: كيف صح أمر السماء و الأرض بقوله تعالى: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي [هود: ۴۴] و هما لا يعقلان، و الأمر و النهى إنما يكون لمن يعقل و يفهم الخطاب؟ قلنا: الخطاب لهما فى الصورة، و المراد به الخطاب للملائكة الموكلين بتدبيرهما. الثانى: أن هذا أمر إيجاب لا أمر إيجاد، و أمر الإيجاد لا يشترط فيه العقل و الفهم، لأن الأشياء كلها بالنسبة إلى أمر الإيجاد مطيعة منقادة للّه تعالى، و منه قوله تعالى: إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [النحل: ۴۰] و قوله تعالى: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصلت: ۱۱] كل ذلك أمر إيجاد. [۴۵۲] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا وَ نادى نُوحٌ رَبَّهُ فَقالَ رَبِّ [هود: ۴۵] بالفاء، و قال فى قصة زكريا عليه الصلاة و السلام: إِذْ نادى رَبَّهُ نِداءً خَفِيًّا قالَ رَبِّ [مريم: ۳، ۴]. قلنا: أراد بالنداء هنا إرادة النداء فجاء بالفاء الدالة على السببية، فإن إرادة النداء سبب للنداء، فكأنه قال: و أراد نوح نداء ربه فقال كيت و كيت، و أراد به فى قصة زكريا عليه الصلاة و السلام حقيقة النداء، فلهذا جاء بغير فاء لعدم ما يقتضى السببية. [۴۵۳] فإن قيل: هود عليه الصلاة و السلام كان رسولا و لم يظهر معجزة: و لهذا قال له قومه يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ [هود: ۵۳] فبأى شىء لزمتهم رسالته؟ قلنا: إنما يحتاج إلى المعجزة من الرسل من يكون صاحب شريعة لتنقاد أمته لشريعته، فإن فى كل شريعة أحكاما غير معقولة فيحتاج الرسول الآتى بها إلى معجزة لتشهد بصحة صدقه، فأما الرسول الذى لا تكون له شريعة و لا يأمر إلا بالعقليات فلا يحتاج إلى معجزة؛ لأن الناس ينقادون إلى ما يأمرهم به لموافقته للعقل، و هود كان كذلك. الثانى: أنه نقل أن معجزة هود كانت الريح الصرصر فإنها كانت سخرت له. [۴۵۴] فإن قيل: على الوجه الأول لو كان أمره لهم مقصورا على العقليات لما خالفوه و كذبوه و نسبوه إلى الجنون بقولهم: يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ [هود: ۵۳] إلى قوله: بِسُوءٍ [هود: ۵۴]. قلنا: إنما صدر ذلك القول من قاصرى العقول أو المعاندين المكابرين، كما أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۲۹ قيل ذلك لكل رسول، بعد إتيانه بالمعجزات الظاهرات و الآيات الباهرات. [۴۵۵] فإن قيل: هلا قال: إنّى أشهد اللّه و أشهدكم، ليتناسب الجملتان. قلنا: لأن إشهاد اللّه تعالى على البراءة من الشرك إشهاد صحيح مفيد تأكيد التوحيد و شد معاقده، و أما إشهادهم فما هو إلا تهكم بهم و تهاون و دلالة على قلة المبالاة؛ لأنهم ليسوا أهلا للشهادة، فعدل به عن اللفظ الأول و أتى به على صورة التهكم و التهاون، كما يقول الرجل لصاحبه إذا لاحاه: أشهد إنى لأحبك، تهكما به و استهانة له. [۴۵۶] فإن قيل: قوله تعالى: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ [هود: ۵۷]؛ جعل التولى شرطا، و الإبلاغ جزاء، و الإبلاغ كان سابقا على التولى. قلنا: ليس الإبلاغ جزاء التولى، بل جزاؤه محذوف تقديره: فإن تولوا لم أعاتب على تفريط فى الإبلاغ أو تقصير فيه، و دلّ على الجزاء المحذوف قوله: لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ [الأعراف: ۹۳]. الثانى: قال مقاتل تقديره: فإن تولوا فقل لهم قد أبلغتكم. [۴۵۷] فإن قيل: ما فائدة تكرار التنجية فى قوله تعالى: وَ نَجَّيْناهُمْ مِنْ عَذابٍ غَلِيظٍ [هود: ۵۸]؟ قلنا: أراد بالتنجية الأولى تنجيتهم من عذاب الدنيا الذى نزل بقوم هود، و هو سموم أرسلها اللّه تعالى عليهم فقطعتهم عضوا عضوا، و أراد بالتنجية الثانية تنجيتهم من عذاب الآخرة الذى استحقه قوم هود بالكفر و لا عذاب أغلظ منه و لا أشد. [۴۵۸] «۱» فإن قيل: بُعْداً [هود: ۶۰] معناه عند العرب الدعاء عليهم بالهلاك بعد هلاكهم. قلنا: معناه الدلالة على أنهم مستأهلون له و حقيقون به، و نقيضه قول الشاعر: إخوتى لا تبعدوا أبدا و بلى و اللّه قد بعدوا أراد بالدعاء لهم بنفى الهلاك، بعد هلاكهم، الإعلام بأنهم لم يكونوا مستأهلين له و لا حقيقين به. [۴۵۹] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ [هود: ۸۴] نهى عن النقص فيهما، و النهى عن النقص أمر بالإيفاء معنى، فما فائدة قوله تعالى بعد ذلك وَ يا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَ الْمِيزانَ [هود: ۸۵)____? ۱) ([۴۵۸]) البيت لفاطمة بنت الأحجم الخزاعية. و هو فى الحماسة شرح المرزوقى ۲/ ۹۱۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۰ قلنا: صرح أولا بنهيهم عن النقص الذى كانوا يفعلونه لزيادة المبالغة فى تقبيحه و تغييرهم إياه، ثم صرح بالأمر بالإيفاء بالعدل الذى هو حسن عقلا لزيادة

الترغيب فيه و الحث عليه. [۴۶۰] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ [هود: ۸۵] و العثو الفساد، فيصير المعنى: و لا تفسدوا فى الأرض مفسدين؟ قلنا: قد سبق هذا السؤال و جوابه فى سورة البقرة. و جواب آخر معناه: و لا تعثوا فى الأرض بالكفر، و أنتم مفسدون بنقص المكيال و الميزان. [۴۶۱] فإن قيل: كيف قال: بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [هود: ۸۶] فشرط الإيمان فى كون البقية خيرا لهم، و هى خير لهم مطلقا؛ لأن المراد ببقية اللّه ما يبقى لهم من الحلال بعد إيفاء الكيل و الوزن و ذلك خير لهم و إن كانوا كفارا؛ لأنهم يسلمون معه من عقاب البخس و التطفيف؟ قلنا: إنما شرط الإيمان فى خيرية البقية؛ لأن خيريتها و فائدتها مع الإيمان أظهر، و هو حصول الثواب مع النجاة من العقاب، و مع فقد الإيمان أخفى لانغماس صاحبها فى عذاب الكفر الذى هو أشد العذاب. الثانى: أن المراد إن كنتم مصدقين لى فيما أقول لكم و أنصح. [۴۶۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ [هود: ۸۹] و لم يقل ببعيدين و القوم اسم لجماعة الرجال، و ما جاء فى القرآن الضمير العائد إليه إلا ضمير جماعة، قال اللّه تعالى: أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ [نوح: ۱] و قال تعالى: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ [الحجرات: ۱۱]. قلنا: فيه إضمار تقديره: و ما هلاك قوم لوط أو مكان قوم لوط، و مكان قوم لوط كان قريبا منهم، و إهلاكهم أيضا كان قريبا من زمانهم. الثانى: أن فعيلا يستوى فيه الواحد و الاثنان و الجمع، قال الجوهرى: يقال ما أنتم منا ببعيد، و قال اللّه تعالى: وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم: ۴]، و قال: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ [ق: ۱۷]. [۴۶۳] فإن قيل: قولهم: وَ لَوْ لا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْنا بِعَزِيزٍ [هود: ۹۱] كلام واقع فيه و فى رهطه و أنهم الأعزة عليهم دونه، فكيف صح قوله: أَ رَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ [هود: ۹۲]؟ قلنا: تهاونهم به و هو نبى اللّه تهاون باللّه، فحين عز رهطه عليهم دونه كان رهطه أعز عليهم من اللّه، أ لا ترى إلى قوله تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۱ [النساء: ۸۰] و قوله: إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ [الفتح: ۱۰]. [۴۶۴] فإن قيل: قد ذكر عملهم على مكانتهم و عمله على مكانته، ثم أتبعه بذكر عاقبة العاملين منه و منهم، فكان المطابق و الموافق فى ظاهر الفهم أن يقول: من يأتيه عذاب يخزيه؛ حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إليهم، و من هو صادق إليه. قلنا: القياس ما ذكرت، و لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال: و من هو كاذب، يعنى فى زعمكم و دعواكم تجهيلا لهم. [۴۶۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِذا أَخَذَ الْقُرى وَ هِيَ ظالِمَةٌ [هود: ۱۰۲] و القرى لا تكون ظالمة؛ لأن الظلم من صفات من يعقل أو من صفات الحيوان دون الجماد؟ قلنا: هو من الإسناد المجازى، و المراد به أهلها، كما قال تعالى، فى موضع آخر: أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُها [النساء: ۷۵]؛ لكن لما أمن اللبس أسند الظلم إلى القرية لفظا كما فى قوله تعالى: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ [يوسف: ۸۲]. [۴۶۶] فإن قيل: كيف التوفيق بين قوله تعالى: يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ [هود: ۱۰۵] و قوله: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها [النحل: ۱۱۱] و قوله: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ وَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ [المرسلات: ۳۵، ۳۶] فإن الآية الثالثة تناقض الآية الأولى بنفى الإذن، و تناقض الآيتين جميعا بنفى النطق! قلنا: أما التوفيق بين الآيتين الأوليين فظاهر؛ لأن معناه تجادل عن نفسها بإذنه فتوافقت الآيتان، و أما الآية الثالثة فإنها لا تناقض الآية الأولى بنفى الإذن، إن قلنا إن الاستثناء من النفى ليس بإثبات؛ لأن الآية الأولى لا تقتضى وجود الإذن حينئذ؛ بل تقتضى نفى الكلام عند انتفاء الإذن، فأما إن قلنا إن الاستثناء من النفى إثبات ناقضت الآية الثالثة الأولى، و لا تناقض الآيتين بنفى النطق؛ لأن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف و مواطن؛ ففى بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم فيه، و فى بعضها يؤذن لهم فيتكلمون، و فى بعضها يختم على أفواههم و تتكلم أيديهم و تشهد أرجلهم، و هذا جواب عام عن مثل هذه الآيات و يرد على هذا أن يقال قوله تعالى: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ [المرسلات: ۳۵] نفى النطق عنهم يوم القيامة، فيقتضى انتفاءه فى جميع أجزاء ذلك الزمان عملا بعموم النفى، كما يعم النفى جميع أجزاء المكان فى قولنا لا وجود لزيد فى الدار، فاندفع الجواب باختلاف المواقف و المواطن، فيكون الجواب أن الآية الثالثة أريد بها طائفة خاصة غير الطائفتين الأوليين فلا تناقض. [۴۶۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ [هود: ۱۰۵] و كلمة من للتبعيض، و معلوم أن الناس كلهم إما شقى أو سعيد، فما معنى التبعيض؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۲ قلنا: التبعيض هنا على حقيقته؛ لأن أهل القيامة ثلاثة أقسام: قسم شقى و قسم سعيد و هم أهل النار و الجنة كما ذكر فى هذه الآية مفصلا، و قسم لا شقى و

لا سعيد و هم أهل الأعراف. الثانى: أن معنى الكلام: فمنهم شقى و منهم سعيد، و هذا يقتضى أن يكون الشقى بعض الناس و السعيد بعض الناس، و الأمر كذلك، و لا يقتضى أن يكون الشقى و السعيد كلاهما بعض الناس؛ بل كل واحد منهما بعض، و كلاهما كل كما تقول من الحيوان إنسان، و من الحيوان غير إنسان، و كل الحيوان إما إنسان أو غير إنسان. [۴۶۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ [هود: ۱۰۷] و أراد به بيان دوام الخلود، مع أن أهل الجنة و أهل النار مخلدون فيهما خلودا لا نهاية له، و السموات و الأرض و دوامهما منقطع لأنهما يوم القيامة ينهدمان، قال اللّه تعالى: كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا [الفجر: ۲۱] و قال تعالى: إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ [الانفطار: ۱] و قال تعالى: يَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ [الأنبياء: ۱۰۴] و نظائره كثيرة مما يدل على خراب السموات و الأرض؟ قلنا: للعرب فى معنى الأبد ألفاظ تعبر بها عن إرادة الدوام دون التأقيت منها، هذا، يقولون: لا أفعل كذا ما اختلف الليل و النهار، و ما دامت السماء و الأرض، و ما أطمت الإبل، و يريدون بذلك لا أفعله أبدا مع قطع النظر عن كون المؤقت به له نهاية أولا نهاية له. الثانى: أنه خاطبهم على معتقدهم أن السموات و الأرض لا تزول و لا تتغير. الثالث: أنه أراد به كون الفريقين فى قبورهم إما منعمين أو معذبين، كما جاء فى الحديث أن «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». و من كان فى روضة من رياض الجنة فهو فى الجنة، و من كان فى حفرة من حفر النار فهو فى النار، فعلى هذا يكون المراد بالتأقيت بدوام السموات و الأرض مدة الخلود إلى يوم القيامة. الرابع: أن المراد بها سماوات الآخرة و أرضها، قال اللّه تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّماواتُ [إبراهيم: ۴۸] و تلك دائمة لا تزول و لا تفنى، و لأنه لا بد لأهل الجنة مما يقلهم و يظلهم، إما سماء يخلقها اللّه تعالى، أو العرش، كما جاء فى الأخبار أن أهل الجنة تحت ظل العرش، و كل ما أظلك فهو سماء، و جاء فى الأخبار أيضا فى صفة الجنة أن ترابها من زعفران، فدل أن لها أرضا، و المراد تلك السموات و تلك الأرض. [۴۶۹] فإن قيل: إذا كان المراد بهذا التأقيت دوام الخلود دواما لا آخر له، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۳ فكيف يصح الاستثناء فى قوله تعالى: إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ [هود: ۱۰۷]؟ قلنا: قال الفراء «إلا» هنا بمعنى غير و سوى، فمعناه: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ [هود: ۱۰۷] سوى ما شاء اللّه تعالى من الخلود و الزيادة؛ فكأنه قال: خالدين فيها قدر مدة الدنيا غير ما شاء اللّه من الزيادة عليها إلى غير نهاية، و هذا الوجه إنما يصح إذا كان المراد سماوات الدنيا و أرضها. قال ابن قتيبة: و مثله فى الكلام قولك: لأسكننك فى هذه الدّار حولا إلا ما شئت، يريد سوى ما شئت أن أزيدك على الحول. الثانى: أنه استثناء لا يفعله كما تقول: لأهجرنك إلا أن أرى غير ذلك، و عزمك على هجرانه أبدا و هو معنى قول ابن عباس رضى اللّه عنهما، إلا ما شاء ربك و قد شاء أن يخلدوا فيها. قال الزجاج: و فائدة هذا الاستثناء إعلامنا أنه لو شاء أن لا يخلدهم لما خلدهم، و لكنه ما شاء إلا خلودهم. الثالث: أنه استثناء لزمان البعث و الحشر و الوقوف للعرض و الحساب، فإن الأشقياء و السعداء فى ذلك الزمان كله ليسوا فى النار؛ و لا فى الجنة. الرابع: أن «ما» بمعنى من، و المستثنى من يدخل النار من الموحدين فيعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار و يدخل الجنة، و هذا الوجه يختص بالاستثناء من الأشقياء فقط. الخامس: أن المستثنى زمان كون أهل الأعراف على الأعراف قبل دخولهم الجنة، و هذا الوجه يختص بالاستثناء من السعداء، لأنهم لم يدخلوا النار؛ لأن مصيرهم إلى الخلود فى الجنة. السادس: أنه استثناء من الخلود فى عذاب النار و من الخلود فى نعيم الجنة، الأشقياء لا يخلدون فى عذاب النار بل يعذبون بالزمهرير و غيره من أنواع العذاب سوى النار و هو سخط اللّه عليهم فإنه أشد، و كذلك السعداء لهم سوى نعيم الجنة ما هو أجل منها، و هو الزيادة التى وعدهم اللّه تعالى إياها بقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ [يونس: ۲۶] و رضوان اللّه كما قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ مَساكِنَ طَيِّبَةً فِی جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ [التوبة: ۷۲] و قوله تعالى: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ [السجدة: ۱۷] فهو المراد بالاستثناء، و يعضد هذا الوجه قوله تعالى، بعد ذكر الاستثناء: إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِما يُرِيدُ [هود: ۱۰۷] و قوله تعالى بعد ذكر السعداء: عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ [هود: ۱۰۷]، يعنى أنه يفعل بأهل النار ما يريد من أنواع العذاب، و يعطى أهل الجنة أنواع العطاء الذى لا انقطاع له، فاختلاف المقطعين يؤكد صرف الاستثناء إلى ما ذكرنا، فتأمل كيف يفسر القرآن بعضه بعضا. [۴۷۰] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: غَيْرَ مَنْقُوصٍ

[هود: ۱۰۹] بعد قوله: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۴ وَ إِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ [هود: ۱۰۹] و التوفية و الإيفاء إعطاء الشيء وافيا، أي تاما، نقله الجوهري و غيره، و التام لا يكون منقوصا؟ قلنا: هو من باب التأكيد. [۴۷۱] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: وَ لِذلِكَ خَلَقَهُمْ [هود: ۱۱۹] إشارة إلى ما ذا؟ قلنا: هو إشارة إلى ما عليه الفريقان من حالي الاختلاف و الرحمة، فمعناه أنه خلق أهل الاختلاف للاختلاف و أهل الرحمة للرحمة، و قد فسره ابن عباس، رضي اللّه تعالى عنهما، فقال: خلقهم فريقين: فريقا رحمهم فلم يختلفوا، و فريقا لم يرحمهم فاختلفوا. و قيل: هو إشارة إلى معنى الرحمة و هو الترحم، و على هذا يكون الضمير في خلقهم للذين رحمهم فلم يختلفوا. و قيل: هو إشارة إلى الاختلاف و الضمير في خلقهم للمختلفين، و اللام على الوجه الأول و الثالث لام العاقبة و الصيرورة لا لام كي و هي التي تسمى لام الغرض و المقصود؛ لأن الخلق للاختلاف في الدين لا يليق بالحكمة، و نظير هذه اللّام قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً [القصص: ۸] و قول الشاعر: لدوا للموت و ابنوا للخراب فكلّكم يصير إلى التّراب و قيل: إنها لام التمكين و الاقتدار كما في قوله تعالى: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ [يونس: ۶۷] و قوله تعالى: وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها [النحل: ۸] و التمكن و الاقتدار حاصل و إن لم يسكن بعض الناس في الليل و لم يركب بعض هذه الدواب، و معنى التمكين و الاقتدار هنا أنه سبحانه و تعالى أقدرهم على قبول حكم الاختلاف و مكنهم منه. و قيل: اللام هنا بمعنى على، كما في قوله تعالى: وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ [الصافات: ۱۰۳] و قوله تعالى: يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً [الإسراء: ۱۰۷]. [۴۷۲] «۲» فإن قيل: كيف الجمع بين قوله تعالى: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ [هود: ۱۲۰] و قوله تعالى: وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ [النساء: ۱۶۴]؟ قلنا: معناه و كل نبأ نقصه عليك من أنباء الرسل هو ما نثبت به فؤادك فما في موضع رفع خبر لمبتدإ محذوف، فلا يقتضي اللفظ قص أنباء جميع الأنبياء، فلا تناقض بين الآيتين.

(____ ۱) ([۴۷۱]) البيت لأبي العتاهية من ديوانه، و قد تقدم. (۲) ([۴۷۲]) البيت في ديوان لبيد. - الحديث أخرجه أحمد في مسنده: ۲/ ۲۴۸. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۵ الثاني: أن المراد بالكل هنا البعض، كما في قوله تعالى: ثُمَّ اجْعَلْ عَلى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً [البقرة: ۲۶۰] و قوله تعالى: وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ [يونس: ۲۲] و قوله تعالى: وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ۲۳] و قوله تعالى: وَ كُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ [الإسراء: ۱۳] و قول لبيد الشاعر: ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل و كلّ نعيم لا محالة زائل و كثير من الأشياء غير اللّه تعالى حقّ، كالنبي عليه الصلاة و السلام و الإيمان و الجنة و غير ذلك، و كذلك نعيم الجنة و الآخرة ليس بزائل، و لبيد صادق في هذا البيت لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد»: ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل إلى آخره. [۴۷۳] فإن قيل: ما فائدة تخصيص هذه السورة بقوله تعالى: وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ [هود: ۱۲۰] مع أنّ الحق جاء في كل سور القرآن؟ قلنا: قالوا فائدة تخصيص هذه السورة بذلك زيادة تشريفها و تفصيلها مع مشاركة غيرها إياها في ذلك كما في قوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ [الجن: ۱۸] و قوله تعالى: وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [البقرة: ۹۸] بعد قوله: وَ مَلائِكَتِهِ [البقرة: ۹۸] و قوله تعالى: وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: ۲۳۸] بعد قوله: الصَّلَواتِ [البقرة: ۲۳۸] و وجه المشابهة بينهما أنه حمل قوله تعالى: وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ [البقرة: ۹۸] على التشريف و التفضيل عند تعذر حمله على تعليق العداوة به لئلّا يلزم تحصيل الحاصل، و كذا في المثال الأخير تعذر حمله على إيجاب المحافظة لما قلنا، و هنا تعذر حمله على حقيقته و هو الجنس بأن حقيقته انحصار كل حقّ في هذه السورة و هو منتف، أو حمل الحق على معهود سابق و هو منتف، و حمله على بعض الحق يلزم منه وصف هذه السورة بوصف مشترك بينها و بين كل السور، و أنه لا يحسن كما لو قال: و جاءك في هذه الحق آيات اللّه أو كلام اللّه أو كلام معجز، فجعل مجازا عن التفضيل و التشريف. و قيل: الإشارة بهذه إلى الدنيا لا إلى السورة، و الجمهور على القول الأول. و لا يقال إنما خصت هذه السورة بذلك؛ لأن فيها الأمر بالاستقامة بقوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ مَنْ تابَ مَعَكَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ [هود: ۱۱۲] و الاستقامة من أعلى المقامات عند العارفين، لأنا نقول الأمر بالاستقامة جاء أيضا في سورة حمعسق قال اللّه تعالى وَ اسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ [الشورى: ۱۵] و لا يصلح هذا علة للتخصيص، و اللّه أعلم. أسئلة

القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۶

سورة يوسف عليه السلام

سورة يوسف عليه السلام [۴۷۴] فإن قيل: كيف قال: إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ [يوسف: ۴] و لم يقل ثلاثة عشر كوكبا و هو أوجز و أخصر، و الذى رآه كان أحد عشر كوكبا غير الشمس و القمر؟ قلنا: قصد عطفهما على الكواكب تخصيصا لهما بالذكر و تفضيلا لهما على سائر الكواكب لما لهما من المزية و الرتبة على الكل، و نظيره تأخير جبريل و ميكائيل عن الملائكة عليهم السلام ثم عطفهما عليهم، إن قلنا إنهما غير مرادين بلفظ الملائكة، و كذا قوله تعالى: حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَ الصَّلاةِ الْوُسْطى [البقرة: ۲۳۸] إن قلنا إنّها غير مرادة بلفظ الصلوات. [۴۷۵] فإن قيل: ما فائدة تكرار رأيت؟ قلنا: قال الزمخشرى: ليس ذلك تكرارا؛ بل هو كلام مستأنف وضع جوابا لسؤال مقدر من يعقوب عليه السلام، كأنه قال له بعد قوله تعالى: وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ [يوسف: ۴] كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها؟ فقال مجيبا له رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ [يوسف: ۴] و قال الزّجاج: إنّما كرر الفعل تأكيدا لما طال الكلام كما فى قوله تعالى: وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ [الروم: ۷] وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كافِرُونَ [الأعراف: ۴۵] و قال غيره، إنما كرره تفخيما للرؤية و تعظيما لها. [۴۷۶] فإن قيل: كيف أجريت مجرى العقلاء فى قوله: رَأَيْتُهُمْ، و فى قوله: ساجِدِينَ، و أصله رأيتها ساجدة؟ قلنا: لما وصفها بما هو من صفات من يعقل و هو السجود أجرى عليها حكمه كأنها عاقلة، و هذا شائع فى كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة المقارنة، و نظيره قوله تعالى: قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا [النمل: ۱۸] و قوله تعالى، فى وصف السماء و الأرض: قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [فصلت: ۱۱]. [۴۷۷] فإن قيل: كيف قال: يَرْتَعْ وَ يَلْعَبْ [يوسف: ۱۲] و كانوا عاقلين بالغين و أنبياء أيضا فى قول البعض، و كيف رضى يعقوب عليه السلام لهم بذلك؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۷ قلنا: على قراءة الياء لا إشكال، لأن يوسف عليه السلام كان يومئذ دون البلوغ فلا يحرم عليه اللعب، و على قراءة النون نقول كان لعبهم المسابقة و المناضلة ليعودوا أنفسهم الشجاعة لقتال الأعداء لا للهو و ذلك جائز بالشرع، و يعضد هذا قولهم إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ [يوسف: ۱۷] و إنما سمّوه لعبا لأنه فى صورة اللّعب. و يرد على أصل السؤال أن يقال: كيف يتورعون عن اللعب و هم قد فعلوا ما هو أعظم حرمة من اللعب و أشد و هو إلقاء أخيهم فى الجب على قصد القتل. [۴۷۸] فإن قيل: كيف اعتذر إليهم يعقوب عليه السلام بعذرين أحدهما: إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ [يوسف: ۱۳] لأنه كان لا يصبر عنه ساعة واحدة، و الثانى: خوفه عليه من الذنب، فأجابوه عن أحد العذرين دون الآخر؟ قلنا: حبه إياه و إيثاره له و عدم صبره على مفارقته هو الذى كان يغيظهم و يؤلمهم فأضربوا عنه صفحا و لم يجيبوا عنه. [۴۷۹] فإن قيل: كيف قال: وَ أَوْحَيْنا إِلَيْهِ [يوسف: ۱۵] و هو يومئذ لم يكن بالغا، و الوحى إنما يكون بعد الأربعين؟ قلنا: المراد به وحى الإلهام لا وحى الرسالة الذى هو مخصوص بما بعد الأربعين؛ و نظيره قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ [القصص: ۷] و قوله تعالى: وَ أَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ [النحل: ۶۸]. [۴۸۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً [يوسف: ۲۲]، و قال فى حقّ موسى عليه السلام: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوى آتَيْناهُ حُكْماً وَ عِلْماً [القصص: ۱۴]. قلنا: المراد ببلوغ الأشد دون الأربعين سنة على اختلاف مقداره، و المراد بالاستواء بلوغ الأربعين أو الستين، و كان إيتاء كل واحد منهما الحكم و العلم فى ذلك الزمان فأخبر عنه كما وقع. [۴۸۱] فإن قيل: كيف وحد الباب فى قوله وَ اسْتَبَقَا الْبابَ [يوسف: ۲۵] بعد جمعه فى قوله: وَ غَلَّقَتِ الْأَبْوابَ [يوسف: ۲۳]. قلنا: لأن إغلاق الباب للاحتياط لا يتم إلا بإغلاق جميع أبواب الدار، سواء كانت كلها فى جدار الدار أو لا؛ و أما هربه منها إلى الباب فلا يكون إلا إلى باب واحد إن كانت كلها فى جدار الدار، و لأن خروجه فى وقت هربه لا يتصور إلا من باب واحد منها، و إن كان بعض الأبواب داخل بعض فإنه أول ما يقصد الباب الأدنى لقربه، و لأن الخروج من الباب الأوسط و الباب الأقصى موقوف على الخروج من الباب الأدنى فلذلك وحد الباب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۸ [۴۸۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ أَهْلِها [يوسف: ۲۶] و لم يكن قوله شهادة؟ قلنا: لما أدى معنى الشهادة فى ثبوت قول يوسف عليه السلام

و بطلان قولها سمى شهادة، فالمراد بقوله شهد: أعلم و بيّن و حكم. [۴۸۳] فإن قيل: قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ [يوسف: ۲۸] يدل على أنها كاذبة و أنها هى التى تبعته و جذبت قميصه من خلفه فقدّته، و أما قدّه من قبل فكيف يدل على أنها صادقة؟ قلنا: يدل من وجهين: أحدهما: أنه إذا كان طالبها و هى تدفعه عن نفسها بيدها أو برجلها فإنها تقد قميصه من قبل بالدفع. الثانى: أنه يسرع خلفها و هى هاربة منه فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه. و يرد على الوجه الثانى أنه مشترك الدلالة من جهة العثار الذى هو نتيجة الإسراع؛ لأنه يحتمل أن يكون إسراعا فى الهرب منها و هى خلفه فيعثر فينقد قميصه من قبل. [۴۸۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ قالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ [يوسف: ۳۱]، و إنما يقال خرجت إلى السوق و طرقت عليه الباب فخرج إلى؟ قلنا: إذا كان الخروج بقهر و غلبة أو بجمال و زينة أو بآية و أمر عظيم فإنما يعدّى بعلى، و منه قولهم خرج علينا فى السفر قطّاع الطريق، و قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ [القصص: ۷۹] و قوله تعالى: فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ [مريم: ۱۱]. [۴۸۵] فإن قيل: كيف شبهن يوسف عليه السلام بالملك فقلن: ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ [يوسف: ۳۱] و هن ما رأين الملائكة قط؟ قلنا: إن كن ما رأين الملائكة فقد سمعن وصفها. الثانى: أن اللّه تعالى قد ركز فى الطباع حسن الملائكة كما ركز فيها قبح الشيطان، و لذلك يشبه كل متناه فى الحسن بالملك، و كل متناه فى القبح بالشيطان. [۴۸۶] فإن قيل: كيف قال يوسف عليه السلام: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ [يوسف: ۳۷] و ترك الشيء إنما يكون بعد ملابسته و الكون فيه، يقال ترك فلان شرب الخمر و أكل الربا و نحو ذلك إذا كان فيه ثم أقلع عنه، و يوسف عليه السلام لم يكن على ملة الكفار قط؟ قلنا: الترك نوعان: ترك بعد الملابسة و يسمى ترك انتقال، و ترك قبل الملابسة و يسمى ترك إعراض كقوله تعالى فى قصة موسى عليه السلام: وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ [الأعراف: ۱۲۷] و موسى عليه السلام ما لابس عبادة فرعون و لا عبادة آلهته فى وقت أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۳۹ من الأوقات و ما نحن فيه من النوع الثانى، و سيأتى نظير هذا السؤال فى سورة إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا [الأعراف: ۸۸]. [۴۸۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف: ۴۰] فسر الأمر بالنهى أو بما جزؤه النهى و هما ضدان؟ قلنا: فيه إضمار أمر آخر تقديره أمر أمرا اقتضى أن لا تعبدوا إلا إياه و هو قوله تعالى: فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ [العنكبوت: ۵۶] فإنه باعتبار تقديم المفعول فى معنى الحصر كما قال فى قوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ۵]. الثانى: أن فيه إضمار نهى تقديره: أمر و نهى، ثم فسر الأمرين بقوله تعالى: أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف: ۴۰]. الثالث: أن قوله تعالى: أَلَّا تَعْبُدُوا [يوسف: ۴۰] و إن كان مضادا للأمر من حيث اللفظ فهو موافق له من حيث المعنى، فلم قلتم إن تفسير الشيء بما يضاده صورة، و يوافقه معنى غير جائز. و بيان موافقته معنى من وجهين: أحدهما: أن النهى عن الشيء أمر بضده، و عبادة اللّه ضد عبادة غير اللّه. الثانى: أن معنى مجموع قوله تعالى: أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [يوسف: ۴۰] اعبدوه وحده فيكون تفسيرا للأمر المطلق بفرد من أفراده و أنه جائز. [۴۸۸] فإن قيل: الأنبياء عليهم السلام أعظم الناس زهدا فى الدّنيا و رغبة فى الآخرة، فكيف قال يوسف، عليه السلام: اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ [يوسف: ۵۵]؛ طلب أن يكون معتمدا على الخزائن متوليا لها و هو من أكبر مناصب الدنيا؟ قلنا: إنما طلب ذلك ليتوصل به إلى إمضاء أحكام اللّه تعالى و إقامة الحق و بسط العدل و نحوه مما يبعث له الأنبياء، و لعلمه أن أحدا غيره لا يقوم مقامه فى ذلك، فطلب التولية ابتغاء لوجه اللّه تعالى و سعيا لمنافع العباد و مصالحهم لهم لا لحب الملك و الدنيا، و نظيره قوله تعالى: وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ [الأعراف: ۱۸۸] يعنى لو كنت أعلم أى وقت يكون القحط لادّخرت لزمن القحط طعاما كثيرا، لا للحرص؛ لكن لأتمكن من إعانة الضعفاء و الفقراء وقت الضرورة و المضايقة، و يحتمل أن يكون علم تعينه بذلك العمل فكان طلبه واجبا عليه. [۴۸۹] فإن قيل: كيف جاز ليوسف عليه السلام، أن يأمر المؤذّن أن يقول: أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ [يوسف: ۷۰] و ذلك بهتان و تسريق بالصّواع لمن لم يسرقه، و تكذيب للبريء و اتهام من لم يسرق بأنه سرق؟ قلنا قوله: إِنَّكُمْ لَسارِقُونَ تورية عما جرى منهم مجرى السرقة، و تصور بصورتها، من فعلهم بيوسف ما فعلوه أولا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۰ الثانى: أن ذلك القول كان من المؤذن بغير أمر يوسف عليه السلام، كذا قاله بعض المفسرين. الثالث: أن حكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التى يتوصل بها إلى مصالح و منافع دينية، كقوله تعالى لأيوب عليه السلام: وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً

فَاضْرِبْ بِهِ وَ لا تَحْنَثْ [ص: ۴۴] و قول إبراهيم، عليه السلام، فى حق زوجته هى أختى لتسلم من يد الكافر، و ما أشبه ذلك. [۴۹۰] فإن قيل: كيف تأسف يعقوب عليه السلام على يوسف دون أخيه بقوله: يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ [يوسف: ۸۴] و الرزء الأحدث أشد على النفس و أعظم أثرا؟ قلنا: إنما يكون أشد إذا تساوت المصيبتان فى العظم و لم يتساويا هنا، بل فقد يوسف كان أعظم عليه و أشد من فقد أخيه، فإنما خصه بالذكر ليدل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده ما زال غضا طريا. [۴۹۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ [يوسف: ۸۴] و الحزن لا يحدث بياض العين لا طبا و لا عرفا؟ قلنا: قال ابن عباس، أى من البكاء؛ لأن الحزن سبب البكاء، فأطلق اسم السبب و أراد به المسبب. و كثرة البكاء قد تحدث بياضا فى العين يغشى السواد، و هكذا حدث ليعقوب عليه السلام. و قيل: إذا كثرت الدموع محقت سواد العين و قلبته إلى بياض كدر. [۴۹۲] فإن قيل: كيف قال يعقوب عليه السلام: إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ [يوسف: ۸۷] مع أن من المؤمنين من ييأس من روح اللّه، أى من فرجه و تنفيسه أو من رحمته، على اختلاف القولين؛ إما لشدة مصيبته أو لكثرة ذنوبه، كما جاء فى الحديث فى قصة الذى أمر أهله إذا مات أن يحرقوه و يذروا رماده فى البر و البحر ففعلوا به ذلك، ثم إن اللّه غفر له كما جاء مشروحا فى الحديث المشهور، و هو من الصحاح؛ مع أنه يئس من رحمة اللّه تعالى، و ضم إلى يأسه ذنبا آخر و هو اعتقاده أنه إذا أحرق و ذرى رماده لا يقدر اللّه على إحيائه و تعذيبه، و مع هذا كله يغفر له، فدلّ على أنه لم يمت كافرا؟ قلنا: إنما ييأس من روح اللّه الكافر لا المسلم عملا بظاهر الآية، و كل مؤمن يتحقق منه اليأس من روح اللّه فهو كافر فى الحال حتى يعود إلى الإسلام بعوده إلى رجاء روح اللّه، و أما الرّجل المغفور له فى الحديث فلا نسلم أنه لم يكفر، ثم إن اللّه تعالى لما أحياه فى الدنيا عاد إلى الإسلام بعوده إلى رجاء روح اللّه تعالى فلذلك غفر له، و قد يكون قد عاد إلى رجاء روح اللّه تعالى قبل موته الأولى، و لم يتسع له الزمان أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۱ أن يرجع عن وصيته التى أوصى بها أهله؛ فمات مسلما، فلذلك غفر له. [۴۹۳] فإن قيل: فى قوله تعالى: وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّداً [يوسف: ۱۰۰] كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير اللّه تعالى؟ قلنا: لعله كان السجود عندهم تحية و تكرمة كالقيام و المصافحة عندنا. و قيل: كان انحناء كالركوع و لم يكن بوضع الجبهة على الأرض، إلا أن قوله تعالى: وَ خَرُّوا يأبى ذلك، لأن الخرور عبارة عن السقوط، و لا يرد عليه قوله تعالى: وَ خَرَّ راكِعاً [ص: ۲۴] لأنهم قالوا أراد به ساجدا فعبر عن السجود بالركوع كما عبر عن الصلاة فى قوله تعالى: وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ [البقرة: ۴۳] أى صلوا مع المصلين. و قيل له: أى لأجله، فاللام للسببية لا لتعدية السجود إلى يوسف عليه السلام، فالمعنى و خروا لأجل يوسف سجدا للّه تعالى شكرا على جمع شملهم به. و قيل: الضمير فى له يعود إلى اللّه تعالى، و هذا الوجه يدفعه قوله تعالى: يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُؤْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّی حَقًّا [يوسف: ۱۰۰]. [۴۹۴] فإن قيل: كيف ذكر يوسف عليه السلام نعمة اللّه تعالى عليه فى إخراجه من السجن فقال: وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ [يوسف: ۱۰۰] و لم يذكر نعمته عليه فى إخراجه من الجب و هو أعظم نعمة؛ لأن وقوعه فى الجب كان أعظم خطرا؟ قلنا: إنما ذكر هذه النعمة دون تلك النعمة لوجوه: أحدهما: أن محنة السجن و مصيبته كانت أعظم لطول مدتها، فإنه لبث فيه بضع سنين و ما لبث فى الجب إلا مدة يسيرة. الثانى: أنه إنما لم يذكر الجب كيلا يكون فى ذكره توبيخ و تقريع لإخوته عند قوله لهم: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ [يوسف: ۹۲]. الثالث: أن خروجه من السجن كان مقدمة لملكه و عزه فلذلك ذكره، و خروجه من الجب كان مقدمة الذل و الرق و الأسر فلذلك لم يذكره. الرابع: أن مصيبة السجن كانت أعظم عنده لمصاحبة الأوباش و الأراذل و أعداء الدين، بخلاف مصيبة الجب فإنه كان مؤنسه فيه جبريل و غيره من الملائكة عليهم السلام. [۴۹۵] فإن قيل: كيف قال يوسف: تَوَفَّنِي مُسْلِماً [يوسف: ۱۰۱] و هو يعلم أنّ كلّ نبى لا يموت إلّا مسلما؟ قلنا: يجوز أن يكون دعا بذلك فى حالة غلبة الخوف عليه غلبة أذهلته عن ذلك العلم فى تلك الساعة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۲ الثانى: أنه دعا بذلك مع علمه إظهارا للعبودية و الافتقار و شدة الرغبة فى طلب سعادة الخاتمة و تعليما للأمة و طلبا للثواب. [۴۹۶] فإن قلنا: كيف يجتمع الإيمان و الشرك و هما ضدان؛ حتّى قال تعالى: وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ۱۰۶]؟ قلنا: معناه و ما يؤمن أكثرهم بأن اللّه تعالى خالقه و رازقه و خالق السموات و الأرض قولا إلا و هو مشرك بعبادة الأصنام فعلا. الثانى: أن المراد بها

المنافقون يؤمنون بألسنتهم قولا و يشركون بقلوبهم اعتقادا. الثالث: أن المراد بها تلبية العرب، كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك؛ فكانوا يؤمنون بأول تلبيتهم بنفى الشريك، و يشركون بآخرها بإثباته. [۴۹۷] «۱» فإن قيل: هذه التلبية توحيد كلها و لا شرك فيها؛ لأن معنى قولهم إلّا شريكا هو لك: إلا شريكا هو مملوك لك موصوفا بأنك تملكه و تملك ما ملك، و اللام هنا للملك لا لعلاقة الشركة، و هذا الاستثناء يحتمل أن يكون حقيقيا و يحتمل أن يكون مجازيا، بيان الأول أنا إن قلنا إن اللام حقيقة فى المعنى العام فى مواردها و هو الاختصاص يكون قولهم: لا شريك لك، عاما فى نفى كل شريك يضاف إلى اللّه تعالى بجهة اختصاص ما، فيدخل فى النفى من جهة لفظ الشريك المضاف بجهة المملوكية، و هو شريك زيد و عمرو و نحوهما ثم يقطع عليه الاستثناء فيكون استثناء حقيقيا، و إن قلنا إنها مشتركة بين المعانى الثلاثة الموجودة فى موارد استعمالها و هى الملك و الاستحقاق، و يقال الاختصاص و العلية، فقولهم: لا شريك لك يكون عاما أيضا عند من يجوز حمل المشترك على مفهومه فى حالة واحدة فيكون الاستثناء أيضا حقيقيا كما مر، و أما على قول من لا- يجوّز ذلك يكون النفى واردا على أحد مفهوماته و هو علاقة الشركة، فيكون الاستثناء بعده مجازيا، من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، و هو نوع من أنواع البلاغة مذكور فى علم البيان، و شاهده قول الشاعر: و لا- عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب معناه: إن كان هذا عيبا ففيهم عيب، و هذا ليس بعيب فلا يكون فيهم عيب، فكذا هنا، معناه: إن كان الشريك المملوك لك يصلح شريكا فلك شريك، و هو لا يصلح شريكا لك، فلا يكون لك شريك؛ لأنّ كل ما يدّعى أنه شريك لك فهو مملوك

(______________________________ ۱) ([۴۹۷]) البيت للنابغة الذبيانى و هو فى ديوانه: ۴۴. و انظر البصائر ۲/ ۴۳۲، من قصيدة له فى مدح الحارث الأصغر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۳ لك، و هذا المعنى هو المراد بقوله تعالى: ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ [الروم: ۲۸] الآية. قلنا: على الوجه الأول إنه ليس بصحيح؛ لأنه لو جعلنا اللام حقيقة فى المعنى العام و هو الاختصاص يلزم منه الكفر حيث وجد نفى الشريك من غير استثناء، لأنه يلزم منه نفى ملكه تعالى شريك زيد و عمرو و نحوهما و هو كفر، و اللازم منتف؛ لأنه إيمان محض بلا خلاف. [۴۹۸] فإن قيل: إنما لم يكن كفرا مع عمومه؛ لأنّ الحقيقة العرفية عند عدم الاستثناء نفى كل شريك يضاف إلى اللّه تعالى بعلاقة الشريك، لا نفى كل شريك يضاف إليه بجهة ما فصارت الحقيقة اللغوية مهجورة بالحقيقة العرفية عند عدم الاستثناء. و الجواب عن أصل السؤال أنه سؤال حسن محقق، و أن هذه التلبية توحيد محض على التقديرين، فإن صح النقل أن النبى عليه الصلاة و السلام نهى عنها، فإنما نهى عنها لأنها توهم إثبات الشريك لمقتضى الاستثناء عند قاصرى النظر و هم عوام الناس، فلهذه المفسدة نهى عنها. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۴

سورة الرعد

سورة الرعد [۴۹۹] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سارِبٌ بِالنَّهارِ [الرعد: ۱۰] و لم يقل و من هو سارب بالنهار، ليتناول معنى الاستواء المستخفى و السارب، و إلا فقد تناول واحدا هو مستخف و سارب، أى ظاهر، و ليتناسب لفظ الجملة الأولى و الثانية، فإنه قال فى الجملة الأولى: مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ [الرعد: ۱۰]؟ قلنا: قوله تعالى: وَ سارِبٌ معطوف على «من» لا على مستخف، فيتناول معنى الاستواء اثنين. الثانى: أنه و إن كان معطوفا على مستخف إلا أن من هنا فى معنى التثنية كقوله: نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فكأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل و سارب بالنهار. [۵۰۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ [الرعد: ۱۴] أى فى ضياع و بطلان، و الكفار يدعون اللّه تعالى فى وقت الشدائد و الأهوال و مشارفتهم الغرق فى البحر فيستجيب لهم؟ قلنا: المراد: و ما عبادة الكافرين الأصنام إلا- فى ضلال، و يعضده قوله تعالى: وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ [الرعد: ۱۴] أى يعبدون. [۵۰۱] فإن قيل: كيف طابق قولهم: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ [الرعد: ۲۷] قوله: قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنابَ [الرعد: ۲۷]؟ قلنا: هو كلام جرى مجرى التعجب من قولهم؛ لأن الآيات الباهرة المتكاثرة التى أوتيها رسول اللّه

علیــــــه الصــــــلاة و الســــــلام لـــــم یؤتهـــــا نـــــبی قبلـــــه، و کفی بـــــالقرآن وحـــــده آیة

(____۱) ([۴۹۹]) هذا عجز بیت للفرزدق، و هو فی دیوانه: ۸۷۰. و أمالی ابن الشجری ۲/ ۳۱۱. و البیت بتمامه: تعشّ فإن واثقتنی لا- تخوننی نکن مثل من یا ذئب یصطحبان هکذا یروی البیت عند النحاة. و له روایة أخری فی کتب الأدب فتوضع کلمة تعال محل تعشّ فی بدایة البیت. و الشاهد فیه تثنیة یصطحبان لأن فاعله من أرید به الشاعر و الذئب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۵ وراء کل آیة، فإذا جحدوا آیاته و لم یعتدّوا بها و جعلوه کأنّ آیة لم تنزل علیه قط کان موضعا یتعجب منه، فکأنه قیل لهم: ما أعظم عنادکم و ما أشد تصمیمکم علی کفرکم. [۵۰۲] فإن قیل: کیف المطابقة بین قوله تعالی: أ فَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلی کُلِّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ [الرعد: ۳۳] و قوله: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ [الرعد: ۳۳]. قلنا: فیه محذوف تقدیره: أ فمن هو رقیب علی کل نفس صالحة و طالحة یعلم ما کسبت من خیر و شر، و یعد لکل جزاء کمن لیس کذلک و هو الصنم، ثم ابتدأ فقال: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَکاءَ [الرعد: ۳۳]، أو تقدیره: أ فمن هو بهذه الصفة لم یوحدوه و جعلوا له شرکاء، أو التقدیر: أ فمن کان بهذه الصفة یغفل عن أهل مکة و أقوالهم و أفعالهم و جعلوا للّه شرکاء. [۵۰۳] فإن قیل: کیف اتصل قوله تعالی: قُلْ إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ [الرعد: ۳۶] بما قبله و هو قوله تعالی: وَ مِنَ الْأَحْزابِ مَنْ یُنْکِرُ بَعْضَهُ [الرعد: ۳۶]؟ قلنا: هو جواب للمنکرین معناه: قل إنما أمرت فیما أنزل إلیّ بأن أعبد اللّه و لا أشرک به، فإنکارهم لبعضه إنکار لعبادة اللّه تعالی و توحیده، کذا أجاب به الزمخشری، و فیه نظر. [۵۰۴] فإن قیل: کیف قال تعالی: وَ قَدْ مَکَرَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ [الرعد: ۴۲] أثبت لهم مکرا ثم نفاه عنهم بقوله تعالی: فَلِلَّهِ الْمَکْرُ جَمِیعاً [الرعد: ۴۲]؟ قلنا: معناه أن مکر الماکرین مخلوق له و لا یصیر إلا بإرادته، فبهذه الجهة صحة إضافة مکرهم إلیه. الثانی: أنه جعل مکرهم کلا- مکر، بالإضافة إلی مکره؛ لأنه یأتیهم من حیث لا یعلمون، فیعکس مکرهم علیهم. فإثباته لهم باعتبار الکسب، و نفیه عنهم باعتبار الخلق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۶

سورة إبراهیم علیه الصلاة و السلام

سورة إبراهیم علیه الصلاة و السلام [۵۰۵] فإن قیل: کیف قوله تعالی: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِیُبَیِّنَ لَهُمْ [إبراهیم: ۴] هذا فی حق غیر النبیّ علیه الصلاة و السلام من الرسل مناسب؛ لأن غیره لم یبعث إلی الناس کافة، بل إلی قومه فقط، فأرسل بلسانهم لیفقهوا عنه الرسالة و لا تبقی لهم حجة بأنا لم نفهم رسالتک، فأما النبیّ علیه الصلاة و السلام فإنه بعث إلی الناس کافة، قال تعالی: قُلْ یا أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً [الأعراف: ۱۵۸] وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا کَافَّةً لِلنَّاسِ [سبأ: ۲۸] فإرساله بلسان قومه إن کان لقطع حجة العرب، فالحجة باقیة لغیرهم من أهل الألسن الباقیة، و إن لم یکن لغیر العرب حجة أن لو نزل القرآن بلسان غیر العرب یکن للعرب الحجة. قلنا: نزوله علی النبیّ علیه الصلاة و السلام بلسان واحد کاف؛ لأن الترجمة لأهل بقیة الألسن تغنی عن نزوله لجمیع الألسن، و یکفی مئونة التطویل کما جری فی القرآن العزیز. الثانی: أن نزوله بلسان واحد أبعد عن التحریف و التبدیل، و أسلم من التنازع و الخلاف. الثالث: أنه لو نزل بألسنة کل الناس و کان معجزا فی کل واحد منها، و کلم الرسول العربی کل أمة بلسانها، کما کلم أمته التی هو منها لکان ذلک أمرا قریبا من القسر و الإلجاء، و بعثة الرسل لم تبن علی القسر و الإلجاء؛ بل علی التمکین من الاختیار، فلما کان نزوله بلسان واحد کافیا کان أولی الألسنة لسان قوم الرسول؛ لأنهم أقرب إلیه و أفهم عنه. [۵۰۶] فإن قیل: یُذَبِّحُونَ [البقرة: ۴۹] و فی سورة الأعراف: یُقَتِّلُونَ [الأعراف: ۱۴۱] بغیر واو فیهما، و قال هنا وَ یُذَبِّحُونَ [إبراهیم: ۶] بالواو و القصة واحدة؟ قلنا: حیث حذف الواو و جعل التذبیح و التقتیل تفسیرا للعذاب، و بیانا له، و حیث أثبتها جعل التذبیح کأنه جنس آخر غیر العذاب؛ لأنه أوفی علی بقیة أنواعه و زاد علیها زیادة ظاهرة، فعلی هذا یکون إثبات الواو أبلغ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۷ [۵۰۷] فإن قیل: ما معنی التبعیض فی قوله تعالی: لِیَغْفِرَ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ [إبراهیم: ۱۰]؟ قلنا: ما جاء هذا إلا فی خطاب الکافرین کقوله تعالی فی سورة نوح علیه السلام: یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ [نوح: ۴] و قوله تعالی، فی سورة الأحقاف: یا قَوْمَنا أَجِیبُوا داعِیَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ یَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ [الأحقاف: ۳۱] و قال تعالى فى خطاب المؤمنين فى سورة الصف: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ [الصف: ۱۰] إلى قوله: يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الصف: ۱۲] و قال تعالى، فى آخر سورة الأحزاب: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [الأحزاب: ۷۰، ۷۱]، و كذا باقى الآيات فى خطاب الفريقين إذا تتبعتها، و ما ذلك إلا للتفرقة بين الخطابين لئلا يسوى بين الفريقين فى الوعد مع اختلاف رتبتهما، لا لأنه يغفر للكفار مع بقائهم على الكفر بعض ذنوبهم، و الذى يؤيد ما ذكرناه من العلة أنه فى سورة نوح عليه السلام و فى سورة الأحقاف وعدهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان مطلقا. و قيل: معنى التبعيض أنه يغفر لهم ما بينهم و بينه لا ما بينهم و بين العباد من المظالم و نحوها. و قيل: «من» زائدة. [۵۰۸] فإن قيل: كيف كرر تعالى الأمر بالتوكل و كيف قال أوّلا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [إبراهيم: ۱۱] و قال ثانيا: وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ [إبراهيم: ۱۲]؟ قلنا: الأمر الأول لاستحداث التوكل، و الثانى لتثبيت المتوكلين على ما استحدثوا من توكلهم فلهذا كرره، و قال أولا المؤمنون و ثانيا المتوكلون. [۵۰۹] فإن قيل: كيف قالوا لرسلهم أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا [إبراهيم: ۱۳] و الرسل لم يكونوا على ملة الكفار قط، و العود هو الرجوع إلى ما كان فيه الإنسان؟ قلنا: العود فى كلام العرب يستعمل كثيرا بمعنى الصيرورة، يقولون: عاد فلان يكلمنى، و عاد لفلان مال و أشباه ذلك، و منه قوله تعالى: حَتَّى عادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ [يس: ۳۹]. الثانى: أنهم خاطبوا الرسل بذلك بناء على زعمهم الفاسد و اعتقادهم أن الرسل كانوا أولا ـ على ملل قومهم ثم انتقلوا عنها. الثالث: أنهم خاطبوا كل رسول و من آمن به فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد، و نظير هذا السؤال ما سبق فى سورة الأعراف من قوله تعالى: أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا [إبراهيم: ۱۳] و فى سورة يوسف عليه السلام من قوله تعالى: إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ [يوسف: ۳۷] الآية. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۸ [۵۱۰] فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال فى قوله تعالى: وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقالَ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قالُوا لَوْ هَدانَا اللَّهُ لَهَدَيْناكُمْ [إبراهيم: ۲۱]. قلنا: لما كان قول الضعفاء توبيخا و تقريعا و عتابا للذين استكبروا على استتباعهم إياهم و استغوائهم، أحالوا الذنب على اللّه تعالى فى ضلالهم و إضلالهم، كما قالوا: لَوْ شاءَ اللَّهُ ما أَشْرَكْنا وَ لا آباؤُنا [الأنعام: ۱۴۸] و لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ [النحل: ۳۵] يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولون فى الدنيا، كما حكى اللّه تعالى عن المنافقين: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ [المجادلة: ۱۸] الآية. و قيل: معنى جوابهم: لو هدانا اللّه فى الآخرة طريق النجاة من العذاب لهديناكم، أى لأغنينا عنكم و سلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة فى الدنيا. [۵۱۱] فإن قيل: كيف اتصل و ارتبط قولهم: سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا [إبراهيم: ۲۱] بما قبله؟ قلنا: اتصاله به من حيث إن عتاب الضعفاء للذين استكبروا كان جزعا مما هم فيه و قلقا من ألم العذاب، فقال لهم رؤساؤهم: لَهَدَيْناكُمْ سَواءٌ عَلَيْنا أَ جَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ [إبراهيم: ۲۱] يريدون أنفسهم و إياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين عليها فى الدنيا، كأنهم قالوا للضعفاء: ما هذا الجزع و التوبيخ، و لا فائدة فيه كما لا فائدة فى الصبر، فإن الأمر أعظم من ذلك و أعم. [۵۱۲] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ قالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ [إبراهيم: ۲۲] عبر عنه بلفظ الماضى، و ذلك القول من الشيطان لم يقع بعد و إنّما هو مترقب منتظر يقوله يوم القيامة؟ قلنا: يجوز وضع المضارع موضع الماضى، و وضع الماضى موضع المضارع إذا أمن اللبس، قال اللّه تعالى: وَ اتَّبَعُوا ما تَتْلُوا الشَّياطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ [البقرة: ۱۰۲] أى ما تلت، و قال تعالى: فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِياءَ اللَّهِ [البقرة: ۹۱] و قال الحطيئة الشاعر: شهد الحطيئة يوم يلقى ربه أنّ الوليد أحقّ بالغدر فقوله: عَلى مُلْكِ سُلَيْمانَ [البقرة: ۱۰۲] نفى اللبس، و كذا قوله تعالى: مِنْ (______________________________ ۱) ([۵۱۲]) البيت فى ديوان الحطيئة. و يروى: بالعذر بدل بالغدر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۴۹ قَبْلُ [البقرة: ۲۵] و قول الحطيئة يوم يلقى ربه، و قوله تعالى: لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ [إبراهيم: ۲۲] لأن قضاء الأمر إنما يكون يوم القيامة. [۵۱۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ [إبراهيم: ۲۷] و قد رأينا كثيرا من الظالمين هداهم اللّه بالإسلام و بالتوبة و صاروا من الأتقياء؟ قلنا: معناه أنه لا يهديهم ما داموا مصرين على الكفر و الظلم معرضين عن النظر و الاستدلال. الثانى: أن المراد منه الظالم الذى سبق له القضاء فى الأزل أنه يموت على

الظلم، فـاللّه تعالى يثبته على الضـلالة لخـذلانه، كما يثبت الـذين آمنوا بالقول الثابت و هو كلمـة التوحيـد. الثالث: أن معناه: أن يضـل المشـركين عن طريق الجنـة يوم القيامة. [۵۱۴] «۱» فـإن قيـل: كيف قـال تعـالى: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْـداداً لِيُضِـلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ [إبراهيم: ۳۰] و الضلال و الإضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الأنداد و هى الأصنام، و إنما عبدوها لتقربهم إلى اللّه تعالى، كما حكى اللّه تعالى عنهم ذلك بقوله: ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى [الزمر: ۳]؟ قلنا: قد شرحنا ذلك فى سورة يونس عليه السلام إذ قلنا هذه لام العاقبة و الصـيرورة لا لام الغرض، و المقصود كما فى قوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً [القصص: ۸] و قول الشاعر: لدوا للموت و ابنوا للخراب و قول الآخر: فللموت تغذو الوالدات سخالها كما لخراب الدّهر تبنى المساكن و المعنى فيه أنّهم لمّا أفضى بهم اتخاذ الأنداد إلى الضّـلال أو الإضـلال صار كأنّهم اتخذوها لذلك، و كذا الالتقاط و الولادة و البناء، و نظائره كثيرة فى القرآن العزيز و فى كلام العرب. [۵۱۵] فإن قيل: كيف طابق الأمر بإقامـة الصـلاة و إنفاق المال وصف اليوم بأنه لا بيع فيه و لا خلال؟ قلنا: معناه قل لهـــم يقـــدمون مـــن الصـــلوات و الصدقـــة متجرا يجـــدون ربحـــه يـــوم لا

(______________________________ ۱) ([۵۱۴]) الشطر من بيت لأبى العتاهيـة و قد تقدّم. - البيت الثانى لم نقف على نسبته لقائل. - سـخالها: مفردها سـخل و هو ولد الشاة قبل أن يفطم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۰ تنفعهم متاجر الـدنيا من المعاوضات و الصدقات التى يجلبونها بالهدايا و التحف لتحصيل المنافع الدنيوية، فجاءت المطابقة. [۵۱۶] «۱» فـإن قيل: كيف قال تعالى: لا بَيْعٌ فِيهِ وَ لا خِلالٌ [إبراهيم: ۳۱]، أى لا صداقة، و فى يوم القيامة خلال لقوله تعالى: الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف: ۶۷] و لقوله عليه الصلاة و السلام: «المرء مع من أحبّ»؟ قلنا: لا خلال فيه لمن لم يقم الصـلاة و لم يؤد الزكـاة. فأمّا المقيمون الصـلاة و المؤتون الزّكاة فهم الأتقياء، و بينهم الخلال يوم القيامـة، لما تلونا من الآيـة. [۵۱۷] فـإن قيـل: كيف قال: وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ [إبراهيم: ۳۳] و المسـخّر للإنسان هو الذى يكون فى طاعته يصـرّفه كيف شـاء فى أمره و نهيه كالدّابـة و العبـد و الفلـك، كمـا قـال تعالى: وَ تَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنا هـذا [الزخرف: ۱۳]، و قال تعالى: لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا [الزخرف: ۳۲]، و قال تعالى: وَ سَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ [إبراهيم: ۳۲]. و يقال: فلان مسـخّر لفلاـن إذا كـان مطيعـا له و ممتثلاـ لأـوامره و نواهيه؟ قلنـا: لمّـا كان طلوعهما و غروبهما و تعاقب اللّيل و النهار لمنافعنا متّصـلا مستمرا اتصالا لا تنقطع علينا فيه المنفعة و لا تنخرم، سواء شاءت هذه المخلوقات أم أبت، أشبهت المسخّر المقهور فى الدنيا، كالعبد و الفلك و نحوهما. و الثّانى: أنّ معناه أنّها مسخّرة للّه لأجلنا و منافعنا. فإضافة التّسخير إلى اللّه تعالى، بمعنى أنّه فاعل التسخير، و إضافة التّسـخير إلينا بمعنى عود نفع التّسخير إلينا، فصحّت الإضافتان. [۵۱۸] فـإن قيل: كيف قال تعالى: وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ [إبراهيم: ۳۴] و اللّه تعـالى لم يعطنـا كـل مـا سألنـاه و لا بعضا من كل فرد مما سألناه؟ قلنا: معناه: و آتاكم بعضا من جميع ما سألتموه لا من كلّ فرد فرد. [۵۱۹] فإن قيل: لا يصح هذا المحمل لوجهين: أحدهما: أنه لا يحسن الامتنان به. الثّانى: أنه لا يناسبه قوله تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاـ تُحْصُوها [إبراهيم: ۳۴]؟ قلنـا: إذا كـان البعض الّـذى أعطانـا هو الأـكثر من جميع ما سألناه و هو الأصـلح و الأنفع لنا فى معاشـنا و معادنـا بالنّسـبة إلى البعض الـذى منعـه عنّـا لمصـلحتنا، أيضـا؛ لاـ يحسـن الامتنـان بـه، و يكـون مناسـبا لمـا بعـده.

(______________________________ ۱) ([۵۱۶]) الحـديث أخرجه أحمد فى مسنده: ۱/ ۳۹۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۱ و جواب آخر: عن أصل السؤال: أنه يجوز أن يكون قـد أعطى جميع السائلين بعضا من كلّ فرد مما سأله جميعهم، و بهـذا المقـدار يصح الإخبار فى الآية و إن لم يعط كل واحد من السائلين بعضا من كل فرد مما سأله ذاك، و إيضاح ذلك أن يكون هـذا قـد أعطى شـيئا مما سأله ذاك، و أعطى ذاك شـيئا مما سأله هذا على ما اقتضـته الحكمة و المصـلحة فى حقهما، كما أعطى النبىّ عليه الصـلاة و السـلام الرؤيـة ليلة المعراج و هى مسئول موسـى عليه السـلام و ما أشبه ذلك. [۵۲۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [إبراهيم: ۳۴] و الإحصاء و العـد بمعنى واحد كذا نقله الجوهرى، فيكون المعنى و إن تعـدوا نعمـة اللّه لا تعـدوها، و هو متناقض كقولك: إن تر زيـدا لا تبصـره، إذ الرؤيـة و الإبصار واحد؟ قلنا: بعض

المفسرين فسّر الإحصاء بالحصر، فإن صحّ ذلک لغة، اندفع السؤال. و يؤيّد ذلک قول الزّمخشری لا تحصوها، أی لا تحصروها و لا تطیقوا عدها و بلوغ آخرها، و علی القول الأول فیه إضمار تقدیره: و إن تریدوا عد نعمة اللّه لا تعدوها. [۵۲۱] فإن قیل: کیف قال تعالی: لا تُحْصُوها [إبراهیم: ۳۴] و هو یوهم أن نعم اللّه غیر متناهیة، و کل نعمة ممتن بها علینا فهی مخلوقة، و کل مخلوق متناه؟ قلنا: لا ـ نسلم أنه یوهم أنها لا تتناهی، و ذلک لأن المفهوم منه منحصر فی أنا لا نطیق عدّها أو حصر عددها، و یجوز أن یکون الشیء متناهیا فی نفسه، و الإنسان لا یطیق عدّه کرمل القفار و قطر البحار و ورق الأشجار و ما أشبه ذلک. [۵۲۲] فإن قیل: کیف قال إبراهیم علیه السلام: وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنامَ [إبراهیم: ۳۵] و عبادة الأصنام کفر، و الأنبیاء معصومون عن الکفر بإجماع الأمة، فکیف حسن منه هذا السؤال؟ قلنا: إنما سأل هذا السؤال فی حالة خوف أذهله عن ذلک العلم؛ لأن الأنبیاء علیهم السلام أعلم الناس باللّه فیکونون أخوفهم منه فیکون معذورا بسبب ذلک. و قیل إن فی حکمة اللّه تعالی و علمه أن لا یبتلی نبیا من الأنبیاء بالکفر بشرط أن یکون متضرعا إلی ربه طالبا منه ذلک، فأجری علی لسانه هذا السؤال لتحقیق شرط العصمة. [۵۲۳] فإن قیل: کیف قال: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ کَثِیراً مِنَ النَّاسِ [إبراهیم: ۳۶] جعل الأصنام مضلة. و المضل ضار. و قال فی موضع آخر: وَ یَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا یَضُرُّهُمْ وَ لا یَنْفَعُهُمْ [یونس: ۱۸]، و نظائره کثیرة فکیف التوفیق بینهما؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۲ قلنا: إضافة الإضلال إلیها مجاز بطریق المشابهة. و وجهه أنهم لما ضلوا بسببها فکأنها أضلتهم، کما یقال فتنتهم الدنیا و غرتهم، أی افتتنوا بسببها و اغتروا، و مثله قولهم: دواء مسهل، و سیف قاطع، و طعام مشبع، و ماء مرو و ما أشبه ذلک. و معناه: حصول هذه الآثار بسبب هذه الأشیاء، و فاعل الآثار هو اللّه تعالی. [۵۲۴] فإن قیل: کیف قال: أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ [إبراهیم: ۳۷] و لم یقل أفئدة الناس، و قوله قلوب الناس أظهر استعمالا من قوله قلوبا من الناس؟ قلنا: قال ابن عباس، رضی اللّه تعالی عنهما، لو قال إبراهیم علیه السلام فی دعائه أفئدة الناس، لحجت جمیع الملل و ازدحم علیه الناس حتی لم یبق لمؤمن فیه موضع، مع أن حج غیر الموحدین لا یفید، و الأفئدة هنا القلوب فی قول الأکثرین، و قیل: الجماعة من الناس. [۵۲۵] فإن قیل: إذا کان اللّه تعالی قد ضمن رزق العباد، فلم سأل إبراهیم علیه السلام الرزق لذریته فقال: وَ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ [إبراهیم: ۳۷]؟ قلنا: اللّه تعالی ضمن الرزق و القوت الذی لا بد للإنسان منه ما دام حیا و لم یضمن کونه ثمرا أو حبا أو نوعا معینا، فالسؤال کان لطلب الثمر عینا. [۵۲۶] فإن قیل: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی وَهَبَ لِی عَلَی الْکِبَرِ إِسْماعِیلَ وَ إِسْحاقَ [إبراهیم: ۳۹] شکر علی نعمة الولد، فکیف یناسبه بعده إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ [إبراهیم: ۳۹]؟ قلنا: لما کان قد دعا ربه لطلب الولد بقوله: رَبِّ هَبْ لِی مِنَ الصَّالِحِینَ [الصافات: ۱۰۰] فاستجاب له، ناسب قوله بعد الشکر: إِنَّ رَبِّی لَسَمِیعُ الدُّعاءِ [إبراهیم: ۳۹] أی لمجیبه من قولهم: سمع الملک قول فلان إذا أجابه و قبله، و منه قولهم فی الصلاة «سمع اللّه لمن حمده» أی أجابه و أثابه. [۵۲۷] فإن قیل: کیف قال: رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوالِدَیَّ [نوح: ۲۸] استغفر إبراهیم لوالدیه و کانا کافرین، و الاستغفار للکافرین لا یجوز، و لا یقال إن هذا موضع الاستثناء المذکور فی قوله تعالی: وَ ما کانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ [التوبة: ۱۱۴] الآیة، لأن المراد بذلک استغفاره لأبیه خاصة بقوله: وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کانَ مِنَ الضَّالِّینَ [الشعراء: ۸۶] و الموعدة التی وعدها إیّاه إنما کانت له خاصة بقوله: سَأَسْتَغْفِرُ لَکَ رَبِّی [مریم: ۴۷] و لهذا قال تعالی: إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ [الممتحنة: ۴]؟ قلنا: هذا الاستغفار لهما کان مشروطا بإیمانهما تقدیرا، کأنه قال و لوالدی إن آمنا. الثانی: أنه أراد بهما آدم و حواء صلوات اللّه علیهما، و قرأ ابن مسعود و أبی أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۳ و النخعی و الزهری رضی اللّه عنهم «و لوالدی» یعنی إسماعیل و إسحاق، و یعضد هذه القراءة سبق ذکرهما، و لا إشکال علی هذه القراءة. و قیل: إن هذا الدّعاء علی القراءة المشهورة کان زلة من إبراهیم صلوات اللّه علیه، و إلیها أشار بقوله: وَ الَّذِی أَطْمَعُ أَنْ یَغْفِرَ لِی خَطِیئَتِی یَوْمَ الدِّینِ [الشعراء: ۲۸]. [۵۲۸] فإن قیل: اللّه تعالی منزه و متعال عن الغفلة، و النبی علیه الصلاة و السلام أعلم الناس بصفات جلاله و کماله، فکیف یحسبه النبی علیه الصلاة و السلام غافلا ـ و هو أعلم الخلق باللّه حتی نهاه عن ذلک بقوله: وَ لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غافِلًا عَمَّا یَعْمَلُ الظَّالِمُونَ [إبراهیم: ۴۲]؟ قلنا: یجوز أن یکون هذا نهیا لغیر النبیّ علیه الصلاة و السلام ممن یجوز أن یحسبه غافلا لجهله بصفاته، و قوله تعالی، بعده: وَ أَنْذِرِ النَّاسَ [إبراهیم: ۴۴]، لا ـ یدل قطعا علی أن الخطاب الأول للنّبیّ علیه الصلاة و السلام، لجواز أن یکون

ذلک النهی لغیره مع أن هذا الأمر له. الثانی: أنه مجاز معناه: و لا تحسبن اللّه مهمل الظالمین و تارکهم سدی، أی لکون هذا من لوازم الغفلهٔ عنهم. الثالث: أن النهی و إن کان حقیقهٔ و الخطاب للنبیّ علیه الصلاهٔ و السلام فالمراد به دوامه و ثباته علی ما کان علیه من أنه لا یحسب اللّه غافلا کقوله تعالی: وَ لا تَکُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِکِینَ [القصص: ۸۷] و قوله تعالی: وَ لا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ [الشعراء: ۲۱۳] و نظیر هذا النهی من الأمر قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ [النساء: ۱۳۶] و قول بعض المفسرین: إن معنی الآیهٔ یا أیها الذین آمنوا بموسی أو بعیسی آمنوا بمحمّد علیه الصلاهٔ و السلام لا یخرج الآیهٔ عن کونها نظیرا؛ لأنّ الاستبدال بالإیمان باللّه باق، فتأمّل. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۴

سورهٔ الحجر

سورهٔ الحجر [۵۲۹] فإن قیل: کیف قالوا: یا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ [الحجر: ۶] اعترفوا بنبوته، إذ الذّکر هو القرآن الّذی نزل علیه، ثم وصفوه بالجنون؟ قلنا: إنّما قالوا ذلک استهزاء و سخریهٔ، لا تصدیقا و اعترافا؛ کما قال فرعون لقومه: إِنَّ رَسُولَکُمُ الَّذِی أُرْسِلَ إِلَیْکُمْ لَمَجْنُونٌ [الشعراء: ۲۷] و کما قال قوم شعیب، علیه السلام: إِنَّکَ لَأَنْتَ الْحَلِیمُ الرَّشِیدُ [هود: ۸۷]، و نظائره کثیرهٔ. الثانی: أنّ فیه إضمارا تقدیره: یا أیها الّذی تدّعی أنک نزل علیک الذّکر. [۵۳۰] فإن قیل: کیف قال تعالی: وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْیِی وَ نُمِیتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ [الحجر: ۲۳] و الوارث هو الّذی یتجدّد له الملک بعد فناء المورث، و اللّه تعالی إذا مات الخلائق لم یتجدّد له ملک؛ لأنه لم یزل مالکا للعالم بجمیع ما فیه و من فیه؟ قلنا: الوارث فی اللغهٔ عبارهٔ عن الباقی بعد فناء غیره، سواء تجدّد له من بعده ملک أو لا؛ و لهذا یصح أن یقال لمن أخبر أنّ زیدا مات و ترک ورثهٔ، هل ترک لهم مالا أو لا؟ فیکون معنی الآیهٔ: و نحن الباقون بعد فناء الخلائق. الثانی: أنّ الخلائق لمّا کانوا یعتقدون أنّهم مالکون یسمون بذلک، أیضا، إمّا مجازا أو خلافهٔ عن اللّه تعالی، کالعبد المأذون و المکاتب. و یدل علیه قوله تعالی: تُؤْتِی الْمُلْکَ مَنْ تَشاءُ [آل عمران: ۲۶] فإذا مات الخلائق کلهم سلمت الأملاک کلّها للّه تعالی عن ذلک القدر من التعلق، فبهذا الاعتبار کانت الوراثهٔ، و نظیر هذا قوله تعالی: لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ [غافر: ۱۶] و الملک له أزلا و أبدا. [۵۳۱] «۱» فإن قیل: قوله تعالی: فَسَجَدَ الْمَلائِکَهُٔ کُلُّهُمْ [الحجر: ۳۰] دلّ علی

(____ ۱) ([۵۳۱]) سیبویه: هو عمر بن عثمان بن قنبر الحارثی بالولاء، أبو بشر، لقبه سیبویه. ولد فی إحدی قری شیراز سنهٔ ۱۴۸ ه، و اختلف فی مکان وفاته و تاریخها، و المعروف أنّه توفی سنهٔ ۱۸۰ ه (!) أقام بالبصرهٔ و أخذ عن الخلیل بن أحمد. ثم، انتقل إلی بغداد و بها جرت مناظرته للکسائی. ألّف الکتاب و به یعرف. - الخلیل: هو الخلیل بن أحمد الفراهیدی الیزدی الأحمدی، أبو عبد الرحمن. إمام اللغهٔ و الأدب، و واضع علم العروض. کان عارفا بالموسیقی. أشهر تلامیذه سیبویه. ولد فی البصرهٔ سنهٔ ۱۰۰ ه و توفی بها سنهٔ ۱۷۰ ه. کان زاهدا. من مؤلفاته: العین (و هو أشهر ما صنف)، معانی- أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۵ الشمول و الإحاطهٔ و أفاد التوکید؛ فما فائدهٔ قوله: أَجْمَعُونَ [الحجر: ۳۰]؟ قلنا: قال سیبویه و الخلیل: هو توکید بعد توکید، فیفید زیادهٔ تمکین المعنی و تقریره فی الذّهن، فلا یکون تحصیل الحاصل؛ بل تکون نسبهٔ أجمعون کنسبهٔ کلهم إلی أصل الجملهٔ. و قال المبرد: قوله تعالی: أَجْمَعُونَ [الحجر: ۳۰] یدل علی اجتماعهم فی زمان السجود، و کلهم یدل علی وجود السجود من الکل، فکأنّه قال: فسجد الملائکهٔ کلهم معا فی زمان واحد. و اختار ابن الأنباری هذا القول، و اختار الزّجاج و أکثر الأئمهٔ قول سیبویه و قالوا: لو کان الأمر کما زعم المبرد لکان أجمعون حالا لوجود حد الحال فیه، و لیس بحال لأنه مرفوع و لأنه معرفهٔ کسائر ألفاظ التوکید. [۵۳۲] فإن قیل: ما وجه ارتباط قوله تعالی: وَ نَبِّئْهُمْ عَنْ ضَیْفِ إِبْراهِیمَ [الحجر: ۵۱] بما قبله من قوله تعالی: نَبِّئْ عِبادِی [الحجر: ۴۹] الآیتین؟ قلنا: لما أنزل اللّه عز و جل: نَبِّئْ عِبادِی [الحجر: ۴۹] الآیتین و لم یعین أهل المغفرهٔ و أهل العذاب غلب الخوف علی الصحابهٔ رضی اللّه عنهم، فأنزل اللّه تعالی بعد ذلک قصهٔ ضیف إبراهیم علیه السلام لیزول خوف الصحابهٔ و تسکن قلوبهم، فإن ضیف إبراهیم علیه السلام جاءوا ببشارهٔ للولی و هو إبراهیم، و عقوبهٔ

للعدو و هم قوم لوط عليه السلام و كذلك تنزل الآيتين المتقدمتين على الولى و العدو لا على الولى وحده. الثانى: أن وجه الارتباط أن العبد و إن كان كثير الذنوب و الخطايا غير طامع فى المغفرة، لا يبعد أن يغفر اللّه تعالى له على يأسه، كما رزق إبراهيم الولد على يأسه بعد ما شاخ و بلغ مائة سنة أو قريبا منها. [۵۳۳] فإن قيل: كيف قالت الملائكة: قَدَّرْنا إِنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ [الحجر: ۶۰] أى قضينا، و القضاء للّه تعالى لا لهم؟ قلنا: إسناد التقدير للملائكة هو مجاز، كما يقول خواص الملك، دبرنا كذا و أمرنا بكذا و نهينا عن كذا، و يكون الفاعل لجميع ذلك هو الملك لا هم، و إنما يظهرون بذلك مزيد قربهم و اختصاصهم بالملك. [۵۳۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ [الحجر: – الحروف، الجمل، جملة آلات العرب، كتاب العروض، النقط و الشكل، تفسير حروف اللغة، الخ. – المبرّد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدى، أبو العباس، اشتهر بالمبرّد. كان إمام العربية فى بغداد فى زمنه، و إماما فى الأدب. ولد فى البصرة سنة ۲۱۰ ه و توفى سنة ۲۸۶ فى بغداد. من مؤلفاته: الكامل، المقتضب، التعازى و المراثى، شرح لامية العرب، إعراب القرآن، طبقات النحاة البصريين، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۶ ۸۰] و أصحاب الحجر قوم صالح، و الحجر اسم واديهم أو مدينتهم على اختلاف القولين، و قوم صالح لم يرسل إليهم غير صالح فكيف يكذبون المرسلين؟ قلنا: من كذب رسولا واحدا فكأنما كذب الكل؛ لأن كل الرسل متفقون فى دعوة الناس إلى توحيد اللّه تعالى. [۵۳۵] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا فَوَ رَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كانُوا يَعْمَلُونَ [الحجر: ۹۲، ۹۳]، و قال فى سورة الرحمن: فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ [الرحمن: ۳۹]؟ قلنا: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: قد ذكرناه فى مثل هذا السؤال فى سورة هود. و الثانى: أن المراد هنا أنهم يسألون سؤال توبيخ و هو سؤال لم فعلتم؟ و المراد ثم إنهم لا يسألون سؤال استعلام و استخبار و هو سؤال هل فعلتم؟ أو يقال: إن فى يوم القيامة مواقف، ففى بعضها يسألون، و فى بعضها لا يسألون، و تقدم نظيره. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۷

سورة النحل

سورة النحل [۵۳۶] فإن قيل: لم قدمت الإراحة و هى مؤخرة فى الواقع على السروح و هو مقدم فى الواقع فى قوله تعالى: حِينَ تُرِيحُونَ وَ حِينَ تَسْرَحُونَ [النحل: ۶]؟ قلنا: لأن الأنعام فى وقت الإراحة و هى ردها عشيا إلى المراح تكون أجمل و أحسن، لأنها تقبل ملأى البطون حاملة الضروع متهادية فى مشيها يتبع بعضها بعضا، بخلاف وقت السروح و هو إخراجها إلى المرعى فإن كل هذه الأمور تكون على ضد ذلك. [۵۳۷] فإن قيل: قوله تعالى: لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ [النحل: ۷] إن أريد به لم تكونوا بالغيه عليها إلا بشق الأنفس فلا امتنان فيه، و إن أريد به لم تكونوا بالغيه بدونها إلا بشق الأنفس فهم لا يبلغونه عليها أيضا إلا بشق الأنفس، فما فائدة ذلك؟ قلنا: معناه و تحمل أثقالكم، أى أجسامكم و أمتعتكم معكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بدونها بأنفسكم من غير أمتعتكم إلا بجهد و مشقة، فكيف لو حملتم أمتعتكم على ظهوركم؟ و المراد بالمشقة: المشقة التى تنشأ من المشى، أو من المشى مع الحمل على الظهر لا مطلق مشقة السفر، و هذا مخصوص بحال فقد الإبل، فظهر فائدة ذلك. [۵۳۸] فإن قيل: قوله تعالى: وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَ زِينَةً [النحل: ۵] يقتضى حرمة أكل الخيل كما اقتضاه فى البغال و الحمير من حيث أنه لم ينص على منفعة أخرى فيها غير الركوب و الزينة، و من حيث أن التعليل بعلة يقتضى الانحصار فيها كقولك: فعلت هذا لكذا، فإنه يناقضه أن تكون فعلته لغيره أوله مع غيره؛ إلا إذا كان أحدهما جهة فى الآخر. قلنا: ينتقض بالحمل عليها و الحراثة بها، فإن ذلك مباح؛ مع أنه لم ينص عليه. [۵۳۹] فإن قيل: إنما ثبت ذلك بالقياس على الأنعام، فإنه منصوص عليه فيها بقوله تعالى: وَ الْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَ مَنافِعُ [النحل: ۵] و المراد به كل منفعة معهودة منها عرفا لا كل منفعة، فثبت مثل ذلك فى الخيل و البغال و الحمير. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۸ قلنا: لو كان ثبوته فيها بالقياس على ثبوته فى الأنعام لثبت حل الأكل فى الخيل بالقياس على ثبوته فى الأنعام أيضا، و لو

ثبت حل الأكل فى الخيل بالقياس لثبت فى البغال و الحمير، كما ثبت الحمل و الحراثة ثبوتا شاملا للكل بالقياس على ثبوته فى الأنعام. و الجواب عن الجهة الثانية فى أصل السؤال أن هذه اللام ليست لام التعليل بل لام التمكين، كقوله تعالى: جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ و مع هذا يجوز فى الليل غير السكون. [۵۴۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى فى وصف ماء السماء يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ [النحل: ۱۱] و لم يقل كل الثمرات؛ مع أن كل الثمرات تنبت بماء السماء؟ قلنا: كل الثمرات لا تكون إلا فى الجنة، و إنما ينبت فى الدنيا بعض منها أنموذجا و تذكرة، فالتبعيض بهذا الاعتبار، فيكون المراد بالثمرات ما هو أعم من ثمرات الدنيا، و من يجوّز زيادة «من» فى الإثبات يحتمل أن يجعلها زائدة هنا. [۵۴۱] فإن قيل: قوله تعالى: أَ فَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ [النحل: ۱۷] المراد بمن لا يخلق الأصنام بدليل قوله تعالى بعده: وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ [النحل: ۲۰] فكيف جىء بمن المختصة بأولى العلم و العقل؟ قلنا: خاطبهم على معتقدهم؛ لأنهم سموها آلهة و عبدوها فأجروها مجرى أولى العلم، و نظير هذا قوله تعالى فى الأصنام أيضا: أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها [الأعراف: ۱۹۵] الآية، فأجرى عليهم ضمير أولى العلم و العقل لما قلناه. و يرد على هذا الجواب أن يقال: إذا كان معتقدهم خطأ و باطلا فالحكمة تقتضى أن ينزعوا عنه و يقلعوا، لا أن يبقوا عليه و يقروا فى خطابهم على معتقدهم إيهاما لهم أن معتقدهم حقّ و صواب. و جوابه: أن الغرض من الخطاب الإفهام، و لو خاطبهم على خلاف معتقدهم و مفهومهم فقال: أ فمن يخلق كما لا يخلق، لاعتقدوا أن المراد من الثانى غير الأصنام من الجماد. الثانى: قال ابن الأنبارى: إنما جاز ذلك لأنها ذكرت مع العالم فغلب عليها حكمه فى اقتضاء «من» كما غلب على الدواب فى قوله تعالى: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ [النور: ۴۵] الآية، و كما فى قول العرب: اشتبه علىّ الراكب، و جمله: فما أدرى من ذا و من ذا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۵۹ [۵۴۲] فإن قيل: هذا إلزام للذين عبدوا الأصنام و سموها آلهة تشبيها باللّه فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فظاهر الإلزام يقتضى أن يقال لهم: أ فمن لا يخلق كمن يخلق؟ قلنا: لما سووا بين الأصنام و خالقها سبحانه و تعالى فى تسميتها باسمه و عبادتها كعبادته فقد سووا بينها و بين خالقها قطعا، فصح الإنكار بتقديم أيهما كان، و إنما قدم فى الإنكار عليهم ذكر الخالق، إما لأنه أشرف، أو لأنه هو المقصود الأصلى من هذا الكلام تنزيها له و إجلالا و تعظيما. [۵۴۳] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى فى وصف الأصنام غَيْرُ أَحْياءٍ [النحل: ۲۱] بعد قوله تعالى: أَمْواتٌ [النحل: ۲۱]؟ قلنا: فائدته أنها أموات لا يعقب موتها حياة احترازا عن أموات يعقب موتها حياة. كالنطف و البيض و الأجساد الميتة، و ذلك أبلغ فى موتها، كأنه قال: أموات فى الحال غير أحياء فى المآل. الثانى: أنه ليس وصفا لها بل لعبادها؛ معناه: و عبادها غير أحياء القلوب. الثالث: أنه إنما قال غير أحياء، ليعلم أنه أراد أمواتا فى الحال، لا أنها ستموت كما فى قوله تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ [الزمر: ۳۰]. [۵۴۴] فإن قيل: كيف عاب الأصنام و عبادها بأنهم لا يعلمون وقت البعث فقال تعالى: وَ ما يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: ۲۱] و المؤمنون الموحدون كذلك؟ قلنا: معناه و ما يشعر الأصنام متى يبعث عبادها، فكيف تكون آلهة مع الجهل؟ أو معناه: و ما يشعر عبادها وقت بعثهم لا مفصلا و لا مجملا؛ لأنهم ينكرون البعث، بخلاف الموحدين فإنهم يشعرون وقت بعثهم مجملا أنه يوم القيامة و إن لم يشعروه مفصلا. [۵۴۵] فإن قيل: قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ [النحل: ۲۴] كيف يعترفون بأنه من عند اللّه تعالى بالسؤال المعاد فى ضمن الجواب ثم يقولون هو أساطير الأولين؟ قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فى سورة الحجر فى قوله تعالى: وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر: ۶]. [۵۴۶] فإن قيل: كيف قال هنا لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ [النحل: ۲۵] و قال فى موضع آخر: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الأنعام: ۱۶۴]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۰ قلنا: معناه و من أوزار إضلال الذين يضلونهم، فيكون عليهم وزر كفرهم مباشرة و وزر كفر من أضلوهم تسببا، فقوله تعالى: لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً [النحل: ۲۵] يعنى أوزار الذنوب التى باشروها. و أما قوله تعالى: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الأنعام: ۱۶۴] فمعناه: وزر لا مدخل لها فيه و لا تعلق له بها مباشرة و لا تسببا، و نظير هاتين الآيتين الآيتان الأخريان فى قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ [العنكبوت: ۱۲] إلى قوله تعالى: وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ [العنكبوت: ۱۳] و جوابهما مثل جواب هاتين الآيتين. [۵۴۷] فإن

قیل: قوله تعالی: إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْءٍ إِذا أَرَدْناهُ [النحل: ۴۰] الآیـة، یـدل علی أن المعدوم شـیء، و یدل علی أن خطاب المعدوم جائز، و الأول منتف عند أکثر العلماء، و الثانی منتف بالإجماع؟ قلنا: أما تسـمیته شـیئا فمجاز باعتبار ما یئول إلیه، و نظیره قوله تعالی: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَیْءٌ عَظِیمٌ [الحج: ۱] و قوله تعالی: إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَیِّتُونَ [الزمر: ۳۰] و أما الثانی فإن هذا خطاب تکوین یظهر به أثر القدرة فیمتنع أن یکون المخاطب به موجودا قبل الخطاب، لأنّه إنما یکون بالخطاب فلا یسبقه، بخلاف خطاب الأمر و النهی. [۵۴۸] فإن قیل: قوله تعالی: وَ لِلَّهِ یَسْجُدُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ [النحل: ۴۹] کیف لم یغلب العقلاء من الدواب علی غیرهم کما فی قـوله تعـالی: وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [النور: ۴۵] الآیـة، بـل أولی لأـنه ثم وصف مـا لاـ یعقل بخصوصه بلفظ «من» و هو الحیـة و الأنعام، و هنا لو قال من فی السموات و من فی الأرض لا یلزم وصف ما لا یعقل بخصوصه و تعیینه بلفظة «من» بل المجموع؟ قلنا: لأنه أراد عموم کل دابـة و شـمولها، فجاء بما التی تعم النوعین و تشـملهما، و لو جاء بمن لخصّ العقلاء. [۵۴۹] فـإن قیل: قوله تعالی: وَ لَوْ یُؤاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ ما تَرَکَ عَلَیْها مِنْ دَابَّةٍ [النحل: ۶۱] یقتضـی أنه لو آخذ الظالمین بظلمهم لأهلک غیر الظالمین من الناس، و لأهلـک جمیع الـدواب غیر النـاس، و مؤاخـذة البریء بسـبب ظلم الظـالم لاـ یحسن بـالحکیم؟ قلنـا: المراد بالظلم هنا الکفر، و بالـدابة الظالمـة و هی الکـافر، کـذا قـاله ابن عبـاس رضـی اللّه عنهمـا. و قیـل معنـاه: لو أهلـک الآباء بکفرهم لم یکن الأبناء. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۱ الثـانی: یجوز أن یهلـک الجمیع بشؤم ظلم الظـالمین مبالغـة فی إعـدام الظلم و نفی وجود أثره حتی لا یوجـد بعد ذلـک من بقیـة النـاس ظلم موجب للإهلاـک، کمـا وجـد من الـذین أهلکهم بظلمهم، و دلیل جواز ذلک ما وجـد فی زمن نوح علیه السـلام، فـإنه أهلـک بشؤم ظلم قوم نوح جمیع دواب الأرض، و ما نجا إلا من فی السـفینة و لم یبق علی ظهر الأرض دابـة، و لـذا قال تعـالی: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِیبَنَّ الَّذِینَ ظَلَمُوا مِنْکُمْ خَاصَّةً [الأنفال: ۲۵] ثم إذا فعـل ذلک للحکمـة و المصـلحة التی اقتضت فعله عوّض البریء فی الآـخرة مـا هو خیر و أبقی. الثالث: أن کل إنسان مکلف فهو ظالم إما لنفسه أو لغیره؛ لأنه لا یخلو عن ذنب صـغیر أو کبیر، فلو أهلک الناس بـذنوبهم لأهلک الـدّواب أیضا؛ لأنه إنما خلق الـدواب لمصالـح الناس و إذا عدم الناس وقع اسـتغناؤهم عن الدواب کلها. [۵۵۰] فإن قیل: لا نسـلم أن غیر الإنسان من الحیوان مخلوق لمصالح الإنسان، و مسـتنده أنه کان مخلوقا قبل خلق الإنسان بالنقل عن الکتب الشـرعیة و غیرها، و قـد جاء مصـرحا به فی الحدیث فی باب الخلق من جامع الأصول سـلمنا أنه مخلوق لمصـلحة الإنسان، لکن هلاک غیر الإنسان معه یخفف عنه ألم المصیبة، لا سـیما إذا کان الهالک معه من جنسه، و لهـذا قیل: المصیبة إذا عمت طابت. سلمنا أن إهلاک غیره معه مؤلم له، لکن لو کان إهلاکه معه لأنه خلق لمصـلحته أ فنهلک تبعا له لاستغنائه عنه أو لزیادة الإیلام فالبار أیضا خلق لمصـلحته علی قولکم، فلم کان إهلاک الحیوان عقوبـة للإنسان أولی من إهلاک النبات، و لم یقل: ما ترک علیها من دابة و نبات أو من شـیء؟ قلنا: الجواب عن الأول قوله تعالی: خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً [البقرة: ۲۹] و خلقه قبل الإنسان لا ینفی خلقه لمصـلحة الإنسـان، کمـا یعـد عظمـاء النـاس الـدور و القصور و الخـدم و الحشم و الـدواب و الثیـاب لأولاـدهم و أولاـد أولادهم قبل وجودهم. و عن الثـانی أنـا لاـ نـدّعی أنه یهلک مع الإنسان بل قبله لتألمه بمشاهـدة هلاک محبوبه و مألوفه. و عن الثالث أن المراد ما ترک علیها من دابـة بواسـطة منع المطر فیعـدم النبات، ثم یعدم بواسـطة عدمه غیر الإنسان من الحیوان، ثم یعدم الإنسان، کذا جاء فی تفسیر هـذه الآیـة و الآیة التی فی آخر سورة فاطر، و هذا الترتیب أبلغ فی العذاب و أعظم فی العقاب من تقدیم إهلاک الحیوان علی النبات؛ لأن الإنسان إذا بقی حیوانه بلا علف کان أوجع مما إذا بقی علفه بلا حیوان. [۵۵۱] فإن قیل: کیف قال تعالی: مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً وَ مِنَ الشَّجَرِ [النحل: ۶۸] و لم یقل فی الجبال و فی الشـجر، و الاسـتعمال و إنما هو بفی یقال اتخذ فلان بیتا فی الجبل أو فی الصحراء أو نحو ذلک؟ أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۲ قلنا: قال الزمخشـری رحمه اللّه: إنما أتی بلفظة من لأنه أراد معنی البعضـیة، و أن لا تبنی بیوتهـا فی کـل جبـل و کـل شـجر و لا فی کل مکان من الجبل و الشـجر. و أنا أقول: إنما ذکره بلفظه «من» لأنه أراد کون البیت بعض الجبل و بعض الشـجر کما نشاهد و نری من بیوت النحل، لأنه یتخذ من طین أو عیدان فی الجبل و الشجر کما تتخذ الطیور، فلو أتی بلفظة «فی» لم تدل علی هذا المعنی، و نظیره قوله تعالی: وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُیُوتاً [الشعراء: ۱۴۹]. [۵۵۲] فإن قیل: کیف قال اللّه

تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً [النحل: ۷۲] و أزواجنا لسن من أنفسنا، لأنهن لو كنّ من أنفسنا لكنّ حراما علينا، فإن المتفرعة من الإنسان لا يحل له نكاحها؟ قلنا: المراد بهذا أنه خلق آدم ثم خلق منه حواء، كما قال تعالى: الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها [النساء: ۱]. الثانى أن المراد من خلقكم كما قال تعالى: لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ [التوبة: ۱۲۸]. [۵۵۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ [النحل: ۷۳] فعبر بالواو و النون و هما من خواص من يعقل؟ قلنا: كان فيمن يعبدونه من دون اللّه من يعقل كالعزير و عيسى و الملائكة عليهم الصلاة و السلام فغلبهم. [۵۵۴] فإن قيل: لم أفرد فى قوله تعالى: ما لا يَمْلِكُ ثم جمع فى قوله: وَ لا يَسْتَطِيعُونَ؟ [النحل: ۷۳]. قلنا: أفرد نظرا إلى لفظ ما، و جمع نظرا إلى معناها، كما قال تعالى: وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعامِ ما تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلى ظُهُورِهِ [النحل: ۱۲، ۱۳] أفرد الضمير نظرا إلى لفظها، و جمع الظهور نظرا إلى معناها. [۵۵۵] فإن قيل: ما فائدة نفى استطاعة الرزق بعد نفى ملكه و المعنى واحد؛ لأن نفى ملك الفعل هو نفى استطاعته، و الرزق هنا اسم مصدر بدليل إعماله فى «شيئا»؟ قلنا ليس فى يستطيعون ضمير مفعول هو الرزق؛ بل الاستطاعة منفية عنهم مطلقا؛ معناه لا يملكون أن يرزقوا، و لا استطاعة لهم أصلا فى رزق أو غيره لأنهم جماد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۳ الثانى: أنه لو قدر فيه ضمير مفعول على معنى و لا يستطيعونه كان مفيدا أيضا على اعتبار كون الرزق اسما للعين؛ لأن الإنسان يجوز أن لا يملك الشيء و لكن يستطيع أن يملكه بخلاف هؤلاء فإنهم لا يملكون و لا يستطيعون أن يملكوا. [۵۵۶] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: مَمْلُوكاً بعد قوله: عَبْداً و ما فائدة قوله: لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ بعد قوله: مَمْلُوكاً [النحل: ۷۵]؟ قلنا: لفظ العبد يصلح للحر و المملوك؛ لأن الكل عبيد اللّه تعالى، قال اللّه تعالى: وَ وَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ [ص: ۳۰] فقال مملوكا لتمييزه عن الحر، و قال: لا يَقْدِرُ عَلى شَيْءٍ [النحل: ۷۵]؟ لتمييزه عن المأذون و المكاتب فإنهما يقدران على التصرف و الاستقلال. [۵۵۷] فإن قيل: المضروب به المثل اثنان و هما المملوك و المرزوق رزقا حسنا فظاهره أن يقال هل يستويان، فكيف قال تعالى: يَسْتَوُونَ [النحل: ۷۵]؟ قلنا: لأنه أراد جنس المماليك و جنس المالكين لا مملوكا معيّنا و لا مالكا معينا. الثانى: أنه أجرى الاثنين مجرى الجمع. الثالث: أن «من» تقع على الجمع، و لقائل أن يقول على الوجه الثالث يلزم منه أن يصير المعنى ضرب اللّه مثلا عبدا مملوكا و جماعة مالكين هل يستوون، إنه لا يحسن مقابلة الفرد بالجمع فى التمثيل. [۵۵۸] فإن قيل: «أو» فى الخبر للشك، و الشك على اللّه تعالى محال، فما معنى قوله: إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ [النحل: ۷۷]؟ قلنا: قيل «أو» هنا بمعنى بل كما فى قوله تعالى: إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: ۱۴۷] و قوله تعالى: فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً [النحل: ۷۴] و قوله: فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى [النجم: ۹] و يرد على هذا أن بل للإضراب، و الإضراب رجوع عن الإخبار و هو على اللّه محال. و قيل: هى بمعنى الواو فى هذه الآيات. و قيل: أو للشك فى الكل لكن بالنسبة إلينا لا إلى اللّه تعالى، و كذا فى قوله: فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى [النجم: ۹] يعنى بالنسبة إلى نظر النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم. و قال الزّجّاج: ليس المراد أن الساعة تأتى فى أقرب من لمح البصر؛ و لكن المراد وصف قدرة اللّه على سرعة الإتيان بها متى شاء. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۴ [۵۵۹] «۱» فإن قيل، كيف قال تعالى: سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ [النحل: ۸۱]، و لم يقل و البرد؛ مع أن السرابيل و هى الثياب تلبس لدفع الحر و البرد و هى مخلوقة لهما؟ قلنا: حذف ذكر أحدهما لدلالة ضده عليه كما فى قوله تعالى: بِيَدِكَ الْخَيْرُ [آل عمران: ۲۶] و لم يقل و الشر، و كما قال الشاعر: و ما أدرى إذا يمّمت أرضا أريد الخير أيّهما يلينى أى أريد الخير لا الشر، أو أريد الخير و أحذر الشر. [۵۶۰] فإن قيل: لم كان ذكر الخير و الحر أولى من ذكر الشر و البرد؟ قلنا: لأن الخير مطلوب العباد من ربهم و مرغوبهم إليه، أو لأنه أكثر وجودا فى العالم من الشر، و أما الحر فلأن الخطاب بالقرآن أول ما وقع مع أهل الحجاز، و الوقاية من الحر أهم عنده لأن الحر فى بلادهم أشد من البرد. [۵۶۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَها وَ أَكْثَرُهُمُ الْكافِرُونَ [النحل: ۸۳] مع أن كلهم كافرون؟ قلنا: قال الزمخشرى: الأحسن أن المراد بالأكثر هنا الجمع، و فى هذا نظر؛ لأن بعض الناس لا يجوز إطلاق اسم البعض على الكل؛ لأنه ليس لازما له بخلاف عكسه. [۵۶۲] فإن قيل: ما فائدة قول المشركين عند رؤية الأصنام رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ [النحل: ۸۶] و اللّه تعالى عالم

بذلك؟ قلنا: لما أنكروا الشرك بقولهم وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ٢٣] عاقبهم اللّه تعالى بإصمات ألسنتهم و أنطق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا [النحل: ٨۶] أى قد أقررنا بعد الإنكار و صدقنا بعد الكذب طلبا للرحمة و فرارا من الغضب، فكان هذا القول على وجه الاعتراف منهم بالذنب لا على وجه إعلام من لا يعلم. الثانى: أنهم لما عاينوا عظيم غضب اللّه تعالى و عقوبته قالوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا [النحل: ٨۶] رجاء أن يلزم اللّه الأصنام ذنوبهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون لها العقل و التمييز فيخف عنهم العذاب (____. ١) ([۵۵۹])

البيت للمثقب العبدى. و هو فى الخزانة ۴/ ۴۲۹. و شرح ابن الأنبارى للمفضليات ۵۷۴. و ديوان المثقب العبدى. و البيت من الشواهد فى كتب النحو و الصرف و غيرها. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ١۶۵ [۵۶۳] فإن قيل: لم قالت الأصنام للمشركين إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ [النحل: ٨۶] و كانوا صادقين فيما قالوا؟ قلنا: إنما قالت لهم ذلك لتظهر فضيحتهم، و ذلك أن الأصنام كانت جمادا لا تعرف من يعبدها، فلم تعلم أنهم عبدوها فى الدنيا فظهرت فضيحتهم حيث عبدوا من لا يعلم بعبادتهم، و نظير هذا قوله تعالى: وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا [النحل: ٨١، ٨٢]. [۵۶۴] فإن قيل: قوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ [النحل: ٨٩] فإذا كان القرآن تبيانا لكل شىء من أمور الدين، فمن أين وقع بين الأمة فى أحكام الشريعة هذا الخلاف الطويل العريض؟ قلنا: إنما وقع الخلاف بين الأئمة لأن كل شىء يحتاج إليه من أمور الدين ليس مبينا فى القرآن نصا، بل بعضه مبين و بعضه مستنبط بيانه منه بالنظر و الاستدلال، و طريق النظر و الاستدلال مختلفة فلذلك وقع الخلاف. [۵۶۵] «١» فإن قيل: كثير من أحكام الشريعة لم تعلم من القرآن نصا و لا استنباطا كعدد ركعات الصلاة، و مقادير باقى الأعضاء، و مدة السفر و المسح و الحيض، و مقدار حد الشرب، و نصاب السرقة و ما أشبه ذلك مما يطول ذكره؟ قلنا: القرآن تبيان لكل شىء من أمور الدين؛ لأنه نص على بعضها، و أحال على السنة فى بعضها فى قوله تعالى: وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ٧] و قوله تعالى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى [النجم: ٣] و أحال على الإجماع أيضا بقوله تعالى: وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ [النساء: ١١۵] الآية، و أحال على القياس أيضا بقوله تعالى: فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ [الحشر: ٢] و الاعتبار النظر و الاستدلال، فهذه أربعة طرق لا يخرج شىء من أحكام الشريعة عنها، و كلها مذكورة فى القرآن فصح كونه تبيانا لكل شىء. [۵۶۶] فإن قيل: كيف وحّدت القدم و نكّرت فى قوله تعالى: فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِها [النحل: ٩۴] و لم يقل القدم أو الأقدام، و هو أشد مناسبة لجمع الإيمان؟ قلنا: وحّدت و نكّرت فى قوله تعالى لاستعظام أن تزل قدم واحدة على طريق الجنة فكيف بأقدام كثيرة؟ [۵۶٧] فإن قيل: «من» تتناول الذكر و الأنثى لغة، و يؤيده قوله تعالى: مَنْ جاءَ (____ ١) ([۵۶۵])- قوله: «و

أحال على القياس أيضا، الخ» لا يخفى ما فيه من ضعف! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ١۶۶ بِالْحَسَنَةِ [الأنعام: ١۶٠] الآية، و قوله تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا [آل عمران: ٩٧] و قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ [الزلزلة: ٧] الآية، و قوله تعالى: فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ [البقرة: ١٨۵] و نظائره كثيرة، فكيف قال تعالى هنا: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى [النحل: ٩٧]؟ قلنا: إنما صرح بذكر النوعين هنا لسبب اقتضى ذلك، و هو أن النساء قلن: ذكر اللّه تعالى الرجال فى القرآن بخير و لم يذكر النساء بخير، فلو كان فينا خير لذكرنا به، فأنزل اللّه تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ [الأحزاب: ٣۵] الآية، و أنزل مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ [النحل: ٩٧] فذهب عن النساء و هم تخصيصهن عن العمومات. [۵۶٨] فإن قيل: كيف قال تعالى: يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ [النحل: ٧٩] و قد رأينا كثيرا من الصلحاء و الأتقياء قطعوا أعمارهم فى المصائب و المحن و أنواع البلايا باعتبار الأمثل فالأمثل إلى الأنبياء؟ قلنا: المراد بالحياة الطيبة الحياة فى القناعة. و قيل: فى الرزق الحلال. و قيل: فى رزق يوم بيوم. و قيل: التوفيق للطاعات. و قيل: فى حلاوة الطاعات. و قيل: فى الرضا بالقضاء. و قيل المراد به الحياة فى القبر، كما قال تعالى: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ [آل عمران: ١۶٩] و قيل: المراد به الحياة فى الدار الآخرة، و هى الحياة الحقيقية لأنها حياة لا موت بعدها دائمة فى النعيم المقيم، و الظاهر أن المراد به الحياة فى الدنيا لقوله تعالى: وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

[النساء: ۱۳۴] وعدهم اللّه ثواب الدنيا و الآخرة كما قال تعالى: فَآتاهُمُ اللَّهُ ثَوابَ الدُّنْيا وَ حُسْنَ ثَوابِ الْآخِرَةِ [آل عمران: ۱۴۸]. [۵۶۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ [النحل: ۱۰۷] و كثير من الصحابة و غيرهم كانوا كافرين فهداهم اللّه تعالى إلى الإيمان؟ قلنا: المراد من هذا الكافرون الذين علم اللّه تعالى أنهم يموتون على الكفر و يؤيده ما بعد ذلك من الآيتين. [۵۷۰] فإن قيل: ما معنى إضافة النفس إلى النفس فى قوله تعالى: يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها [النحل: ۱۱۱] و النفس ليس لها نفس أخرى؟ قلنا: النفس اسم للروح و للجوهر القائم بذاته المتعلق بالجسم تعلق التدبير. و قيل: هى اسم لجملة الإنسان لقوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ [آل عمران: ۱۸۵] و قول تعالى: وَ كَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ [المائدة: ۴۵] و النفس أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۷ أيضا اسم لعين الشيء و ذاته، كما يقال: نفس الذهب و الفضة محبوبة، أى عينهما و ذاتهما. فالمراد بالنفس الأولى الإنسان و بالثانية ذاته، فكأنه يوم يأتى كل إنسان يجادل عن نفسه، أى ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول نفسى نفسى، فاختلف معنى النفسين. [۵۷۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ [النحل: ۱۱۲] و الإذاقة لا تناسب اللباس و إنما تناسبه الكسوة؟ قلنا: الإذاقة تناسب المستعار له و هو الجوع من حيث أن الجوع يقتضى الأكل فيقتضى الذوق، و إن كانت لا تناسب المستعار و هو اللباس و الكسوة تناسب المستعار و هو اللباس، و لا تناسب المستعار له و هو الجوع، و كلاهما من دقائق علم البيان، يسمى الأول تجريد الاستعارة، و الثانى ترشيح الاستعارة فجاء القرآن العزيز فى هذه الآية بتجريد الاستعارة، و قد ذكرنا تمام هذا فى كتابنا «روضة الفصاحة». و لباس الجوع و الخوف استعارة لما يظهر على أهل القرية من أثر الجوع و الخوف من الصفرة و النحول، فهو كقوله تعالى: وَ لِباسُ التَّقْوى [الأعراف: ۲۶] استعار اللباس لما يظهر على المتقى من أثر التقوى. و قيل: إن فيه إضمارا تقديره: فأذاقها اللّه طعم الجوع، و كساها لباس الخوف. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۸

سورة الإسراء

سورة الإسراء [۵۷۲] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: بِعَبْدِهِ [الإسراء: ۱]، و لم يقل بنبيه أو برسوله أو بحبيبه أو بصفيه و نحو ذلك، مع أن المقصود من ذلك الإسراء تعظيمه و تبجيله؟ قلنا: إنما سماه عبدا فى أرفع مقاماته و أجله و هو هذا، و قوله: فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى [النجم: ۱۰]، كيلا يغلط فيه أمته و تضل به كما ضلت أمة المسيح به فدعته إلها. و قيل: كيلا يتطرق إليه العجب و الكبر. [۵۷۳] فإن قيل: الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما فائدة ذكر الليل؟ قلنا: فائدته أن ذكر منكرا ليدل على قصر الزمان الذى كان فيه الإسراء و الرجوع، مع أنه كان من مكة إلى بيت المقدس مسيرة أربعين ليلة، و ذلك لأن التنكير يدل على البعضية، و يؤيده قراءة عبد اللّه و حذيفة من الليل، أى بعض الليل كقوله تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ [الإسراء: ۷۹] فإنه أمر بالقيام فى بعضه. [۵۷۴] فإن قيل: أى حكمة فى نقله صلّى اللّه عليه و سلّم من مكة إلى بيت المقدس، ثم العروج به من بيت المقدس إلى السماء، و هلا عرج به من مكة إلى السماء دفعة واحدة؟ قلنا: لأن بيت المقدس محشر الخلائق، فأراد اللّه تعالى أن يطأها قدمه ليسهل على أمته يوم القيامة وقوفهم عليها ببركة أثر قدمه صلّى اللّه عليه و سلّم. الثانى: أن بيت المقدس مجمع أرواح الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، فأراد اللّه تعالى أن يشرفهم بزيارته صلّى اللّه عليه و سلّم. الثالث: أنه أسرى به إلى البيت المقدس ليشاهد من أحواله و صفاته ما يخبر به كفار مكّة صبيحة تلك الليلة، فيدلهم إخباره بذلك مطابقا لما رأوا و شاهدوا على صدقه فى حديث الإسراء. [۵۷۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: بارَكْنا حَوْلَهُ [الإسراء: ۱] و لم يقل باركنا عليه أو باركنا فيه، مع أن البركة فى المسجد تكون أكثر من خارج المسجد و حوله خصوصا المسجد الأقصى؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۶۹ قلنا: أراد البركة الدنيوية بالأنهار الجارية و الأشجار المثمرة و ذلك حوله لا فيه. و قيل: أراد البركة الدينية فإنه مقر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و متعبدهم و مهبط الوحى و الملائكة، و إنما قال: بارَكْنا حَوْلَهُ ليكون بركته أعم و أشمل، فإنه أراد بما حوله ما أحاط به من أرض بلاد الشام و ما قاربه منها، و ذلك أوسع من مقدار بيت المقدس، و لأنه إذا كان هو الأصل و قد بارك فى لواحقه و توابعه من البقاع كان هو مباركا فيه بالطريق الأولى، بخلاف العكس. و

قيل: المراد البركة الدنيوية و الدينية و وجههما ما مرّ. و قيل: المراد باركنا حوله من بركة نشأت منه فعمت جميع الأرض، فإن مياه الأرض كلها أصل انفجارها من تحت الصخرة التى فى بيت المقدس (!) [۵۷۶] فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً [الإسراء: ۳] بما قبله و مناسبته له؟ قلنا: معناه لا تتخذوا من دونى ربّا فتكونوا كافرين، و نوح كان عبدا شكورا و أنتم ذرية من آمن به و حمل معه، فتأسوا به فى الشكر كما تأسى به آباؤكم. [۵۷۷] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها [الإسراء: ۷] و لم يقل: فعليها، كما قال اللّه تعالى: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَيْها [الإسراء: ۴۶]؟ قلنا: اللام هنا بمعنى على كما فى قوله تعالى: وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ [الصافات: ۱۰۳] و قوله تعالى: وَ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ [الإسراء: ۱۰۹]. و قيل: معناه: فلها رجاء بالرحمة، أو فلها مخلص بالتوبة و الاستغفار. و الصحيح أنّ اللام هنا على بابها؛ لأنّها للاختصاص، و كل عامل مختص بجزاء عمله حسنة كانت أو سيئة، و قد سبق مثل هذا مستوفى فى آخر سورة البقرة فى قوله تعالى: لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ [البقرة: ۲۸۶]. [۵۷۸] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى، هنا: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ [الإسراء: ۱۲]، و قال فى قصة مريم و عيسى عليهما السلام وَ جَعَلْناها وَ ابْنَها آيَةً لِلْعالَمِينَ [الأنبياء: ۹۱] وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً [المؤمنون: ۲۳] مع أن عيسى صلّى اللّه عليه و سلّم كان وحده آيات شتى؛ حيث كلّم الناس فى المهد، و كان يحيى الموتى، و يبرئ الأكمه و الأبرص، و يخلق الطير و غير ذلك، و أمه وحدها كانت آية حيث حملت من غير فحل؟ قلنا: إنما أراد به الآية التى كانت مشتركة بينهما و لم تتم إلا بهما، و هى ولادة ولد من غير فحل، بخلاف الليل و النهار و الشمس و القمر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۰ الثانى: أن فيه آية محذوفة إيجازا و اختصارا تقديره: و جعلناها آية و ابنها آية، و جعلنا ابن مريم آية و أمه آية. [۵۷۹] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ جَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً [الإسراء: ۱۲] و الإبصار من صفات ما له حياة، و المراد بآية النهار إما الشمس أو النهار نفسه؛ و كلاهما غير مبصر؟ قلنا: المبصرة فى اللغة بمعنى المضيئة، نقله الجوهرى. و قال غيره: معناه بينة واضحة، و منه قوله تعالى: وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [الإسراء: ۵۹]، أى آية واضحة مضيئة، و قوله تعالى: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً [النمل: ۱۳]. الثانى: معناه: مبصرا بها إن كانت الشمس، أو فيها إن كانت النهار، و منه قوله تعالى: وَ النَّهارَ مُبْصِراً [يونس: ۶۷] أى مبصرا فيه، و نظيره قولهم: ليل نائم و نهار صائم: أى ينام فيه و يصام فيه. الثالث: أنه فعل رباعى منقول بالهمزة عن الثلاثى الذى هو بصر بالشىء، أى علم به، فهو بصير، أى عالم معناه أنه يجعلهم بصراء، فيكون أبصره بمعنى بصره، و على هذا حمل الأخفش قوله تعالى: فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً أى تبصّرهم فتجعلهم بصراء. الرابع: أن بعض الناس زعم أن الشمس حيوان له حياة و بصر و قدرة، و هو متحرك بإرادته امتثال أمر اللّه تعالى كما يتحرك الإنسان! [۵۸۰] فإن قيل: ما الفائدة فى ذكر عدد السنين؛ مع أنّه لو اقتصر على قوله لتعلموا الحساب دخل فيه عدد السنين إذ هو من جملة الحساب؟ قلنا: العدد كله موضوع الحساب كبدن الإنسان فإنه موضوع الطب، و أفعال المكلفين موضوع الفقه، و موضوع كل علم مغاير له و ليس جزءا منه، كبدن الإنسان ليس جزءا من الطب، و لا أفعال المكلفين جزءا من الفقه؛ فكذا العدد ليس جزءا من الحساب، و إنما ذكر عدد السنين و قدمه على الحساب، لأن المقصود الأصلى من محو الليل و جعل آية النهار مبصرة علم عدد الشهور و السنين، ثم يتفرع من ذلك علم حساب التاريخ و ضرب المدد و الآجال.

(____ ۱) ([۵۷۹]) الأخفش: هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخى المجاشعى (الأخفش الأوسط). رجّح بعضهم أنه ولد فى العقد الثالث من القرن الثانى للهجرة. و اختلف فى تاريخ وفاته، فقيل: ۲۱۰ ه، و قيل: ۲۱۵ ه، و قيل: ۲۲۱ ه، و قيل: ۲۲۵ ه. من مؤلفاته: معانى القرآن، الأوسط فى النحو، المقاييس فى النحو، العروض، معانى الشعر، الأصوات، صفات الغنم و علاجها و أسنانها، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۱ [۵۸۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى هنا: كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً [الإسراء: ۱۴] و قال فى موضع آخر وَ كَفى بِنا حاسِبِينَ [الأنبياء: ۴۷]؟ قلنا: مواقف القيامة مختلفة، ففى موقف يكل اللّه حسابهم إلى أنفسهم و علمه محيط به، و فى موقف يحاسبهم هو. و قيل: هو الذى يحاسبهم لا غيره، و قوله تعالى: كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً أى يكفيك أنك شاهد على نفسك بذنوبها عالم بذلك، فهو توبيخ و تقريع لا أنه تفويض لحساب العبد إلى نفسه. و قيل: من يريد مناقشته فى الحساب يحاسبه بنفسه، و من يريد مسامحته فيه

يكل حسابه إليه. [۵۸۲] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الإسراء: ۱۵] يرد ما جاء في الأخبار أن في يوم القيامة يؤخذ من حسنات المغتاب و المديون و يزاد في حسنات رب الدّين و الشخص الذي اغتيب، فإن لم تكن لهما حسنات يوضع عليهما من سيئات خصميهما، و كذلك جاء هذا في سائر المظالم؟ قلنا: المراد من الآية أنها لا تحمله اختيارا ردا على الكافرين حيث قالوا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنا وَ لْنَحْمِلْ خَطاياكُمْ [العنكبوت: ۱۲] الآيتين، و المراد من الخبر أنها تحمله كرها فلا تنافي، و قد سبق هذا مرة في آخر سورة الأنعام. [۵۸۳] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها [الإسراء: ۱۶] و قال في آية أخرى قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ [الأعراف: ۲۸]؟ قلنا: فيه إضمار تقديره أمرناهم بالطاعة ففسقوا. و قال الزّجّاج: و مثله قولهم أمرته فعصاني، و أمرته فخالفني؛ لا يفهم الأمر بالمعصية و لا الأمر بالمخالفة. الثاني: أن معناه كثرنا مترفيها، يقال أمرته و آمرته بالمد و القصر يعني كثرته، و قد قرئ بهما، و منه الحديث: «خير المال مهرة مأمورة و سكّة مأبورة»، أي كثيرة النتاج و النسل. الثالث: أن معناه أمرنا مترفيها بالتشديد، يقال أمرت فلانا بمعنى أمرته: أي جعلته أميرا، فمعنى الآية سلطانهم بالإمارة، و يعضد هذا الوجه قراءة من قرأ أمرنا بالتشديد (____ . ۱) ([۵۸۳]) الحديث

أخرجه أحمد في مسنده: ۳/ ۴۶۸. مأمورة: أي كثيرة النتاج و النسل. سكة: هي الطريقة من النخل أو السطر منه، أي النخل المتجاور. مأبورة: ملقحة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۲ و قال الزمخشري رحمه اللّه: لا يجوز أن يكون معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا؛ لأن حذف ما لا دليل عليه في اللفظ غير جائز، فكيف يقدر حذف ما قام الدليل في اللفظ على نقيضه؛ و ذلك لأن قوله: فَفَسَقُوا يدل على أن المأمور به المحذوف هو الفسق و هو كلام مستفيض، يقال: أمرته فقام و أمرته فقعد و أمرته فقرأ، لا يفهم منه إلا أن المأمور به القيام و القعود و القراءة، بخلاف قولهم أمرته فعصاني و أمرته فخالفني؛ حيث لا يكون المأمور به المحذوف المعصية و المخالفة؛ لأن ذلك مناف للأمر مناقض له، و لا يكون ما يناقض الأمر و ينافيه مأمورا به، فيكون المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه و لا منوي، و المتكلم بمثل هذا لا ينوي لأمره مأمورا به؛ بل كأنه قال: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة، أو كانت منه مخالفة، كما تقول: مر زيدا يطعك، و كما تقول: فلان يأمر و ينهي، و يعطي و يمنع، و يصل و يقطع، و يضر و ينفع، فإنك لا تنوي مفعولا. [۵۸۴] فإن قيل: على هذا حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا، و هذا لا يكون من اللّه، فلا يقال يقدر الفسق محذوفا و لا مأمورا به. قلنا: الفسق المحذوف المقدر مجاز عن إترافهم و صب النعم عليهم صبا أفضى بهم إلى جعلها ذريعة إلى المعاصي و وسيلة إلى اتباع الشهوات، فكأنهم أمروا بذلك لما كان السبب في وجوده الإتراف و فتح باب النعم. [۵۸۵] فإن قيل: لم لا يكون ثبوت العلم بأن اللّه لا يأمر بالفحشاء، و إنما يأمر بالطاعة و العدل و الخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالطاعة ففسقوا. قلنا: لو جاز مثل هذا الإضمار و التقدير لكان المتكلم مريدا من مخاطبه علم الغيب؛ لأنّه أضمر ما لا دلالة عليه في اللفظ بل أبلغ؛ لأنّه أضمر في اللفظ ما يناقضه و ينافيه، و هو قوله: فَفَسَقُوا؛ فكأنه أظهر شيئا و ادعى إضمار نقيضه، فكان صرف الأمر إلى ما ذكرنا من المجاز هو الوجه. هذا كله كلام الزمخشري، و لا أعلم أحدا من أئمة التفسير صار إليه غيره؛ ثم إنه أيّده فقال: و نظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده تقول: لو شاء فلان لأحسن إليك، و لو شاء لأساء إليك، تريد لو شاء الإحسان لأحسن و لو شاء الإساءة إليك لأساء، فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت و تعني و لو شاء الإساءة لأحسن إليك، و لو شاء الإحسان لأساء إليك، و تقول قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان دائما و من أهل الإساءة دائما، فيترك الظاهر المنطوق به و يضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد. [۵۸۶] فإن قيل: على الوجه الأول لو كان المضمر المحذوف الأمر بالطاعة. كان مخصوصا بالمترفين، لأن أمر اللّه تعالى بالطاعة عام للمترفين و غيرهم. قلنا: أمر اللّه بالطاعة و إن كان عاما، و لكن لما كان صلاح الأمراء و الرؤساء أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۳ و فسادهم مستلزما لصلاح الرعية و فسادها غالبا خصّهم بالذّكر، و يؤيد هذا ما جاء في الخبر: «صلاح الوالي صلاح الرّعيّة، و فساد الوالي فساد الرّعيّة». [۵۸۷] فإن قيل: قوله تعالى: مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ [الإسراء: ۱۸] الآية، يدل على أن من لم يزهد في الدنيا و لم يتركها كان من أهل النار، و الأمر بخلافه. قلنا: المراد من كان يريد بإسلامه و طاعته و عبادته الدنيا لا غير، و مثل هذا لا

يكون إلاـ كافرا أو منافقا، و لهـذا قال ابن جرير: هـذه الآيـة لمن لا يؤمن بالمعاد، و أما من أراد من الـدنيا قـدر ما يتزود به إلى الآخرة فكيف يكون مذموما، مع أن الاستغناء عن الدنيا بالكلية و عن جميع ما فيها لا يتصور فى حق البشر و لو كانوا أنبياء، فعلم أن المراد ما قلنا. [۵۸۸] فإن قيـل: كيف قـال تعالى: وَ ما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً [الإسـراء: ۲۰] أى ممنوعـا، و نحن نرى و نشاهـد فى الواقـع أن واحدا أعطاه قناطير مقنطرة و آخر منعه العطاء حتى الدانق و الحبة؟ قلنا: المراد بالعطاء هنا الرزق، و اللّه تعالى سوّى فى ضمان الرزق و إيصاله بين البر و الفاجر و المطيع و العاصى، و لم يمنع الرزق عن العاصى بسبب عصيانه، فلا تفاوت بين العباد فى أصل الرزق، و إنما التفـاوت بينهم فى مقادير الأملاك. [۵۸۹] فـإن قيـل: كيف منع اللّه تعـالى الكفـار التوفيق و الهدايـة و لم يمنعهم الرزق؟ قلنـا: لأنه لو منعهم الرزق لهلكوا و صـار ذلـك حجـة لهم يوم القيامـة، بـأن يقولوا لو أمهلتنـا و رزقتنا لبقينا أحياء فآمنا. الثانى: أنه لو أهلكهم بمنع الرزق لكان قـد عاجلهم بالعقوبـة، فيتعطل معنى اسـمه الحليم عن معناه؛ لأنّ الحليم هو الـذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه. الثالث: أن منع الطعام و الشـراب من صـفات البخلاء الأخساء، و اللّه تعالى منزه عن ذلك. و قيل: إعطاء الرزق لجميع العبيد عدل، و عدل اللّه عـام، وهبته التوفيق و الهدايـة فضـل، و إن الفضل بيـد اللّه يؤتيه من يشاء. [۵۹۰] فإن قيل: ما فائـدة قوله: «عنـدك» فى قوله تعالى: إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما [الإسراء: ۲۳]. قلنا: فائدته أنهما يكبران فى بيته و كنفه و يكونان كلّا عليه لا كافل لهما غيره، و ربما تولى منهما من المشاقّ ما كانا يتوليان منه فى حال الطفولية. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۴ [۵۹۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى [الإسراء: ۳۲] و لم يقل و لا تزنوا؟ قلنا: لو قال و لا تزنوا كان نهيا عن الزنا لا عن مقدماته كاللمس و المعانقة و القبلة و نحو ذلك، و لما قال: وَ لا تَقْرَبُوا كان نهيا عنه و عن مقـدماته، لأن فعل المقـدمات قربان للزنا. [۵۹۲] فإن قيل: الإشارة بقوله تعالى: كُلُّ ذلِكَ كانَ سَيِّئُهُ [الإسراء: ۳۸] على مـا ذا تعود؟ قلنـا: الإشـارة إلى كـل ما هو منهى عنه من جميع ما ذكر من قوله تعالى: وَ قَضـى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ [الإسراء: ۲۳] إلى هذه الآية؛ لا إلى جميع ما ذكر فإن فيه حسنا و سيئا. و قال أبو على: هو إشارة إلى قوله: وَ لا تَقْفُ [الإسـراء: ۳۶] و مـا بعـده؛ لأـنه لا حسن فيه. [۵۹۳] فـإن قيـل: كيف قـال تعـالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ [الإسراء: ۴۴] فقوله و من فيهن يتناول أهل الأرضـين كلهم، و المراد به العموم كما هو مقتضـى الصيغة بدليل تأكيده بقوله تعالى بعده وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ۴۴] و التسبيـح هو التنزيه عن كل ما لا يليق بصـفات جلاله و كماله، و الكفار يضـيفون إليه الزوج و الولـد و الشـريك و غير ذلـك، فأين تسبيحهم؟ قلنا: الضـمير فى قوله تعالى: وَ مَنْ فِيهِنَّ راجع إلى السـموات فقط. الثانى: أنه راجع إلى السـموات و الأـرض، و المراد بقوله تعـالى: وَ مَنْ فِيهِنَّ يعنى من المؤمنين، فيكون عاما أريـد به الخاص، و على هـذا يكون المراد بالتسبيـح إلى من فيهن التسبيـح بلسـان المقال. الثالث: أن المراد به التسبيـح بلسان الحال حيث تـدل على وجود الصانع و عظيم قدرته و نهاية حكمته، فكأنها تنطق بذلك و تنزهه عما لا يجوز عليه و ما لا يليق به من السوء، و يؤيده قوله تعالى بعده وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ و التسبيح العام لجميع الموجودات إنّما هو التسبيح بلسان الحال. [۵۹۴] «۱» فإن قيل: لو كان المراد هو التسبيح بلسان الحـال لمـا قـال: وَ لكِـنْ لاـ (
(۱)

[۵۹۴])- جواب المصـنف هنا ضعيف؛ بل بعيد. و أقل ما فيه- من وجوه الإشكال- أنّ دعواه تخصيص الخطاب بالكفار لا سند لها من لسـان الآيـة، و هو تخصـيص بلاـ مخصّص. ثم هو حمل للظاهر على غير معناه، بلا قرينـة. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۵ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ۴۴]؛ لأنّ التسبيح بلسان الحال مفقوه لنا، أى مفهوم و معلوم؟ قلنا: الخطاب بقوله تعالى: وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ للكفار، و هم مع تسبيحهم بلسان الحال لا يفقهون تسبيح الموجودات على ما ذكرنا من التفسير؛ لأنّهم لما جعلوا للّه شـركاء و زوجا و ولـدا دل ذلك على عـدم فهمهم التسبيـح للموجودات و تنزيهها و عـدم إيضاح دلائل الوحدانية لهم؛ لأن اللّه تعالى طبع على قلوبهم. [۵۹۵] «۱» فإن قيل: وَ مَنْ فِيهِنَّ و هم الملائكة و الثقلان يسبحون حقيقة و السـموات و الأرض و الجمادات تسبح مجازا، فكيف جمع بين إرادة الحقيقـة و المجاز من لفظ واحد و هو قوله: تُسَبِّحُ؟ قلنا: التّسبيح المجازى بلسان الحال حاصل من الجميع، فيحمل عليه دفعا لما ذكرتم من المجاز. [۵۹۶] «۲» فإن قيل: كيف قال تعالى: يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ [الإسـراء: ۵۲]، و المستعمل الشائع دعاه

فاستجاب لأمره أو بأمره، أى أجاب؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: المراد بقوله تعالى: بِحَمْدِهِ بأمره. و قال سعيد بن جبير رضى اللّه عنه: إذا دعا اللّه الخلائق للبعث يخرجون من قبورهم و هم ينفضون التراب عن رءوسهم و يقولون: سبحانك اللهم و بحمدك. و قال غيره و هم يقولون: الحمد للّه الذى صدقنا وعده، فعلى هذا تكون الباء بمعنى مع كما فى قوله تعالى: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ [المؤمنون: ۲۰] و قوله تعالى: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ [طه: ۱۳۰]. [۵۹۷] فإن قيل: كيف أجمل ذكر الأنبياء كلهم بقوله: وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ [الإسراء: ۵۵] ثم خص داود بالذكر فقال: وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً [الإسراء: ۱۷]. قلنا: لأنه اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من الأنبياء، و هو الرسالة و الكتابة و الخطابة و الخلافة و الملك و القضاء فى زمن واحد، قال اللّه تعالى: وَ شَدَدْنا مُلْكَهُ وَ آتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ [ص: ۲۰] و قال: يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِی الْأَرْضِ [ص: ۲۶].

(______________________________ ۱) ([۵۹۵])- فى السؤال و جوابه نظر ظاهر. فتأمل! (۲) ([۵۹۶]) سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير الأسدى بالولاء، الكوفى، من التابعين. كان من علمائهم البارزين. أخذ العلم عن ابن عباس. و كان الأخير يحيل الناس عليه فى الفتيا. ثار ضد الأمويين. و قتله الحجاج بواسط سنة ۹۵ ه. و كانت ولادته سنة ۴۵ ه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۶ الثانى: أن قوله تعالى: وَ لَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلى بَعْضٍ إشارة إلى تفضيل محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و قوله: وَ آتَيْنا داوُدَ زَبُوراً دلالة على وجه تفضيله و هو أنه خاتم الأنبياء و أن أمته خير الأمم؛ لأن ذلك مكتوب فى زبور داود عليه الصلاة و السلام، و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ [الأنبياء: ۱۰۵] يعنى محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم و أمته. [۵۹۸] فإن قيل: لم نكر الزبور هنا و عرفه فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ [الأنبياء: ۱۰۵]؟ قلنا: يجوز أن يكون الزّبور من الأعلام التى تستعمل بالألف و اللام و بغيرهما كالعباس و الفضل و الحسن و نحوها. الثانى: أنه نكره هنا لأنه أراد و آتينا داود بعض الزبور و هى الكتب. الثالث: أنه نكره لأنه أراد به ما ذكر فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من الزبور، فسمى ذلك زبورا؛ لأنه بعض الزبور، كما سمى بعض القرآن قرآنا، فقال تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ [الإسراء: ۱۰۶] الآية، و قال: بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ [يوسف: ۳] و أراد به سورة يوسف عليه السلام، و قال: وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ [الإسراء: ۷۸] أى القرآن المتلو فى صلاة الفجر. [۵۹۹] «۱» فإن قيل: قوله تعالى: فَلا يَسْتَطِيعُونَ [الإسراء: ۴۸] كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ [الإسراء: ۵۶] مغن عن قوله تعالى: وَ لا تَحْوِيلًا [الإسراء: ۵۶] لأنهم إذا لم يستطيعوا كشف الضر لا يستطيعون تحويله، لأن تحويل الضر نقله من محل و إثباته فى محل آخر، و منه تحويل الفراش و المتاع و غيرهما، و كشف الضر مجرد إزالة، و من لا يقدر على الإزالة وحدها فكيف يقدر على الإزالة مع الإثبات؟ و المراد بالآية كشف الضر و المرض و القحط و نحوها؟ قلنا: التحويل له معنيان: أحدهما ما ذكرتم. و الثانى التبديل، و منه قولهم: حوّلت القميص قباء، و الفضة خاتما؛ و أريد بالتبديل هنا الكشف؛ لأن فى الكشف المنفى فى الآية تبديلا؛ فإن المرض متى كشف يبدل بالصحة، و الفقر متى كشف يبدل بالغنى، و القحط متى كشف يبدل بالخصب، و كذا جميع الأضداد، فأطلق التبديل (______________________________ ۱) ([۵۹۹])- يبدو أن مراد الرازى هو قوله تعالى: فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لا تَحْوِيلًا [الإسراء: ۵۶] و قد جاءت كلمة يستطيعون بدل يملكون سهوا منه. - و قوله فى الجواب: «و أريد بالتبديل هنا الكشف، الخ» فيه من الضعف و ركاكة المعنى ما لا يخفى، فلاحظ! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۷۷ و أراد به الكشف، إلا أنه لم يرد به كشف الضر لئلّا يلزم التكرار، بل أراد به مطلق الكشف الذى هو الإزالة، يعنى فلا يستطيعون كشف الضر عنكم و لا كشفا ما، و لهذا لم يقل و لا تحويله. و هذا الجواب مما فتح اللّه علىّ به من خزائن جوده، و نظيره ما ذكرناه فى سورة النحل فى قوله تعالى: وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئاً وَ لا يَسْتَطِيعُونَ [النحل: ۷۳]. [۶۰۰] فإن قيل: قوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ [الإسراء: ۵۹] الآية فيها أسئلة: أولها: أنّ اللّه تعالى لا يمنعه عما يريده مانع، فإن أراد إرسال الآيات فكيف يمنعه تكذيب الأمم الماضية؟ و إن لم يرد إرسالها كان وجود تكذيبهم و عدمه سواء. و كان عدم الإرسال لعدم الإرادة. الثانى: أن الإرسال يتعدى بنفسه، قال اللّه تعالى:

إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ [نوح: ١] فأىّ حاجة إلى الباء؟ الثالث: أن المراد بالآيات هنا ما اقترحه أهل مكة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من جعل الصفا ذهبا، و إزالة جبال مكة ليتمكنوا من الزراعة، و إنزال مكتوب من السماء و نحو ذلك، و هذه الآيات ما أرسلت إلى الأولين و لا- شاهدوها فكيف كذبوا بها؟ الرابع: أن تكذيب الأولين لا يمنع إرسالها إلى الآخرين لجواز أن لا يكذب الآخرون. الخامس: أىّ مناسبة و ارتباط بين صدر الآية و قوله تعالى: وَ آتَيْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً؟ السادس: ما معنى وصف الناقة بالإبصار؟ السابع: أن الظلم يتعدى بنفسه؛ قال اللّه تعالى: وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ [النساء: ١١٠]، فأىّ حاجة إلى الباء؛ و هلّا قال فظلموها يعنى العقر و القتل؟ الثامن: أن قوله تعالى: وَ ما نُرْسِلُ بِالْآياتِ إِلَّا تَخْوِيفاً [الإسراء: ۵۹] يدل على الإرسال بها، و قوله تعالى: وَ ما مَنَعَنا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآياتِ [الإسراء: ۵۹] يدل على عدم الإرسال بها؟ قلنا: الجواب عن الأوّل: أن المنع مجاز عبر به عن ترك الإرسال بالآيات، كأنه تعالى قال: و ما كان سبب ترك الإرسال بالآيات إلا أن كذب بها الأولون. و عن الثانى: أن الباء لتعدية الإرسال إلى المرسل به لا- إلى المرسل، لأن المرسل محذوف و هو الرسول، تقديره: و ما منعنا أن نرسل الرسل بالآيات، و الإرسال يتعدى إلى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ١٧٨ المرسل بنفسه، و إلى المرسل به بالباء، و إلى المرسل إليه بإلى، قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَ سُلْطانٍ مُبِينٍ إِلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ [هود: ۹۶، ۹۷]. و عن الثالث: أن الضمير فى قوله تعالى بها عائد إلى جنس الآيات المقترحة لا- إلى هذه الآيات المقترحة، كأنه تعالى قال: و ما منعنا أن نرسل بالآيات المقترحة إلا تكذيب من قبلهم بالآيات المقترحة، يريد المائدة و الناقة و نحوهما مما اقترحه الأولون على أنبيائهم. و عن الرابع: أن سنة اللّه تعالى فى عباده أنّ من اقترح على الأنبياء آية و أتوه بها فلم يؤمن عجل اللّه هلاكه، و اللّه تعالى لم يرد هلاك مشركى مكة؛ لأنه تعالى علم أنه يولد منهم من يؤمن، أو لأنه قضى و قدّر فى سابق علمه بقاء من بعث إليهم محمد صلّى اللّه عليه و سلّم إلى يوم القيامة، فلو أرسل بالآيات التى اقترحوها فلم يؤمنوا لأهلكهم، و حكمته اقتضت عدم إهلاكهم، فلذلك لم يرسلها، فيصير معنى الآية: و ما منعنا أن نرسل بالآيات المقترحة عليك إلا أن كذب بالآيات المقترحة الأولون فأهلكوا، فربما كذب بها قومك فأهلكوا. و عن الخامس: أنه تعالى لما أخبر أن الأولين كذبوا بالآيات المقترحة عيّن منها واحدة و هى ناقة صالح عليه السلام؛ لأن آثار ديارهم المهلكة فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم و واردهم. و عن السادس: أن معنى مبصرة دالة، كما يقال الدليل مرشد و هاد. و قيل: مبصرا بها، كما يقال: ليل نائم و نهار صائم: أى ينام فيه و يصام فيه. و قيل: معناه مبصرة، يعنى أنها تبصّر الناس صحة نبوة صالح عليه السلام، و يعضد هذا قراءة من قرأ (مبصرة) بفتح الميم و الصاد: أى تبصرة. و قيل: مبصرة صفة لآية محذوفة، تقديره: آية مبصرة: أى مضيئة بينة. و عن السابع: أن الباء ليست لتعدية الظلم إلى الناقة؛ بل معناه: فظلموا أنفسهم بقتلها أو بسببها. و قيل: الظلم هنا الكفر، فمعناه: فكفروا بها؛ فلما ضمن الظلم معنى الكفر عداه تعديته. و عن الثامن: أن المراد بالآيات ثانيا العبر و الدلالات لا الآيات التى اقترحها أهل مكة. [۶۰۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ [الإسراء: ۶۰] و ليس فى القرآن لعن شجرة ما؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: و الشجرة الملعونة المذكورة فى القرآن. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ١٧٩ الثانى: أن معناه: الملعون آكلوها و هم الكفرة. الثالث: أن الملعونة يعنى المذمومة كذا قال ابن عباس رضى اللّه عنهما، و هى مذمومة فى القرآن بقوله تعالى: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ [الدخان: ۴۳، ۴۴] و بقوله تعالى: طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ [الصافات: ۶۵]. الرابع: أن العرب تقول لكل طعام مكروه أو ضار ملعون، و فى القرآن الإخبار عن ضررها و كراهتها. الخامس: أن اللعن فى اللغة الطرد و الإبعاد، و الملعون هو المطرود عن رحمة اللّه تعالى المبعد، و هذه الشجرة مطرودة مبعدة عن مكان رحمة اللّه تعالى و هو الجنة لأنها فى قعر جهنم و هذا الإبعاد و الطرد مذكور فى القرآن بقوله تعالى: إِنَّها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ [الصافات: ۶۴] و قال ابن الأنبارى: سميت ملعونة لأنها مبعدة عن منازل أهل الفضل. [۶۰۲] فإن قيل: كيف خص أصحاب اليمين بقراءة كتبهم بقوله تعالى: فَمَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتابَهُمْ [الإسراء: ٧١] و لم خصهم بنفى الظلم عنهم بقوله تعالى: وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا [الإسراء: ٧١] مع أن أصحاب الشمال يقرءون كتابهم و لا يظلمون أيضا؟ قلنا: إنما خص أصحاب اليمين بذكر القراءة؛ لأن أصحاب الشمال إذا رأوا ما فى كتبهم من الفضائح و القبائح أخذهم من الحياء و الخجل و الخوف

ما يوجب حبسة اللسان و تتعتع الكلام و العجز عن إقامة الحروف، فتكون قراءتهم كلا قراءة؛ فأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك، لا جرم أنهم يقرءون كتابهم أحسن قراءة و أبينها، و لا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤُمُ اقْرَؤُا كِتابِيَهْ [الحاقة: ۱۹] و أما قوله تعالى: وَ لا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا فهو عائد إلى كل الناس لا إلى أصحاب اليمين. الثاني: أنه عائد إلى أصحاب اليمين خاصة، و إنما خصصهم بذلك لأنهم يعلمون أنهم لا يظلمون، و يعتقدون ذلك بخلاف أصحاب الشمال فإنهم يعتقدون أو يظنون أنهم يظلمون، و يعضد هذا الوجه قوله تعالى: وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً [طه: ۱۱۲]. [۶۰۳] «۱» فإن قيل: كيف قال موسى عليه السلام لفرعون لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ

(______________________________
۱) ([۶۰۳]) الكسائى: هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد اللّه بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بنى أسد، النحوى. عالم بالقراءات و اللغة و النحو. توفى سنة ۱۸۹ ه. أخذ القراءة عن حمزة، و عن محمد بن أبى ليلى، و عيسى بن عمر الهمدانى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۰ [الإسراء: ۱۰۲] يعنى الآيات إِلَّا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ بَصائِرَ [الإسراء: ۱۰۲] يعنى بينات و حججا واضحات، و فرعون لم يعلم ذلك؛ لأنه لو علم ذلك لم يقل لموسى عليه السلام إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً [الإسراء: ۱۰۱] أى مخدوعا أو قد سحرت أو ساحرا مفعول بمعنى فاعل على اختلاف الأقوال، بل كان يؤمن به؛ و كيف يعلم ذلك و قد طبع اللّه على قلبه و أضله و حال بينه و بين الهدى و الرشاد، و لهذا قرأ علىّ كرم اللّه وجهه لَقَدْ عَلِمْتَ بضم التاء و قال: و اللّه ما علم عدو اللّه و لكن موسى عليه السلام هو الذى علم. و اختار الكسائى و ثعلب قراءة على رضى اللّه عنه و نصراها بأنه لما نسبه إلى أنه مسحور أعلمه بصحة عقله بقوله: لَقَدْ عَلِمْتَ؟ قلنا: معناه لقد علمت لو نظرت نظرا صحيحا إلى الحجة و البرهان، و لكنك معاند مكابر تخشى فوات دعوى الإلهية لو صدقتنى، فكان فرعون ممن أضله اللّه على علم، و لهذا بلغ ابن عباس قراءة علىّ رضى اللّه عنهم و يمينه فاحتج بقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا [النمل: ۱۴]. [۶۰۴] فإن قيل: كيف قال موسى عليه السلام وَ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً [الإسراء: ۱۰۲] و موسى عليه السلام كان عالما بذلك لا شك عنده فيه؟ قلنا: قال أكثر المفسرين: الظن هنا بمعنى العلم كما فى قوله تعالى: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ [البقرة: ۴۶] و إنما أتى بلفظ الظن ليعارض ظن فرعون بظنه، كأنه قال: إن ظننتنى مسحورا فأنا أظنك مثبورا و المثبور الهالك و المصروف عن الخيرات أو الملعون و الخاسر. [۶۰۵] فإن قيل: كيف كرر تعالى الإخبار بالخرور؟ قلنا: كرره ليدل على تكرار الفعل منهم. الثانى: أنه كرره لاختلاف الحالين و هما خرورهم فى حال كونهم ساجدين و فى حال كونهم باكين. الثالث: أنه أراد بالخرور الأول الخرور فى حالة سماع القرآن و قراءته، و بالخرور الثانى الخرور فى سائر الحالات و باقيها. [۶۰۶] فإن قيل: الحمد إنما يكون على نعمة أنعم اللّه تعالى بها على العبد، كما فى قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ [فاطر: ۳۴] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا [الأعراف: ۴۳] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ [الأنعام: ۱] لأن فيها من المنافع لنا ما لا يعد و لا يحصى، فأى نعمة حصلت لنا من كون اللّه تعالى لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك فى الملك و لا ناصر حتى قال: وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً [الإسراء: ۱۱۱] الآية؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۱ قلنا: النعمة فى ذلك أن الملك إذا كان له ولد و زوج فإنما ينعم على عبيده بما يفضل عن ولده و زوجته، و إذا لم يكن له ولد و زوج كان جميع إنعامه و إحسانه مصروفا إلى عبيده، فكان نفى اتخاذ الولد مقتضيا مزيد الإنعام عليهم، و أما نفى الشريك فلأنه يكون أقدر على الإنعام على عبيده لعدم المزاحم، و أما نفى النصير فلأنه يدل على القوة و الاستغناء، و كلاهما يقتضى القدرة على زيادة الإنعام، و اللّه أعلم و أحكم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۲

سورة الكهف

سورة الكهف [۶۰۷] فإن قيل: قوله تعالى: قَيِّماً يعنى مستقيما، و قوله: وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً [الكهف: ۱] مغن عن قوله قيما لأنه متى انتفى العوج ثبتت الاستقامة؛ لأن العوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان، و المراد به هنا نفى الاختلاف و التناقض فى معانيه، و أنه لا

يخرج منه شيء عن الصواب و الحكمة. و قيل: في الآية تقديم و تأخير تقديره: الحمد للّه الذي أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا. قلنا: قال الفرّاء: معنى قوله: قَيِّماً قائما على الكتب السماوية كلها مصدقا لها شاهدا بصحتها ناسخا لبعض شرائعها، فعلى هذا لا ـ تكرار فيه، و على القول المشهور يكون الجمع بينهما للتأكيد سواء قدر قيما مقدما أو أقر في مرتبته، و نصب بفعل مضمر تقديره: و لكن جعله قيما. و لا بد من هذا الإضمار أو من التقديم و التأخير و إلا يصير المعنى: و لم يجعل له عوجا مستقيما و العوج لا يكون مستقيما. [۶۰۸] فإن قيل: اتخذ اللّه تعالى ولدا محال، فكيف قال: ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ [الكهف: ۵] و إنما يستقيم أن يقال فلان ما له علم بكذا إذا كان ذلك الشيء مما يعلمه غيره أو مما يصح أن يعلم، كقولنا زيد ماله علم بالعربية أو بالحساب أو بالشعر و نحو ذلك. قلنا: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، و هذا لأن انتفاء العلم بالشيء تارة يكون للجهل بالطريق الموصل إليه، و تارة يكون لاستحالة العلم به؛ لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. و ما نحن فيه من هذا القبيل. [۶۰۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً [الكهف: ۱۲] و هو عالم بذلك في الأزل؟ قلنا: معناه لنعلم ذلك علم مشاهدة كما علمناه علم غيب. [۶۱۰] فإن قيل: كيف قال فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ [الكهف: ۱۹] و لم يقل واحدكم؟ قلنا: لأنه أراد فردا منهم أيهم كان، و لو قال واحدكم لدلّ على بعث رئيسهم و مقدمهم، فإن العرب تقول: رأيت أحد القوم، أي فردا منهم و لا تقول: رأيت واحدا لقوم إلا ـ إذا أردت المقدم المعظم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۳ [۶۱۱] فإن قيل: كيف جاء تعالى بسين الاستقبال في الفعل الأول دون الآخرين في قوله تعالى: سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ [الكهف: ۲۲] الآية؟ قلنا: أراد دخول الفعلين الآخرين في حكم الأول بمقتضى العطف، فاقتصر على ذكر السين في الأول إيجازا و اقتصارا كما تقول: زيد قد يخرج و يركب، تريد و قد يركب. [۶۱۲] «۱» فإن قيل: كيف دخلت الواو في الجملة الثالثة دون الأولين و هي قوله: وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ [الكهف: ۲۲]. قلنا: قال بعض المفسرين هي واو الثمانية. و قد ذكرنا مثلها في آخر سورة التوبة. و قال الزّجاج: دخول هذه الواو و خروجها سواء في صفة النكرة، و جاء القرآن بهما. و قال غيره: الواو مرادة في الجملتين الأوليين و إنما حذفت فيهما تخفيفا، و أتى بها في الجملة الثالثة دلالة على إرادتها فيهما. و يرد على هذا القول، أنه لو كان كذلك لكانت مذكورة في الجملة الأولى، محذوفة في الجملة الثانية و الثالثة، ليدل ذكرها أوّلا على حذفها بعد ذلك، كما سبق في سين الاستقبال. و قال الزمخشري و غيره: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الصفة الواقعة حالا من المعرفة، تقول: جاءني رجل و معه آخر، و مررت بزيد و في يده سيف، و منه قوله تعالى: وَ ما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَ لَها كِتابٌ مَعْلُومٌ [الحجر: ۴] و فائدتها توكيد اتصال الصفة بالموصوف، و الدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، و هذه الواو هي التي أذنت بأن الذين قالوا سبعة و ثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم و طمأنينة نفس و لم يرجموا بالظن كما رجم غيرهم، و الدليل عليه أن اللّه تعالى أتبع القولين الأولين قوله رَجْماً بِالْغَيْبِ [الكهف: ۲۲] و أتبع القول الثالث قوله: ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ [الكهف: ۲۲]. و قال ابن عباس: وقعت الواو لقطع العدد: أي لم يبق بعدها عدد عاد يلتفت إليه، و يثبت أنهم سبعة و ثامنهم كلبهم على القطع و البتات. و قال الثعلبي: هذه واو الحكم و التحقيق، كأنّ اللّه تعالى حكى اختلافهم فتم

____

(۱) ([۶۱۲]) الثعلبي: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر و اشتغل بالتاريخ. توفي سنة ۴۲۷ ه. من مؤلفاته: عرائس المجالس (في قصص الأنبياء)، الكشف و البيان في تفسير القرآن، يعرف بتفسير الثعلبي. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۴ الكلام عند قوله سبعة، ثم حكى بأن ثامنهم كلبهم باستئنافه الكلام، فحقق ثبوت العدد الأخير؛ لأن الثامن لا يكون إلا بعد السبعة، فعلى هذا يكون قوله: وَ ثامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ [الكهف: ۲۲] من كلام اللّه تعالى حقيقة أو تقديرا. و يرد على هذا أن قوله تعالى بعد هذه الواو قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ [الكهف: ۲۲] و قوله تعالى: ما يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ [الكهف: ۲۲] يدل على بقاء الإبهام و عدم زوال اللبس بهذه الواو. [۶۱۳] فإن قيل: كيف قال: لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ [الأنعام: ۱۱۵] و قال في موضع آخر: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ [النحل: ۱۰۱] و يلزم من تبديل الآية بالآية تبديل الكلمات فكيف الجمع بينهما؟ قلنا: معنى الأول لا مغير للقرآن من البشر، و هو جواب لقولهم للنبي صلّى اللّه عليه و سلّم: ائت بقرآن غير هذا

أو بـدله. الثانى: أن معناه لا خلف لمواعيده و لا مغير لحكمه، و معنى الثانى النسخ و التبديل من اللّه تعالى فلا تنافى بينهما. [۶۱۴] فإن قيـل: قوله تعـالى: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: ۲۹] إباحـهٔ و إطلاق للكفر؟ قلنا: قال ابن عباس رضـى اللّه عنهما معناه: فمن شـاء ربكم فليؤمن و من شـاء ربكم فليكفر، يعنى لاـ إيمـان و لاـ كفر إلا بمشـيئته. الثانى: أنه تهديـد و وعيـد. الثالث: أن معناه لا تنفعون اللّه بإيمانكم و لا تضـرونه بكفركم، فهو إظهار للغنى لا إطلاق للكفر. [۶۱۵] فإن قيل: لبس الأساور فى الدنيا عيب للرّجال، و لهـذا لاـ يلبسـها من يلبس الـذهب و الحرير من الرجـال، فكيف وعـدها اللّه تعـالى المؤمنين فى الجنّهٔ فى قوله تعـالى: يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ [الكهـف: ۳۱]؟ قلنـا: كـانت عـادهٔ ملوك الفرس و الروم لبس الأسـاور و التيجـان مخصوصـين بها دون من عـداهم، فلـذلك وعـدها اللّه تعالى المؤمنين؛ لأنهم ملوك الآخرة. [۶۱۶] فإن قيل: كيف أفرد اللّه تعالى الجنـهٔ بعـد التثنيـهٔ فقال: وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ [الكهف: ۳۵]؟ قلنا: أفردها ليدل على الحصر، معناه: و دخل ما هو جنته لا جنهٔ له غيرها و لا نصيب له فى الجنهٔ التى وعد المتقون، بل ما ملكه فى الدنيا هو جنته لا غير، و لم يقصد جنهٔ معينهٔ منهما بل جنس ما كان له. أسـئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۵ [۶۱۷] فإن قيل: كيف قال الأخ المؤمن لأخيه لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّى وَ لا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً [الكهف: ۳۸] و هذا تعريض بأن أخاه مشرك و ليس فى كلام أخيه ما يقتضـى الشرك بل الكفر و هو قوله وَ ما أَظُنُّ السَّاعَةَ قائِمَةً [الكهف: ۳۶]؟ قلنا: إشراك أخيه الذى عرض له به هو اعتقاده أن زكـاهٔ جنته و نماءها بحوله و قوته، و لهـذا قال له: وَ لَوْ لا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ [الكهف: ۳۹] و لهذا قال هو أيضا لما أصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها و هى خاوية على عروشها يا لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّى أَحَداً [الكهف: ۴۲] فاعترف بالشرك. [۶۱۸] فـإن قيل: ما فائـدهٔ أنا فى قوله: إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ [الكهف: ۳۹]؟ قلنا: أنا فى مثل هـذا الموضع تفيد حصـر الخبر فى المخبر عنه، و منه قوله تعـالى: إِنِّى أَنَا رَبُّكَ [طه: ۱۲] و قوله: إِنِّى أَنَا اللَّهُ [القصـص: ۳۰] و نظائره كثيرهٔ. [۶۱۹] فـإن قيل: ما معنى قوله: وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ [الكهف: ۴۳] و كذلك كل ما أشبهه مما جاء فى القرآن العزيز وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا [مريم: ۸۱] وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ [الشورى: ۶] وَ ما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا نَصِيرٍ [البقرة: ۱۰۷] و كيف تحقيق معناه؟ قلنا: «دون» يستعمل فى كلام العرب بمعنى غير، كقولهم: لفلان مال دون هذا، و من دون هذا، أى غير هذا. و نظيره قوله تعالى: وَ لَهُمْ أَعْمالٌ مِنْ دُونِ ذلِكَ [المؤمنون: ۶۳] أى من غيره، و تستعمل أيضا بمعنى قبل، كقولهم المدينهٔ دون مكهٔ، أى قبلها، و من دونه خرط القتاد. و لا أقوم من مجلسى دون أن تجىء، و لا أفارقك دون أن تعطينى حقى، و ما أعلم أنها جاءت فى القرآن العزيز بمعنى قبل بل بمعنى غير فقط. [۶۲۰] فـإن قيل: كيف قال: هُنالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ [الكهف: ۴۴] يعنى فى يوم الآخرهٔ أو فى يوم القيامـهٔ، و الولايهٔ بكسر الواو السلطان و الملك، و بفتح الواو التولى و النصرهٔ، و كل ذلك للّه تعالى فى الدنيا و الآخرهٔ يعز من يشاء و يذل من يشاء، و ينصـر من يشـاء، و يخـذل من يشـاء، و يتولى من يشـاء بحراسـته و حفظه، فما فائـدهٔ تخصـيص يوم القيامـهٔ؟ قلنا: فائـدته أن الـدعاوى المجازيـهٔ كثيرهٔ فى الـدنيا و يوم القيامـهٔ تنقطع كلهـا، و يسـلم الملك للّه تعالى عن كل منازع، و قـد سبق نظير هـذا السؤال فى سورهٔ الأنعـام فى قوله تعـالى: قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ [الأنعام: ۷۳]. أسـئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۶ [۶۲۱] فإن قيل: كيف قـال تعـالى: هُوَ خَيْرٌ ثَواباً وَ خَيْرٌ عُقْباً [الكهف: ۴۴] أى عاقبـهٔ، و غير اللّه تعالى لا يثيب ليكون اللّه خيرا منه ثوابا؟ قلنا: هـذا على الفرض و التقدير معناه: لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل، و لكانت طاعته أحمد عاقبهٔ و خيرا من طاعهٔ غيره. [۶۲۲] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ حَشَرْناهُمْ [الكهف: ۴۷] بلفـظ الماضـى و ما قبله مضارعان و هو قوله تعالى: وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بارِزَةً [الكهف: ۴۷] أى لا شـىء عليها يسترها كما كان فى الـدنيا؟ قلنا: للدلالهٔ على أن حشـرهم كان قبل التسـيير و قبل البروز ليعاينوا تلك الأـهوال و العظائم كأنه قال: و حشـرناهم قبل ذلك. [۶۲۳] فـإن قيـل: كيف قال تعالى: ما لِهـذَا الْكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها [الكهف: ۴۹] مع أنه أخبر أن الصـغائر تكفر باجتناب الكبائر بقوله تعالى: إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ [النساء: ۳۱]؟ قلنا: الآيـهٔ الأولى فى حقّ الكافرين بدليل قوله تعالى: فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ [الكهف: ۴۹] و المراد بهم هنا الكافرون، كذا قال مجاهـد، و قال غيره: كل مجرم فى القرآن فالمراد به الكافر، و الآيهٔ الثانيهٔ المراد بها المؤمنون؛ لأن اجتناب الكبائر لا يكون متحققا مع

وجود الكفر. الثانی: لو ثبت أن المراد بالمجرم مطلق المـذنب لم يلزم التناقض لجواز أن تكتب الصـغائر ليشاهدها العبد يوم القيامة ثم تكفر عنه فيعلم قـدر نعمـة العفو فإن أكثر ذنوب العبد ينساها خصوصا الصـغائر. [۶۲۴] فـإن قيـل: قوله تعالى: إِلَّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ [الكهف: ۵۰] يـدل على أنه من الجن و قوله تعالى فى موضع آخر: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [الكهف: ۵۰] يـدل على أنه من الملائكـة، فكيف الجمع بينهما؟ قلنا: فيه قولان: أحـدهما: أنه من الجن حقيقـة عملا بظاهر هذه الآية، و لأن له ذرية قال تعالى: أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي [الكهف: ۵۰] و الملائكة لا ذرية لهم، و لأنه أكفر الكفرة و أفسق الفسـقة، و الملائكة معصومون عن الكبائر لأنهم رسل اللّه، و عن المعاصـی مطلقا لأنهم عقول مجردة بغير شـهوة، و لا معصـية إلا عن شهوة، و يؤيده قوله تعـالى: لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ [التحريم: ۶] و قال تعالى: وَ مَنْ عِنْدَهُ [الأنبياء: ۱۹] يعنى الملائكة: لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۷ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ [الأنبياء: ۱۹، ۲۰] فكيف يكون إبليس منهم و يؤمر بالسـجود فيمتنع، فعلى هـذا يكون استـثناؤه من الملائكـة اسـتثناء من غير الجنس؛ أو يكون اسـتثناء من جنس المـأمورين بالسجود لا من جنس الملائكة، و يكون التقدير: و إذ قلنا للملائكة و إبليس اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كما تقول: أمرت إخوتى و عبدى بكذا فأطاعونى إلا عبدى، و العبد ليس من الإخوة و لا داخلا فيهم إلا من حيث شمله الأمر بالفعل معهم، فهذا كذلك. القول الثانی: أنه كان من الملائكـة قبل أن يعصـی اللّه تعالى، فلما عصاه مسـخه شيطانا. روى عن ابن عباس رضـی اللّه عنهما، فيكون معنى قوله تعالى: كانَ مِنَ الْجِنِّ [الكهف: ۵۰] لمخـالفته، فتكون كان بمعنى صار. و قيل معناه: أنه كان من الجن فى سابق علم اللّه تعالى و هـذان القولان يـدلان على أنه كان من الملائكـة قبل المعصـية. و روى عنه أيضا أنه كان من خزان الجنـة، و هم جماعـة من الملائكة يسمون الجن، فعلى هذا يكون قوله تعالى: مِنَ الْجِنِّ [الكهف: ۵۰] أى من الملائكة الذين هم خزّان الجنة فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ [الكهف: ۵۰] بمخالفته فيكون استـثناء من الجنس. و قال الزمخشرى فى سورة البقرة فى قوله تعالى: فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ [الكهف: ۵۰] هو استثناء متصل، لأنه كان جنيا واحـدا بين أظهر الألوف من الملائكة مغمورا بهم، فغلبوا عليه فى قوله: فَسَجَدُوا قلت: و فى هذا التعليل نظر؛ ثم قـال بعـده: و يجوز أن يجعل منقطعا. [۶۲۵] فـإن قيـل: كيف قال تعالى: أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي [الكهف: ۵۰] و الأولياء: الأصـدقاء و الأحباب و هم ضـد الأعـداء، و يؤيـده قوله تعالى: وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ [الكهف: ۵۰] و ليس من النـاس أحـد يحب إبليس و ذريته و يصادقهم؟ قلنا: المراد بالموالاة هنا إجابة الناس لهم فيما يأمرونهم به من المعاصى و يوسوسون فى صدورهم و طاعتهم إياهم، فالموالاة مجاز عن هذا لأنه من لوازمها. [۶۲۶] فإن قيل: قال تعالى هنا: وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ [الكهف: ۵۲] أى فلم يجب الأصـنام المشـركين، فنفى عن الأصـنام النطق، و قال تعالى فى سورة النحل: وَ إِذا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكاءَهُمْ قالُوا رَبَّنا هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ [النحل: ۸۶] يعنى فكذبتهم الأصنام فيما قالوا، فأثبت لهم النطق فكيف الجمع بينهما؟ قلنا: المراد بقوله هنا: نادُوا شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ [الكهف: ۵۲] أى نادوهم للشفاعة لكم أو لـدفع العـذاب عنكم، فـدعوهم فلم يجيبوهم لـذلك، فنفى عنهم النطق بالإجابة إلى الشـفاعة و دفع العذاب عنهم، و فى سورة النحـل أثبت لهم النطق أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۸ بتكـذيب المشـركين فى دعوى عبادتهم، فلا تناقض بين المنفى و المثبت. [۶۲۷] فـإن قيـل: كيف قال تعالى: شُرَكائِيَ [الكهف: ۵۲] و قـال فى سورة النحـل شُرَكاءَهُمْ [النحل: ۸۶]؟ قلنا: قوله تعالى: شُرَكائِيَ [الكهف: ۵۲] معناه فى زعمكم و اعتقادكم، و لهـذا قال: شُرَكائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ [الكهف: ۵۲] و أخرجه مخرج التهكم بهم، كمـا قال المشـركون للنّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم: يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ [الحجر: ۶] و قوله تعالى: شُرَكاءَهُمْ [النحل: ۸۶] يعنى آلهتهم التى جعلوها شركاء، فإضافتها إلى اللّه تعالى لجعلهم إياها شركاء، و الإضافة تصح بأدنى ملابسة لفظية أو معنوية فصحت الإضافتان. [۶۲۸] فـإن قيـل: كيف قـال تعالى: نَسِيا حُوتَهُما [الكهف: ۶۱] و الناسـی إنمـا كان يوشع وحـده بـدليل قوله لموسـى عليه الصـلاة و السلام معتذرا فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ [الكهف: ۶۳] أى قصـة الحوت و خبره وَ مـا أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ [الكهف: ۶۳]؟ قلنا: أضـيف النسـيان إليهما مجازا، و المراد أحـدهما. قال الفراء: نظيره قوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [الرحمن: ۲۲] و إنما

يخرج من الملح لا ـ من العذب. و قيل: نسى موسى عليه السلام تفقد الحوت و نسى يوشع أن يخبره خبره، و ذلك أنه كان حوتا مملوحا فى مكتل قد تزوّداه، فلما أصابه من ماء عين الحياة رشاش حيى و انسل، و كان قد ذهب لقضاء حاجة فعزم يوشع أن يخبره بما رأى من أمر الحوت، فلما جاء موسى نسى أن يخبره، و نسى موسى تفقد الحوت و السؤال عنه. [۶۲۹] فإن قيل: هذا التفسير يدل على أن النسيان من يوشع أو منهما كان بعد حياة الحوت و ذهابه فى البحر، و ظاهر الآية يدل على أنّ النسيان كان سابقا على ذهابه فى البحر متصلا ببلوغ مجمع البحرين لقوله تعالى: فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً [الكهف: ۶۱]. قلنا: فى الآية تقديم و تأخير تقديره: فلما بلغا مجمع بينهما اتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا فنسيا حوتهما. [۶۳۰] فإن قيل: كيف نسى يوشع مثل هذه الأعجوبة العظيمة فى مدة يسيرة؛ بل فى لحظة؛ و استمر به النسيان يومه ذلك و ليلته إلى وقت الغداء من اليوم الثانى؛ و مثل ذلك لا ينسى مع تطاول الزمان كيف و قد كان اللّه تعالى جعل فقدان الحوت علامة لهما على وجدان الخضر عليه السلام، على ما نقل أن موسى عليه السلام سأل اللّه تعالى علامة على موضع وجدانه، فأوحى إليه أن خذ معك حوتا فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم؟ قلنا: سبب نسيانه أنه كان قد اعتاد مشاهدة المعجزات من موسى عليه السلام أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۸۹ و استأنس بها فكان إلفه لمثلها من خوارق العادات سببا لقلة اهتمامه بتلك الأعجوبة و عدم اكتراثه لها. [۶۳۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها [الكهف: ۷۱] بغير فاء و حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ [الكهف: ۷۴] بالفاء؟ قلنا: جعل خرقها جزءا للشرط فلم يحتج إلى الفاء كقولك إذا ركب زيد الفرس عقره، و جعل قتل الغلام من جملة الشرط فعطفه عليه بالفاء و الجزاء قال أقتلت، كقولك: إذا ركب زيد الفرس فعقره، قال له صاحبه أ عقرته؟ [۶۳۲] فإن قيل: كيف خولف بين القصتين؟ قلنا: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، و قتل الغلام تعقب لقاءه. [۶۳۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى فى قصة الغلام: لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً [الكهف: ۷۴] و فى قصة السفينة لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً [الكهف: ۷۴]. قلنا: قيل إمرا معناه نكرا، فعلى هذا لا فرق فى المعنى؛ لأن الإمر و النكر بمعنى واحد. و قيل: الإمر العجب أو الداهية و خرق السفينة كان أعظم من قتل نفس واحدة، لأن فى الأول هلاك كثيرين. و قيل: النكر أعظم من الإمر فمعناه: جئت شيئا أنكر من الأول؛ لأن ذلك كان يمكن تداركه بالسد و هذا لا يمكن تداركه. [۶۳۴] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى قصّة السفينة: أَ لَمْ أَقُلْ إِنَّكَ [الكهف: ۷۲] و فى قصة الغلام: أَ لَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ [الكهف: ۷۵]؟ قلنا: لقصد زيادة المواجهة بالعتاب على رفض الوصية مرة ثانية و التنبيه على تكرر ترك الصبر و الثبات. [۶۳۵] فإن قيل: ما فائدة إعادة ذكر الأهل فى قوله: اسْتَطْعَما أَهْلَها [الكهف: ۷۷] و هلّا قال استطعماهم، لأنه قد سبق ذكر الأهل مرّة؟ قلنا: فائدة إعادته التأكيد لا غير. [۶۳۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ [الكهف: ۷۷] نسب الإرادة إلى الجماد و هى من صفات من يعقل؟

(____۱) ([۶۳۶]) البيت لم نقف على نسبته لقائل. - البيت الثانى فى ديوان حسان: ۵۱۷. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۰ قلنا: هذا مجاز بطريق المشابهة؛ لأنّ الجدار بعد مشارفته و مداناته للانقضاض و للسقوط شابه من يعقل، و يريد فى تهيئه للسقوط فظهر منه هيئة السقوط كما تظهر ممّن يعقل، و يريد، فنسبت إليه الإرادة مجازا بطريق المشابهة فى الصّورة. و قد أضافت العرب أفعال العقلاء إلى ما لا يعقل مجازا قال الشاعر: يريد الرّمح صدر أبى براء و يعدل عن دماء بنى عقيل و قال حسان: إنّ دهرا يلفّ شملى بجمل لزمان يهمّ بالإحسان و من أمثاله «تمرّد مارد، و عزّ الأبلق» و منه قوله تعالى: وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ [الأعراف: ۱۵۴] و قوله: فَإِذا عَزَمَ الْأَمْرُ [محمد: ۲۱] و قوله: قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ [فصلت: ۱۱] و نظائره كثيرة. [۶۳۷] «۱» فإن قيل: لأى سبب لم يفارقه الخضر عليه السلام عند الاعتراض الأول و الثانى و فارقه عند الثالث؟ قلنا: لوجهين: أحدهما: أن موسى عليه السلام شرط على الخضر ترك مصاحبته على تقدير وجود الاعتراض الثالث و قد وجد، فكان راضيا به. الثّانى: أنّ اعتراض موسى، عليه السلام، فى المرة الأولى و الثّانية كان تورّعا و صلابة فى الدّين، و اعتراضه فى المرّة الثّالثة لهوى نفسه و شهوة بطنه فأعقبه هواه هوانا. [۶۳۸] فإن قيل: قوله: فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها [الكهف: ۷۹] علّته خوف الغصب، فكان حقه أن يتأخر عن علّته فلم قدم عليها؟ قلنا: هو متأخر عنه؛ لأن علّة تعييبها أو علّة إرادته تعييبها خوف الغصب، و خوف الغصب

سابق؛ لأنّه الحامل للخضر عليه السلام على ما فعله. و فى قراءة أبيّ و عبد اللّه رضى اللّه عنهما «كل سفينة صالحة» و لا بد من إضمار هذه الزيادة على قراءة الجمهور و إلّا لم يفد الخرق. [۶۳۹] فإن قيل: الشّمس فى السماء الرابعة و هى بقدر كرة الأرض مائة و ستين مرة، و قيل مائة و خمسين، و قيل مائة و عشرين، فكيف تسعها عين فى الأرض حتى أخبر اللّه تعالى (____ ۱) ([۶۳۷]) قول المصنف هنا: «لهوى نفسه الخ» فيه جرأة واضحة على مقام نبى من أولى العزم، و سيتكرّر مثل هذا الكلام فى غير موضع من هذا الكتاب، و كأن الرازى لا- يفقه معنى عصمة الأنبياء سلام اللّه عليهم! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۱ عن ذى القرنين أنّه وجدها تغرب فى عين حمئة أو حامئة على اختلاف القراءتين؟ قلنا: المراد بقوله تعالى: وَجَدَها أى فى زعمه و ظنه، كما يرى راكب البحر إذا لجّ فيه و غابت عنه الأطراف و السواحل أن الشمس تطلع من البحر و تغرب فيه، فذو القرنين انتهى إلى آخر البنيان فى جهة المغرب فوجد عينا حمئة واسعة عظيمة فظن أن الشمس تغرب فيها. [۶۴۰] فإن قيل: ذو القرنين كان نبيا أو تقيا حكيما على اختلاف القولين، فكيف خفى عليه هذا حتى وقع فى الظن المستحيل الذى لا- يقبله العقل؟ قلنا: الأنبياء و الأولياء و الحكماء ليسوا معصومين عن ظن الغلط الخطأ، و إن كانوا معصومين عن الكبائر. أ لا ترى إلى ظن موسى عليه السلام فيما أنكره على الخضر عليه السلام فى القضايا الثلاث، و ظنه أنه يرى اللّه تعالى فى الدنيا و هو من كبار الأنبياء، و كذلك يونس عليه السلام على ما أخبر اللّه تعالى بقوله: وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ [الأنبياء: ۸۷] و كان الواقع بخلاف ظنه. الثانى: أن اللّه تعالى قادر على تصغير جرم الشمس و توسيع العين الحمئة و كرة الأرض بحيث تسع عين الماء عين الشمس، فلم لا يجوز أن يكون قد وقع ذلك و لم نعلم به لقصور علمنا عن الإحاطة بذلك!! [۶۴۱] فإن قيل: قوله تعالى: قُلْنا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً [الكهف: ۸۶]، يدل على أنه كان نبيا، لأن اللّه تعالى خاطبه. قلنا: من قال إنه ليس نبيا يقول هذا الخطاب له كان بواسطة النّبيّ الموجود فى زمانه كما فى قوله: يا بَنِي إِسْرائِيلَ [البقرة: ۴۹] و ما أشبه. [۶۴۲] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى هنا، فى حقّ الكفار: فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً [الكهف: ۱۰۵]، أى فلا ننصب لهم ميزانا؛ لأنّ الميزان إنما ينصب لتوزن به الحسنات بمقابلة السيئات، و الكافر لا حسنة له و لا طاعة لقوله تعالى: وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُوراً [الفرقان: ۲۳] و قال فى موضع آخر: وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ [القارعة: ۸ و ۹] أى فمسكنه النار فأثبت له ميزانا. قلنا: معنى قوله تعالى: فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْناً [الكهف: ۱۰۵] أى لا يكون لهم عندنا قدر و لا خطر لخستهم و حقارتهم، و لو كان معناه ما ذكرتم يكون المراد بقوله تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ [القارعة: ۸ و ۹] من غلبت سيئاته على حسناته من المؤمنين فإنه يستكين فى النار، و لكن لا يخلد فيها بل بقدر ما يمحص عنه ذنوبه فلا تنافى بينهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۲

سورة مريم عليها السلام

سورة مريم عليها السلام [۶۴۳] فإن قيل: النداء الصوت و الصياح، يقال ناداه نداء، أى صاح به، فكيف وصفه تعالى بكونه خَفِيًّا [مريم: ۳]؟ قلنا: النداء هنا عبارة عن الدّعاء، و إنّما أخفاه ليكون أقرب إلى الإخلاص، أو لئلا يلام على طلبه الولد بعد الشّيخوخة، أو لئلّا يعاديه بنو عمّه و يقولوا: كره أن نقوم مقامه بعده فسأل ربه الولد لذلك. [۶۴۴] «۱» فإن قيل: كيف قال: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ [مريم: ۶] و النّبيّ لا يورّث، لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث، ما تركناه صدقة»؟ قلنا: المراد بقوله يرثنى: أى يرثنى العلم و النّبوّة، و يرث من آل يعقوب الملك. و قيل الأخلاق، فأجابه اللّه تعالى إلى وراثته العلم و النّبوّة و الأخلاق دون الملك، و المراد بقوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا نورث» المال و يؤيده قوله: «ما تركناه صدقة» و يعقوب هنا أبو يوسف عليهما السلام. و قيل لا؛ بل هو أخو زكريا. و قيل لا بل هو أخو عمران الذى هو أبو مريم. [۶۴۵] فإن قيل: كيف قال: يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ [مريم: ۶] فعدّى الفعل فى الأوّل بنفسه و الثّانى بحرف الجر و هو واحد؟ قلنا: يقال ورثه و ورث منه، فجمع بين اللغتين. و قيل: «من» هنا

للتبعيض لا للتعدية، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء و لا علماء. [۶۴۶] فإن قيل: كيف طلب الولد بقوله: فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِيًّا [مريم: ۵] أى ولدا صالحا، فلما بشره اللّه تعالى بقوله: يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ [مريم: ۷] الآية

(۱) ([۶۴۴]) الحديث أخرجه: مالك فى الموطأ، ۵۶- كتاب الكلام و العينة، ۱۲- باب ما جاء فى تركة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، حديث ۱۸۷۰. البخارى، ۸۵- كتاب الفرائض، ۳- باب قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا نورث ما تركناه صدقة». حديث ۶۷۳۰. مسلم، ۲۳- كتاب الجهاد و السير، ۱۶- باب قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا نورث ما تركناه صدقة»، حديث ۵۱. أبو داود، ۱۷- كتاب الخراج، ۱۹- باب فى صفايا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من الأموال، حديث ۲۹۷۶. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۳ استبعد ذلك و تعجب منه و أنكره بقوله: أَنَّى يَكُونُ لِی غُلامٌ [آل عمران: ۴۰]؟ قلنا: لم يقل ذلك على طريق الإنكار و الاستبعاد، بل ليجاب بما أجيب به عن طلبه الوالد و هو قوله تعالى: يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى [مريم: ۷] فيزداد الموقنون إيقانا و يرتدع المبطلون، و إلا فمعتقد زكريا أولا و آخرا كان على منهاج واحد فى أن اللّه تعالى غنى عن الأسباب. و الثانى: أنه قال ذلك تعجب فرح و سرور، لا تعجب إنكار و استبعاد. الثالث: قيل إنه قال ذلك استفهاما عن الحالة التى يهبه اللّه تعالى فيها الولد، هل يهبه فى حال الشيخوخة أم يرده إلى حالة الشباب ثم يهبه و لكن هذا الجواب لا يناسبه ما أجيب به زكريا عليه السلام بعد استفهامه. [۶۴۷] فإن قيل: كيف قال: قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِی آيَةً [مريم: ۱۰] و الآية العلامة، فطلب العلامة على وجود الولد بعد ما بشره اللّه تعالى به، أ كان عنده شك بعد بشارة اللّه تعالى فى وجوده حتى طلب العلامة؟ قلنا: إنما طلب العلامة على وجود الحمل ليبادر إلى الشكر و يتعجل السرور، فإن الحمل لا يظهر فى أول العلوق بل بعد مدة، فأراد معرفته أول ما يوجد، فجعل اللّه آية وجود الحمل عجزه عن الكلام و هو سوى الجوارح ما به خرس و لا بكم. [۶۴۸] «۱» فإن قيل: كيف قالت مريم: قالَتْ إِنِّی أَعُوذُ بِالرَّحْمنِ مِنْکَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا [مريم: ۱۸]؛ و إنّما يتعوذ من الفاسق لا من التقى. قلنا: معناه إن كنت ممن يتّقى اللّه و يخشاه فانته عنّى بتعوّذى به منك. فمعنى أعوذ أحصل على ثمرة التعوّذ. و عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما أنه كان فى زمانها رجل اسمه تقى، و لم يكن تقيّا بل كان فاجرا، فظنته إياه فتعوذت منه. و القول الأول هو الذى عليه المحققون. و قيل: هو على المبالغة معناه: إنى أعوذ منك إن كنت تقيّا فكيف يكون حالى فى القرب منك إلى اللّه تعالى إذا لم تكن تقيّا؟ قالوا: و نظير هذا ما جاء فى الخبر: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف اللّه لم يعصه». معناه: أنه إذا كان بحال لو لم يخف اللّه تعالى لا يوجد منه عصيان، فكيف يكون حاله إذا خاف اللّه تعالى. و فى قراءة أبى رجاء و ابن مسعود إلا أن تكون تقيا. [۶۴۹] فإن قيل: اتفق العلماء على أن الوحى لم ينزل على امرأة و لم يرسل جبريل

(۱) ([۶۴۸]) أبو رجاء: هو محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان بن أبى مريم، أبو رجاء الأسوانى، فقيه، و ينظم الشعر. توفى سنة ۳۳۵ ه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۴ عليه السلام برسالة إلى امرأة قط، و لهذا قالوا فى قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ [القصص: ۷] أنه كان وحى إلهام، و قيل: وحى منام؛ فكيف قال تعالى هنا فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا [مريم: ۱۷] و قال: إِنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّکِ [مريم: ۱۹]؟ قلنا: لا نسلم أن الوحى لم ينزل على امرأة قط، فإن مقاتلا قال فى قوله تعالى: وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ [القصص: ۷] أنه كان وحيا بواسطة جبريل عليه السلام، و إنما المتفق عليه بين العلماء أن جبريل عليه السلام لم ينزل بوحى الرّسالة على امرأة لا بمطلق الوحى، و هنا لم ينزل على مريم بوحى الرسالة؛ بل بالبشارة بالولد، و لهذا جاء على صورة البشر فَتَمَثَّلَ لَها بَشَراً سَوِيًّا [مريم: ۱۷]. [۶۵۰] فإن قيل: ما وجه قراءة الجمهور لِأَهَبَ لَکِ [مريم: ۱۹] و الواهب للولد هو اللّه تعالى لا جبريل عليه السلام؟ قلنا: قال ابن الأنبارى: معناه إنّما أنا رسول ربك بقوله لك أرسلت رسولى إليك لأهب لك، فيكون حكاية عن اللّه تعالى لا عن قول جبريل عليه السلام، فيكون فعل الهبة مسندا إلى اللّه تعالى لا إليه. الثانى: أن معناه لأكون سببا فى هبة الولد بواسطة النفخ فى الدرع، فالإضافة إليه بواسطة السببية. [۶۵۱] «۱» فإن قيل: كيف قالت: وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا [مريم: ۲۰] و لم تقل بغية؛ مع أنه وصف مؤنث؟ قلنا: قال ابن الأنبارى: لما كان هذا الوصف

غالبا على النساء، و قلما تقول العرب رجل بغى، لم يلحقوا به علامة التأنيث إجراء له مجرى حائض و عاقر. و قال الأزهرى: لا يقال رجل بغىّ، بل هو مختص بالمؤنث، و لام الكلمة ياء يقال بغت تبغى. و هى فعول عند المبرد أصلها بغوىّ قلبت الواو ياء و أدغمت و كسرت الغين اتباعا، فهو كصبور و شكور فى عدم دخول التاء. و قال ابن جنى فى كتابه التمام: هى فعيل، و لو كان فعولا لقيل بغو، كما قيل هو نهو عن المنكر. ثم قيل: هى فعيل بمعنى فاعل، فهى كقوله تعالى: إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ [الأعراف: ۵۶]. و قال الأخفش: هى مثل ملحفة جديد فجعلها بمعنى مفعول. و قيل: إنما لم يقل بغية مراعاة لبقية رءوس الآيات. (________________________________ ۱) ([۶۵۱]) الأزهرى: هو محمد بن أحمد بن الهروى، أبو منصور. أحد الأئمة فى اللّغة و الأدب. ولد فى هراة بخراسان سنة ۲۸۲ ه و توفى بها سنة ۳۷۰ ه. من مؤلفاته: تهذيب اللّغة، غريب الألفاظ التى استعملها الفقهاء، تفسير القرآن، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۵ [۶۵۲] فإن قيل: ما كان حزن مريم و قولها: يا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هذا وَ كُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا [مريم: ۲۳] أ لفقد الطعام و الشراب حتى تسلى بالسرى و الرّطب، أم كان لخوف أن يتهمها قومها بفعل الفاحشة؟. قلنا: كان حزنها لمجموع الأمرين، و هو ما ذكرتم، و جدب مكانها الذى ولدت فيه، فإنه لم يكن فيه طعام و لا شراب و لا ماء تتطهر به، و كان إجراء النهر فى المكان اليابس الذى لم يعهد فيه ماء، و إخراج الرطب من الشجرة اليابسة دافع لجهتى الحزن، أما دفع الجدب فظاهر، و أما دفع حزن التهمة فمن حيث أنهما معجزتان تدلان قومها على عصمتها و براءتها من السوء و أن اللّه تعالى قد خصها بأمور إلهية خارجة عن العادة خارقة لها، فتبين لهم أن ولادتها من غير فحل ليس ببدع من شأنها و لا بعيد فى قدرة اللّه تعالى، المخرج فى لحظة واحدة الرطب الجنىّ من النخلة اليابسة، و المجرى للماء بغتة فى مكان لم يعهد فيه. [۶۵۳] فإن قيل: كيف أمرها جبريل عليه السلام إذا رأت إنسانا أن تكلمه بعد النذر بالسكوت بقوله: فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً [مريم: ۲۶] الآية، و ذلك خلف فى النذر؟ قلنا: إنما أمرها بذلك لأنه تمام نذرها، فإنها لم تكن مأمورة بنذر مطلق السكوت حتى يندرج فيه الكف عن الذكر و التسبيح و الدعاء و نحوها، بل بنذر السكوت عن تكليم الإنس، و إذا كان تمام نذرها بقولها: فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا [مريم: ۲۶] لا تكون مكلمة لإنسى بعد تمام النذر. [۶۵۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا [مريم: ۲۹] و كل أحد كان، فى المهد صبيا؟ قلنا: كان هنا زائدة، و صبيا منصوب على الحال لا على أنه خبر كان تقديره: كيف نكلم من فى المهد فى حال صباه. و قيل: كان بمعنى وقع و وجد، و صبيا منصوب على الوجه الذى مرّ. [۶۵۵] فإن قيل: خطاب التكليف فى جميع الشرائع إنّما يكون بعد البلوغ أو بعد التمييز و القدرة على فعل المأمور به، و عيسى عليه السلام كان رضيعا فى المهد فكيف خوطب بالصلاة و الزكاة حتى قال: وَ أَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا [مريم: ۳۱]؟ قلنا: تأخير الخطاب إلى غاية البلوغ و غيرها إنما كان ليحصل العقل و التمييز، و عيسى عليه السلام كان واجد العقل و التمييز التام فى تلك الحالة فتوجّه نحوه الخطاب أن يفعلهما إذا قدر على ذلك، و لهذا قيل: إنه أعطى النّبوّة فى صباه أيضا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۶ [۶۵۶] فإن قيل: الزكاة إنما تجب على الأغنياء، و عيسى عليه السلام لم يزل فقيرا لابس كساء مدة مقامه فى الأرض، و علم اللّه تعالى ذلك من حاله، فكيف أوصاه بالزكاة؟ قلنا: المراد بالزكاة هنا تزكية النفس و تطهيرها من المعاصى لا زكاة المال!! [۶۵۷] فإن قيل: كيف جاء السلام فى قصة يحيى عليه السلام منكرا، و فى قصة عيسى عليه السلام معرفا؟ قلنا: قد قيل إن النكرة و المعرفة فى مثل هذا سواء لا فرق بينهما فى المعنى. الثانى: أنه سبق ذكره فى قصة يحيى عليه السلام مرة فلما أعيد ذكره أعيد معرفا كقوله تعالى: كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ [المزمل: ۱۵، ۱۶] كأنه قال ذلك السلام الموجه إلى يحيى عليه السلام فى المواطن الثلاثة موجه إلىّ. [۶۵۸] فإن قيل: كيف تكون الألف و اللام فى السلام للعهد، و الأول سلام من اللّه تعالى على يحيى عليه السلام، و الثانى سلام من عيسى على نفسه؟ قلنا: التعريف راجع إلى ماهية السلام و مواطنه لا- إلى كونه واردا من عند اللّه تعالى. [۶۵۹] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: وَ اذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِبْراهِيمَ [مريم: ۴۱] و ما أشبهه، و مثل هذا إنما يستعمل إذا كان المأمور مختارا فى الذكر و عدمه، كما تقول لصاحبك و هو يكتب كتابا اذكرنى فى الكتاب، أو اذكر فلانا فى الكتاب؛ و النبى عليه السلام ما كان على سبيل من الزيادة و النقصان فى الكتابة ليوصى بمثل

ذلـك؟ قلنـا: هـذا على طريق التأكيـد فى الأمـر بالإبلاغ، كتأكيـد الملك على رسوله بإعادة بعض فصول الرسالـة و تخصيصـها بالأمر بالإبلاغ. [۶۶۰] فإن قيل: الاسـتغفار للكافر لا يجوز، فكيف وعد إبراهيم أباه بالاستغفار له بقوله: سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى [مريم: ۴۷] مع أنّه كافر؟ قلنا: معناه: سأسأل اللّه تعالى لك توبة تنال بها مغفرته، يعنى الإسـلام. و الاستغفار للكافر بهذا الطريق جائز، و هو أن يقال: اللهم وفقه للإسـلام أو اللهم تب عليه و اهده و أرشده و ما أشبه ذلك. الثانى: أنه وعده ذلك بناء على أنه يسـلم فيستغفر له بعد الإسـلام. الثـالث: أنه وعـده ذلك قبل تحريم الاسـتغفار للكافر، فإن تحريم ذلك قضيـة شـرعية إنما تعرف بالسـمع لا عقليـة، فإن العقل لا يمنع ذلك. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۷ [۶۶۱] فـإن قيـل: الطور و هو الجبل ليس له يمين، و لا شـمال، فكيف قال تعالى: مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ [مريم: ۵۲]؟ قلنا: خاطب اللّه تعالى العرب بما هو معروف فى اسـتعمالهم، فإنهم يقولون عن يمين القبلة و شمالها، يعنون ما يلى يمين المستقبل لها و شـماله؛ لأن القبلـة لا بـدّ لها لتكون لها يمين و شـمال. و هـذا اتساع منهم فى الكلام لعدم اللبس. فالمراد بالأيمن هنا ما عن يمين موسـى عليه السـلام من الطور؛ لأن النداء جاءه من قبل يمينه، هذا إن كان الأيمن ضد الأيسر من اليمين، و إن كان من اليمن و هو البركة من قولهم: يمن فلان قومه فهو يامن، أى كان مباركا عليهم. فلا إشـكال؛ لأنّه يصـير معناه: من جانب الطور المبارك. [۶۶۲] فـإن قيـل: كيف قـال تعالى: وَ وَهَبْنا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنا أَخاهُ هارُونَ نَبِيًّا [مريم: ۵۳] و هارون كان أكبر من موسـى عليهما السـلام فما معنى هبته له؟ قلنا: معناه أن اللّه تعالى أنعم على موسى عليه الصلاة و السلام بإجابة دعوته فيه حيث قال: وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هـارُونَ أَخِي [طه: ۲۹ و ۳۰] الآية فقال: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ [القصص: ۳۵] فالمراد بالهبة أنه جعله عضدا له و ناصـرا و معينا كذا فسره ابن عباس رضـى اللّه عنهما. [۶۶۳] فـإن قيل: كيف وصف اللّه تعالى النبيين المـذكورين فى قوله: أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ [مريم: ۵۸] الآية بقوله تعالى: إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَ بُكِيًّا [مريم: ۵۸] و المراد بآيات الرحمن القرآن، و القرآن لم يتل على أحـد من الأنبياء المـذكورين؟ قلنا: آيات الرحمن غير مخصوصة بالقرآن؛ بل كل كتاب أنزله اللّه تعالى ففيه آياته، و لو سـلمنا أن المراد بها القرآن فنقول: إن المراد بقوله: وَ مِمَّنْ هَدَيْنا وَ اجْتَبَيْنا [مريم: ۵۸] محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و أمته. [۶۶۴] فإن قيل: قوله تعالى: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تابَ وَ آمَنَ [مريـم: ۵۹، ۶۰] يدل على أن ترك الصـلاة و إضاعتها كفر؛ لأنه شـرط فى توبة مضيعها الإيمان؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهمـا: المراد بهؤلاء الخلف هنـا اليهود تركوا الصـلاة المفروضـة و شـربوا الخمر و اسـتحلوا نكاح الأخت من الأب. [۶۶۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا [مريم: ۶۱] و لم يقـل آتيا، كما قال تعالى: إِنَّ ما تُوعَدُونَ لَآتٍ [الأنعام: ۱۳۴]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۸ قلنا: المراد بوعده هنا موعده و هو الجنة، و هى مأتية يأتيها أولياؤه. الثانى: أن مفعولا هنا بمعنى فاعل، كما فى قوله تعالى: حِجاباً مَسْتُوراً [الإسراء: ۴۵]. أيا ساترا. [۶۶۶] فإن قيل: قوله تعالى: تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيًّا [مريم: ۶۳] و قوله تعـالى: وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران: ۱۳۳] يـدل من حيث المفهوم أن غير المتقين لا يـدخلون الجنة؟ قلنا: المراد بالتقوى هنا التقوى من الشـرك، و كل المؤمنين سواء فى ذلك. [۶۶۷] فإن قيل: ما معنى انفطار السموات و انشقاق الأرض و خرور الجبال من دعوتهم الولـد للّه تعالى، و من أين تؤثر هـذه الكلمـة فى الجمادات؟ قلنا: معناه أن اللّه تعالى يقول: كدت أفعل هذا بالسماوات و الأرض و الجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا على قائلها لو لا حلمى و إمهالى و أن لا أعجّل العقوبة، كما قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولا [فاطر: ۴۱] يعنى أن تخر على المشركين و تنشق الأرض بهم، و يدل على هذا قوله تعالى فى آخر الآيـة: إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً [فاطر: ۴۱]. الثانى: أن يكون اسـتعظاما لقبـح هذه الكلمة و تصويرا لأثرها فى الدين و هدما لأركانه و قواعـده و أن مثال ذلك الأثر فى المحسوسات أن يصيب هـذه الأجسام العظيمة التى هى قوام العالم ما تنفطر منه و تنشق و تخر. [۶۶۸] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا، فى صفة الشرك: تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا [مريم: ۹۰] و هـذا يـدل على قوة كلمـة الشـرك و شدّتها، و قال تعالى فى سورة إبراهيم، صـلوات اللّه عليه، فى صـفة كلمة الشـرك: وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ ما لَها مِنْ قَرارٍ [إبراهيم: ۲۶] و المراد بالكلمـة الخبيثة كلمة الشـرك، كذا قاله ابن عباس

رضى اللّه عنهما، أو بالشجرة الخبيثة شجرة الحنظل، كذا قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و هذا يدل على ضعف كلمة الشرك و تلاشيها و اضمحلالها، فكيف التوفيق بينهما؟ قلنا: وصفت كلمة الشرك فى سورة إبراهيم عليه السلام بالضعف و هنا بالقبح، فهى فى غاية الضعف و فى غاية القبح و الفظاعة فلا تنافى بينهما. [۶۶۹] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا [مريم: ۹۴] و الإحصاء العد على ما نقله الجوهرى، أو الحصر على ما نقله بعض أئمة التفسير،

(____ ۱) ([۶۶۹]) البيت لم نقف على نسبته لقائل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۱۹۹ كما سبق ذكره فى سورة إبراهيم صلوات اللّه عليه فى قوله تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها [إبراهيم: ۳۴] فإن كان الإحصاء العد فهو تكرار، و إن كان الحصر فذكره مغن عن ذكر العد؛ لأن الحصر لا يكون إلا بعد معرفة العدد؟ قلنا: الإحصاء قد جاء بمعنى العلم أيضا، و منه قوله تعالى: وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً [الجن: ۲۸] أى علم عدد كل شىء، قال الشاعر: و كن للذى لم تحصه متعلّما و أما الّذى أحصيت منه فعلّم و هو المراد هنا، فيصير المعنى لقد علمهم، أى علم أفعالهم و أقوالهم و كل ما يتعلق بذواتهم و صفاتهم و عددهم، فلا تكرار و لا استغناء عن ذكر العد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۰

سورة طه عليه السلام

سورة طه عليه السلام [۶۷۰] فإن قيل: قوله تعالى: وَ هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى إِذْ رَأى ناراً [طه: ۹، ۱۰] الآية؛ كيف حكى اللّه تعالى قول موسى عليه السلام لأهله عند رؤية النار فى هذه السورة و فى سورة النمل و فى سورة القصص بعبارات مختلفة، و هذه القضية لم تقع إلا مرة واحدة، فكيف اختلفت عبارة موسى عليه السلام فيها؟ قلنا: قد سبق فى سورة الأعراف فى قصة موسى عليه السلام مثل هذا السؤال و الجواب المذكور، ثم هو الجواب هنا. [۶۷۱] فإن قيل: قوله تعالى: فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْها مَنْ لا يُؤْمِنُ بِها [طه: ۱۶] ظاهر اللفظ نهى من لا يؤمن بالساعة عن صد موسى عن الإيمان بها، و المقصود هو نهى موسى عن التكذيب بها، فكيف تنزيله. قلنا: معناه كن شديد الشكيمة فى الدين، صليب المعجم لئلا يطمع فى صدك عن الإيمان بها من لا يؤمن بها، و هذا كقولهم: لا أرينك هاهنا؛ معناه: لا تدن منى و لا تقرب من حضرتى لئلا أراك؛ ففى الصورتين النهى متوجه إلى المسبب، و المراد به النهى عن السبب، و هو القرب منه و الجلوس بحضرته فإنه سبب رؤيته، و كذلك لين موسى عليه السلام فى الدين و سلاسة قياده سبب لصدهم إياه. [۶۷۲] فإن قيل: ما فائدة السؤال فى قوله تعالى: وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى [طه: ۱۷] و هو أعلم بما فى يده جملة و تفصيلا؟ قلنا: فائدته تأنيسه و تخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب و هيبة الإجلال وقت التكلم معه، كما يرى أحدنا طفلا قد داخلته هيبة و إجلال و خوف و فى يده فاكهة أو غيرها فيلاطفه و يؤانسه بقوله ما هذا الذى فى يدك؟ مع أنه عالم به. الثانى: أنه أراد بذلك أن يقر موسى عليه السلام و يعترف بكونها عصا و يزداد علمه بكونها عصا رسوخا فى قلبه فلا يحوم حوله شك إذا قلبها ثعبانا أنها كانت عصا ثم انقلبت ثعبانا بقدرة اللّه تعالى، و أن يقرر فى نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه و المقلوب إليه فيتنبه على القدرة الباهرة، و نظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد و يقول لك ما هذه؟ فتقول زبرة من حديد، ثم يريك بعد أيام درعا سابغة مسرودة و يقول: هذه تلك الزبرة صيرتها إلى ما تراه من عجيب الصنعة و أنيق السرد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۱ [۶۷۳] فإن قيل: كيف زاد موسى على حرف الجواب و ليس ذلك من شيمة البلغاء خصوصا فى مخاطبة الملك الأعلى؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما إنه لما قال عصاى سئل سؤالا ثانيا، فقيل ما تصنع بها؟ فأجاب بباقى الآية. الثانى: أنه إنما عدد فوائدها و بين حاجته إليها خوفا من أن يؤمر بإلقائها كما أمر بإلقاء النعلين!! الثالث: أنه ذكر ذلك لئلا ينسب إلى العبث فى حملها. [۶۷۴] فإن قيل: قد نقل أنها كانت تضىء له بالليل و تدفع عنه الهوام، و تثمر له إذا اشتهى الثمار فيغرسها فى الأرض فتثمر من ساعتها، و يركزها فينبع الماء من مركزها، فإذا رفعها نضب، و كان يستقى بها فتطول بطول البئر و تقصر بقصرها، فهلا عدد هذه المنافع. قلنا: كره أن يشتغل عن سماع كلام اللّه تعالى بتفصيل

منافعها، ففصل البعض و أجمل الباقى بقوله: وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أَخْرى [طه: ۱۸] و اللّه أعلم بما أجمله. الثانى: أنه ذكر المنافع التى هى ألزم له و حاجته إليها أمس، و إن كانت المنافع التى أجملها أعجب و أغرب. [۶۷۵] «۱» فإن قيل: قد ذكر اللّه تعالى عصا موسى عليه السلام بلفظ الحيهٔ و الثعبان و الجان، و بين الثعبان و الجان تناف؛ لأن الجان الحيهٔ الصغيرهٔ كذا قاله ابن عرفهٔ، و الثعبان الحيهٔ العظيمهٔ، كذا نقله الأزهرى عن الزجاج و قطرب. قلنا: أراد أنها فى صورهٔ الثعبان العظيم و خفهٔ الحيهٔ الصغيرهٔ و حركتها و يؤيد قوله: فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ [النمل: ۱۰]. الثانى: أنها كانت فى أوّل انقلابها تنقلب حيهٔ صغيرهٔ صفراء دقيقهٔ ثم تتورم و يتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا، فأريد بالجان أول حالها، و بالثعبان مآلها.

(۱) ([۶۷۵]) ابن عرفه: لعلّ المراد هو على بن المظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى، علاء الدين، و يقال له ابن عرفهٔ. أديب و شاعر. له علم بالحديث و القراءات. ولد سنهٔ ۶۴۰ ه و توفى ۷۱۶ ه بدمشق. و أصله من مصر. من مؤلفاته: التذكرهٔ الكندیهٔ، و ديوان شعر. - قطرب: هو محمد بن المستنير بن أحمد أبو على، الشهير بقطرب. نحوى و أديب و لغوى، بصرى معتزلى. توفى سنهٔ ۲۰۶ ه، أخذ عن سيبويه. من مؤلفاته: المثلث، معانى القرآن، النوادر، الأزمنهٔ، الأضداد، ما خالف فيه الإنسان البهيمهٔ من الوحوش و صفاتها، الخ. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۲ [۶۷۶] فإن قيل: ما فائدهٔ قول تعالى: إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ ما يُوحى [طه: ۳۸] و هذا لا بيان فيه، لأنه مجمل، فما فائدته؟ قلنا: فائدته الإشارهٔ إلى أنه ليس كل الأمور مما يوحى إلى النساء كالنبوهٔ و نحوها؛ بل بعضها. الثانى: أنه للتأكيد كقوله تعالى: فَغَشَّاها ما غَشَّى [النجم: ۵۴] كأنه قال: إذ أوحينا إلى أمك إيحاء. الثالث: أنه أبهمه أولا للتفخيم و التعظيم، ثم بينه و أوضحه بقوله تعالى: أَنِ اقْذِفِيهِ [طه: ۳۹] الآيهٔ. [۶۷۷] فإن قيل: كيف قدم هارون على موسى عليهما السلام فى قوله تعالى: فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هارُونَ وَ مُوسى [طه: ۷۰] و هارون كان وزيرا لموسى عليهما السلام و تبعا له، قال اللّه تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَ جَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً [الفرقان: ۳۵]. قلنا: إنما قدمه ليقع موسى مؤخرا فى اللفظ فيناسب الفواصل أعنى رءوس الآيات. [۶۷۸] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيى [طه: ۷۴] و الموت و الحياهٔ صفتان من صفات الإنسان و هما نقيضان، فكيف يرتفعان؟ قلنا: المراد لا يموت فيها موتا يستريح به، و لا يحيا حياهٔ تنفعه و يستلذ بها. الثانى: أن المراد لا يموت فيها موتا متصلا و لا يحيا حياهٔ متصلهٔ؛ بل كلما مات من شدهٔ العذاب أعيد حيّا؛ ليذوق العذاب هكذا سبعين مرهٔ فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا. [۶۷۹] فإن قيل: الخوف و الخشيهٔ واحد فى اللغهٔ، فكيف قال تعالى: لا تَخافُ دَرَكاً وَ لا تَخْشى [طه: ۷۷]؟ قلنا: معناه لا تخاف دركا: أى لحاقا من فرعون، و لا تخشى غرقا فى البحر، كما تقول: لا تخاف زيدا و لا تخشى عمرا، و لو قلت و لا عمرا صح و كان أوجز، و لكن إذا أعدت الفعل كان آكد. و أما فى الآيهٔ فلما لم يكن مفعول الخشيهٔ مذكورا ذكر الفعل ثانيا ليكون دليلا عليه، و خولف بين اللفظين رعايهٔ للبلاغهٔ. و قيل معناه: لا تخاف دركا على نفسك، و لا تخشى دركا على قومك. و الأول عندى أرجح. [۶۸۰] فإن قيل: قوله تعالى: وَ أَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ [طه: ۷۹] يغنى عن قوله تعالى: وَ ما هَدى [طه: ۷۹] و مفيد فوق فائدته فكيف ذكر معه؟ أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۳ قلنا: معناه: و ما هداهم بعد ما أضلهم، فإن المضل قد يهدى بعد إضلاله. الثانى: أن معناه: و أضل قومه و ما هدى نفسه. الثالث: أن معناه: و أضل فرعون قومه عن الدين و ما هداهم طريقا فى البحر. الرابع: أن قوله: وَ ما هَدى [طه: ۷۹] تهكم به فى قوله لقومه وَ ما أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشادِ [غافر: ۴۰]. [۶۸۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: يا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَ واعَدْناكُمْ جانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ [طه: ۸۰] أضاف المواعدهٔ إليهم، و المواعدهٔ إنما كانت لموسى عليه السلام، واعده اللّه تعالى جانب الطور الأيمن لإتيانه التوراهٔ؟ قلنا: المواعدهٔ و إن كانت لموسى عليه السلام و لكنها لما كانت لإنزال كتاب بسبب بنى إسرائيل، و فيه بيان شريعتهم و أحكامهم و صلاح معاشهم و معادهم، أضيفت إليهم المواعدهٔ بهذه الملابسهٔ و الاتصال. [۶۸۲] فإن قيل: قوله تعالى:* وَ ما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسى [طه: ۸۳] سؤال عن سبب العجلهٔ، فإن موسى عليه السلام لما واعده اللّه تعالى بإنزال التوراهٔ عليه بجانب الطور الأيمن و أراد الخروج إلى ميعاد ربه اختار من قومه سبعين رجلا يصحبونه إلى ذلك المكان ثم سبقهم شوقا إلى ربه و أمرهم بلحاقه، فعوتب على ذلك و

كان الجواب المطابق أن يقول: طلبت زيادة رضاك أو الشوق إلى لقائك و تنجيز وعدك، فكيف قدم ما لا يطابق السؤال و هو قوله: هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِی [طه: ۸۴]؟ قلنا: ما واجهه ربه به تضمن شيئين: إنكار العجلة فی نفسها و السؤال عن سببها، فبدأ موسى عليه السلام بالاعتذار عما أنكره تعالى عليه بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير لا يعتد به فی العادة، كما يتقدم المقدم جماعته و أتباعه، ثم عقب العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله: وَ عَجِلْتُ إِلَیْکَ رَبِّ لِتَرْضی [طه: ۸۴]. [۶۸۳] «۱» فإن قيل: أ ليس أن أئمة اللغة قالوا: العوج بالكسر فی المعانی، و بالفتح (________________________________ ۱) (

[۶۸۳]) ابن السكيت: هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت. أحد أئمة اللّغة و الأدب. أصله من خوزستان. أخذ العلم ببغداد. ولد سنة ۱۸۶ ه. و توفی مقتولا على يد المتوكل العباسی سنة ۲۴۴ ه. و سبب قتل المتوكل له أنه كان عهد إليه بتعليم ابنيه المعتز و المؤيد، فسأله يوما: أ هما أحب إليك أم الحسن و الحسين؟ فأجاب: ابن السكيت قائلا: و اللّه إن نعل قنبر خادم أمير المؤمنين على بن أبی طالب خير منك و من ولديك! فأمر المتوكل أعلاجه فداسوه و سلّوا لسانه رحمه اللّه. من مؤلفاته: إصلاح المنطق، الألفاظ، الأضداد، القلب و الإبدال، شرح ديوان عروة بن الورد، الأجناس، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۴ فی الأعيان، و لهذا قال ثعلب: و تقول فی الأمر و الدين عوج و فی العصا و نحوها عوج، كالجبال و الأرض، فكيف صح فيها المكسور فی قوله تعالى: لا تَری فِيها عِوَجاً وَ لا أَمْتاً [طه: ۱۰۷]؟ قلنا: قال ابن السكيت: كل ما كان مما ينتصب كالحائط و العود قيل فيه عوج بالفتح، و العوج بالكسر ما كان فی أرض أو دين أو معاش، فعلى هذا لا إشكال. الثانی: أنه أراد به نفی الاعوجاج الذی يدرك بالقياس الهندسی و لا يدرك بحاسة البصر، و ذلك اعوجاج لاحق بالمعانی، فلذلك قال فيه عوج بالكسر، و مما يوضح هذا أنك لو سويت قطعة أرض غاية التسوية بمقتضى نظر العين بموافقة جماعة من البصراء، و اتفقتم على أنه لم يبق فيها عوج قط، ثم أمرت المهندس أن يعتبرها بالمقاييس الهندسية وجد فيها عوجا فی غير موضع؛ و لكنه عوج لا يدرك بحاسة البصر. فنفى اللّه تعالى ذلك العوج لما لطف و دق عن الإدراك، فكان لدقته و خفائه ملحقا بالمعانی. [۶۸۴] «۱» فإن قيل: إن اللّه تعالى أخبر أن آدم عليه السلام نسی عهد اللّه و وصيته، و أكل من الشجرة بقوله تعالى: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ [طه: ۱۱۵] و إذا كان فعل ذلك ناسيا فكيف وصفه بالعصيان و الغواية بقوله تعالى: وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی [طه: ۱۲۱] فعاقبه عليه بأعظم أنواع العقوبة، و هو الإخراج من الجنة؟ قلنا: النسيان هنا بمعنى الترك كما فی قوله تعالى: إِنَّا نَسِيناكُمْ [السجدة: ۱۴] أی تركناكم فی العذاب، و قوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ [التوبة: ۶۷] فمعناه أنه ترك عهد اللّه و وصيته، فكيف يكون من النسيان الذی هو ضد الذكر، و قد جرى بينه و بين إبليس من المجادلة و المناظرة فی أكل الشجرة فصول كثيرة منها قوله: ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ [الأعراف: ۲۰] الآية فكيف يبقى مع هذا نسيان؟ [۶۸۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقی [طه: ۱۱۷] و لم يقل فتشقيا، و الخطاب لآدم و حواء عليهما السلام؟ قلنا: لوجوه: أحدها: أن الرجل قيم أهله و أميرهم، فشقاؤه يتضمن شقاءهم كما أن معاداته تتضمن معاداتهم، فاختصر الكلام بإسناد الشقاء إليه دونها لما كان متضمنا له. الثانی: أنه إنما أسنده إليه دونها للمحافظة على الفاصلة. (________________________________ ۱) ([۶۸۴]) تفسير المصنف النسيان

هنا بمعنى الترك، فی حق آدم عليه السلام، فيه جرأة على مقام الأنبياء، و لا ندری ما الذی ألجأه إليه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۵ الثالث: أنه أراد بالشقاء: الشقاء فی طلب القوت و إصلاح المعاش، و ذلك وظيفة الرجل دون المرأة، قال سعيد بن جبير أهبط إلى آدم عليه السلام ثور أحمر فكان يحرث عليه و يمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه. [۶۸۶] فإن قيل: هل يجوز أن يقال: كان آدم عاصيا غاويا أخذا من قوله تعالى: وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی [طه: ۱۲۱]؟ قلنا: يجوز أن يقال عصى آدم كما قال اللّه تعالى، و لا يجوز أن يقال كان آدم عاصيا، لأنه لا يلزم من جواز إطلاق الفعل جواز إطلاق اسم الفاعل؛ أ لا ترى أنه يجوز أن يقال تبارك اللّه، و لا يجوز أن يقال اللّه تبارك و يجوز أن يقال تاب اللّه على آدم، و لا يجوز أن يقال اللّه تائب، و نظائره كثيرة. [۶۸۷] فإن قيل: أسماء اللّه تعالى و صفاته توقيفية لا مدخل للقياس فيها؛ و لهذا يقال اللّه عالم، و لا يقال علامة؛ و إن كان هذا اللفظ أبلغ فی الدلالة على

معنى العلم، فأما أسـماء البشر و صفاتهم فقياسية؛ فلم لا يجرى فيها على القياس المطرد؟ قلنا: هذا القياس ليس بمطرد فى صفات البشر أيضا أ لا ترى أنّهم قالوا ذره و دعه بمعنى اتركه، و فلان يذر و يدع، و لم يقولوا منهما وذر و لا واذر، و لا ودع و لا وادع، فاستعملوا منها الأمر و المضارع فقط. و لقائل أن يقول: هذا شاذ فى كلام العرب و نادر، فلا يترك لأجله القياس المطرد، بل يجرى على مقتضى القياس. [۶۸۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِی [طه: ۱۲۴] أى عن موعظتى أو عن القرآن فلم يؤمن به و لم يتبعه فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً [طه: ۱۲۴] أى حياة فى ضيق و شدة، و نحن نرى المعرضين عن الإيمان و القرآن فى أخصب معيشة و أرغدها؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: المراد بالمعيشة الضنك الحياة فى المعصية و إن كان فى رخاء و نعمة. و روى عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أنها عذاب القبر. الثانى: أن المراد بها عيشته فى جهنم فى الآخرة. الثالث: أن المراد بها عيشة مع الحرص الشديد على الدنيا و أسبابها، و هذه الآية فى مقابلة قوله فى سورة النحل: مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً [النحل: ۹۷] فكل ما ذكرناه فى تفسير الحياة الطيبة فضده وارد فى المعيشة الضنك. [۶۸۹] «۱» فإن قيل: أى الكلمات التى سبقت من اللّه فكانت مانعة من تعذيب هذه (______ ۱) (

[۶۸۹]) هذه كلمة من حديث قدسى، انظر: مسند أحمد ۲/ ۲۴۲. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۶ الأمة فى الدنيا عذاب الاستئصال، حتّى قال تعالى: وَ لَوْ لا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً [طه: ۱۲۹]. قلنا: قيل هى قوله تعالى: «سبقت رحمتى غضبى» و يرد عليه أنه لا اختصاص لهذه الأمة بهذه الكلمة، و قيل هى قوله تعالى للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ [الأنفال: ۳۳] و قيل فى قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ [الأنبياء: ۱۰۷] يعنى لعالمى أمته بتأخير العذاب عنهم، و قيل فى الآية تقديم و تأخير تقديره: و لو لا كلمة سبقت من ربك و أجل مسمّى، و هو الأجل الذى قدر اللّه تعالى بقاء العالم و أهله إلى انقضائه لكان العذاب لزاما، أى لازما لهم كما لزم الأمم التى قبلهم. [۶۹۰] فإن قيل: أصحاب الصراط السوى و المهتدون واحد، فما فائدة التكرار فى قوله تعالى: فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَ مَنِ اهْتَدى [طه: ۱۳۵]. قلنا: المراد بأصحاب الصراط السوى السالكون الصراط المستقيم السائرون عليه، و المراد بالمهتدين الواصلون إلى المنزل. و قيل: أصحاب الصراط السوى هم الذين ما زالوا على الصراط المستقيم، و المهتدون هم الذين لم يكونوا على الطريق المستقيم ثم صاروا عليه. و قيل: المراد بأصحاب الصراط السوى أهل دين الحق فى الدنيا، و المراد بمن اهتدى المهتدون إلى طريق الجنة فى العقبى؛ فكأنه قال: فستعلمون من المحق فى الدنيا و الفائز فى الآخرة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۰۷

سورة الأنبياء

سورة الأنبياء [۶۹۱] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ [الأنبياء: ۱] وصفه بالقرب و قد مضى من وقت هذا الإخبار أكثر من ستمائة عام، و لم يوجد يوم الحساب بعد؟ قلنا: معناه أنه قريب عند اللّه تعالى و إن كان بعيدا عند الناس، كما قال تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً [المعارج: ۶، ۷] و قال تعالى: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج: ۴۷]. الثانى: أن معناه أنه قريب بالنسبة إلى ما مضى من الزمان، كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «إن مثل ما بقى من الدنيا فى جنب ما مضى كمثل خيط فى ثوب». الثالث: أن المراد به قرب حساب كل واحد فى قبره إذا مات، و يؤيده قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «من مات فقد قامت قيامته». الرابع: أن كل آت قريب و إن طالت أوقات استقباله و ترقبه، و إنما البعيد الذى وجد و انقرض، و لهذا يقول الناس إذا سافروا من بلد إلى بلد بعد ما ولوا ظهورهم البلد الأول: البلد الثانى أقرب و إن كان أبعد مسافة. [۶۹۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ [الأنبياء: ۲] و الذكر الآتى من اللّه تعالى هو القرآن و هو قديم لا محدث؟ قلنا: المراد محدث إنزاله. الثانى: أن المراد به ذكر يكون غير القرآن من مواعظ الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و غيره؛ و نسب إلى اللّه تعالى؛ لأن موعظة كل واعظ بإلهامه و هدايته. الثالث: أن المراد بالذكر الذاكر و هو الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، و يؤيده

قوله تعالى، في سياق الآية: هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ [الأنبياء: ٣] و على هـذا يكون معنى قوله: إِلَّا اسْتَمَعُوهُ [الأنبياء: ٢] أي إلا استمعوا ذكره و موعظته. [٦٩٣] فإن قيل: النجوى المسارّة، فما معنى قوله تعالى: وَ أَسَرُّوا النَّجْوى [طه: ٦٢]؟ (______________________________١) ([٦٩١]) قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّ مثل ما بقى من الدنيا ...» في مسند أحمد: ٣/ ١٩. - قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «من مات فقد قامت قيامته»، كشف الخفاء: ٢/ ٣٨٦. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٠٨ قلنا: معناه بالغوا في إخفاء المسارة بحيث لم يفطن أحد لتناجيهم و مسارتهم تفصيلا و لا إجمالا، فإن الإنسان قد يرى اثنين يتساران فيعلم من حيث الإجمال أنهما يتساران، و إن لم يعلم تفصيل ما يتساران به، و قد يتساران في مكان لا يراهما أحد. [٦٩٤] فإن قيل: كيف قال تعالى لمشركي مكة فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ [الأنبياء: ٧] يعني فسئلوا أهل الكتاب عمن مضى من الرسل، هل كانوا بشرا أم ملائكة؟ مع أن المشركين قالوا: لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَ لا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ [سبأ: ٣١]؟ قلنا: هم و إن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب، و لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب في القضية العقلية يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم و لمن لا يؤمن به. [٦٩٥] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا يَسْتَحْسِرُونَ [الأنبياء: ١٩] و الاستحسار مبالغة في الحسور و هو الإعياء، فكان الأبلغ في وصفهم أن ينفي عنهم أدنى الحسور أو مطلقه لا أقصاه؟ قلنا: إنما ذكر الاستحسار إشارة إلى أن ما هم فيه من التسبيح الدائم و العبادة المتصلة يوجب غاية الحسور و أقصاه. [٦٩٦] فإن قيل: قوله تعالى في وصف الملائكة: بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ [الأنبياء: ٢٦] إلى قوله تعالى: مُشْفِقُونَ يدل على أنهم لا يعصون اللّه ما أمرهم، فإذا كانوا لا يعصون اللّه تعالى فلم يخافون حتى قال تعالى: وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ [الأنبياء: ٢٨]؟ قلنا: لما رأوا ما جرى على إبليس و على هاروت و ماروت من القضاء و القدر خافوا من مثل ذلك. الثاني: أن زيادة معرفتهم باللّه و قربهم في محل كرامته يوجب مزيد خوفهم، و لهذا قال أهل التحقيق: من كان باللّه أعرف كان من اللّه أخوف، و من كان إلى اللّه أقرب كان من اللّه أرهب. و قال بعضهم: يا عجبا من مطيع آمن و من عاص خائف. [٦٩٧] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما [الأنبياء: ٣٠] و هم لم يروا ذلك؟ قلنا: معناه أولم يعلموا ذلك بأخبار من قبلهم أو بوروده في القرآن الذي هو معجزة في نفسه، و نظيره قوله تعالى للنبي صلّى اللّه عليه و سلّم: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [النور: ٤١] و قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحاباً [النور: ٤٣] الآية، و نظائره كثيرة. [٦٩٨] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ [الأنبياء: ٣٠]؛ مع أن الملائكة أحياء و الجن أحياء، و ليسوا مخلوقين من الماء بل من النور أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٠٩ و النار كما قال تعالى: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ [الرحمن: ١٥] و كذا آدم مخلوق من التراب و ناقة صالح مخلوقة من الحجر؟ قلنا: المراد به البعض و هو الحيوان كما في قوله تعالى: وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ٢٣] و قوله تعالى: وَ جاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ [يونس: ٢٢] و نظائره كثيرة. الثاني: أن الكل مخلوقون من الماء، و لكن البعض بواسطة و البعض بغير واسطة، و لهذا قيل إنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء، و خلق الجن من نار خلقها من الماء، و خلق آدم من تراب خلقه من الماء. [٦٩٩] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلا تَسْتَعْجِلُونِ [الأنبياء: ٣٧] بعد قوله: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ [الأنبياء: ٣٧] و كأنه تكليف بما لا يطاق؟ قلنا: هذا كما ركب فيه الشهوة و أمره أن يغلبها، لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة و ترك العجلة. [٧٠٠] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إِذا ما يُنْذَرُونَ [الأنبياء: ٤٥]؛ مع أن الصمّ لا يسمعون الدّعاء إذا ما يبشرون أيضا؟ قلنا: اللام في الصم إشارة للمنذرين السابق ذكرهم بقوله تعالى: قُلْ إِنَّما أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ [الأنبياء: ٤٥] فهي لام العهد لا لام الجنس. [٧٠١] فإن قيل: كيف قال إبراهيم صلوات اللّه عليه: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا [الأنبياء: ٦٣] أحال كسر الأصنام على الصنم الكبير، و كان إبراهيم هو الكاسر لها؟ قلنا: قاله على طريق الاستهزاء و التهكم بهم، لا على طريق الجد. الثاني: أنه لما كان الحامل له على كسرها اغتياظه من رؤيتها مصفوفة مرتبة للعبادة مبجلة معظمة، و كان اغتياظه من كبيرها أعظم لمزيد تعظيمهم له أسند الفعل إليه كما أسند إلى سببه، و إلى الحامل عليه. الثالث: أنه أسنده إليه معلقا بشرط منتف، لا مطلقا؛ تقديره: فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم. [٧٠٢] فإن قيل: كيف صح مخاطبة النار بقوله تعالى: قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَ سَلاماً عَلى إِبْراهِيمَ [الأنبياء: ٦٩] و الخطاب إنما

يكون مع من يعقل؟ قلنا: خطاب التحويل و التكوين لا يختص بمن يعقل، قال اللّه تعالى: يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ [سبأ: ١٠] و قال تعالى: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [فصلت: ١١] و قال تعالى: وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ [هود: ۴۴]. [۷۰۳] فإن قيل: كيف وصف اللّه تعالى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بكونهم أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢١٠ من الصالحين بقوله تعالى: وَ إِسْماعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ [الأنبياء: ٨۵] الآية، مع أن أكثر المؤمنين صالحون خصوصا فى الزمن الأول؟ قلنا: معناه أنهم من الصالحين للإدخال فى الرحمة التى أريد بها النبوة على ما فسره مقاتل، أو الجنة على ما فسره ابن عباس، رضى اللّه عنهما؛ و يؤيد ذلك قول سليمان صلوات اللّه عليه: وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ [النمل: ١٩] أى الصالحين للعمل المرضىّ الذى سبق سؤاله. [۷۰۴] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا: وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيها مِنْ رُوحِنا [الأنبياء: ٩١] و قال فى سورة التحريم: وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَها فَنَفَخْنا فِيهِ مِنْ رُوحِنا [التحريم: ١٢]؟ قلنا: حيث أنّث أراد النفخ فى ذاتها، و إن كان مبدأ النفخ من الفرج الذى هو مخرج الولد أو جيب درعها على اختلاف القولين، لأنه فرجة، و كل فرجة بين شيئين تسمى فرجا فى اللغة، و هذا أبلغ فى الثناء عليها لأنها إذا منعت جيب درعها مما لا يحل كانت لنفسها أمنع، و حيث ذكّر فظاهر. [۷۰۵] «١» فإن قيل: قوله تعالى: وَ حَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ [الأنبياء: ٩۵] يدل على أنه يجب أن يرجعوا، لأن كل ما حرم أن لا يوجد وجب أن يوجد فكيف معنى الآية؟ قلنا: معناه و واجب على أهل قرية عزمنا على إهلاكهم أو قدّرنا إهلاكهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان، أو أنهم لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا، فالحرام هنا بمعنى الواجب، كذا قاله ابن عباس رضى اللّه عنهما، و يؤيده قول الشاعر: فإنّ حراما لا أرى الدّهر باكيا على شجوة إلّا بكيت على عمرو و قيل لفظ الحرام على ظاهره، و لا زائدة، و المعنى ما سبق ذكره، و الحرمة هنا بمعنى المنع كما فى قوله تعالى: وَ حَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ [القصص: ١٢] و قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ [الأعراف: ۵٠]. [۷۰۶] فإن قيل: قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنى أُولئِكَ عَنْها مُبْعَدُونَ [الأنبياء: ١٠١] و قال فى موضع آخر: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وارِدُها [مريم: ٧١] و واردها يكون قريبا منها لا بعيدا. قلنا: معناه مبعدون عن ألمها و عذابها مع كونهم وارديها، أو معناه

(______________________________ ١) ([۷۰۵]) البيت ينسب إلى الخنساء و ليس فى ديوانها. و قافية البيت فى رواية أخرى على صخر بدل على عمرو. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢١١ مبعدون عنها بعد ورودها بالإنجاء المذكور بعد الورود، فلا تنافى بينهما. [۷۰۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧] مع أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن رحمة للكافرين الذين ماتوا على كفرهم بل نقمة؛ لأنه لو لا إرساله إليهم لما عذبوا بكفرهم لقوله تعالى: وَ ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا [الإسراء: ١۵]. قلنا: بل كان رحمة للكافرين أيضا من حيث أن عذاب الاستئصال أخر عنهم بسببه. الثانى: أنه كان رحمة عامة من حيث أنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه، و من لم يتبعه فهو الذى قصر فى حقّ نفسه وضيع نصيبه من الرّحمة؛ و مثله صلّى اللّه عليه و سلّم كمثل عين ماء عذبة فجرها اللّه تعالى، فسقى ناس زروعهم و مواشيهم منها فأفلحوا، و فرّط ناس فى السقى منها فضيعوا، فالعين فى نفسها نعمة من اللّه تعالى للفريقين و رحمة، و إن قصر البعض و فرطوا. الثالث: أن المراد بالرحمة الرحيم؛ و هو صلّى اللّه عليه و سلّم كان رحيما للفريقين؛ أ لا ترى أنهم لما شجّوه يوم أحد و كسروا رباعيته حتى خر مغشيا عليه، فلما أفاق قال: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون؟ [۷۰۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ [الأنبياء: ١٠٩] مع إخباره تعالى إياهم بقرب الساعة بقوله تعالى: أَتى أَمْرُ اللَّهِ [النحل: ١] و قوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ [القمر: ١] و نحوهما؟ قلنا: معناه ما أدرى أن العذاب الذى توعدونه و تهدون به ينزل بكم عاجلا أو آجلا، و ليس المراد به قيام الساعة. و يرد على هذا الجواب أنه قريب على كل تقدير؛ لأنه إن كان قبل قيام الساعة فظاهر، و إن كان بعد قيام الساعة فهو كالمتصل بها لسرعة زمن الحساب، فيكون قريبا أيضا. [۷۰۹] فإن قيل: إذا كان المؤمنون يعتقدون أن اللّه تعالى لا يحكم إلا بالحق، فما فائدة الأمر و الإخبار المتعلق بهما بقوله تعالى: قالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ [الأنبياء: ١١٢]؟ قلنا: ليس المراد بالحق هنا ما هو نقيض الباطل؛ بل المراد به ما وعده اللّه تعالى إياه من نصر المؤمنين و خذلان الكافرين، و وعده لا يكون إلا حقا، فكأنه قال: عجل لنا وعدك و أنجزه، و نظيره

قوله تعالى: رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ [الأعراف: ۸۹]. الثانى: أنه تأكيد لما فى التصريح بالصفة من المبالغة و إن كانت لازمة للفعل، و نظيره فى عكسه من صفة الذم قوله تعالى: وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ [آل عمران: ۱۱۲]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۲

سورة الحج

سورة الحج [۷۱۰] فإن قيل: قوله تعالى: إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ [الحج: ۱] يدل على أن المعدوم شيء. قلنا: لا نسلم، و مستنده أن المراد أنها إذا وجدت كانت شيئا لا أنها شيء الآن، و يؤيد هذا قوله تعالى: عَظِيمٌ مع أن المعدوم لا يوصف بالعظم. [۷۱۱] فإن قيل: كيف قال تعالى أوّلا: يَوْمَ تَرَوْنَها [الحج: ۲] بلفظ الجمع، ثم أفرد فقال: وَ تَرَى النَّاسَ [الحج: ۲]؟ قلنا: لأن الرؤية أوّلا علقت بالزلزلة، فجعل الناس كلهم رائين لها و علقت آخرا بكون الناس على هيئة السكارى، فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم. [۷۱۲] فإن قيل: كيف قال تعالى فى حقّ النضر بن الحارث وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ [الحج: ۳] إلى أن قال: لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ [الحج: ۹] و هو ما كان غرضه فى جداله الضلال عن سبيل اللّه، فكيف علل جداله به و ما كان أيضا مهتديا حتى إذا جادل خرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟ قلنا: هذه لام العاقبة و الصيرورة، و قد سبق ذكرها غير مرة، و لما كان الهدى معرّضا له فتركه و أعرض عنه و أقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال. [۷۱۳] فإن قيل: النفع و الضر منفيان عن الأصنام مثبتان لها فى الآيتين، فكيف التوفيق بينهما؟ قلنا: معناه يعبد من دون اللّه ما لا يضره بنفسه إن لم يعبده، و لا ينفعه بنفسه إن عبده، ثم قال: يعبد من يضره اللّه بسبب عبادته، و إنما أضاف الضرر إليه لحصوله بسببه. [۷۱۴] فإن قيل: قوله تعالى: أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ [الحج: ۱۳] يدل على أن فى عبادة الصنم نفعا و إن كان فيها ضرر؟ قلنا: معناه أقرب من النفع المنسوب إليه فى زعمهم، و هو اعتقادهم أنه يشفع لهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۳ [۷۱۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا [الحج: ۳۹] أى بسبب كونهم مظلومين، و لم يبيّن ما الشيء الذى أذن لهم فيه؟ قلنا: تقديره: أذن للذين يقاتلون فى القتال، و إنما حذف لدلالة يقاتلون عليه و لدلالة الحال أيضا، فإن كفار مكة كانوا يؤذون المؤمنين بأنواع الأذى و هم يستأذنون النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى قتالهم، فيقول: لم يؤذن لى فى ذلك، حتى هاجر إلى المدينة فنزلت هذه الآية، و هى أول آية نزلت فى الإذن فى القتال، فنسخت سبعين آية ناهية عن القتال، كذا قاله ابن عباس رضى اللّه عنهما؛ فكان المأذون فيه ظاهرا لكونه مترقبا منتظرا. [۷۱۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ [الحج: ۳۹] مع أنهم ما كانوا يقاتلون قبل نزول هذه الآية؟ قلنا: معناه أذن للذين يريدون أن يقاتلوا، سماهم مقاتلين مجازا باعتبار ما يئولون إليه كما فى النظائر، و قرئ: لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بفتح التاء، و لا إشكال على تلك القراءة. [۷۱۷] «۱» فإن قيل: كيف صح الاستثناء فى قوله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ [الحج: ۴۰]؟ قلنا: هو استثناء منقطع تقديره: لكن أخرجوا بقولهم ربنا اللّه. الثانى: أنه بمنزلة قول الشاعر: و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب تقديره: إن كان فيهم عيب فهو هذا، و ليس بعيب فلا يكون هذا فيهم عيبا. [۷۱۸] فإن قيل: أى منّة على المؤمنين فى حفظ الصوامع و البيع و الصلوات، أى الكنائس عن الهدم حتى امتن عليهم بذلك فى قوله تعالى: وَ لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ [الحج: ۴۰] الآية؟ قلنا: المنة فى ذلك أن الصوامع و البيع و الكنائس فى حرم المسلمين و حراستهم و حفظهم، لأن أهلها ذمة للمسلمين. الثانى: أن المراد به لهدمت صوامع و بيع فى زمن عيسى صلّى اللّه عليه و سلّم، و صلوات، أى كنائس فى زمن موسى صلّى اللّه عليه و سلّم، و مساجد فى زمن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فالامتنان على أهل الأديان الثلاثة لا على المؤمنين خاصة.

____

(۱) ([۷۱۷]) البيت للنابغة الذبيانى و قد تقدّم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۴ [۷۱۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ كُذِّبَ مُوسى [الحج: ۴۴] و لم يقل و قوم موسى، كما قال اللّه تعالى فيما قبله؟ قلنا: لأن موسى عليه السلام ما كذبه قومه بنو إسرائيل، و إنما كذبه غير قومه و هم القبط. الثانى: أن يكون

التنكير و الإبهام للتفخيم و التعظيم كأنه قال تعالى بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم: و كذب موسى أيضا مع وضوح آياته و عظم معجزاته فما ظنك بغيره. [۷۲۰] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ [الحج: ۴۶]؟ قلنا: فائدته المبالغة فى التأكيد كما فى قوله تعالى: وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ [الأنعام: ۳۸] و قوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ [الفتح: ۱۱] و ما أشبه ذلك. الثانى: أن القلب هنا يستعمل بمعنى العقل، و منه قوله تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ [ق: ۳۷] أى عقل فى أحد القولين، فكان التقييد احترازا على قول من زعم أن العقل فى الرأس. [۷۲۱] «۱» فإن قيل: المغفرة إنما تكون لمن يعمل السيئات لا لمن يعمل الصالحات و الحسنات، فكيف قال تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ [فاطر: ۷]؟ قلنا: المراد بالعمل الصالح هنا الإخلاص فى الإيمان. قال الكلبى: كل موضع جاء فى القرآن الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ [البقرة: ۸۲] فالمراد به الإخلاص فى الإيمان، فيصير المعنى: فالذين آمنوا عن إخلاص تغفر لهم سيئاتهم. [۷۲۲] «۲» فإن قيل: ما الفرق بين الرّسول و النبى؛ مع أن كليهما مرسل بدليل قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ [الحج: ۵۲]. قلنا: الفرق بينهما أن الرّسول من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من جمع له بين (______________________________ ۱) ([۷۲۱])

الكلبى: لعل المراد هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبى، أبو النضر. و هو نسّابة و راوية و مفسّر توفى سنة ۱۴۶ ه. (۲) ([۷۲۲]) البيت لعبد اللّه بن الزّبعرى فى ديوانه. و انظر الكامل للمبرّد، شرح المرصفى: ۳/ ۲۳۴. و البيت من الشواهد. و يروى ب «يا ليت» بدل «رأيت». و التقدير: حاملا رمحا، فحذف الفعل لأنه معروف بالسلاح الذى هو الرمح و نصبها بضمير الحمل المقدّر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۵ المعجزة و أنزل الكتاب عليه، و النبى فقط من لم ينزل عليه كتاب، و إنما أمر أن يدعو أمته إلى شريعة من قبله. و قيل: الرسول من كانت له معجزة من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و النبى من لم تكن له منهم معجزة، و فى هذا نظر. و قيل: الرسول من كان مبعوثا إلى أمة، و النبى فقط من لم يكن مبعوثا إلى أحد مع كونه نبيا. و الجواب عن الآية على هذا القول أن فيه إضمارا تقديره: و ما أرسلنا من رسول و لا نبأنا من نبى أو و لا كان من نبى، و نظيره قول الشاعر: و رأيت زوجك فى الوغى متقلّدا سيفا و رمحا أى و متعلقا رمحا أو حاملا رمحا. [۷۲۳] فإن قيل: أين المثل المضروب فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ [الحج: ۷۳] و المذكور بعده و هو قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ [الحج: ۷۳] إلى آخره ليس بمثل، بل هو كلام مبتدأ مستقل بنفسه؟ قلنا: الصفة و القصة الغريبة أو المستحسنة تسمى مثلا، و منه قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ ناراً [البقرة: ۱۷] فالمعنى يثبت بصفة، و هى عجز الصنم عن خلق الذباب و استنقاذ ما يسلبه، و قيل: هو إشارة إلى قوله تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِياءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً [العنكبوت: ۴۱] و إنما أبهمه هنا لأنهم كانوا لا يصغون إلى سماع القرآن، و لهذا قالوا: لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ [فصلت: ۴۱] و كانوا يحبون الأمثال، فذكر لفظ المثل استدراجا لهم إلى سماع القرآن و الإصغاء إليه. [۷۲۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ [الحج: ۷۸] مع أن قطع اليد التى تساوى خمسة آلاف درهم بسبب سرقة عشرة دراهم حرج فى الدين؛ و كذا رجم المحصن بسبب الوطء مرة واحدة، و وجوب صوم شهرين متتابعين بسبب إفطار يوم واحد من رمضان بوطء، و المخاطرة بالنفس و المال فى الحج و العمرة، كل ذلك حرج بيّن؟ قلنا: المراد بالدين كلمة التوحيد، فإنها تكفر شرك سبعين سنة، و لا يتوقف تأثيرها على الإيمان و الإخلاص سبعين سنة، و لا على أن يكون الإتيان بها فى بيت اللّه تعالى أو فى زمان أو مكان معين. و قيل: المراد به أن كل ما يقع فيه الإنسان من الذنوب و المعاصى يجد له مخرجا فى الشرع بتوبة أو كفارة أو رخصة. و قيل: المراد به فتح باب التوبة للمذنبين، و فتح أبواب الرخص للمعذورين، و شروع الكفارات و الأروش و الديات. و قيل: المراد به نفى الحرج الذى كان على بنى إسرائيل من الإصر و التشديد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۶ [۷۲۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ [الحج: ۷۸] و إبراهيم صلوات اللّه عليه لم يكن أبا للأمة كلها؟ قلنا: هو أبو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكان أبا لأمته! لأن أمة الرسول بمنزلة أولاده من جهة العطف و الشفقة، هذا إن كان الخطاب لعامة المسلمين، و إن كان للعرب خاصة فإبراهيم أبو العرب قاطبة. [۷۲۶] فإن قيل: متى سمانا إبراهيم صلوات اللّه عليه المسلمين من قبل

حتى قال اللّه تعالى: هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ [الحج: ۷۸]؟ قلنا: وقت دعائه عند بناء الكعبة حيث قال: رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ [البقرة: ۱۲۸] فكل من أسلم من هذه الأمة فهو ببركة دعوة إبراهيم عليه السلام، و هذا السؤال سئلت عنه فى المنام و أجبت بهذا الجواب فى المنام إلهاما من اللّه سبحانه و تعالى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۷

سورة المؤمنون

سورة المؤمنون [۷۲۷] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ [المؤمنون: ۵، ۶] و حفظ الفرج إنما يعدى بعن لا بعلى، يقال فلان يحفظ فرجه عن الحرام، و لا يقال على الحرام؟ قلنا: «على» هنا بمعنى عن، كما فى قول الشاعر: إذا رضيت علىّ بنو قشير لعمر اللّه أعجبنى رضاها الثانى: أنه متعلق بمحذوف تقديره: فلا يرسلونها إلا على أزواجهم. [۷۲۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ [المؤمنون: ۶] و لم يقل أو من ملكت أيمانهم، مع أن المراد من يعقل؟ قلنا: لأنه أراد من جنس العقلاء ما يجرى مجرى غير العقلاء و هم الإناث. [۷۲۹] فإن قيل: قوله تعالى ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِکَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ تُبْعَثُونَ [المؤمنون: ۱۵، ۱۶] كيف خص الإخبار عن الموت الذى لم ينكره الكفار بلام التأكيد دون الإخبار عن البعث الذى أنكروه، و الظاهر يقتضى عكس ذلك؟ قلنا: لما كان العطف يقتضى الاشتراك فى الحكم استغنى به عن إعادة لفظ اللام الموجبة لزيادة التأكيد، فإنها ثابتة معنى بقضية العطف، و لا يلزم على هذا عدم إعادة أن لأنها الأصل فى التأكيد، و لأنها أقوى و الحاجة إليها أمس. [۷۳۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْناءَ [المؤمنون: ۲۰] و المراد بها شجرة الزيتون. و هى تخرج من الجبل الذى يسمى طور سيناء و من غيره؟ قلنا: قيل إن أصل شجرة الزيتون من طور سيناء: ثم نقلت إلى سائر المواضع. و قيل: إنما أضيفت إلى ذلك الجبل لأن خروجها فيه أكثر من خروجها فى غيره من المواضع.

(۱) ([۷۲۷]) البيت للقحيف العقيلى، و هو فى الجنى الدانى: ۴۴۵، و خزانة الأدب ۱۰/ ۱۳۲. و الوجه فى جواز استعمال عن محل على عند ابن قتيبة أن عن يستعمل أعم من على؛ لأنه يستعمل فى الجهات الست. و وجهه ابن منظور فى اللّسان بأن التعدية بعلى جازت لأنها إذا رضيت عنه أحبّته و أقبلت عليه، و لذلك استعمل على بمعنى عن، و لا يخفى ما فيه من التكلف. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۸ [۷۳۱] فإن قيل: قوله تعالى: أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ خبر عن كفار مكة، فكيف قال تعالى: بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ أى بالتوحيد أو بالقرآن وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ [المؤمنون: ۷۰] و لم يقل و كلهم، مع أن كلهم كانوا للتوحيد كارهين بدليل قولهم بِهِ جِنَّةٌ [المؤمنون: ۷۰] قلنا: كان فيهم من ترك الإيمان به أنفة و استنكافا من توبيخ قومه؛ لئلا يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق، كما يحكى عن أبى طالب و غيره. [۷۳۲] فإن قيل: كيف جمع فقال: رَبِّ ارْجِعُونِ [المؤمنون: ۹۹] و لم يقل ارجعنى، و المخاطب واحد و هو اللّه تعالى؟ قلنا: هو جمع للتفخيم و التعظيم كقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتى [يس: ۱۲] و أشباهه. [۷۳۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لا يَتَساءَلُونَ [المؤمنون: ۱۰۱] و قال، فى موضع آخر: وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَساءَلُونَ؟ [الصافات: ۲۷]. قلنا: يوم القيامة مقدار خمسين ألف سنة، ففيه أحوال مختلفة، ففى بعضها يتساءلون، و فى بعضها لا ينطقون لشدة الهول و الفزع. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۱۹

سورة النور

سورة النور [۷۳۴] فإن قيل: كيف قدّمت المرأة فى آية حدّ الزنا، و قدّم الرجل فى حد السرقة؟ قلنا: لأن الزنا إنما يتولد من شهوة الوقاع، و شهوة المرأة أقوى و أكثر، و السرقة إنما تتولد من الجسارة و الجراءة و القوة، و ذلك فى الرجل أكثر و أقوى. [۷۳۵] فإن قيل: كيف قدم الرجل فى قوله تعالى: الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ [النور: ۳]. قلنا: لأن

الآية الأولى سبقت لعقوبتهما على ما جنيا، و المرأة هى الأصل فى تلك الجناية لما ذكرنا. و الآية الثانية سبقت لذكر النكاح، و الرجل هو الأصل فيه عرفا؛ لأنه هو الراغب و الخاطب و البادئ بالطلب، بخلاف الزنا فإن الأمر فيه بالعكس غالبا. [۷۳۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: الزَّانِي لا ـ يَنْكِحُ إِلَّا زانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، أى لا يتزوج وَ الزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُها إِلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ [النور: ۳] و نحن نرى الزانى ينكح العفيفة و المسلمة، و الزانية ينكحها العفيف و المسلم؟ قلنا: قال عكرمة نزلت هذه الآية فى بغايا موسرات كنّ بمكة، و كانت بيوتهن تسمى فى الجاهلية المرضية، و كان لا ـ يدخل عليهن إلا ـ زان من أهل القبلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد جماعة من فقراء المهاجرين أن ينكحوهن فنزلت هذه الآية زجرا لهم عن ذلك. [۷۳۷] «۱» فإن قيل: ما فائدة دخول «من» فى غض البصر دون حفظ الفرج فى قوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ [النور: ۳۰].

(____ ۱) ([۷۳۶]) عكرمة: هو عكرمة بن عبد اللّه البربرى المدنى، أبو عبد اللّه، مولى ابن عباس. تابعى ولد سنة ۲۵ ه و توفى سنة ۱۰۵ ه. حدّث كثيرا عن مولاه عبد اللّه بن عباس. كان من الخوارج، و ذهب إلى نجدة الحرورى فأقام عنده، ثم رجع يحدث عنه. ذهب إلى بلاد المغرب و عنه أخذ بعضهم مذهب الصفرية من الخوارج. كان مبغضا لأهل البيت. عاش آخر أيامه بالمدينة. و ضعّفه كثير من علماء رجال الحديث. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۰ قلنا: فائدته الدلالة على أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج، و لهذا يحل النظر فى ذوات المحارم و الإماء المستعرضات إلى عدة من أعضائهن، و لا يحل شىء من فروجهن. [۷۳۸] فإن قيل: ما حكمة ترك اللّه ذكر الأعمام و الأخوال فى قوله تعالى: وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ يعنى الزينة الخفية إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ [النور: ۳۱] الآية، و هم من المحارم و حكمهم حكم من استثنى فى الآية؟ قلنا: سئل الشعبى عن ذلك فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه و هو ليس بمحرم لها، و كذا الحال فيفضى إلى الفتنة، و المعنى فيه أن كل من استثنى يشترك هو و ابنه فى المحرمية، إلا ـ العم و الخال، و هذا من الدلالة البليغة على وجوب الاحتياط فى سترهن. و لقائل أن يقول: هذه المفسدة محتملة فى آباء بعولتهن، لاحتمال أن يذكرها أبو البعل عند ابنه الآخر، و هو ليس بمحرم لها، و أبو البعل أيضا نقض على قولهم إن كل من استثنى يشترك هو و ابنه فى المحرمية. [۷۳۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً [النور: ۳۳] مع أن إكراههن على الزنا حرام فى كل حال؟ قلنا: لأن سبب نزول الآية أن الجاهلية كانوا يكرهون إماءهم على الزنا مع إرادتهن التحصن، فورد النهى على السبب و إن لم يكن شرطا فيه. الثانى: أنه تعالى إنما شرط إرادة التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن، لأن الأمة إذا لم ترد التحصن فإنها تزنى بالطبع؛ لأن إرادتها الجماع مستمرة فى جميع الأحوال طبعا، و لا ـ بد له من أحد الطريقين. الثالث: أن «إن» بمعنى إذ كما فى قوله تعالى: وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ۲۷۸] و قوله تعالى: وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [آل عمران: ۱۳۹]. الرابع: أنّ فى الكلام تقديما و تأخيرا تقديره: و أنكحوا الأيامى منكم و الصالحين من عبادكم و إمائكم إن أردن تحصنا و يبقى قوله: وَ لا ـ تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ [النور: ۳۳] مطلقا غير معلق. [۷۴۰] فإن قيل: كيف مثل اللّه تعالى نوره، أى معرفته و هداه فى قلب المؤمن بنور المصباح فى قوله تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ [النور: ۳۵] و لم يمثله بنور الشمس، مع أن نورها أتم و أكمل؟ قلنا: المراد تمثيل النور فى القلب، و القلب فى الصدر، و الصدر فى البدن أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۱ بالمصباح: و هو الضوء أو الفتيلة فى الزجاجة، و الزجاجة فى الكوة التى لا منفذ لها، و هذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر. الثانى: أن نور المعرفة له آلات يتوقف على اجتماعها كالذهن و الفهم و العقل و اليقظة و انشراح القلب و غير ذلك من الخصال الحميدة، كما أن نور القنديل يتوقف على اجتماع القنديل و الزيت و الفتيلة، و غير ذلك. الثالث: أن نور الشمس يشرق متوجها إلى العالم السفلى لا إلى العالم العلوى، و نور المعرفة يشرق متوجها إلى العالم العلوى كنور المصباح. الرابع: أن نور الشمس لا يشرق إلا بالنهار و نور المعرفة يشرق بالليل و النهار كنور المصباح. الخامس: أن نور الشمس يعم جميع الخلائق، و نور المعرفة لا يصل إليه إلا بعضهم كنور المصباح الموصوف. [۷۴۱] فإن قيل: إنه تعالى لم يمثله بنور الشمس لما ذكرتم فكيف لم يمثله بنور الشمع مع أنه أتم و أكمل و أشرق من نور المصباح؟ قلنا: إنما لم يمثله بنور الشمع لأن فى الشمع غشا

لا محالة بخلاف الزيت الموصوف، و لو مثله تعالى بنور الشمع لتطاول المنافق المغشوش إلى استحقاق نصيب فى المعرفة. الثانى: أنه تعالى إنما لم يمثله بنور الشمع لأنه مخصوص بالأغنياء، بخلاف نور المعرفة فإنه فى الفقراء أغلب. [۷۴۲] فإن قيل: التجارة تشمل الشراء و البيع، فما فائدة عطف البيع عليها فى قوله تعالى: لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ [النور: ۳۷]. قلنا: التجارة هى الشراء و البيع الذى يكون صناعة للإنسان مقصودا به الربح، و هو حرفة الشخص الذى يسمى تاجرا، و البيع أعم من ذلك. و قيل: المراد بالتجارة هنا مبادلة الآخرة بالدنيا، كما فى قوله تعالى: أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ [البقرة: ۱۶] و المراد بالبيع مبادلة الدين بالدنيا كما فى قوله تعالى: فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ [الجمعة: ۹]. و قيل: إنما عطف البيع على التجارة لأنه أراد بالتجارة الشراء إطلاقا لاسم الجنس على النوع. و قيل: إنما عطف عليها للتخصيص و التمييز من حيث أنه أبلغ فى الإلهاء؛ لأن البيع الرابح يعقبه حصول الربح، بخلاف الشراء الرابح فإن الربح فيه مظنون مع كونه مترقبا منتظرا. و قيل: التجارة مخصوصة بأهل الجلب بخلاف البيع. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۲ [۷۴۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ [النور: ۴۵] و بعض الدواب ليس مخلوقا من الماء كآدم عليه السلام و ناقة صالح و غيرهما؟ قلنا: المراد بهذا الماء: الماء الذى هو أصل جميع المخلوقات، و ذلك أن اللّه تعالى خلق قبل خلق الإنسان جوهرة و نظر إليها نظر هيبة فاستحالت ماء، فخلق من ذلك الماء جميع الموجودات، و قد سبق مثل هذا السؤال فى قوله تعالى: مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَ فَلا [الأنبياء: ۳۰]. [۷۴۴] فإن قيل: إذا كان الجواب هذا فما فائدة تخصيص الدابة بالذكر أو تخصيص الشيء الحى؟ قلنا: إنما خص الدابة بالذكر؛ لأن القدرة فيه أظهر و أعجب منها فى الجماد و غيره. [۷۴۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ و قال تعالى وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى أَرْبَعٍ [النور: ۴۵] و هى مما لا يعقل؟ قلنا: لما كان اسم الدابة يتناول المميّز و غيره غلب المميّز على غيره فأجرى عليه لفظه. [۷۴۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: مَنْ يَمْشِي عَلى بَطْنِهِ [النور: ۴۵] و ذلك إنما يسمى زحفا لا مشيا، و لا يسمى مشيا إلا ما كان بالقوائم. قلنا: هو مجاز بطريق المشابهة، كما يقال: مشى هذا الأمر، و فلان لا يتمشى له أمر، و فلان ماشى الحال. [۷۴۷] فإن قيل: كيف أمر اللّه تعالى بالاستئذان للأطفال الذين لم يبلغوا الحلم بقوله تعالى: وَ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ [النور: ۵۸] أى من الأحرار؟ قلنا: هو فى المعنى أمر للآباء و الأمهات بتأديب الأطفال و تهذيبهم لا للأطفال. [۷۴۸] فإن قيل: كيف أباح تعالى للقواعد من النساء و هن العجائز التجرد من الثياب بحضرة الرجال بقوله تعالى: وَ الْقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ [النور: ۶۰] الآية. قلنا: المراد بالثياب هنا الجلباب و الرداء و القناع الذى فوق الخمار لا جميع الثياب، و قوله تعالى: غَيْرَ مُتَبَرِّجاتٍ بِزِينَةٍ [النور: ۶۰] أى غير قاصدات بوضع الثياب الظاهرة إظهار زينتهن و محاسنهن؛ بل التخفيف، ثم أعقبه بأن التعفف بترك الوضع خير لهن. [۷۴۹] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا عَلى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ

(____ ۱) ([۷۴۹]) الحديث مروى عن عائشة. أخرجه أبو داود برقم ۳۵۳۰، و ابن ماجة برقم ۲۲۹۲، و أحمد: ۶/ ۳۱. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۳ [النور: ۶۱] مع أن انتفاء الحرج عن أكل الإنسان من بيته معلوم لا شك فيه و لا شبهة؟ قلنا: المراد بقوله تعالى: مِنْ بُيُوتِكُمْ [النور: ۶۱] أى من بيوت أولادكم، لأن ولد الرجل بعضه و حكمه حكم نفسه، فلهذا عبر عنه به، و فى الحديث: «إنّ أطيب ما يأكل الرّجل من كسبه، و إنّ ولده من كسبه». و يؤيد ذلك أنه ذكر بيوت جميع الأقارب و لم يذكر بيوت الأولاد. و قيل: المراد بقوله تعالى: أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ [النور: ۶۱]، أى من مال أولادكم و أزواجكم الذين هم فى بيوتكم و من جملة عيالكم. و قيل: المراد بقوله تعالى: مِنْ بُيُوتِكُمْ [النور: ۶۱] البيوت التى يسكنونها و هم فيها عيال لغيرهم، كبيت ولد الرجل و زوجته و خادمه و نحو ذلك. [۷۵۰] فإن قيل: معنى السلام هو السلامة و الأمن، فإذا قال الرجل لغيره السلام عليك؛ كان معناه سلمت منى و أمنت، فما معنى قوله تعالى: فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ؟ [النور: ۶۱]. قلنا: المراد به فإذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلكم و عيالكم. و قيل: معناه إذا دخلتم المساجد أو بيوتا ليس فيها أحد فقولوا السلام علينا و على عباد اللّه الصالحين، يعنى من ربنا. [۷۵۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ [النور: ۶۳] و إنما يقال خالف أمره؟ قلنا: «عن» زائدة؛ كذا قاله الأخفش. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: فليحذر

الذين يخالفون اللّه تعالى و يعرضون عن أمره، أو ضمّن المخالفة معنى الإعراض فعدى تعديته. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۴

سورة الفرقان

سورة الفرقان [۷۵۲] فإن قيل: الخلق هو التقدير؛ و منه قوله تعالى: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ [المائدة: ۱۱۰]، أى تقدر؛ فما معنى قوله تعالى: وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً [الفرقان: ۲]؛ فكأنّه تعالى قال: و قدر كل شيء فقدره تقديرا؟ قلنا: الخلق سن اللّه تعالى بمعنى الإيجاد و الإحداث، فمعناه: و أوجد كل شيء مقدرا مسوى مهيأ لما يصلح له، لا زائدا على ما تقتضيه الحكمة و المصلحة؛ و لا ناقصا عن ذلك. الثانى: أن معناه: و قدر له ما يقيمه و يصلحه؛ أو قدر له رزقا و أجلا و أحوالا تجرى عليه. [۷۵۳] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف الجنة: الْمُتَّقُونَ كانَتْ لَهُمْ جَزاءً وَ مَصِيراً [الفرقان: ۱۵] و هى ما كانت بعد و إنما تكون كذلك بعد الحشر و النشر؟ قلنا: إنما قال كانت لأن ما وعده اللّه تعالى فهو فى تحققه كأنه قد كان؛ أو معناه كانت فى علم اللّه مكتوبة فى اللوح المحفوظ أنها جزاؤهم و مصيرهم. [۷۵۴] فإن قيل: ما فائدة تأخير الهوى فى قوله تعالى: أَ رَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ [الفرقان: ۴۳] و الأصل اتخذ الهوى إلها كما تقول: اتخذ الصنم معبودا؟ قلنا: هو من باب تقديم المفعول الثانى على الأول للعناية به، كما تقول علمت منطلقا زيدا، لفضل عنايتك بانطلاقه. [۷۵۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ؟ [الفرقان: ۴۴]. قلنا: قد مر مثل هذا السؤال و جوابه فى قوله تعالى: بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ [المؤمنون: ۷۰]. [۷۵۶] فإن قيل: كيف شبههم سبحانه و تعالى بالأنعام فى الضلال بقوله تعالى: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ [الفرقان: ۴۴] مع أن الأنعام تعرف اللّه سبحانه و تعالى و تسبحه بدليل قوله تعالى: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: ۴۴] و قوله تعالى: يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ؟ [الجمعة: ۱]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۵ قلنا: المراد تشبيههم بالأنعام فى الضلال عن فهم الحق و معرفة اللّه تعالى بواسطة دعوة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم. الثانى: أن المراد تشبيههم فى الضلال و العمى عن أمر الدين بالأنعام فى ضلالها و عماها عن أمر الدين. [۷۵۷] فإن قيل: إن كانوا كالأنعام فى الضلال؛ فكيف قال تعالى: بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا [الفرقان: ۴۴] و إن كانوا أضل من الأنعام فكيف قال تعالى: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ [الفرقان: ۴۴] و إن كانوا كالأنعام فى الضلال و أضل منها أيضا فكيف يجتمع الوصفان؟ قلنا: المراد بقوله تعالى: إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ [الفرقان: ۴۴] التشبيه فى أصل الضلال لا مقداره. و الثانى: بيان لمقداره. و قيل: المراد بالأول التشبيه فى المقدار أيضا؛ و لكن المراد بالأول طائفة و بالثانى طائفة أخرى، و وجه كونهم أضل من الأنعام أن الأنعام تنقاد لأربابها التى تعلفها و تتعهدها، و تعرف من يحسن إليها ممّن يسيء إليها، و تطلب ما ينفعها و تجتنب ما يضرها، و هؤلاء لا ينقادون لربهم و لا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذى هو عدوهم، و لا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع، و لا يتقون العذاب الذى هو أشد المضار و المهالك، و لا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى و العذب الرّوى. [۷۵۸] فإن قيل: قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً [الفرقان: ۴۸، ۴۹] كيف ذكر الصفة و الموصوف مؤنث و لم يؤنثها كما أنثها فى قوله تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ [يس: ۳۳]. قلنا: إنما ذكرها نظرا إلى معنى البلدة و هو البلد و المكان لا إلى لفظها. [۷۵۹] فإن قيل: قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَ نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعاماً وَ أَناسِيَّ كَثِيراً [الفرقان: ۴۸، ۴۹]، فإنزاله موصوفا بالطهورية، و تعليل ذلك بالإحياء و السقى يشعر بأنّ الطهورية شرط فى حصول تلك المصلحة، كما تقول: حملنى الأمير على فرس سابق لأصيد عليه الوحش و ليس كذلك. قلنا: وصف الطهورية ذكر إكراما للأناسى الذين شربهم من جملة المصالح التى أنزل لها الماء، و إتماما للمنة و النعمة عليهم، لا لكونه شرطا فى تحقق تلك المصالح و المنافع، بخلاف النظير فإنه قصد بكونه سابقا الشرطية؛ لأن صيد الوحش على الفرس لا يتم إلا بها. [۷۶۰] فإن قيل: كيف خص تعالى الأنعام بذكر السقى دون غيرها من الحيوان الصامت؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۶ قلنا: لأن الوحش و الطير تبعد فى طلب الماء و لا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام. الثانى: أن الأنعام قنية الأناسى و عامة منافعهم متعلقة بها، فكأن الأنعام يسقى الأنعام، كالأنعام يسقى الأناسى، فلذلك خصها بالذكر. [۷۶۱] فإن قيل: كيف

قدم تعالى إحياء الأرض و سقى الأنعام على سقى الأناسى؟ قلنا: لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم و أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم و معاشهم. الثانى: أن سقى الأرض بماء المطر سابق فى الوجود على سقى الأناسى به. [۷۶۲] فإن قيل: ما وجه صحة الاستثناء فى قوله تعالى: قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا؟ [الفرقان: ۵۷]. قلنا: هو استثناء منقطع تقديره: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاـ فأنا أدله على ذلك و أهديه إليه. و قيل تقديره: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلا بإنفاق ماله فى مرضاته فليفعل ذلك. [۷۶۳] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ [الفرقان: ۵۷]، أى أجرا؛ لأن «من» لتأكيد النفى و عمومه. و قال فى آية أخرى قُلْ لاـ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى [الفرقان: ۲۳] فأثبت سؤال الأجر عليه؟ قلنا: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ [سبأ: ۴۷] رواه مقاتل و الضحاك عن ابن عباس رضى اللّه عنهما. و الصحيح الذى عليه المحققون أنها غير منسوخة؛ بل هو استثناء من غير الجنس تقديره: لكن أذكركم المودة فى القربى. [۷۶۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً [الفرقان: ۷۴] و لم يقل أئمة؟ قلنا: مراعاة لفواصل الآيات، و قيل تقديره: و اجعل كل واحد منا إماما. [۷۶۵] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ يُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَ سَلاماً [الفرقان: ۷۵] و هما بمعنى واحد و يؤيده قوله تعالى: تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ [الأحزاب: ۴۴] و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «تحيّة أهل الجنّة فى الجنّة سلام».

(____ ۱) ([۷۶۵]) الحديث أخرجه أحمد فى مسنده: ۴/ ۳۸۱. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۷ قلنا: قال مقاتل: المراد بالتحيّة سلام بعضهم على بعض أو سلام الملائكة عليهم، و المراد بالسلام أن اللّه تعالى سلمهم مما يخافون و سلّم إليهم أمرهم. و قيل: التّحية من الملائكة أو من أهل الجنة، و السلام من اللّه تعالى عليهم لقوله تعالى: سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ [يس: ۵۸]. و قيل: التحية من اللّه تعالى لهم بالهدايا و التحف و السلام بالقول. و قيل: التحية الدعاء بالتعمير، و السلام الدعاء بالسلامة فمعناه أنهم يلقون ذلك من الملائكة أو بعضهم من بعض، أو يلقون ذلك من اللّه تعالى، فيعطون البقاء و الخلود مع السلامة من كل آفة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۸

سورة الشعراء

سورة الشعراء [۷۶۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ [الشعراء: ۴] و الأعناق لاـ تخضع؟ قلنا: قيل أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين فاقتحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع و ترك الكلام على أصله، كقولهم ذهبت أهل اليمامة، كأنّ الأهل غير المذكور، و مثله قول الشاعر: رأت مرّ السنين أخذن منّى كما أخذ السرار من الهلال أو لما وصفت الأعناق بالخضوع الذى هو من صفات العقلاء جمعت جمع العقلاء كقوله تعالى: وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجِدِينَ [يوسف: ۴]. و قيل: الأعناق رؤساء الناس و مقدموهم شبهوا بالأعناق، كما قيل لهم الرءوس و النواصى و الوجوه. و قيل: الأعناق الجماعات؛ يقال: جاءنى عنق من الناس، أى جماعة. و قيل: إن ذلك لمراعاة الفواصل. [۷۶۷] «۲» فإن قيل: كيف قال تعالى: فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ [الشعراء: ۱۶] فأفرد، و قال تعالى فى موضع آخر إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ [طه: ۴۷] فثنّى؟ قلنا: الرسول يكون بمعنى المرسل فيلزم تثنيته، و يكون بمعنى الرسالة التى هى المصدر فيوصف به الواحد و الاثنان و الجماعة كما يوصف بسائر المصادر، و الدليل على أنه يكون بمعنى الرسالة قول الشاعر: لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسرّ و لا أرسلتهم برسول أى برسالة. الثانى: أنهما لاتفاقهما فى الأخوة و الشريعة و الرسالة جعلا كنفس واحدة. الثالث: أن تقديره: إن كل واحد منا رسول رب العالمين. الرابع: أن موسى عليه السلام كان الأصل، و هارون عليه السلام كان تبعا له، فأفرد إشارة إلى ذلك.

(____ ۱) ([۷۶۶]) البيت حكاه الفرّاء فى معانى القرآن عن العكلىّ أبى ثروان فى ج ۲ ص ۳۷، و أوّل كلمة فيه: أرى بدل رأت. و لم ينسبه. (۲) ([۷۶۷]) البيت لم أقف على نسبته. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۲۹ [۷۶۸] فإن قيل: كيف قال موسى عليه السلام معتذرا عن قتل القبطى فَعَلْتُها إِذاً وَ أَنَا مِنَ

الضَّالِّينَ [الشعراء: ٢٠] و النبيّ لا يكون ضالا؟ قلنا: أراد به و أنا من الجاهلين، و كذا قراءة ابن مسعود رضى اللّه عنه و قيل: أراد من المخطئين، لأنه ما تعمد قتله، كما يقال: ضل عن الطريق إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ. و قيل: من الناسين كقوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى [البقرة: ٢٨٢]. [٧٦٩] فإن قيل: كيف قال فرعون وَ ما رَبُّ الْعالَمِينَ [الشعراء: ٢٣] و لم يقل و من رب العالمين؟ قلنا: هو كان أعمى القلب عن معرفة اللّه سبحانه و تعالى، منكرا لوجوده فكيف ينكر عليه العدول عن «من» إلى «ما». الثانى: أن «ما» لا تختص بغير المميّز؛ بل تطلق عليهما، قال اللّه تعالى: فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ [النساء: ٣] و قال اللّه تعالى: وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ [الكافرون: ١٠٩]. [٧٧٠] فإن قيل: كيف قال موسى عليه السلام: رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [الشعراء: ٢٤] علق كونه تعالى رب السموات و الأرض و ما بينهما بشرط كون فرعون و قومه موقنين، و هذا الشرط منتف و الربوبية ثابتة فكيف صح التعليق؟ قلنا: معناه إن كنتم موقنين أن السموات و الأرض و ما بينهما موجودات و هذا الشرط موجود. الثانى: أن «إن» نافية لا شرطية. [٧٧١] فإن قيل: كيف ذكر السموات و الأرض و ما بينهما قد استوعب ذكر المخلوقات كلها فما فائدة قوله تعالى بعد ذلك رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [الشعراء: ٢٦] و قوله: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ [الشعراء: ٢٨]. قلنا: أعاد ذكرها تخصيصا لها و تمييزا، لأن أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه و من ولد منه و ما شاهد و عاين من الدلائل على الصانع و النقل من هيئة إلى هيئة و حال إلى حال من وقت ولادته إلى وقت وفاته، ثم خص المشرق و المغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحدهما و غروبها فى الآخر على تقدير مستقيم فى فصول السنة و حساب مستو من أظهر ما يستدل به على وجود الصانع، و لظهوره انتقل خليل اللّه صلوات اللّه عليه و سلامه إلى الاحتجاج به عن الاحتجاج بالإحياء و الإماتة فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ [البقرة: ٢٥٨]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٣٠ [٧٧٢] فإن قيل: كيف قال أولا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ [الشعراء: ٢٤] و قال آخرا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [الشعراء: ٢٨]. قلنا: لاينهم و لاطفهم أوّلا، فلمّا رأى عنادهم و إصرارهم خاشنهم و عارض قوله: إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ [الشعراء: ٧٢] بقوله: إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. [٧٧٣] فإن قيل: قوله: لأسجننك أخصر من قوله: لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ [الشعراء: ٢٩] فكيف عدل عنه؟ قلنا: كان مراده تعريف العهد، فكأنه قال لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجنى، و كان إذا سجن إنسانا طرحه فى هوة عميقة جدا مظلمة وحده لا يبصر فيها و لا يسمع، فكان ذلك أوجع من القتل و أشد نكاية. [٧٧٤] فإن قيل: قصة موسى عليه السلام مع فرعون و السحرة ذكرت فى سورة الأعراف ثم فى سورة طه ثم فى هذه السورة، فما فائدة تكرارها و تكرار غيرها من القصص؟ قلنا: فائدته تأكيد التّحدى و إظهار الإعجاز، كما أن المبارز إذا خرج من الصف قال: «نزال نزال هل من مبارز هل من مبارز» مكررا ذلك، يقال: و لهذا سمى اللّه تعالى القرآن مثانى؛ لأنه ثنيت فيه الأخبار و القصص. الثانى: أن أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان بعضهم حاضرين و بعضهم غائبين فى الغزوات، و كانوا يحبون حضور مهبط الوحى، و كانوا إذا رجعوا من غزوهم أكرمهم اللّه تعالى فى بعض الأوقات بإعادة الوحى تشريفا لهم و تفصيلا. [٧٧٥] فإن قيل: كيف كرر اللّه تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام أكثر من قصص غيره من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؟ قلنا: لأن أحواله كانت أشبه بأحوال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من أحوال غيره منهم فى إقامته الحجج و إظهاره المعجزات لأهل مصر و إصرارهم على تكذيبه و الجفاء عليه كما كان حال النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم مع أهل مكّة. [٧٧٦] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلَمَّا تَراءَا الْجَمْعانِ [الشعراء: ٦١] و الترائى تفاعل من الرؤية، فيقتضى وجود رؤية كل جمع الجمع الآخر و المنقول أنهم لم ير بعضهم بعضا، فإن اللّه تعالى أرسل غيما أبيض فحال بين العسكرين حتى منع رؤية بعضهم بعضا؟ قلنا: الترائى يستعمل بمعنى التدانى و التقابل أيضا، كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «المؤمن و الكافر لا يتراءيان»، أى لا يتدانيان، و يقال: دورنا تتراءى، أى تتقارب و تتقابل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٣١ [٧٧٧] فإن قيل: كيف قال: وَ إِذا مَرِضْتُ [الشعراء: ٨٠] و لم يقل و إذا أمرضنى، كما قال، قبله: (خلقنى و يهدين)؟ قلنا: لأنه كان فى معرض الثناء على اللّه تعالى و تعديد نعمه، فأضاف إليه الخير المحض حفظا للأدب، و إن كان الكل مضافا إليه، و نظيره قول الخضر عليه السلام فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها [الكهف: ٧٩] و قوله: فَأَرادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما [الكهف: ٨٢]. [٧٧٨] فإن قيل: هذا الجواب يبطل بقوله: وَ الَّذِي يُمِيتُنِي [الشعراء: ٨١] و بقول الخضر فَأَرَدْنا أَنْ يُبْدِلَهُما

[الكهف: ۸۱]. قلنا: إنما أضاف الموت إلى اللّه تعالى؛ لأنه سبب لقائه إياه و انتقاله إلى دار كرامته، فكان نعمة من هذا الوجه. و قيل: إنما أضاف المرض إلى نفسه؛ لأن أكثر الأمراض تحدث بتفريط الإنسان فی مطاعمه و مشاربه. [۷۷۹] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ [الشعراء: ۸۸] و المال الذی أنفق فی طاعة اللّه تعالی و سبیله ینفع، و الولد الصالح ینفع، و الولد الذی مات صغيرا يشفع، و شواهد ذلک كثيرة من الكتاب و السنة خصوصا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «إذا مات ابن آدم ينقطع عمله إلّا من ثلاث» الحديث؟ قلنا: المراد بالآية أنهما لا ينفعان غير المؤمن، فإنه هو الذی يأتی بقلب سليم من الكفر، أو المراد بهما مال لم ينفق فی طاعة اللّه تعالى و ولد بالغ غير صالح. [۷۸۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ [الشعراء: ۹۰] أی قربت، و الجنة لا تنقل من مكانها و لا تحول؟ قلنا: فيه قلب معناه: و أزلفت المتقون إلى الجنّة، كما يقول الحجاج إذا دنوا إلى مكة قربت مكة منا. و قيل معناه: أنها كانت محجوبة عنهم، فلما رفعت الحجب بينهم و بينها كان ذلک تقريبا لها. [۷۸۱] فإن قيل: كيف جمع الشافع و وحد الصديق فی قوله: فَما لَنا مِنْ شافِعِينَ وَ لا صَدِيقٍ حَمِيمٍ [الشعراء: ۱۰۰، ۱۰۱]. قلنا: لكثرة الشفعاء فی العادة و قلة الصديق، و لهذا روى أن بعض الحكماء سئل عن الصديق؟ فقال: هو اسم لا ـ معنى له، أراد بذلک عزة وجوده، و يجوز أن يراد بالصديق الجمع كالعدو. [۷۸۲] فإن قيل: كيف قرن بين الأنعام و البنين فی قوله: أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَ بَنِينَ [الشعراء: ۱۳۳]؟

(۱) ([۷۷۹]) الحديث، بنحو اللفظ الذی ذكره الرازی، فی الفتح الكبير: ۱/ ۱۵۴. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۲

قلنا: لأن الأنعام كانت من أعز أموالهم عندهم، و كان بنوهم هم الذين يعينونهم على حفظها و القيام عليها، فلهذا قرن بينهما. [۷۸۳] فإن قيل: قوله تعالى: (أَ وَعَظْتَ أو لم تعظ) أخصر من قوله: أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ [الشعراء: ۱۳۶] فكيف عدل عنه؟ قلنا: مرادهم سواء علينا أفعلت هذا الفعل أم لم تكن من أهله أصلا، و هذا أبلغ فی قلة اعتدادهم بوعظه من قولهم أو لم تعظ. [۷۸۴] فإن قيل: قوله تعالى: فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذابُ [الشعراء: ۱۵۷، ۱۵۸] كيف أخذهم العذاب بعد ما ندموا على جناياتهم، و قد قال صلّى اللّه عليه و سلّم: «الندم توبة»؟ قلنا: قال ابن عباس رضی اللّه عنهما: ندموا حين رأوا العذاب، و ذلک ليس وقت التوبة كما قال اللّه تعالى: وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ [النساء: ۱۸] الآية. و قيل: كان ندمهم ندم خوف من العذاب العاجل لا ندم توبة فلذلک لم ينفعهم. [۷۸۵] فإن قيل: كيف طلب لوط عليه السلام تنجيته من اللواطة بقوله: رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ [الشعراء: ۱۶۹] و اللواطة كبيرة، و الأنبياء معصومون من الكبائر؟ قلنا: مراده رب نجنی و أهلی من عقوبة عملهم أو من شؤمه، و الدليل على ذلک ضمه أهله إليه فی الدعاء، و استثناء اللّه تعالى امرأته من قبول الدعوة. [۷۸۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى فی قصة شعيب عليه السلام إِذْ قالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ [الشعراء: ۱۷۷] و لم يقل أخوهم، كما قال تعالى فی حقّ غيره هنا، و كما قال فی حقه فی موضع آخر؟ قلنا: لأنه هنا ذكر مع أصحاب الأيكة و هو لم يكن منهم، و إنما كان من نسل مدين، كذا قال مقاتل. و فی الحديث أن شعيبا عليه السلام أخا مدين أرسل إليهم و إلى أصحاب الأيكة. و قال ابن جرير الطبری: أهل مدين هم أصحاب الأيكة، فعلى هذا يكون حذف الأخ تخفيفا. [۷۸۷] فإن قيل: ما الفرق بين حذف الواو فی قصة صالح عليه السلام و إثباتها (

(۱) ([۷۸۶]) ابن جرير: هو محمد بن يزيد الطبری، أبو جعفر، مؤرخ و مفسّر. ولد فی آمل طبرستان سنة ۲۲۴ ه و أقام ببغداد. و توفی سنة ۳۱۰ ه. من مؤلفاته: أخبار الرسل و الملوک (المعروف بتاريخ الطبری)، جامع البيان فی تفسير القرآن (المعروف بتفسير الطبری)، اختلاف الفقهاء، الخ. و هو أحد أصحاب المذاهب الفقهية المنقرضة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۳

فی قصة شعيب فی قولهم: ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا [الشعراء: ۱۵۴] وَ ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا [الشعراء: ۱۸۶]؟ قلنا: الفرق بينهما أنه عند إثبات الواو المقصود معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسخير و البشرية، و عند حذف الواو المقصود معنى واحد مناف لها و هو كونه مسحرا ثم قرروا التسخير بالبشرية، كذا أجاب الزمخشری رحمه اللّه. [۷۸۸] فإن قيل: كيف قال تعالى فی وصف الكهنة و المتنبئة كشق و سطيح و مسيلمة وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ [الشعراء: ۲۲۳] بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاک أثيم، و الأفاک الكذاب، و الأثيم الفاجر، و يلزم من هذا أن

يكون كلهم كذابين؟ قلنا: الضمير فى قوله: وَ أَكْثَرُهُمْ عائد إلى الشياطين لا إلى كل أفاك. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۴

سورة النمل

سورة النمل [۷۸۹] فإن قيل: ما فائدة تنكير الكتاب فى قوله تعالى: وَ كِتابٍ مُبِينٍ [النمل: ۱]؟ قلنا: فائدته التفخيم و التعظيم كقوله تعالى: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ [القمر: ۵۵]. [۷۹۰] «۱» فإن قيل: العطف يقتضى المغايرة، فكيف عطف الكتاب المبين على القرآن و المراد به القرآن؟ قلنا: قيل إن المراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ، فعلى هذا لا إشكال؛ و على القول الآخر فنقول: العطف يقتضى المغايرة مطلقا إما لفظا و إما معنى؛ بدليل قول الشاعر: فألفى قولها كذبا و مينا و قولهم: جاءنى الفقيه و الظريف، و المغايرة لفظا ثابتة. [۷۹۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ [النمل: ۴] و قال تعالى فى موضع آخر وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ [النمل: ۲۴]. قلنا: تزيين اللّه تعالى لهم الأعمال بخلقه الشهوة و الهوى و تركيبها فيهم، و تزيين الشيطان بالوسوسة و الإغواء و الغرور و التمنية، فصحت الإضافتان. [۷۹۲] فإن قيل: كيف قال هنا سَآتِيكُمْ [النمل: ۷] و قال فى سورة طه لَعَلِّي آتِيكُمْ [طه: ۱۰] و أحدهما قطع و الآخر ترجّ و القصة واحدة؟ قلنا: قد يقول الراجى إذا قوى رجاؤه سأفعل كذا، و سيكون كذا مع تجويزه الخيبة. [۷۹۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ [النمل: ۸] مع أنه لم

(____ ۱) ([۷۹۰]) تمام البيت: فقدّدت الأديم لراهشيه فألفى قولها كذبا و مينا و هو لعدى بن زيد فى ديوانه: ۱۸۳. و يروى: و قدّدت بدل فقدّدت. و يروى: و قدّمت، كما جاء فى معانى الفرّاء. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۵ يكن فى النار أحد، بل لم يكن المرئى نارا، و إنما كان نورا فى قول الجمهور، و قيل: كان نارا ثم انقلب نورا؟ قلنا: قال ابن عباس و الحسن رضى اللّه عنهما: معناه قدس من ناداه من النار و هو اللّه عزّ و جلّ، لا على معنى أن اللّه تعالى يحل فى شيء؛ بل على معنى أنه أسمعه النداء من النار فى زعمه. الثانى: أن من زائدة؛ و التقدير بورك فى النار و فيمن حولها، و هو موسى عليه السلام و الملائكة. الثالث: أن معناه بورك من فى طلب النار؛ و هو موسى عليه السلام. [۷۹۴] فإن قيل: إنما يقال بارك اللّه على كذا، و لا يقال بارك اللّه كذا؟ قلنا: قال الفراء: العرب تقول باركه اللّه و بارك فيه و بارك عليه بمعنى واحد، و منه قوله تعالى: وَ بارَكْنا عَلَيْهِ وَ عَلى إِسْحاقَ [الصافات: ۱۱۳] و لفظ التحيات: و بارك على محمد و على آل محمد. [۷۹۵] فإن قيل: ما وجه صحة الاستثناء فى قوله تعالى: إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ [النمل: ۱۰، ۱۱] الآية؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه استثناء منقطع بمعنى لكن. الثانى: أنه استثناء متصل، كذا قاله الحسن و قتادة و مقاتل رحمهم اللّه، و معناه: إلا من ظلم منهم بارتكاب الصغيرة كآدم و يونس و داود و سليمان و إخوة يوسف و موسى و غيرهم صلوات اللّه و سلامه عليهم، فإنه يخاف مما فعل مع علمه أنى غفور رحيم، فيكون تقدير الكلام: إلا من ظلم منهم فإنه يخاف فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم؛ و لهذا قال بعضهم: إن هنا وقفا على قوله: إِلَّا مَنْ ظَلَمَ و ابتداء الكلام الثانى محذوف كما قدرنا. الثالث: أن «إلا» بمعنى و لا، كما فى قوله تعالى: لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [البقرة: ۱۵۰] أى و لا الذين ظلموا منهم. الرابع: أن تقديره: أنى لا يخاف لدىّ المرسلون و لا غير المرسلين إِلَّا مَنْ ظَلَمَ الآية. [۷۹۶] فإن قيل: كيف قال سليمان عليه السلام عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينا [النمل: ۱۶] بنون العظمة و هو من كلام المتكبرين؟ قلنا: لم يرد به نون العظمة، و إنما أراد به نون الجمع و عنى نفسه و أباه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۶ الثانى: أنه كان ملكا مع كونه نبيا فراعى سياسة الملك و تكلم بكلام الملوك. [۷۹۷] فإن قيل: كيف حل له تعذيب الهدهد حتّى قال: لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً [النمل: ۲۱]؟ قلنا: لعل ذلك أبيح له خاصة كما خص بفهم منطق الطير و تسخيره له و غير ذلك. [۷۹۸] فإن قيل: كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان عليه السلام حتى قال و لها عرش عظيم؟ قلنا: يجوز أنه استصغر حالها بالنسبة إلى حال سليمان، فاستعظم لها ذلك العرش. الثانى: أنه يجوز أن لا يكون لسليمان مثله و إن عظمت مملكته فى كل شيء كما يكون لبعض الأمراء شيء لا يكون للملك مثله. [۷۹۹] فإن قيل: كيف قال الهدهد وَ

أَوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ٢٣] مع قول سليمان صلوات اللّه و سلامه عليه وَ أَوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [النمل: ١۶] فكأنه سوّى بينهما؟ قلنا: بينهما فرق؛ و هو أن الهدهد أراد به، و أوتيت من كلّ شـيء من أسـباب الدنيا؛ لأنه عطف على الملك، و سـليمان أراد به و أوتينا من كـل شـيء من أسباب الـدين و الـدنيا و يؤيـد ذلك عطفه على المعجزة و هى منطق الطير. [٨٠٠] فـإن قيل: كيف سوّى الهدهـد بين عرشـها و عرش اللّه تعـالى فى الوصف بـالعظم حتى قال: وَ لَها عَرْشٌ عَظِيمٌ [النمل: ٢٣]، و قـال: رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [النمل: ٢۶]؟ قلنا: بين الوصـفين بون عظيم؛ لأنّه وصف عرشـها بـالعظم بالنسبة إلى عروش أبنـاء جنسـها من الملوك، و وصف عرش اللّه تعالى بالعظم بالنسبة إلى مـا خلق من السـموات و الأرض و ما بينهما. [٨٠١] فـإن قيـل: قوله تعـالى: فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ ما ذا يَرْجِعُونَ [النمل: ٢٨] إذا تولى عنهم، فكيف يعلم جوابهم؟ قلنـا: معنـاه ثم تول عنهم مسـتترا من حيث لا يرونك فانظر ما ذا يرجعون. الثانى: أن فيه تقـديما و تـأخيرا تقـديره: فـانظر ما ذا يرجعون ثم تول عنهم. [٨٠٢] فإن قيل: كيف اسـتجاز سـليمان عليه السـلام تقديم اسمه فى الكتـاب على اسم اللّه تعـالى حتى كتب فيه إِنَّهُ مِنْ سُـلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ [النمـل: ٣٠]. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٣٧ قلنـا: لأـنه عرف أنهـا لاـ تعرف اللّه تعـالى و تعرف سـليمان، فخاف أن تسـتخف باسم اللّه تعالى إذا كان أول ما يقع نظرها عليه، فجعل اسـمه وقاية لاسم اللّه تعالى. و قيل: إن اسم سـليمان كان على عنوانه، و اسم اللّه تعالى كان فى أول طيه. [٨٠٣] فإن قيل: كيف يجوز أن يكون آصف و هو كـاتب سـليمان عليه السـلام و وزيره و ليس بنبى يقـدر على مـا لاـ يقـدر عليه النبى، و هو إحضـار عرش بلقيس فى طرفـة عين؟ قلنا: يجوز أن يخص غير الرسول بكرامـة لا يشاركه فيها الرسول، كما خصت مريم بأنها كانت ترزق من فاكهة الجنة و زكريا لم يرزق منها، و كما أن سـليمان صـلوات اللّه عليه خرج مع قومه يستسقون فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السـماء تستسـقى، فقال لقومه: ارجعوا فقد سـقيتم بدعوة غيركم، و لم يلزم من ذلك فضلها على سليمان. و قد نقل أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان إذا أراد الخروج إلى الغزوات قال لفقراء المهاجرين و الأنصار: ادعوا لنا بالنصرة، فإن اللّه تعالى ينصرنا بدعائكم، و لم يكونوا أفضل منه صـلّى اللّه عليه و سـلّم، مع أن كرامة التابع من جملة كرامات المتبوع. قالوا: و العلم الذى كان عنده هو اسم اللّه الأعظم، فـدعا به فأجيب فى الحال، و هو عند أكثر العلماء كما قال البندنيجى اسم اللّه. ثم، قيل: هو يا حى يا قيوم، و قيل: يا ذا الجلال و الإكرام، و قيل: يا اللّه يا رحمن، و قيل: يا إلهنا و إله كل شـىء إلها واحـدا لا إله إلا أنت، فمن أخلص النية و دعا بهذه الكلمات مع اسـتجماع شرائط الدعاء المعروفة فإنه يجاب لا محالة. [٨٠۴] فإن قيل: كيف قالت: وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ [النمل: ۴۴] و هى إنما أسلمت بعده على يده لا معه؛ لأنّه كان مسلما قبلها؟ قلنا: إنما عدلت عن تلك العبارة إلى هذه لأنها كانت ملكة، فلم تر أن تـذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسـلامها على يده و إن كان الواقع كذلك. [٨٠۵] فـإن قيل: كيف يكونون صادقين و قد جحـدوا ما فعلوا، فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟ قلنا: كأنهم اعتقـدوا أنهم إذا جمعوا بين البيانين ثم قالوا: ما شَـهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِهِ [النمل: ۴٩] يعنون ما شـهدناه وحده كانوا صادقين، لأنهم شـهدوا مهلكه و مهلك أهله. [٨٠۶] فـإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ [النمل: ۶۵] و نحن نعلم الجنـة و النار و أحوال القيامة و كلها غيب؟ قلنا: معناه لا يعلم الغيب بلاـ دليـل إلا اللّه أو بلا معلم إلا اللّه، أو جميع الغيب إلا اللّه. و قيل معناه: لا يعلم ضـمائر السـموات و الأرض إلا اللّه. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٣٨ [٨٠٧] «١» فـإن قيـل: قوله تعالى: بَلِ ادّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ [النمل: ۶۶] أو أدرك على اختلاـف القراءتين، هل مرجع الضـمير فيه و فيما قبله واحد أم لا؟ و كيف مطابقة الإضـراب لما قبله، و مطابقته لما بعده من الإضـرابين؟ و كيف وصفهم بنفى الشعور ثم بكمال العلم ثم بالشك ثم بالعمى؟ قلنا: مرجع الضمير فى قوله تعالى: بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ هو الكفار فقط، و فيما قبله جميع من فى السـموات و الأـرض، و قوله تعـالى: بَلِ ادّارَكَ معنـاه بـل تتـابع و تلاـحق و اجتمع كقوله تعـالى: حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها جَمِيعاً [الأعراف: ٣٨] و أصـله تـدارك، فـأدغم التاء فى الـدال، و قوله تعالى: (بَلِ ادَّارَكَ) معناه بل كمل و انتهى. قال ابن عباس رضـى اللّه عنهما: يريـد ما جهلوه فى الدنيا علموه فى الآخرة. و قال السدّى: يريد اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشـكوا و لم يختلفوا. و قال مقاتل: يريـد علموا فى الآخرة ما شـكوا فيه و عموا عنه فى الدنيا، و قوله تعالى: بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْها [النمل: ۶۶] معناه: بل هم اليوم فى شك

من الساعة بَلْ هُمْ مِنْها عَمُونَ [النمل: ۶۶] جمع عم و هو أعمى القلب. و مطابقة الإضراب الأول لما قبله أن الذين لا يشعرون وقت البعث لما كانوا فريقين: فريق منهم لا يعلمون وقت البعث مع علمهم أنه يوجد لا محالة و هم المؤمنون، و فريق منهم لا يعلمون وقته لإنكارهم أصل وجوده أفرد الفريق الثانى بالذكر بقوله تعالى: بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِی الْآخِرَةِ تأكيدا لنفى علمهم فى الدنيا، كأنه تعالى قال: بل فريق منهم لا يعلمون شيئا من أمر البعث فى الدنيا أصلا، ثم أضرب عن الإخبار بتتابع علمهم و تلاحقه بحقيقة البعث فى الآخرة إلى الإخبار عن شكهم فى الدنيا فى أمر البعث و الساعة؛ مع قيام الأدلة الشرعية على وجودها لا محالة، و أما وصفهم بنفى الشعور ثمّ بكمال العلم ثم بالشك ثم بالعمى فلا تناقض فيه، لاختلاف الأزمنة، أو لاختلاف متعلقات تلك الأمور الأربعة، و هى الشعور و العلم و الشك و العمى. [۸۰۸] فإن قيل: قضاء اللّه تعالى و حكمه واحد فما معنى قوله: إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بِحُکْمِهِ [النمل: ۷۸] و هو بمنزلة قوله تعالى: إِنَّ رَبَّکَ یَقْضِی بَیْنَهُمْ بقضائه أو يحكم بينهم بحكمه. قلنا: معناه بما يحكم به و هو عدله المعروف المألوف؛ لأنه لا يقضى إلا بالحق و بالعدل، فسمى المحكوم به حكما. و قيل: معناه بحكمته؛ و يدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (________________________________. ۱) ([۸۰۷])

السدّى: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدّى، تابعى. أصله من الحجاز. استوطن الكوفة. و توفى سنة ۱۲۸ ه. كان مفسّرا و راوية للأخبار و الحوادث. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۳۹ [۸۰۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَ لَمْ یَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّیْلَ لِیَسْکُنُوا فِیهِ وَ النَّهارَ مُبْصِراً [النمل: ۸۶] و لم يراع المقابلة بقوله تعالى: وَ النَّهارَ مُبْصِراً فيه؟ قلنا: راعى المقابلة المعنوية دون اللفظية؛ لأن معنى مبصرا ليبصروا فيه، و قد سبق ما يشبه هذا فى قوله تعالى: وَ آتَیْنا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً [الإسراء: ۵۹]. [۸۱۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ [النمل: ۸۶]؛ مع أن فى ذلك علامات على وحدانية اللّه تعالى لجميع العقلاء؟ قلنا: إنما خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم. [۸۱۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ فَفَزِعَ [النمل: ۸۷] و لم يقل فيفزع و هو أظهر مناسبة؟ قلنا: أراد بذلك الإشعار بتحقق الفزع و ثبوته و أنه كائن لا محالة؛ لأن الفعل الماضى يدل على الثبوت و التحقق قطعا. [۸۱۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ کُلٌّ أَتَوْهُ داخِرِینَ [النمل: ۸۷] أى صاغرين أذلاء بعد البعث، مع أن النبيين و الصديقين و الشهداء يأتونه عزيزين مكرمين؟ قلنا: المراد به صغار العبودية و الرّق و ذلهما لا ذل الذنوب و المعاصى، و ذلك يعم الخلق كلهم، و نظيره قوله تعالى: إِنْ کُلُّ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتِی الرَّحْمنِ عَبْداً [مريم: ۹۳]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۰

سورة القصص

سورة القصص [۸۱۳] فإن قيل: ما فائدة وحى اللّه تعالى إلى أم موسى عليه السلام بإرضاعه و هى ترضعه طبعا سواء أمرت بذلك أم لا؟ قلنا: أمرها بإرضاعه ليألف لبنها فلا يقبل ثدى غيرها بعد وقوعه فى يد فرعون، فلو لم يأمرها بإرضاعه ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت ذلك المقصود. [۸۱۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَإِذا خِفْتِ عَلَیْهِ فَأَلْقِیهِ فِی الْیَمِّ وَ لا تَخافِی [القصص: ۷] و الشرط الواحد إذا تعلق به جزاءان صدق مع كل واحد منهما وحده، فيئول هذا إلى صدق قوله: فإذا خفت عليه فلا تخافى، و أنه يشبه التناقض. قلنا: معناه فإذا خفت عليه من القتل فألقيه فى اليم و لا تخافى عليه من الغرق، و لا تناقض بينهما. [۸۱۵] فإن قيل: ما الفرق بين الخوف و الحزن حتى عطف أحدهما على الآخر فى قوله تعالى: وَ لا تَخافِی وَ لا تَحْزَنِی [القصص: ۷]؟ قلنا: الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه فى المستقبل، و الحزن غم يصيبه لأمر قد وقع و مضى. [۸۱۶] «۱» فإن قيل: كيف جعل موسى عليه السلام قتله القبطى الكافر من عمل الشيطان، و سمى نفسه ظالما و استغفر منه؟ قلنا: إنما جعله من عمل الشيطان لأنه قتله قبل أن يؤذن له فى قتله، فكان ذلك ذنبا يستغفر منه مثله. قال ابن جريج: ليس لنبى أن يقتل ما لم يؤمر. [۸۱۷] فإن قيل: إن موسى عليه السلام ما سقى لابنتى شعيب عليه السلام طلبا للأجر، فكيف أجاب دعوتها لما قالت: إِنَّ أَبِی یَدْعُوکَ لِیَجْزِیَکَ أَجْرَ ما سَقَیْتَ لَنا [القصص: ۲۵]؟

(________________________________۱) ([۸۱۶]) ابن جريج: هو عبد

الملک بن عبد العزیز بن جریج، أبو الولید. کان فقیه الحرم المکی، من موالی قریش. ولد سنة ۸۰ ه بمکة و توفی بها سنة ۱۵۰ ه. یقال إنّه أوّل من صنّف فی مکة. کان محدّثا و أخذ عنه أنه یدلّس. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۱ قلنا: یجوز أن یکون قد أجاب دعوتها و دعوة أبیها لوجه اللّه تعالی علی سبیل البر و المعروف ابتداء لا علی سبیل الإجزاء و إن سمته هی إجزاء، و یؤید هذا ما روی أنه لما قدم إلیه الطعام امتنع و قال: إنا أهل بیت لا نبیع دیننا بطلاع الأرض ذهبا، و لا نأخذ علی المعروف أجرا حتی قال له شعیب علیه السلام: هذه عادتنا مع کل من ینزل بنا. [۸۱۸] فإن قیل: کیف قال له شعیب علیه السلام: إِنِّی أُرِیدُ أَنْ أُنْکِحَکَ إِحْدَی ابْنَتَیَّ هاتَیْنِ [القصص: ۲۷] و مثل هذا النکاح لا یصح لجهالة المنکوح، و النبی علیه السلام لا ینکح نکاحا فاسدا، و لا یعتد به؟ قلنا: إنما کان ذلک وعدا بنکاح معینة عند الواعد و إن کانت مجهولة عند الموعود و مثله جائز، و یکون التعیین عند إنجاز الوعد کما وقع منه. [۸۱۹] فإن قیل: کیف قال تعالی هنا وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ [القصص: ۳۲] فجعل الجناح هنا مضموما و قال فی سورة طه وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلی جَناحِکَ [طه: ۲۲] فجعل الجناح هناک مضموما إلیه و القصة واحدة؟ قلنا: المراد بالجناح المضموم هنا هو الید الیمنی، و المراد بالجناح المضموم إلیه فی سورة طه ما بین العضد إلی الإبط من الید الیسری فلا تناقض بینهما. [۸۲۰] «۱» فإن قیل: ما معنی قوله تعالی: وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ؟ قلنا: لما رهب من الحیة أمره اللّه تعالی أن یضم إلیه جناحه لیذهب عنه الفزع، و إنما قال تعالی: مِنَ الرَّهْبِ؛ لأنه جعل الرهب الذی أصابه علة و سببا لما أمر به من ضم الجناح. قال مجاهد: کل من فزع من شیء فضم جناحه إلیه ذهب عنه الفزع. و قیل: حقیقة ضم الجناح غیر مرادة؛ بل هو مجاز عن تسکین الروع و تثبیت

(____ ۱) ([۸۲۰]) أبو علی: لعلّ المراد هو أبو علی الفارسی أو هو إسماعیل بن القاسم بن عیذون بن هارون بن عیسی بن محمد بن سلیمان، أبو علی القالی، حافظ للغة و الشعر و الأدب. ولد فی منازجرد سنة ۲۸۸ ه. رحل إلی العراق، و درس فی بغداد، و أقام بها ربع قرن. ثم، رحل إلی المغرب سنة ۳۲۸ ه، و دخل الأندلس و استوطنها علی أیام عبد الرحمن الناصر. توفی بقرطبة سنة ۳۵۶ ه. من مؤلفاته: النوادر (و هو المعروف بأمالی القالی)، البارع، المقصور، و الممدود و المهموز، الأمثال، الخ. - هذا الشطر من جملة أبیات تمثّل بها أمیر المؤمنین علی لیلة ضربه ابن ملجم- علیه لعنة اللّه- بالسّیف غدرا. و تمام البیت: اشدد حیازیمک للمو ت فإن الموت لاقیک و بعده: و لا تجزع من المو ت إذا حلّ بنادیک أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۲ الجأش. قال أبو علی: لم یرد به الضم بین شیئین، و إنما أمر بالعزم و الجد فی الإتیان بما طلب منه، و مثله قولهم: اشدد حیازیمک للموت .... فلیس فیه شد حقیقة. و قیل: فی الآیة تقدیم و تأخیر تقدیره: ولّی مدبرا من الرّهب. [۸۲۱] فإن قیل: أیّ فائدة فی تصدیق هارون لموسی علیهما السلام؛ حتّی قال: فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی [القصص: ۳۴]؟ قلنا: لیس مراده بقوله ردءا یصدقنی أن یقول له صدقت فی دعوی الرسالة فإن ذلک لا یفیده عند فرعون و قومه الذین کانوا لا یصدقونه مع وجود تلک الآیة الباهرة و المعجزات الظاهرة؛ بل مراده أن یلخص حججه بلسانه، و یبسط القول فیها ببیانه، و یجادل عنه بالحق، فیکون ذلک سببا لتصدیقه. أ لا تری إلی قوله: وَ أَخِی هارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّی لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعِی رِدْءاً یُصَدِّقُنِی [القصص: ۳۴]. و فضل الفصاحة إنما یحتاج إلیه لما قلنا لا لقوله صدقت، فإن سحبان وائل و باقلا فی ذلک سواء. [۸۲۲] فإن قیل: قوله تعالی: وَ ما کُنْتَ بِجانِبِ الْغَرْبِیِّ إِذْ قَضَیْنا إِلی مُوسَی الْأَمْرَ [القصص: ۴۴] أی أحکمنا إلیه الوحی مغن عن قوله تعالی: وَ ما کُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِینَ [القصص: ۴۴] أی من الحاضرین عند ذلک؟ قلنا: معناه و ما کنت من الشاهدین قصته مع شعیب علیه السلام فاختلفت القضیتان. [۸۲۳] فإن قیل: کیف قال تعالی: إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ [القصص: ۵۰] و کم رأینا من الظالمین بالکفر و الکبائر من قد هداه اللّه للإسلام و التوبة؟ قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فی سورة المائدة. [۸۲۴] فإن قیل: کیف قال تعالی: وَ رَأَوُا الْعَذابَ لَوْ أَنَّهُمْ کانُوا یَهْتَدُونَ [القصص: ۶۴] و إنما یری العذاب من کان ضالا لا مهتدیا. قلنا: جواب لو محذوف تقدیره و رأوا العذاب لو أنهم کانوا یهتدون لما اتبعوهم أو لما رأوا العذاب. [۸۲۵] فإن قیل: کیف قال تعالی فی آخر آیة اللیل بِضِیاءٍ أَ فَلا تَسْمَعُونَ [القصص: ۷۱] و قال فی آخر آیة النهار بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ أَ فَلا تُبْصِرُونَ [القصص: ۷۲]؟ قلنا: السماع و الإبصار المذکوران لا تعلق لهما بظلمة اللیل و لا

بضياء النهار، فلذلك لم يقرن الإبصار بالضياء؛ و بيانه أن معنى الآيتين أ فلا يسمعون القرآن سماع أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۳ تأمل و تدبر فيستدلوا بما فيه من الحجج على توحيد اللّه تعالى، أ فلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ و الضلالة. [۸۲۶] فإن قيل: كيف وجه صحة الاستثناء فى قوله تعالى: إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ [القصص: ۸۶]؟ قلنا: قال الفراء: هو استثناء منقطع تقديره رحمة من ربك، أى للرحمة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۴

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت [۸۲۷] فإن قيل: قال تعالى: وَ ما هُمْ بِحامِلِينَ مِنْ خَطاياهُمْ مِنْ شَيْ‌ءٍ [العنكبوت: ۱۲] ثم قال: وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالًا مَعَ أَثْقالِهِمْ [العنكبوت: ۱۳]؟ قلنا: معناه و ما الكافرون بحاملين شيئا من خطايا المؤمنين التى ضمنوا حملها، و ليحملن الكافرون أثقال أنفسهم و هى ذنوب ضلالهم، و أثقالا مع أثقالهم و هى ذنوب إضلالهم غيرهم من الكفار، لا خطايا المؤمنين التى نفى عنهم حملها؛ و قد سبق نظير هذا فى قوله تعالى: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى [الأنعام: ۱۶۴] فى سورة الأنعام و فى سورة بنى إسرائيل. [۸۲۸] فإن قيل: ما فائدة العدول عن قوله «تسعمائة و خمسين عاما» إلى قوله: أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً [العنكبوت: ۱۴] مع أن عادة أهل الحساب هو اللفظ الأول؟ قلنا: لما كانت القصة مسوقة لتسلية النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم بذكر ما ابتلى به نوح عليه السلام من أمّته و كابده من طول مصابرتهم، كان ذكر أقصى العدد الذى لا عقد أكثر منه فى مراتب العدد أفخم و أعظم إلى الغرض المقصود، و هو استطالة السامع مدة صبره. و فيه فائدة أخرى و هى نفى و هم إرادة المجاز بإطلاق لفظ التسعمائة و الخمسين على أكثرها، فإن هذا الوهم مع ذكر الألف و الاستثناء منتف أو هو أبعد. [۸۲۹] فإن قيل: كيف جاء المميز أولا بلفظ السنة و الثانى بلفظ العام؟ قلنا: لأن تكرار اللفظ الواحد مجتنب فى مذهب الفصحاء و البلغاء إلا أن يكون لغرض تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك. [۸۳۰] فإن قيل: كيف نكر الرزق ثم عرفه فى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ [العنكبوت: ۱۷]؟ قلنا: لأنه أراد أنهم لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند اللّه الرزق كله، فإنه هو الرازق وحده لا يرزق غيره. [۸۳۱] فإن قيل: كيف أضمر اسمه تعالى فى قوله عز و جل: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ [العنكبوت: ۲۰] ثم أظهره فى قوله تعالى: ثُمَّ اللَّهُ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۵ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ [العنكبوت: ۲۰] و كان القياس كيف بدأ اللّه الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة؟ قلنا: إنما عدل إلى ما ذكر لتأكيد الإخبار عن الإعادة التى كانت هى المنكرة عندهم بالإفصاح باسمه تعالى فى ذكرها و جعله مبتدأ لزيادة الاهتمام بشأنها؟ [۸۳۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ آتَيْناهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا [العنكبوت: ۲۷] فى معرض المدح أو فى معرض الامتنان عليه، و أجر الدنيا فإن منقطع، بخلاف أجر الآخرة فإنه النعيم المقيم الباقى، فكان الأولى بالذكر؟ قلنا: المراد به: و آتيناه أجره فى الدنيا مضموما إلى أجره فى الآخرة من غير أن ينقص من أجر الآخرة شيئا. قال ابن جرير: و إليه الإشارة بقوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: ۲۷] يعنى له فى الآخرة جزاء الصالحين وافيا كاملا و أجره فى الدنيا، قيل: هو الثناء الحسن من الناس و المحبة من أهل الأديان. و قيل: هى البركة التى بارك اللّه فيه و فى ذريته. [۸۳۳] فإن قيل: كيف قالوا: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ [العنكبوت: ۳۱] يعنون مدينة قوم لوط عليه السلام، و لم يقولوا تلك القرية، مع أن مدينة قوم لوط كانت بعيدة عن موضع إبراهيم صلوات اللّه و سلامه عليه، غائبة عند وقت هذا الخطاب؟ قلنا: إنما قالوا هذه القرية لأنها كانت قريبة حاضرة بالنسبة إليهم و إن كانت بعيدة بالنسبة إلى إبراهيم عليه السلام. [۸۳۴] فإن قيل: كيف قالوا: أَهْلِ هذِهِ الْقَرْيَةِ [العنكبوت: ۳۱] و لم يقولوا أهل هذه القرى؟ مع أن مدائن قوم لوط كانت خمسا فأهلكوا منها أربعا؟ قلنا: إنما اقتصروا فى الذكر على قرية واحدة لأنها كانت أكبر و أقرب و هى سدوم مدينة لوط عليه السلام، فجعلوا ما وراءها تبعا لها فى الذكر. [۸۳۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ [العنكبوت: ۳۸] أى ذوى بصائر، يقال فلان مستبصر: إذا كان عاقلا لبيبا صحيح النظر، و لو كانوا كذلك لما عدلوا عن طريق الهدى إلى طريق الضلال؟ قلنا: معناه و كانوا مستبصرين فى أمور الدنيا، و قيل: معناه و كانوا عارفين الحق بوضوح الحجج و الدلائل؛ و

لكنهم كانوا ينكرونه متابعة للهوى؛ لقوله تعالى: وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا [النمل: ۱۴]. و قيل: معناه و كانوا مستبصرين لو نظروا نظر تدبر و تفكر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۶ [۸۳۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ [العنكبوت: ۴۱] و كل أحد يعلم أن أضعف بيوت يتخذها الهوام بيت العنكبوت؟ قلنا: معناه لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأصنام أولياء من دون اللّه مثل اتخاذ العنكبوت بيتا لما اتخذوها. [۸۳۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ [العنكبوت: ۴۶] و كل أهل الكتاب ظالمون؛ لأنهم كافرون، و لا ظلم أشد من الكفر، و يؤيده قوله تعالى: وَ الْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: ۲۵۴]. قلنا: المراد بالظلم هنا الامتناع عن قبول عقد الذمة و أداء الجزية أو نقض العهد بعد قبوله. الثاني: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ [التوبة: ۲۹] الآية. [۸۳۸] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ [۴۸]؟ قلنا: فائدته تأكيد النفى، كما يقال فى الإثبات للتأكيد. هذا الكتاب مما كتبه فلان بيده و بيمينه، و رأيت فلانا بعينى، و سمعت هذا الحديث بأذنى و نحو ذلك. [۸۳۹] فإن قيل: كيف لم يؤكد سبحانه و تعالى فى التلاوة و لم يقل و ما كنت تتلو من قبله من كتاب بلسانك؟ قلنا: الأصل فى الكلام عدم الزيادة، و كل ما جاء على الأصل لا يحتاج إلى العلة؛ إنما يحتاج إلى العلة ما جاء على خلاف الأصل. [۸۴۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: ۶۹] و معلوم أن المجاهدة فى دين اللّه تعالى أو فى حقّ اللّه تعالى مع النفس الأمارة بالسوء أو مع الشيطان أو مع أعداء الدين؛ كل ذلك إنما يكون بعد تقدم الهداية من اللّه تعالى، فكيف جعل الهداية من ثمرات المجاهدة؟ قلنا: معناه و الذين جاهدوا فى طلب التعلم لنهدينهم سبلنا بمعرفة الأحكام و حقائقها. و قيل: معناه لنهدينهم طريق الجنة. و قيل: معناه و الذين جاهدوا لتحصيل درجة لنهدينّهم إلى درجة أخرى أعلى منها. و حاصله: لنزيدنهم هداية و توفيقا للخيرات كقوله تعالى: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زادَهُمْ هُدىً [محمد: ۱۷] و قوله تعالى: وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً [مريم: ۷۶]. و قال أبو سليمان الدارانى رحمة اللّه عليه: معناه و الذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا. و عن بعض الحكماء: من عمل بما علم وفق لما لا يعلم. و قيل: إن الذى نرى من جهلنا بما لا نعلم هو من تقصيرنا فيما نعلم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۷

سورة الروم

سورة الروم [۸۴۱] فإن قيل: كيف ذكر الضمير فى قوله تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷]، و المراد به الإعادة لسبق قوله: وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ [الروم: ۲۷]؟ قلنا: معناه و رجعه أو ردّه أهون عليه، فأعاد الضمير على المعنى لا ـ على اللفظ، كما فى قوله تعالى: لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً [الفرقان: ۴۹] أى بلدا أو مكانا. [۸۴۲] فإن قيل: كيف أخرت الصلة فى قوله تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷] و قدمت فى قوله تعالى: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ [مريم: ۲۱]؟ قلنا: لأنّ هناك قصد الاختصاص و هو يحسن الكلام، فقيل هو علىّ هين و إن كان مستصعبا عندكم أن يولد بين همّ و عاقر، و أما هنا فلا معنى للاختصاص فجرى على أصله، و الأمر مبنى على ما يعقل الناس من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى. [۸۴۳] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷]، و الأفعال كلها بالنسبة إلى قدرة اللّه تعالى فى السهولة سواء، و إنما تتفاوت فى السهولة و الصعوبة بالنسبة إلى قدرتنا؟ قلنا: معناه و هو هين عليه، و قد جاء فى كلام العرب أفعل بمعنى اسم الفاعل من غير تفضيل، و منه قولهم فى الأذان اللّه أكبر، أى اللّه كبير فى قول بعضهم، و قال الفرزدق: إنّ الّذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعزّ و أطول أى عزيزة طويلة، و قال معن بن أوس المزنى: لعمرك ما أدرى و إنى لأوجل على أيّنا تعدو المنية أوّل

(١) ([۸۴۳]) البيت فى ديوان الفرزدق: ۴۸۹. - سمك: أى رفع. - البيت الثانى فى ديوان معن بن أوس المزنى: ۹۳. - البيت الثالث للأحوص. انظر مجموع شعره ص: ۱۵۲. - البيت الرابع لم نقف على نسبته. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۸ أى و إنى لوجل. و قال آخر: أصبحت أمنحك

الصّدود و إنّنى قسما إليك مع الصّدود لأميل أى لمائل، و قال آخر: تمنّى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد أى بواحد. الثانى: أن معناه، و هو أهون عليه فى تقديركم و حكمكم؛ لأنكم تزعمون و تعتقدون فيما بينكم أن الإعادة أهون من الابتداء، كيف و أن الابتداء من ماء و الإعادة من تراب، و تركيب الصورة من التراب أهون عندكم. الثالث: أن الضمير فى قوله تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷] راجع إلى المخلوق لا إلى اللّه تعالى، معناه: أنه لا صعوبة على المخلوق فيه و لا إبطاء؛ لأنه يعاد دفعة واحدة بقوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ [يس: ۸۲] و فى الابتداء خلق نطفة، ثم نقل إلى مضغة، ثم إلى عظام، ثم إلى كسوة اللحم. الرابع: أن الابتداء من قبيل التفضل الذى لا مقتضى لوجوبه، و الإعادة من قبيل الواجب؛ لأنها لا بدّ منها لجزاء الأعمال. و جزاؤها واجب بحكم وعده سبحانه و تعالى. [۸۴۴] فإن قيل: ما معنى قوله: وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً [الروم: ۳۹]، الآية؛ على اختلاف القراءتين بالمد و القصر. قلنا: قال الحسن رحمه اللّه: المراد به الربا المحرم و الخطاب لدافعى الربا لا لآخذيه. معناه: و ما أعطيتم أكلة الربا من زيادة لتربو و تزكو فى أموالهم فلا تزكو عند اللّه و لا يبارك فيها، و نظيره قوله تعالى: يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَ يُرْبِی الصَّدَقاتِ [البقرة: ۲۷۶] لا فرق بينهما. و قال ابن عباس رضى اللّه عنهما و الجمهور: المراد به أن يهب الرجل غيره هبة أو يهدى إليه هدية على قصد أن يعوّضه أكثر منها. و قالوا: و ليس فى ذلك أجر و لا وزر، و إنما سماه ربا لأنه مدفوع لاجتلاب الربا و هو الزيادة فكان سببا لها فسمى باسمها، و معنى قراءة المد ظاهر، و أما قراءة القصر فمعناها: و ما جئتم، أى و ما فعلتم من إعطاء ربا، كما تقول أتيت خطأ و أتيت صوابا، أى فعلت؛ و قوله تعالى: فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ [الروم: ۳۹] أى ذوو الأضعاف من الحسنات، و هو التفات عن الخطاب إلى الغيبة. [۸۴۵] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: مِنْ قَبْلِهِ [الروم: ۴۹] بعد قوله تعالى: مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ [الروم: ۴۹]؟ قلنا: فائدته التأكيد كما فى قوله تعالى: فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۴۹ [الحجر: ۳۰]. و قيل: الضمير لإرسال الرياح أو السحاب فلا تكرار. [۸۴۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: اللَّهُ الَّذِی خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ [الروم: ۵۴] و الضعف صفة الشىء الضعيف، فكيف يخلق الإنسان من تلك الصفة؛ مع علمنا أنه خلق من عين و هو الماء أو التراب لا من صفة. قلنا: أطلق المصدر و هو الضعف، و أراد به اسم الفاعل و هو الضعيف كقولهم رجل عدل، أى عادل و نحوه؛ فمعناه من ضعيف و هو النطفة. و قيل: معناه على ضعف، فمن بمعنى على، كما فى قوله تعالى: وَ نَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا [الأنبياء: ۷۷] و المراد به ضعف جثة الطفل حال طفوليته. [۸۴۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِی كِتابِ اللَّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ [الروم: ۵۶] و هم إنما لبثوا فى الأرض فى قبورهم؟ قلنا: معناه لقد لبثتم فى قبوركم على ما فى علم كتاب اللّه أو فى خبر كتاب اللّه. و قيل: معناه فى قضاء اللّه. و قيل: فيه تقديم و تأخير تقديره: و قال الذين أوتوا العلم فى كتاب اللّه الذين علموه و فهموه، و ذلك كقوله تعالى: وَ مِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [المؤمنون: ۱۰۰]. [۸۴۸] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [الروم: ۵۷] و قال فى موضع آخر وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت: ۲۴] فجعلهم مرّة طالبين الإعتاب و مرة مطلوبا منهم الإعتاب؟ قلنا: معنى قوله تعالى: وَ لا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ [الروم: ۵۷] أى و لا هم يقالون عثراتهم بالرد إلى الدنيا، و معنى قوله تعالى: وَ إِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ [فصلت: ۲۴]، أى و إن يستقيلوا فما هم من المقالين، هذا ملخص الجواب و حاصله، و قد أوضحنا معناه فى شرح غريب القرآن. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۰

سورة لقمان

سورة لقمان [۸۴۹] فإن قيل: كيف يحل الغناء بعد قوله: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِيثِ [لقمان: ۶] الآية، و قد قال الواحدى فى تفسير وسيطه: أكثر المفسرين على أن المراد بلهو الحديث الغناء. و روى هو أيضا عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «و الّذى نفسى بيده ما رفع رجل قطّ عقيرته يتغنّى إلّا ارتدّ فيه شيطانان يضربان بأرجلهما على ظهره و صدره حتّى يسكت». و قال سعيد بن جبير و مجاهد و ابن مسعود رضى اللّه عنهم: لهو الحديث هو و اللّه الغناء و اشتراء المغنى و المغنية بالمال. و روى أيضا حديثا آخر عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم مسندا «أنه قال فى هذه الآية: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِيثِ [لقمان: ۶] اللّعب و الباطل كثير

النفقة سمح فیه؛ لا تطیب نفسه بدرهم یتصدّق به». و روی أیضا حدیثا آخر مسندا عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قال: «من ملأ سمعه من غناء لم یؤذن له أن یسمع صوت الرّوحانیین یوم القیامة. قیل: و ما الرّوحانیون؟ قال: قرّاء أهل الجنّة». قال أهل المعانی: و یدخل فی هذا کلّ من اختار اللهو و اللعب و المزامیر و المعازف علی القرآن و إن کان اللفظ ورد بالاشتراء، لأنّ هذا اللفظ یذکر فی الاستبدال و الاختیار کثیرا. و قال قتادة رحمه اللّه: حسب المرء من الضلالة أن یختار حدیث الباطل علی حدیث الحق. هذا کله نقله الواحدی رحمه اللّه، و کان من کبار السلف فی العلم و العمل. و قال غیره: قال ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و سعید بن جبیر و عکرمة و قتادة: المراد بلهو الحدیث الغناء. و عن الحسن رحمه اللّه تعالی أنه کل ما ألهی عن اللّه تعالی. و فی معنی یشتری قولان: أحدهما: أنه الشراء بالمال. و الثانی، أنه الاختیار کما مرّ. و قیل: الغناء منفدة للمال، مفسدة للقلب، مسخطة للرب. قلنا: جوابه أنهم یؤولون هذه الآیة و نظائرها، و هذه الأحادیث و نظائرها، فیصرفونها عن ظاهرها متابعة للهوی و میلا إلی الشهوات، و لو نظروا بعقولهم فیما ینشأ عن جمعیات السماع فی زماننا هذا من المفاسد لعلموا حرمته بلا خلاف بین المسلمین، فإن شروط إباحة السماع عند من أباحه لا تجتمع فی زماننا هذا علی ما هو أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۱ مسطور فی کتب المشایخ و أرباب الطریق، و لو اشتغلنا بتفصیل مفاسده و عدد شروطه عند من أباحه لخرجنا عن مقصود کتابنا هذا. [۸۵۰] فإن قیل: کیف وقع قوله تعالی: وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ [لقمان: ۱۴] الآیتین، فی أثناء وصیة لقمان لابنه، و ما الجامع بینهما؟ قلنا: هی جملة وقعت معترضة علی سبیل الاستطراد تأکیدا لما فی وصیة لقمان من النهی عن الشرک. [۸۵۱] «۱» فإن قیل: قوله تعالی: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ [لقمان: ۱۴] کیف اعترض بین الوصیة و مفعولها؟ قلنا: لما وصّی بالوالدین ذکر ما تکابده الأم خاصة و تعانیه من المشاق و المتاعب تخصیصا لها بتأکید الوصیة و تذکیر تعظیم حقها بإفرادها بالذّکر، و من هنا قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم لمن قال له: من أبر؟ قال: «أمّک ثمّ أمّک ثمّ أمّک»، ثم قال بعد ذلک «ثمّ أباک». [۸۵۲] فإن قیل: کیف قال تعالی: إِنَّ أَنْکَرَ الْأَصْواتِ لَصَوْتُ الْحَمِیرِ [لقمان: ۱۹] فجمع الأصوات و أفرد صوت الحمیر. قلنا: لیس المراد ذکر صوت کل واحد من آحاد هذا الجنس، حتّی یجمع، و إنما المراد أن کل جنس من الحیوان الناطق و غیره له صوت؛ و أنکر الأصوات من هذه الأجناس صوت هذا الجنس؛ فوجب إفراده لئلّا یظن أن الاجتماع شرط فی ذلک. [۸۵۳] فإن قیل: قوله تعالی وَ لَوْ أَنَّ ما فِی الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ [لقمان: ۲۷] یطابقه و ما فی الأبحر من ماء مداد فکیف عدل عنه إلی قوله: وَ الْبَحْرُ یَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ [لقمان: ۲۷]؟ قلنا: استغنی عن ذکر المداد بقوله یمده، لأنه من قولک مد الدواة و أمدها: أی زادها مدادا، فجعل البحر المحیط بمنزلة الدواة، و الأبحر السبعة مملوءة مدادا تصب فیه أبدا صبا لا ینقطع، فصار نظیر ما ذکرتم، و نظیره قوله تعالی: قُلْ لَوْ کانَ الْبَحْرُ مِداداً لِکَلِماتِ رَبِّی [الکهف: ۱۰۹] الآیة. [۸۵۴] فإن قیل: کیف قال: مِنْ شَجَرَةٍ [لقمان: ۲۷] و لم یقل من شجر؟ قلنا: لأنه أراد تفصیل الشجر و تقصیها شجرة شجرة حتی لا یبقی من جنس الشجر شجرة واحدة إلا و قد بریت أقلاما (______________________________ . ۱) ([۸۵۱]) الحدیث

فی مسند أحمد: ۵/ ۳. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۲ [۸۵۵] فإن قیل: الکلمات جمع قلّة و المقصود التفخیم و التعظیم، فکان جمع الکثرة و هو الکلم أشد مناسبة؟ قلنا: جمع القلّة هنا أبلغ فیما ذکرتم من المقصود؛ لأن جمع القلة إذا لم یفن بتلک الأقلام و ذلک المداد، فکیف یفنی جمع الکثرة. [۸۵۶] فإن قیل: فی قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ [لقمان: ۱. ۵] الآیة کیف أضاف فیها العلم إلی نفسه فی الأمور الثلاثة من الخمسة المغیبات، و نفی العلم عن العباد فی الأمرین الآخرین، مع أنه الأمور الخمسة سواء فی اختصاص اللّه تعالی بعلمها و انتفاء علم العباد بها؟ قلنا: إنما خص الأمور الثلاثة الأول بالإضافة إلیه تعظیما لها و تفخیما؛ لأنها أجل و أعظم، و إنما خص الأمرین و الآخرین بنفی علمیهما عن العباد، لأنهما من صفاتهم و أحوالهم، فإذا انتفی علم علمهما کان انتفاء علم ما عداهما من الأمور الخمسة أولی. [۸۵۷] فإن قیل: کیف قال تعالی: وَ ما تَدْرِی نَفْسٌ بِأَیِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان: ۳۴] و لم یقل بأی وقت تموت و کلاهما غیر معلوم، بل نفی العلم بالزمان أولی، لأن من الناس من یدّعی علمه و هم المنجمون، بخلاف المکان فإن أحد لا یدعی علمه؟ قلنا: إنما خص المکان بنفی علمه لوجهین: أحدهما: أن الکون فی مکان دون مکان فی وسع الإنسان و اختیاره،

فیکون اعتقاده علم مکان الموت أقرب بخلاف الزمان. الثانی: أن للمکان تأثیرا فی جنب الصحهٔ و السقم بخلاف الزمان، أو تأثیر المکان فی ذلک أکثر. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۳

سورهٔ السجدهٔ

سورهٔ السجدهٔ [۸۵۸] فإن قیل: کیف قال تعالی، هنا: یُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَی الْأَرْضِ ثُمَّ یَعْرُجُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَهٍٔ مِمَّا تَعُدُّونَ [السجدهٔ: ۵]، و قال تعالی، فی سورهٔ المعارج: تَعْرُجُ الْمَلائِکَهُٔ وَ الرُّوحُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کانَ مِقْدارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍٔ [المعارج: ۴]؟ قلنا: المراد بالأول مسافهٔ عروج الملائکهٔ من الأرض إلی السطح الأعلی من سماء الدنیا و ذلک ألف سنهٔ، خمسمائهٔ سنهٔ مسافهٔ ما بین السماء و الأرض و خمسمائهٔ سنهٔ مسافهٔ سمک سماء الدنیا، و المراد بالثانی مسافهٔ عروج الملائکهٔ من الأرض إلی العرش. الثّانی: أن المراد به فی الآیتین یوم القیامهٔ، و مقداره ألف سنهٔ من حساب أهل الدنیا لقوله تعالی: وَ إِنَّ یَوْماً عِنْدَ رَبِّکَ کَأَلْفِ سَنَهٍٔ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج: ۴۷] و معنی قوله تعالی: خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍٔ [المعارج: ۴]، أی لو تولی فیه حساب الخلق غیر اللّه تعالی. الثّالث: أنه کألف سنهٔ فی حقّ عوام المؤمنین، و الخمسین ألف سنهٔ فی حق الکافرین لشدهٔ ما یکابدون فیه من الأهوال و المحن، و کساعهٔ من أیام الدنیا فی حق خواص المؤمنین. و یؤیده ما روی أنه قیل: «یا رسول اللّه یوم مقداره خمسون ألف سنهٔ ما أطوله، فقال: و الذی نفسی بیده لیخفف علی المؤمنین حتی یکون علیه أخف من صلاهٔ مکتوبهٔ یصلیها فی الدنیا». و روی أن ابن عباس رضی اللّه عنهما سئل عن هاتین الآیتین؟ فقال: یومان ذکرهما اللّه تعالی فی کتابه، و إنی أکره أن أقول فی کتاب اللّه بما لا أعلم. [۸۵۹] «۱» فإن قیل: کیف قال تعالی: الَّذِی أَحْسَنَ کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ [السجدهٔ: ۷] أو کُلَّ شَیْءٍ خَلَقَهُ [السجدهٔ: ۷] علی اختلاف القراءتین، و مقتضی القراءتین أن لا یکون فی مخلوقات اللّه تعالی شیء قبیح و الواقع خلافه، و لو لم یکن إلا الشرور و المعاصی فإنها مخلوقهٔ للّه تعالی عند أهل السنهٔ و الجماعهٔ مع أنها قبیحهٔ (____؟ ۱) ([۸۵۹])

کلمهٔ الإمام علیّ فی نهج البلاغهٔ، قصار الحکم، رقم ۸۱. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۴ قلنا: أحسن بمعنی أحکم و أتقن، و هذا الجواب یعم القراءتین. الثانی: أن فیه إضمارا تقدیره: أحسن إلی کل شیء خلقه. الثالث: أن أحسن بمعنی علم کما یقال فلان لا یحسن شیئا: أی لا یعلم شیئا. و قال علی کرّم اللّه وجهه: «قیمهٔ کلّ امرئ ما یحسنه»، أی ما یعلمه؛ فمعناه أنه علم خلق کل شیء، أو علم کل شیء خلقه و لم یتعلمه من أحد؛ و هذان الجوابان یخصّان بقراءهٔ فتح اللام. [۸۶۰] فإن قیل: کیف قال تعالی، هنا: مِنْ سُلالَهٍٔ مِنْ ماءٍ مَهِینٍ [السجدهٔ: ۸]، و قال، فی موضع آخر: مِنْ سُلالَهٍٔ مِنْ طِینٍ [المؤمنون: ۱۲]. قلنا: المذکور هنا صفهٔ ذریهٔ آدم، و المذکور هناک صفهٔ آدم علیه السلام یعلم ذلک من أول الآیتین فلا تنافی. [۸۶۱] فإن قیل: کیف قال. اللّه تعالی: وَ نَفَخَ فِیهِ مِنْ رُوحِهِ [السجدهٔ: ۹] و اللّه تعالی منزه عن الروح؟ قلنا: معناه نفخ فیه من روح مضافهٔ إلی اللّه بالخلق و الإیجاد لا بوجه آخر. [۸۶۲] فإن قیل: کیف قال تعالی، هنا: قُلْ یَتَوَفَّاکُمْ مَلَکُ الْمَوْتِ [السجدهٔ: ۱۱]، و قال تعالی: فی موضع آخر: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا [الأنعام: ۶۱]، و قال تعالی: فی موضع آخر: اللَّهُ یَتَوَفَّی الْأَنْفُسَ حِینَ مَوْتِها [الزمر: ۴۲]؟ قلنا: اللّه تعالی هو المتوفی بخلق الموت و أمر الوسائط بنزع الروح، و الملائکهٔ المتوفون أعوان ملک الموت، و هم یجذبون الروح من الأظفار إلی الحلقوم، و ملک الموت یتناول الروح من الحلقوم، فصحت الإضافات کلها. [۸۶۳] فإن قیل: کیف قال تعالی: إِنَّما یُؤْمِنُ بِآیاتِنَا الَّذِینَ إِذا ذُکِّرُوا بِها خَرُّوا سُجَّداً [السجدهٔ: ۱۵] الآیهٔ، و لیس المؤمنون منحصرین فیمن هو موصوف بهذه الصفهٔ و لا هذه الصفهٔ شرط فی تحقق الإیمان؟ قلنا: المراد بقوله تعالی: ذُکِّرُوا بِها [السجدهٔ: ۱۵] أی وعظوا، و المراد بالسجود الخشوع و الخضوع و التواضع فی قبول الموعظهٔ بآیات اللّه تعالی، و هذه الصفهٔ شرط فی تحقق الإیمان. و نظیره قوله تعالی: إِنَّ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا یُتْلی عَلَیْهِمْ یَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ سُجَّداً [الإسراء: ۱۰۷] الآیهٔ. الثانی: أن معناه إنما یؤمن بآیاتنا إیمانا کاملا من اتصف بهذه الصفهٔ، و قیل المراد بالآیات فرائض الصلوات الخمس، و المراد التذکیر بها بالأذان و الإقامهٔ. [۸۶۴] فإن قیل: قوله تعالی: أَ فَمَنْ کانَ مُؤْمِناً کَمَنْ کانَ فاسِقاً لا یَسْتَوُونَ [السجدهٔ: ۱۸] یدل علی أن الفاسق لا یکون

مؤمنا؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۵ قلنا: الفاسق هنا بمعنى الكافر بدليل قوله تعالى بعده وَ قِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذابَ النَّارِ الَّذِی کُنْتُمْ بِهِ تُکَذِّبُونَ [السجدة: ۲۰] و التقسیم یقتضی کون الفاسق المذکور هنا کافرا، لا کون کل فاسق کافرا، و نظیره قوله تعالی: أَ فَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِینَ کَالْمُجْرِمِینَ [القلم: ۳۵] و قوله تعالی: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ اجْتَرَحُوا السَّیِّئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ کَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ [الجاثیة: ۲۱] و لم یلزم من ذلک أن کلّ مجرم کافر، و لا أن کلّ مسیء کافر. [۸۶۵] فإن قیل: ما فائدة العدول عن قوله تعالی: فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ [الزخرف: ۴۱] فی قوله تعالی: وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُکِّرَ بِآیاتِ رَبِّهِ [السجدة: ۲۲] الآیة؟ قلنا: لما جعله أظلم الظلمة ثم توعد کل المجرمین بالانتقام منه دل علی أن الأظلم یصیبه النصیب الأوفر من الانتقام، و لو قاله بالضمیر لم یفد هذه الفائدة. [۸۶۶] فإن قیل: قوله تعالی: وَ یَقُولُونَ مَتی هذَا الْفَتْحُ [السجدة: ۲۸] سؤال عن وقت الفتح، و هو یوم القضاء بین المؤمنین و الکافرین، یعنی یوم القیامة، فکیف طابقه ما بعده جوابا؟ قلنا: لما کان سؤالهم سؤال تکذیب و استهزاء بیوم القیامة لا سؤال استفهام أجیبوا بالتهدید المطابق للتکذیب و الاستهزاء لا ببیان حقیقة الوقت. [۸۶۷] فإن قیل: علی قول من فسر الفتح بفتح مکة أو بفتح یوم بدر، کیف وجه الجواب عن قوله: قُلْ یَوْمَ الْفَتْحِ لا یَنْفَعُ الَّذِینَ کَفَرُوا [السجدة: ۲۹] الآیة، و قد نفع بعض الکفار إیمانهم فی ذینک الیومین و هم الطلقاء الذین آمنوا؟ قلنا: المراد أن المقتولین منهم لا ینفعهم إیمانهم فی حال القتل، کما لم ینفع فرعون إیمانه عند إدراک الغرق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۶

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب [۸۶۸] فإن قیل: کیف قال تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ [الأحزاب: ۲۸] و لم یقل یا محمد کما قال تعالی یا موسی، یا عیسی، یا داود و نحوه؟ قلنا: إنما عدل عن ندائه باسمه إلی ندائه بالنبی و الرسول إجلالا له و تعظیما کما قال تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ [التحریم: ۱] یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ [المائدة: ۶۷]. [۸۶۹] فإن قیل: لو کان ذلک کما ذکرتم لعدل عن اسمه إلی نعته فی الإخبار عنه کما عدل فی النداء فی قوله تعالی: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ [الفتح: ۲۹] و قوله تعالی: وَ ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ [آل عمران: ۱۴۴]. قلنا: إنما عدل عن نعته فی هذین الموضعین لتعلیم الناس أنه رسول اللّه و تلقینهم أن یسموه بذلک و یدعوه به، و لذلک ذکره بنعته لا باسمه فی غیر هذین الموضعین من مواضع الإخبار، کما ذکره فی النداء لَقَدْ جاءَکُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِکُمْ [التوبة: ۱۲۸] وَ قالَ الرَّسُولُ یا رَبِّ [الفرقان: ۳۰] لَقَدْ کانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: ۲۱] وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ یُرْضُوهُ [التوبة: ۶۲] النَّبِیُّ أَوْلی بِالْمُؤْمِنِینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [الأحزاب: ۶] إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ [الأحزاب: ۵۶] وَ لَوْ کانُوا یُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِیِّ [المائدة: ۸۱] و نظائره کثیرة. [۸۷۰] فإن قیل: ما فائدة ذکر الجوف فی قوله تعالی: ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَیْنِ فِی جَوْفِهِ [الأحزاب: ۴]؟ قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فی سورة الحج فی قوله تعالی: وَ لکِنْ تَعْمَی الْقُلُوبُ الَّتِی فِی الصُّدُورِ [الحج: ۴۶]. [۸۷۱] فإن قیل: ما معنی قولهم: أنت علیّ کظهر أمی؟ قلنا: أرادوا أن یقولوا أنت علیّ حرام کبطن أمی، فکنوا عن البطن بالظهر لئلا یذکروا البطن الذی یقارب ذکره ذکر الفرج، و إنما کنوا عن البطن بالظهر لوجهین: أحدهما: أنه عمود البطن، و یؤیّده قول عمر رضی اللّه تعالی عنه: «یجیء به أحدهم علی عمود بطنه» أی علی ظهره. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۷ الثانی: إتیان المرأة من قبل ظهرها کان محرما عندهم، و کانوا یعتقدون أنّها إذا أتیت من قبل ظهرها جاء الولد أحول، فکان المطلق فی الجاهلیة إذا قصد تغلیظ الطلاق قال أنت علیّ کظهر أمی. [۸۷۲] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی: وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ [الأحزاب: ۳۳] جعل أزواج النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بمنزلة أمهات المؤمنین حکما، أی فی الحرمة و الاحترام و ما جعل النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بمنزلة أبیهم حتی قال تعالی: ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ [الأحزاب: ۴۰]؟ قلنا: أراد اللّه بقوله تبارک و تعالی: وَ أَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ [الأحزاب: ۶] أن أمته یدعون أزواجه بأشرف الأسماء، و أشرف أسماء النساء الأمّ و أشرف أسماء النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم رسول اللّه لا الأب. الثانی: أنّه تعالی جعلهن أمهات المؤمنین تحریما لهن، إجلالا و تعظیما له صلّی اللّه علیه و سلّم کیلا یطمع أحد فی نکاحهن بعده. فلو جعل النبی صلّی اللّه علیه و

سلّم أبـا للمؤمنين لكان أبا للمؤمنات أيضا، فلم يجعل له نكاح امرأة من المؤمنات؛ بل يحرمن عليه، و ذلك ينافى إجلاله و تعظيمه. و قد جعله أعظم من الأب فى القرب و الحرمة بقوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [الأحزاب: ۶] فجعل صلّى اللّه عليه و سلّم أقرب إليهم من أنفسهم، و كثير من الآباء يتبرأ من ابنه و يتبرأ منه ابنه أيضا، و ليس أحد يتبرأ من نفسه. [۸۷۳] فإن قيل: كيف قدم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على نوح و من بعده فى قوله تعالى: وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ [الأحزاب: ۷]؟ قلنا: لأن هذا العطف من باب عطف الخاص على العام الذى هو جزء منه لبيان التفضيل و التخصيص بذكر مشاهير الأنبياء و ذراريهم؛ فلما كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم. و فى الميثاق المأخوذ قولان: أحدهما: أنه تعالى أخذ منهم الميثاق يوم أخذ الميثاق بأن يصدق بعضهم بعضا. و الثانى: أخذ منهم الميثاق أن يوحدوا اللّه تعالى و يدعوا إلى توحيده و يصدق بعضهم بعضا. [۸۷۴] فإن قيل: فكيف قدم نوح عليه السلام فى نظير هذه الآية و هى قوله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ [الشورى: ۱۳]؟ قلنا: لأن تلك الآية سيقت لوصف دين الإسلام بالأصالة و الاستقامة، كأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذى بعث عليه نوح عليه السلام فى العهد القديم، و بعث عليه محمد صلّى اللّه عليه و سلّم فى العهد الحديث، و بعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۸ فكان تقديم نوح عليه السلام أشد مناسبة بالمقصود من سوق الآية. [۸۷۵] فإن قيل: ما فائدة إعادة أخذ الميثاق فى قوله تعالى: وَ أَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً [الأحزاب: ۷]؟ قلنا: فائدته التأكيد و وصف الميثاق المذكور أوّلا بالجلالة و العظم استعاذة من وصف الأجرام به. و قيل: إن المراد بالميثاق الغليظ اليمين باللّه تعالى على الوفاء بما حملوا، فلا إعادة لاختلاف الميثاقين. [۸۷۶] فإن قيل: كيف قال تعالى وصف حال المؤمنين التى امتن عليهم فيها: وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ [الأحزاب: ۱۰]، و لو بلغت القلوب الحناجر لماتوا و لم يبق للامتنان وجه؟ قلنا: قال ابن قتيبة: معناه كادت القلوب تبلغ الحناجر من الخوف، فهو مثل فى اضطراب القلوب و وجيبها. و رده ابن الأنبارى فقال: العرب لا تضمن كاد و لا تعرف معناه ما لم تنطق به. و قال الفراء: معناه أنهم جبنوا و جزعوا، و الجبان إذا اشتد خوفه انتفخت رئته فرفعت قلبه إلى حنجرته، و هى جوف الحلقوم و أقصاه؛ و كذلك إذا اشتد الغضب أو الغم، و هذا المعنى مروى عن ابن عباس رضى اللّه عنهما، و من هنا قيل للجبان: انتفخ منخره. [۸۷۷] فإن قيل: كيف علّق اللّه تعالى عذاب المنافقين بمشيئته بقوله تعالى: وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ إِنْ شاءَ [الأحزاب: ۲۴] و عذابهم متيقن مقطوع به لقوله تعالى: إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ [النساء: ۱۴۵]؟ قلنا: إن شاء تعذيبهم بإماتتهم على النفاق. و قيل: معناه إن شاء ذلك و قد شاءه. [۸۷۸] فإن قيل: ما حقيقة قوله تعالى: لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ [الأحزاب: ۲۱]؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أنه نفسه أسوة حسنة، أى قدوة، و الأسوة اسم للمتأسى به، أى المقتدى به، كما تقول: فى البيضة عشرون منّا حديدا، أى هى فى نفسها هذا المقدار. الثانى: أن فيه خصلة من حقها أن يتأسّى بها و تتبع، و هى مواساته بنفسه أصحابه و صبره على الجهاد و ثباته يوم أحد حين كسرت رباعيته و شجّ وجهه. [۸۷۹] فإن قيل: كيف أظهر تعالى الاسمين؛ مع تقدم ذكرهما فى قوله تعالى: وَ لَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ [الأحزاب: ۲۲]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۵۹ قلنا: لئلا يكون الضمير الواحد عائدا على اللّه تعالى و غيره. [۸۸۰] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف بنى قريظة: وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيارَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَؤُها [الأحزاب: ۲۷] و اللّه تعالى إنما ملكهم أرضهم بعد ما وطئوها و ظهروا عليها؟ قلنا: معناه و يورثكم بطريق وضع الماضى موضع المستقبل مبالغة فى تحقيق الموعود و تأكيده. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: و أرضا لهم تطئوها سيورثكم إياها، يعنى أرض مكة، و قيل أرض فارس و الروم، و قيل أرض خيبر، و قيل كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة. الثالث: أن معناه و أورثكم ذلك كله فى الأزل بكتابته لكم فى اللّوح المحفوظ. [۸۸۱] فإن قيل: كيف خص اللّه تعالى نساء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بتضعيف العقوبة على الذنب و المثوبة على الطاعة فى قوله تعالى: يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ [الأحزاب: ۳۰] الآية؟ قلنا: أما تضعيف العقوبة فلأنهن يشاهدن من الزواجر الرادعة عن الذنوب ما لا يشاهد غيرهن. الثانى: أن فى معصيتهن أذى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذنب من آذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم

أعظم من ذنب غيره، و المراد بالفاحشة النشوز و سوء الخلق، كذا قاله ابن عباس رضى اللّه عنهما. و أما تضعيف المثوبة فلأنهن أشرف من سائر النساء بقربهن من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكانت الطاعة منهن أشرف كما كانت المعصية منهن أقبح، و نظير ذلك الوزير و النواب فى طاعتهما للملك و معصيتهما. [۸۸۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ [الأحزاب: ۳۲] و لم يقل كواحدة من النساء؟ قلنا: قد سبق نظير هذا مرة فى آخر سورة البقرة فى قوله تعالى: لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ [البقرة: ۲۸۵]. [۸۸۳] فإن قيل: كيف أمر اللّه تعالى نساء النبىّ بالزكاة فى قوله تعالى: وَ أَقِمْنَ الصَّلاةَ وَ آتِينَ الزَّكاةَ [الأحزاب: ۳۳] و لم يملكن نصابا حولا كاملا؟ قلنا: المراد بالزكاة هنا الصدقة النافلة، و الأمر أمر ندب. [۸۸۴] فإن قيل: ما الفرق بين المسلم و المؤمن حتى عطف أحدهما على الآخر فى قوله تعالى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِماتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ [الأحزاب: ۳۵] مع أنهما متحدان شرعا؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۰ قلنا: المراد بالمسلم الموحد بلسانه، و بالمؤمن المصدق بقلبه. [۸۸۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ [الأحزاب: ۴۰]، مع أنه كان أبا للطاهر و الطيب و القاسم و إبراهيم عليهم السلام؟ قلنا: قوله تعالى: مِنْ رِجالِكُمْ [الأحزاب: ۴۰] يخرجهم من حكم النفى من وجهين: أحدهما: أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صبيانا. و الثانى: أنه أضاف الرجال إليهم، و هم كانوا رجاله لا رجالهم. [۸۸۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب: ۴۰] و عيسى عليه السلام ينزل بعده و هو نبى؟ قلنا: معنى كونه خاتم النبيين أنه لا يتنبأ أحد بعده، و عيسى ممن نبّئ قبله؛ و حين ينزل ينزل عاملا بشريعة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم مصليا إلى قبلته كأنّه بعض أمته؟ [۸۸۷] فإن قيل: قوله تعالى: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ [الأحزاب: ۴۳] معناه يرحمكم و يغفر لكم فما معنى قوله تعالى: وَ مَلائِكَتُهُ [الأحزاب: ۴۳] و الرحمة و المغفرة منهم محال؟ قلنا: جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة بالرحمة و المغفرة كأنهم فاعلو الرحمة و المغفرة، و نظيره قولهم: حياك اللّه، أى أحياك و أبقاك، و حيا زيد عمرا: أى دعا له بأن يحييه اللّه اتكالا منه على إجابة دعوته، و مثله قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ [الأحزاب: ۵۶]. [۸۸۸] فإن قيل: قد فهم من قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ [الأحزاب: ۴۵، ۴۶] أنه مأذون له فى الدعاء إلى اللّه تعالى، فما فائدة قوله تعالى: بِإِذْنِهِ؟ قلنا: معناه بتسهيله و تيسيره، و قيل: معناه بأمره لا أنك تدعوهم من تلقاء نفسك. [۸۸۹] فإن قيل: كيف شبه اللّه تعالى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بالسّراج دون الشمس، و الشمس أتم و أكمل فى قوله تعالى: وَ سِراجاً مُنِيراً [الأحزاب: ۴۶]؟ قلنا: قيل إن المراد بالسراج هنا الشمس كما فى قوله تعالى: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً [نوح: ۱۶] و قيل: إنما شبه بالسراج لأن السراج يتفرع و يتولد منه سرج لا تعد و لا تحصى بخلاف الشمس، و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تفرع منه بواسطة إرشاده و هدايته جميع العلماء من عصره إلى يومنا هذا، و هلم جرا إلى يوم القيامة. و قيل: إنما شبهه بالسراج لأنه بعثه فى زمان يشبه الليل بظلمات الكفر و الجهل و الضلال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۱ [۸۹۰] فإن قيل: كيف شبهه بالسراج دون الشمع، و الشمع أشرف و نوره أتم و أكمل؟ قلنا: قد سبق الجواب عن مثل هذا فى قوله تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ [النور: ۳۵]. [۸۹۱] فإن قيل: كيف خص تعالى المؤمنات بعدم وجوب العدة فى الطلاق قبل المسيس فى قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ [الأحزاب: ۴۹] الآية، مع أن حكم الكتابية كذلك أيضا؟ قلنا: هذا خرج مخرج الأغلب و الأكثر لا تخصيص. [۸۹۲] فإن قيل: كيف أفرد سبحانه العم و جمع العمات، و أفرد الخال و جمع الخالات فى قوله تعالى: وَ بَناتِ عَمِّكَ وَ بَناتِ عَمَّاتِكَ وَ بَناتِ خالِكَ وَ بَناتِ خالاتِكَ [الأحزاب: ۵۰]؟ قلنا: لأن العم اسم على وزن المصدر الذى هو الضم و نحوه، و كذا الخال على وزن القال و نحوه، فيستوى فيه المفرد و التثنية و الجمع، بخلاف العمّة و الخالة، و نظيره قوله تعالى: خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَ عَلى سَمْعِهِمْ وَ عَلى أَبْصارِهِمْ [البقرة: ۷]. [۸۹۳] فإن قيل: هذا الجواب منقوض بقوله تعالى فى سورة النور: أَوْ بُيُوتِ أَعْمامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوالِكُمْ [النور: ۶۱]؟ قلنا: العم و الخال ليسا مصدرين حقيقة، بل على وزن المصدر، فاعتبر هنا شبههما بالمصدر، و هناك حقيقتهما عملا بالجهتين؛ بخلاف السمع، فإنه لما كان مصدرا حقيقة ما جاء قط فى الكتاب العزيز إلا مفردا. [۸۹۴] فإن قيل: كيف ذكر الأقارب فى قوله تعالى: لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ [الأحزاب: ۵۵] الآية، و لم يذكر العم و الخال و حكمهما حكم من ذكر فى رفع الجناح؟

قلنا: سبق مثل هذا السؤال و جوابه فی سورة النور فی قوله تعالی: وَ لا یُبْدِینَ زِینَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ [النور: ۳۱] فالأولی أن تستتر المرأة عن عمّها و خالها لئلّا یصف محاسنها عند ابنه فیفضی إلی الفتنة. [۸۹۵] فإن قیل: السادة و الکبراء بمعنی واحد، فکیف عطف أحدهما علی الآخر فی قوله تعالی: إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وَ کُبَراءَنا [الأحزاب: ۶۷]؟ قلنا: هو من باب عطف اللفظ علی اللفظ المغایر له؛ مع اتحاد معناهما، کقولهم: فلان عاقل لبیب، و هذا حسن جمیل، و قول الشاعر: معاذ اللّه من کذب و مین أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۲ [۸۹۶] فإن قیل: المراد بالإنسان آدم علیه الصلاة و السلام فی قوله تعالی: وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ [الأحزاب: ۷۲] فکیف قال سبحانه إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا [الأحزاب: ۷۲] و فعول من أوزان المبالغة فیقتضی تکرار الظلم و الجهل منه و أنه منتف؟ قلنا: لما کان عظیم القدر رفیع المحل کان ظلمه و جهله لنفسه أقبح و أفحش، فقام عظیم الوصف مقام الکثرة، و قد سبق نظیر هذا فی سورة آل عمران فی قوله تعالی: وَ أَنَّ اللَّهَ لَیْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِیدِ [آل عمران: ۱۸۲]. و قیل: إنما سماه ظلوما جهولا لتعدّی ضرر ظلمه و جهله إلی جمیع الناس، فإنهم أخرجوا من الجنة بواسطته و تسلط علیهم إبلیس و جنوده. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۳

سورة سبأ

سورة سبأ [۸۹۷] فإن قیل: کیف قال تعالی: أَ فَلَمْ یَرَوْا إِلی ما بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ ما خَلْفَهُمْ مِنَ السَّماءِ [سبأ: ۹] و لم یقل إلی ما فوقهم و ما تحتهم من السماء و الأرض؟ قلنا: ما بین یدی الإنسان هو کل شیء یقع نظره علیه من غیر أن یحوّل وجهه إلیه، و ما خلفه هو کل شیء لا یقع نظره علیه حتی یحول وجهه إلیه فکان اللفظ المذکور أتم مما ذکر. [۸۹۸] فإن قیل: هلا ذکر سبحانه الأیمان و الشمائل هنا کما ذکرها فی قوله تعالی: ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ [الأعراف: ۱۷]؟ قلنا: لأنه وجد هنا ما یغنی عن ذکرها، و هو لفظ العموم و ذکر السماء و الأرض و لا کذلک ثمة. [۸۹۹] فإن قیل: کیف استجاز سلیمان علیه السلام عمل التماثیل و هی التصاویر؟ قلنا: قیل إن عمل الصور لم یکن محرما فی شریعته، و یجوز أن یکون صور غیر الحیوان کالأشجار و نحوها، و ذلک غیر محرم فی شریعتنا أیضا. [۹۰۰] فإن قیل: کیف قال تعالی: لَقَدْ کانَ لِسَبَإٍ فِی مَسْکَنِهِمْ آیَةٌ جَنَّتانِ [سبأ: ۱۵] و لم یقل آیتان جنتان، و کل جنة کانت آیة، أی علامة علی توحید اللّه تعالی؟ قلنا: لما تماثلتا فی الدلالة و اتحدت جهتهما فیها جعلهما آیة واحدة، و نظیره قوله تعالی: وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْیَمَ وَ أُمَّهُ آیَةً [المؤمنون: ۵۰]. [۹۰۱] فإن قیل: کیف قال تعالی: قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ [سبأ: ۲۲]، أی الذین زعمتموهم آلهة من دون اللّه، مع أن المشرکین ما زعموا غیر اللّه إلها دون اللّه، بل مع اللّه علی وجه الشرکة؟ قلنا: النصّ لا یدل علی زعمهم حصر الآلهة فی غیر اللّه نصّا، بل یوهم ذلک، و لو دل فنقول: فیه تقدیم و تأخیر تقدیره: ادعوا الذین من دون اللّه زعمتم أنهم شرکاء للّه. [۹۰۲] فإن قیل: ما معنی التشکیک فی قوله تعالی: وَ إِنَّا أَوْ إِیَّاکُمْ لَعَلی هُدیً أَوْ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ [سبأ: ۲۴]؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۴ قلنا: قیل إن «أو» هنا بمعنی الواو فی الموضعین، فیصیر المعنی: نحن علی الهدی و أنتم فی الضلال. و قیل معناه: و إنا لضالون أو مهتدون و إنکم لکذلک، و هو من التعریض بضلالهم کما یقول الرجل لصاحبه إذا أراد تکذیبه: و اللّه إن أحدنا لکاذب، و یعنی به صاحبه. [۹۰۳] فإن قیل: کیف قالت الملائکة علیهم السلام فی حقّ المشرکین بَلْ کانُوا یَعْبُدُونَ الْجِنَّ [سبأ: ۴۱] و لم ینقل عن أحد من المشرکین أنه عبد الجن؟ قلنا: معناه کانوا یطیعون الشیاطین فیما یأمرونهم به من عبادتنا أکثرهم بهم مؤمنون: أی أکثر المشرکین مصدقون بالشّیاطین فیما یخبرونهم به من الکذب أن الملائکة بنات اللّه تعالی اللّه، عن ذلک؛ فالمراد بالجن الشیاطین. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۵

سورة فاطر

سورة فاطر [۹۰۴] فإن قیل: قوله تعالی: وَ اللَّهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَسُقْناهُ إِلی بَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَحْیَیْنا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها [فاطر: ۹] کیف جاء فتثیر مضارعا دون ما قبله و ما بعده؟ قلنا: هو مضارع وضع موضع الماضی، کما فی قوله تعالی: وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِ [الأحزاب: ۳۷]. [۹۰۵] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: وَ ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ [فاطر: ۱۱]؟ قلنا: معناه و ما يعمر من أحد، و إنما سماه معمرا بما هو سائر إليه. [۹۰۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيها نَذِيرٌ [فاطر: ۲۴] و كم من أمة كانت فى الفترة بين عيسى و محمد صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يخل فيها نذير؟ قلنا: إذا كان آثار النذارة باقية لم تخل من نذير إلى أن تندرس و حين اندرست آثار نذارة عيسى بعث محمد عليهما الصلاة و السلام. [۹۰۷] فإن قيل: كيف اكتفى سبحانه و تعالى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد سبق ذكرهما فى أولها؟ قلنا: لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة استغنى بذكر أحدهما عن الآخر بعد سبق ذكرهما. [۹۰۸] فإن قيل: ما الفرق بين النصب و اللغوب حتى عطف أحدهما على الآخر؟ قلنا: النصب المشقة و الكلفة، و اللغوب الفتور الحاصل بسبب النصب فهو نتيجة النصب، كذا فرق بينهما الزمخشرى رحمه اللّه. و يرد على هذا أن يكون انتفاء الثانى معلوما من انتفاء الأول. [۹۰۹] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: رَبَّنا أَخْرِجْنا نَعْمَلْ صالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ [فاطر: ۳۷] مع أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذى عملوه، و هم ما عملوا صالحا قط؛ بل سيئا؟ قلنا: هم كانوا يحسبون أنّهم على سيرة صالحة، كما قال تعالى: وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً [الكهف: ۱۰۴]؛ فمعناه غير الّذى كنا نحسبه صالحا فنعمله. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۶

سورة يس

سورة يس [۹۱۰] فإن قيل: كيف قال تعالى، أولا: إِنَّا إِلَيْكُم مُرْسَلُونَ [يس: ۱۴]، و قال سبحانه، ثانيا: إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ [يس: ۱۶]؟ قلنا: لأنّ الأول ابتداء إخبار فلم يحتج إلى التأكيد باللّام؛ بخلاف الثانى، فإنّه جواب بعد الإنكار و التّكذيب فاحتاج إلى التأكيد. [۹۱۱] فإن قيل: كيف أضاف الفطر إلى نفسه بقوله: فَطَرَنِى [يس: ۲۲]، و أضاف البعث إليهم بقوله: وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [يس: ۸۳]، مع علمه أنّ اللّه تعالى فطره و فطرهم، و سوف يبعثه و يبعثهم، فهلا قال فطرنا و إليه نرجع أو فطركم و إليه ترجعون؟ قلنا: لأنّ الخلق و الإيجاد نعمة من اللّه تعالى توجب الشّكر، و البعث بعد الموت و عيد و تهديد، يوجب الزّجر؛ فكان إضافته النعمة إلى نفسه أظهر فى الشكر، و إضافته البعث إليهم أبلغ فى الزّجر. [۹۱۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ [يس: ۳۰] و التّحسّر على اللّه تعالى محال؟ قلنا: هو تحسير للخلق، معناه: قولوا يا حسرتنا على أنفسنا، لا تحسّر من اللّه تعالى. [۹۱۳] فإن قيل: كيف نفى اللّه سبحانه و تعالى الإدراك عن الشمس للقمر دون عكسه و هو: و لا القمر ينبغى له أن يدرك الشمس؟ قلنا: لأنّ سير القمر أسرع، فإنّه يقطع فلكه فى شهر و الشمس لا تقطع فلكها إلّا فى سنة؛ فكانت الشمس جديرة بأن توصف بنفى الإدراك لبطء سيرها، و القمر خليقا بأن توصف بالسّبق لسرعة سيره، هذا سؤال الزمخشرى رحمه اللّه و جوابه. و يرد عليه أن سرعة سير القمر يناسب أن ينفى الإدراك عنه؛ لأنه إذا قيل: لا القمر ينبغى له أن يدرك الشمس، مع سرعة سيره، علم بالطّريق الأولى أن الشّمس لا ينبغى لها أن تدرك القمر مع بطء سيرها، فأمّا إذا قيل: لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر أمكن أن يقال إنّما لم تدركه لبطء سيرها، فأمّا القمر فيجوز أن يدركها لسرعة سيره. [۹۱۴] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ آيَةٌ لَهُمْ [يس: ۴۱] أى لأهل مكة أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۷ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ [يس: ۴۱] أى ذرية أهل مكة أو ذرية قوم نوح عليه السلام فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ [يس: ۴۱] و الذرية اسم للأولاد، و المحمول فى سفينة نوح عليه الصلاة و السلام آباء أهل مكة لا أولادهم؟ قلنا: الذرية من أسماء الأضداد تطلق على الآباء و الأولاد بدليل قوله تعالى: * إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ [آل عمران: ۳۳، ۳۴]، وصف جميع المذكورين بكونهم ذرية، و بعضهم آباء، و بعضهم أبناء؛ فمعناه حملنا آباء أهل مكة أو حملنا أبناءهم؛ لأنهم كانوا فى ظهور آبائهم المحمولين. [۹۱۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ يَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ [يونس: ۴۸] يعنون الوعد بالبعث و الجزاء و الوعد كان واقعا لا منتظرا؟ قلنا: معناه متى إنجاز هذا الوعد و صدقه، بحذف المضاف أو بإطلاق اسم الوعد على الموعود، كضرب الأمير و نسج اليمن. [۹۱۶] فإن قيل: قولهم: مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا [يس: ۵۲] سؤال عن الباعث فكيف طابقه ما بعده جوابا؟ قلنا:

معناه بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث و أنبأكم به الرسل؛ إلا أنه جيء به على هذه الطريقة تبكيتا لهم و توبيخا. [۹۱۷] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى صفة أهل الجنّة هُمْ وَ أَزْواجُهُمْ فِي ظِلالٍ [يس: ۵۶] و الظل إنما يكون حيث تكون الشمس، و لهذا لا يقال لما فى الليل ظل و الجنة لا يكون فيها شمس لقوله تعالى: لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً وَ لا زَمْهَرِيراً [الإنسان: ۱۳]؟ قلنا: ظل أشجار الجنة من نور العرش لئلّا تبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس، و قيل: من نور قناديل العرش. [۹۱۸] فإن قيل: كيف سمّى سبحانه و تعالى نطق اليد كلاما و نطق الرجل شهادة فى قوله: وَ تُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ [يس: ۶۵]؟ قلنا: لأنّ اليد كانت مباشرة و الرجل حاضرة، و قول الحاضر على غيره شهادة، و قول الفاعل على نفسه ليس بشهادة؛ بل إقرار بما فعل. قلت: و فى الجواب نظر. [۹۱۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ [يس: ۶۹] مع أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قد روى عنه ما هو شعر، و هو قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: أنا النبىّ لا كذب أنا ابن عبد المطّلب و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: هل أنت إلّا إصبع دميت و فى سبيل اللّه ما لقيت أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۸ قلنا: هذا ليس بشعر، لأنّ الخليل لم يعد مشطور الرجز شعرا، و قوله: «هل أنت إلا إصبع دميت» من مشطور بحر الرجز؛ كيف و قد روى أنه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: دميت و لقيت بفتح الياء و سكون التاء و على هذا لا يكون شعرا، و إنّما الراوى حرّفه فصار شعرا. الثانى: أن حدّ الشعر قول موزون مقفّى مقصود به الشعر، و القصد منتف فيما روى عنه صلّى اللّه عليه و سلّم، فكان كما يتّفق وجوده فى كل كلام منثور من الخطب و الرّسائل و محاورات الناس، و لا يعده أحد شعرا. [۹۲۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً [يس: ۷۱] و اللّه تعالى منزه عن الجارحة؟ قلنا: هو كناية عن الانفراد بخلق الأنعام و الاستبداد به بغير شريك، كما يقال فى الحب و غيره من أعمال القلب هذا مما عملته يداك، و يقال لمن لا يد له يداك أو يديك، و كذا قوله تعالى: لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ [ص: ۷۵]. [۹۲۱] فإن قيل: كيف سمى قوله: مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ [يس: ۷۸] مثلا، و ليس بمثل، و إنما هو استفهام إنكار؟ قلنا: سماه مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل، و هو إنكار الإنسان قدرة اللّه تعالى على إحياء الموتى؛ مع أن العقل و النقل كلاهما يشهد بقدرة اللّه على ذلك. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۶۹

سورة الصافات

سورة الصافات [۹۲۲] فإن قيل: كيف جمع تعالى المشارق هنا و ثناهما فى سورة الرحمن، و كيف اقتصر هنا على ذكر المشارق و ذكر ثمة المغربين أيضا و ذكر المغارب مع المشارق، مجموعين فى قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [المعارج: ۴۰] و ذكرهما مفردين فى قوله تعالى: قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ ما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [الشعراء: ۲۸]؟ قلنا: لأن القرآن نزل بلغة العرب على المعهود من أساليب كلامهم و فنونه، و من أساليب كلامهم و فنونه الإجمال و التفصيل و البسط و الإيجاز، فأجمل تارة بقوله تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [الرحمن: ۱۷] أراد مشرقى الصيف و الشتاء و مغربيهما على الإجمال، و فصل تارة بقوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [المعارج: ۴۰] أراد جمع مشارق السنة و مغاربها و هى تزيد على سبعمائة، و بسط مرة بقوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [المعارج: ۴۰] و أوجز و اختصر مرة بقوله تعالى: وَ رَبُّ الْمَشارِقِ [الصافات: ۵] لدلالة المذكور و هى المشارق على المحذوف و هو المغارب، و كانت المشارق أولى بالذكر لأنها أشرف إما لكون الشروق سابقا فى الوجود على الغروب، أو لأن المشارق منبع الأنوار و الأضواء. [۹۲۳] فإن قيل: كيف خص سبحانه و تعالى سماء الدنيا بقوله تعالى: إِنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الْكَواكِبِ [الصافات: ۶] مع أن غير سماء الدنيا مزينة بالكواكب أيضا؟ قلنا: إنما خصها بالذكر لأنا نحن نرى سماء الدنيا لا غير. [۹۲۴] «۱» فإن قيل: كيف وجه قراءة الضم فى قوله تعالى: بَلْ عَجِبْتَ [الصافات: ۱۲] و هى قراءة على و ابن مسعود و ابن عباس رضى اللّه عنهم و اختيار الفرّاء، و التعجّب روعة تعترى الإنسان عند استعظام الشيء، و اللّه تعالى لا تجوز عليه الروعة؟

(__________)
۱) ([۹۲۴]) النخعى: هو إبراهيم بن يزيد بن الأسود، أبو عمران النخعى، من مذحج، تابعى و فقيه له مذهب. و هو كوفى. ولد سنة ۴۶ ه و توفى متخفيا من الحجاج سنة

۹۶ ه. - شريح: هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى، أبو أمية. من أشهر القضاة. كان فقيها محدّثا. توفى بالكوفة سنة ۷۸ ه. ولى قضاء الكوفة فى خلافة عمر و عثمان و على. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۰ قلنا: أراد بالتعجب الاستعظام و هو جائز من اللّه تعالى، كما استعظم كيد النساء، و إنكار الكفار معجزات الأنبياء عليهم السلام. الثانى: أن معناه قل يا محمد بل عجبت، و كان شريح يقرأ بالفتح يقول: إنّ اللّه تعالى لا يعجب من شيء و إنّما يعجب من لا يعلم، فقال إبراهيم النخعى: إنّ شريحا كان يعجبه علمه و عبد اللّه أعلم منه. و كان يقرأ بالضمّ يريد عبد اللّه ابن مسعود. قال الزّجّاج: و إنكار هذه القراءة غلط، لأنّ العجب من اللّه تعالى خلاف العجب من الآدميين، و نظيره قوله تعالى: وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ [آل عمران: ۵۴] و قوله: سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ [التوبة: ۷۹] و ما أشبهه، و فى الّذى وقع منه العجب قولان: أحدهم كفرهم بالقرآن. و الثانى: إنكارهم البعث. [۹۲۵] فإن قيل: كيف مدح سبحانه نوحا عليه السلام بقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ [الصافات: ۸۱]؛ مع أن مرتبة الرّسل فوق مرتبة المؤمنين؟ قلنا: إنما مدحه بذلك تنبيها لنا على جلالة محل الإيمان و شرفه، و ترغيبا فى تحصيله و الثّبات عليه و الإزدياد منه، كما قال تعالى، فى مدح إبراهيم عليه السلام: وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [العنكبوت: ۲۷]. [۹۲۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ [الصافات: ۸۸]، و النظر إنما يعدّى بإلى، قال اللّه تعالى: وَ لكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ [الأعراف: ۱۴۳] و قال: فَانْظُرْ إِلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ [الروم: ۵۰]. قلنا: «فى» هنا بمعنى إلى كما فى قوله تعالى: فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْواهِهِمْ [إبراهيم: ۹]. الثانى: أن المراد به نظر الفكر لا ـ نظر العين، و نظر الفكر إنما يعدّى بفى قال اللّه تعالى: أَ وَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ [الأعراف: ۱۸۵]، فصار المعنى ففكر فى علم النجوم أو فى حال النجوم. [۹۲۷] «۱» فإن قيل: كيف استجاز إبراهيم عليه السلام أن يقول: إِنِّي سَقِيمٌ [الصافات: ۸۹] و لم يكن سقيما؟ قلنا: معناه سأسقم، كما فى قوله تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ [الزمر: ۳۰] فهو من معاريض الكلام قاله ليتخلف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم فيكيد أصنامهم. و قال ابن الأنبارى: أعلمه اللّه تعالى أنه يمتحنه بالسقم إذا طلع نجم كذا، فلما رآه علم أنه سيسقم. و قيل معناه: إنّى سقيم القلب عليكم إذ عبدتم الأصنام و تكهنتم بنجوم لا ـ (

____

۱) ([۹۲۷]) لعل الرّازى و هم فى نسبة البيت إلى لبيد. و هو منسوب إلى عمرو بن قميئة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۱ تضر و لا تنفع. و قيل: إنه عرض له مرض و كان سقيما حقيقة. و قال الزمخشرى: قد جوز بعض الناس الكذب فى المكيدة فى الحرب و التقية و إرضاء الزوج و الصلح بين المتخاصمين و المتهاجرين. قال: و الصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرّض و ورّى، و إبراهيم صلوات اللّه عليه عرّض بقوله و ورّى، فإنه أراد أن من فى عنقه الموت سقيم، كما قيل فى المثل: «كفى بالسلامة داء». و قال لبيد: و دعوت ربى بالسّلامة جاهدا ليصحّنى فإذا السلامة داء و روى أن رجلا مات فجأة فاجتمع عليه الناس و قالوا مات و هو صحيح. فقال أعرابى: أ صحيح من الموت فى عنقه؟ [۹۲۸] فإن قيل: لم لا يجوز النظر فى علم النجوم؛ مع أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام قد نظر فيه و حكم منه؟ قلنا: إذا كان المنجّم كإبراهيم فى أن اللّه تعالى أراه ملكوت السموات و الأرض أبيح له النظر فى علم النجوم و الحكم منه. [۹۲۹] فإن قيل: قوله تعالى: فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ [الصافات: ۹۳، ۹۴] أى يسرعون، يدل على أنهم عرفوا أنه هو الكاسر لها، و قوله تعالى فى سورة الأنبياء قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا [الأنبياء: ۵۹] و ما بعده يدل على أنهم ما عرفوا أنه الكاسر لها، فكيف التوفيق بينهما؟ قلنا: يجوز أن يكون الذى عرفه و زفّ إليه بعضهم، و الّذى جهله و سأل عنه بعض آخر، و يجوز أنّ الكلّ جهلوه و سألوا عنه، فلمّا عرفوا أنّه الكاسر لها زفوا إليه كلهم. [۹۳۰] فإن قيل: ما معنى قوله صلوات اللّه عليه إِنِّي ذاهِبٌ إِلى رَبِّي [الصافات: ۹۹]؟ قلنا: معناه إلى حيث أمرنى ربّى بالمهاجرة و هو الشام. و قيل: إلى طاعة ربى و رضاه. و قيل: إلى أرض ربّى؛ و إنّما خصها بالإضافة إلى اللّه تعالى تشريفا لها و تفضيلا؛ لأنها أرض مقدسة مبارك فيها للعلمين، كما فى قوله تعالى: وَ أَنَّ الْمَساجِدَ لِلَّهِ [الجن: ۱۸]، و قوله تعالى: وَ عِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً [الفرقان: ۶۳]. [۹۳۱] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: سَيَهْدِينِ [الصافات: ۹۹] و هو كان مهتديا؟ قلنا: معناه: سيثبتنى على ما أنا عليه من الهدى و يزيدنى هدى. و قيل: معناه: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۲ سيهدين إلى الجنة. و قيل: إلى الصواب فى جميع أحوالى، و نظيره قول موسى عليه الصلاة و السلام: كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشعراء: ۶۲]. [۹۳۲] فإن

قيل: كيف شاور إبراهيم ولده عليهما السلام فى ذبحه بقوله: فَانْظُرْ ما ذا تَرى [الصافات: ۱۰۲] مع أنه كان حتما على إبراهيم لأنه أمر به، لأن معنى قوله: إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ [الصافات: ۱۰۲] أنه أمر بذبحه فى المنام، و رؤيا الأنبياء حقّ فإذا رأوا شيئا من المنام فعلوه فى اليقظة كذا قاله قتادة؛ و الدّليل على أنّ منامه كان وحيا بالأمر بالذبح قوله: يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ [الصافات: ۱۰۲]؟ قلنا: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه فى ذلك، و لكن ليعلم ما عنده من الصبر فيما نزل به من بلاء اللّه تعالى، فيثبت قدمه إن جزع، و يأمن عليه الزّلل إن صبر و سلّم، و ليعلم القصّة فيوطن نفسه على الذّبح، و يهونه عليها فيلقى البلاء و هو كالمستأنس به، و يكتسب الثواب بالانقياد و الصبر لأمر اللّه تعالى قبل نزوله، و ليكون سنة فى المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم الملائكة فى أكل الشجرة لما فرط منه ذلك. [۹۳۳] فإن قيل: كيف قيل له: قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا [الصافات: ۱۰۵] و إنما يكون مصدقا لها لو وجد منه الذبح و لم يوجد؟ قلنا: معناه قد فعلت غاية ما فى وسعك مما يفعله الذابح من إلقاء ولدك و إمرار الشفرة على حلقه؛ و لكن اللّه تعالى منع الشفرة أن تقطع. و قيل: إن الذى رآه فى المنام معالجة الذّبح فقط لا إراقة الدّم، و قد فعل ذلك فى اليقظة فكان مصدّقا للرؤيا. [۹۳۴] «۱» فإن قيل: أين جواب «لما» فى قوله تعالى: فَلَمَّا أَسْلَما؟ [الصافات: ۱۰۳]. قلنا: قيل هو محذوف تقديره: استبشرا و اغتبطا و شكرا اللّه تعالى على ما أنعم به عليهما من الفداء؛ أو تقديره: سعدا، أو أجزل ثوابهما. و قيل: الجواب هو قوله تعالى: نادَيْناهُ [الصافات: ۱۰۴] و الواو زائدة كما فى قول امرئ القيس: فلمّا أجزنا ساحة الحيّ و انتحى بنا بطن خبت ذى خفاف عقنقل أى فلما أجزنا ساحة الحيّ انتحى، كذا نقله ابن الأنبارى فى شرحه. [۹۳۵] فإن قيل: كيف قال تعالى فى قصة إبراهيم عليه السلام كَذلِكَ نَجْزِي

(____ ۱) ([۹۳۴]) البيت من معلّقة امرئ القيس و هو فى الديوان: ۱۵. - و فى الرواية المشهورة: «ذى قفاف» بدل «ذى خفاف». و القفاف جمع قف و هو ما ارتفع من الأرض، كالشرف. - العقنقل: الوادى المتسع. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۳ الْمُحْسِنِينَ [الصافات: ۱۱۰] و فى غيرها من القصص قبلها و بعدها إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [الصافات: ۸۰]. قلنا: لما سبق فى قصة إبراهيم عليه السلام مرة إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ [الصافات: ۸۰] طرحه فى الثانى تخفيفا و اختصارا و اكتفاء بذكره مرة، بخلاف سائر القصص. [۹۳۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْناهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ [الصافات: ۱۳۳، ۱۴۳] و هو كان من المرسلين قبل زمان التنجية؟ قلنا: قوله: إِذْ نَجَّيْناهُ [الصافات: ۱۳۴] لا يتعلق بما قبله بل يتعلق بمحذوف تقديره: و اذكر لهم يا محمّد إذ نجيناه أو أنعمنا عليه إذ نجيناه، و كذا السؤال فى قوله تعالى: وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ [الصافات: ۱۳۹، ۱۴۰]. [۹۳۷] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: ۱۴۷] و «أو» كلمة شك و الشك على اللّه محال؟ قلنا: قيل أو هنا بمعنى بل فلا شك، و قيل بمعنى الواو كما فى قوله تعالى: أَوْ لامَسْتُمُ النِّساءَ [النساء: ۴۳] و قوله تعالى: عُذْراً أَوْ نُذْراً [المرسلات: ۶]. و قيل: معناه أو يزيدون فى تقديركم، فلو رآهم أحد منكم لقال هم مائة ألف أو يزيدون، فالشك إنّما دخل فى حكاية قول المخلوقين، و نظيره قوله تعالى: فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى [النجم: ۹]. [۹۳۸] فإن قيل: ما فائدة تكرار الأمر بالتولية و الإبصار فى قوله تعالى: فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصِرْهُمْ [الصافات: ۱۷۴، ۱۷۵] الآيات؟ قلنا: فائدته تأكيد التهديد و الوعيد. [۹۳۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَبْصِرْهُمْ [الصافات: ۱۷۵] ثم قال ثانيا: وَ أَبْصِرْ [الصافات: ۱۷۹]. قلنا: طرح ضمير المفعول تخفيفا و اختصارا و اكتفاء بسبق ذكره مرّة، و قيل معنى الأول: و أبصرهم إذا نزل بهم العذاب، و معنى الثانى: و أبصر العذاب إذا نزل بهم، فلا فرق بينهما فى المعنى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۴

سورة ص

سورة ص [۹۴۰] فإن قيل: أين جواب القسم فى قوله تعالى: ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ [ص: ۱]؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه لما ذكر حرفا من حروف المعجم على سبيل التّحدى و التنبيه على الإعجاز كما قيل فى كل سورة مفتتحة بحرف أتبعه القسم محذوف الجواب

لدلالـة التحـدی علیه، کأنه قال: و القرآن ذی الـذکر إنه لکلام معجز، و کـذلک إذا کان الحرف مقسـما به کأنه قال: أقسـمت بص و القرآن ذی الـذکر إن هـذا الکلام معجز. الثانی: أن ص خبر مبتدأ محذوف علی أنه اسم للسورة، کأنه قال هذه ص، یعنی هذه السورة التی أعجزت العرب و القرآن ذی الذکر، کما تقول: هذا حاتم و اللّه، ترید هذا هو المشـهور بالسـخاء و اللّه. الثالث: أن جواب القسـم کم أهلکنا، و أصـله لکم أهلکنا، فلمّا طال الکلام حـذفت اللام تخفیفا، کما فی قوله تعالی: وَ الشَّمْسِ وَ ضُـحاها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَکَّاها [الشمس: ۱، ۹]. الرابع: أن قوله تعـالی: إِنَّ ذلِـکَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ [ص: ۶۴] و هو قول الکسائی. و قال الفرّاء: و هذا لا یسـتقیم فی العربیهٔ لتأخره جدا عن القسم. [۹۴۱] فإن قیل: ما وجه المناسبهٔ و الارتباط بین قوله تعالی: اصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ و بین قوله تعالی: وَ اذْکُرْ عَبْدَنا داوُدَ؟ [ص: ۱۷]. قلنا: وجه المناسـبهٔ بینهما أنه أمر أن یتقوی علی الصبر بـذکر قوهٔ داود علیه السـلام علی العبادهٔ و الطاعهٔ. الثانی: أن المعنی عرفهم أن داود علیه السـلام مع کرامته و شهرهٔ طاعته و عبادته التی منها صوم یوم دون یوم، و قیام نصف اللیل، کان شدیـد الخوف من عـذابی، لاـ یزال باکیا مسـتغفرا. فکیف حال هؤلاء مع أفعالهم؟ [۹۴۲] فـإن قیـل: کیف قال الملکان لما دخلا علی داود علیه السـلام خَصْـمانِ بَغی بَعْضُـنا عَلی بَعْضٍ [ص: ۲۲] و الملائکـهٔ لاـ یوجـد منهم البغی و الظلم، و کیف قـال: أسـئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۵ إِنَّ هـذا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَـهً [ص: ۲۳] إلی آخره، و لم یکن کمـا قـال؟ قلنـا: إنمـا قالا ذلک علی سبیل الفرض و التصویر للمسألهٔ، و مثل ذلک لا یعد کذبا کما تقول فی تصویر المسائل، زید له أربعون شاهٔ و عمرو له أربعون و أنت تشیر إلیهما، فخلطاها و حال علیها الحول، کم یجب فیها و لیس لهما شیء، و تقول لی أربعون شاهٔ و لک أربعون فخلطناها و ما لکم شیء. [۹۴۳] فإن قیل: کیف حکم داود علیه السـلام علی المدعی علیه بکونه ظالما قبل أن یسـمع کلامه؟ قلنا: لم یحکم علیه إلا بعد اعترافه کذا نقله السدّی، إلا أنه حذف ذکر الاعتراف فی القصهٔ اختصارا لدلالهٔ الحال علیه، کما تقول العرب: أمرته بالتجارهٔ فکسب الأموال، أی فاتجر فکسب الأموال. [۹۴۴] «۱» فإن قیل: ما معنی تکرار الحبّ فی قوله علیه السـلام: إِنِّی أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَیْرِ [ص: ۳۲] و ما معنی تعـدیته بعن و ظـاهره أحببت حبـا مثـل حب الخیر، کمـا تقول أحببت حب زیـد، أی أحببت حبا مثل حب زیـد؟ قلنا: أحببت فی الآیهٔ بمعنی آثرت، کما یقول المخیّر بین شیئین: أحببت هذا، أی آثرته، و قد جاء استحب بمعنی آثر، قال اللّه تعالی: وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَیْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمی عَلَی الْهُدی أی آثروه: لأن من أحب شیئا فقد آثره علی غیره، و عن بمعنی علی کما فی قوله تعالی: وَ مَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّما یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ [محمد: ۳۸] فیصیر المعنی أی آثرت حب الخیر علی ذکر ربّی. الثـانی: و هو اختیـار الجرجانی صاحب معانی القرآن أن أحببت بمعنی قعـدت و تأخرت مأخوذ من أحب الجمل إذا برک، و منه قول الشاعر: دعتک إلیها مقلتاها و جیـدها فملت کما مال المحب علی عمـد فـالمحب هنـا الجمل، و العمـد علـهٔ تکون فی سـنام الجمل، و کل من ترک شـیئا و تجنب أن یفعله فقـد قعـد عنه، فتأویل الآیـهٔ: إنی قعدت عن ربی لحب الخیر، فیکون انتصاب حب علی أنه مفعول له. [۹۴۵] فإن قیل: کیف قال سلیمان علیه السلام: وَ هَبْ لِی مُلْکاً لا یَنْبَغِی لِأَحَـدٍ مِنْ (______________________________ ۱)

([۹۴۴]) الجرجانی: هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانی، أبو بکر، مؤسـس أصول البلاغهٔ و أحد أئمهٔ اللغهٔ. أصـله من جرجان، توفی سـنهٔ ۴۷۱ ه. من مؤلفاته: أسـرار البلاغـهٔ، دلائل الإعجاز، الجمل، التتمـهٔ، إعجاز القرآن، العوامل المائـهٔ، العمدهٔ، الخ. - البیت لم نقف علی نسبته. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۶ بَعْدِی [ص: ۳۵] و هذا أشـبه بالحسد و البخل بنعم اللّه تعالی علی عبیده بمـا لاـ یضـر سـلیمان علیه السـلام؟ قلنـا: قـال الحسن و قتادهٔ رحمهما اللّه: المراد به لا ینبغی لأحـد أن یسـلبه منی فی حیاتی کما فعله الشـیطان الذی لبس خاتمه و جلس علی کرسیه. الثانی: أن اللّه تعالی علم أنه لا یقوم غیره من عباده بمصالح ذلک الملک، فاقتضـت حکمته تخصـیصه به فألهمه أن یسأله تخصـیصه به. الثالث: أنه أراد بـذلک ملکا عظیما فعبر عنه بتلک العبارهٔ، و لم یقصـد بـذلک إلا عظم الملـک وسـعته کمـا تقول لفلان: ما لیس لأحـد مثله من الفضل أو من المال، و تریـد بـذلک عظم فضـله أو ماله، و إن کان فی النـاس أمثاله. [۹۴۶] فـإن قیـل: کیف قـال تعـالی فی وصف أیوب علیه السـلام: إِنَّا وَجَـدْناهُ صـابِراً [ص: ۴۴] مـع أن الصـبر هو ترک الشکوی من ألم البلوی علی ما قیل، و هو قد شکا؟ قلنا: الشکوی إلی اللّه لا تنافی الصبر و لا تسمی جزعا، لما فیها من إظهار الخضوع

و العبودیـهٔ للّه تعـالی و الافتقـار إلیه، و یؤیـده قول یعقوب علیه السـلام قالَ إِنَّما أَشْـکُوا بَثِّی وَ حُزْنِی إِلَی [یوسف: ۸۶] مع قوله فَصَبْرٌ جَمِیلٌ [یوسف: ۱۸] و قولهم: الصبر ترک الشـکوی، یعنی إلی العباد. الثانی: أنه صـلّی اللّه علیه و سـلّم إنما طلب الشفاء من اللّه تعالی بعـد ما لم یبق منه إلا قلبه و لسانه خیفهٔ علی قومه أن یفتنهم الشـیطان بما کان یوسوس إلیهم به و یقول إنه لو کان أیوب نبیا لما ابتلی بما هو فیه و لدعا اللّه تعالی بکشف ضره. و روی أنه علیه الصلاهٔ و السلام قال فی مناجاته: إلهی قد علمت أنه لم یخالف لسانی قلبی، و لم یتبع قلبی بصـری، و لم یلهنی مـا ملکت یمینی، و لم آکـل إلّـا و معی یتیم، و لم أبت شـبعان و لاـ کاسـیا و معی جائع أو عریان، فکشف اللّه تعالی ضـره. [۹۴۷] فـإن قیل: قوله تعالی: وَ إِنَّ عَلَیْکَ لَعْنَتِی إِلی یَوْمِ الـدِّینِ [ص: ۷۸] یـدل علی أن غایهٔ لعنهٔ اللّه لإبلیس یوم القیامـهٔ ثم تنقطع؟ قلنا: کیف تنقطع و قد قال تعالی: فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَیْنَهُمْ یعنی یوم القیامهٔ أَنْ لَعْنَهُ اللَّهِ عَلَی الظَّالِمِینَ [الأعراف: ۴۴] و إبلیس أظلم الظلمـهٔ، و لکن مراده فی الآیـهٔ أن علیه اللعنهٔ فی طول مدهٔ الدنیا، فإذا کان یوم القیامهٔ اقترن له باللعنهٔ من أنواع العذاب ما تنسی عنده اللغهٔ و کأنها انقطعت. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۷

سورة الزمر

سورهٔ الزمر [۹۴۸] فإن قیل: کیف قال تعالی: إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ کاذِبٌ کَفَّارٌ [الزمر: ۳]، و کم من کاذب کفار قد هداه اللّه تعالی فأسـلم و صـدق؟ قلنا: معناه لا یهـدیه إلی الإیمان ما دام علی کفره و کـذبه. و قیل معناه: لا یهـدیه إلی حجهٔ یلزم بها المؤمنین. [۹۴۹] فإن قیل: کیف یصـلح قوله تعالی: لَوْ أَرادَ اللَّهُ أَنْ یَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفی مِمَّا یَخْلُقُ ما یَشاءُ [الزمر: ۴]، ردا لقول من ادّعی أن له ولـدا و إبطالا لـذلک؛ مع أنه کل من نسب إلیه ولـدا قال إنه اصـطفاه من خلقه بجعله ولـدا، فالیهود یـدّعون أنه عزیر، و النصاری یـدّعون أنه المسیح علیهما السـلام، و طائفهٔ من مشرکی العرب یدّعون أن الملائکهٔ بنات اللّه تعالی؟ قلنا: هذا إن جعل ردا علی الیهود و النصاری کان معناه لاصـطفی الولد من الملائکهٔ لا من البشر؛ لأن الملائکهٔ أشرف من البشر بلا خلاف بین الیهود و لا بین النصاری، و إن کان ردا علی مشرکی العرب کان معناه لاصـطفی له ولدا من جنس یخلق کل شـیء یریده، لیکون ولدا موصوفا لصـفته، و لم یصطف من الملائکهٔ الذین لا یقدرون علی إیجاد جناح بعوضهٔ و لا یرد علی هذا خلق عیسـی علیه السلام الطیر؛ لأنه لیس بعام. أو لأن معنی خلقه التقدیر من الطین، ثم اللّه تعالی یخلقه حیوانا بنفخ عیسـی علیه السلام و إظهارا لمعجزته. [۹۵۰] «۱» فإن قیل: کیف قال تعالی: خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَهٍٔ ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها [الزمر: ۶] و خلق حواء من آدم علیه السـلام سابق علی خلقنا منه، فکیف عطفه علیه بکلمـهٔ ثم؟ قلنـا: ثم هنـا للترتیب فی الإخبـار لا فی الإیجاد، کما تقول لصاحبک أعطیتک الیوم کـذا ثم أعطیتک أمس أکثر منه، أی ثم أخبرک بکـذا، و منـه قـول الشـاعر: إنّ مـن سـاد ثـمّ سـاد أبـوه ثـم قـد سـاد قبـل ذلـک جـدّه

____

(۱) ([۹۵۰]) الـبیت لأـبی نـواس (الحسن بن هـانی) و هو فی دیوانه: ۴۹۳ هکـذا: قـل لمن ساد ثم ساد أبوه قبله ثم قبل ذلک جـدّه أسـئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۲۷۸

الثانی: أن ثم متعلقـهٔ بمعنی واحدهٔ و عاطفهٔ علیه لا علی خلقکم، فمعناه خلقکم من نفس واحدهٔ، و أفردت بالإیجاد ثم شـفعت بزوج. الثـالث: أن ثم علی ظاهرهـا، لأـن اللّه تعالی خلق آدم ثم أخرج أولاده من ظهره کالـذر، و أخـذ علیهم المیثاق ثم ردهم إلی ظهره ثم خلق منه حواء، فالمراد بقوله تعالی خلقکم خلقا یوم أخـذ المیثاق دفعهٔ واحدهٔ؛ لأنّ هذا الخلق الذی نحن فیه بالتوالد و التناسل. [۹۵۱] فـإن قیـل: کیف قال تعالی: وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَهَٔ أَزْواجٍ [الزمر: ۶] مع أن الأنعام مخلوقـهٔ فی الأرض لا منزلهٔ من السـماء؟ قلنا: قیل إن اللّه تعالی خلق الأزواج الثمانیهٔ فی الجنهٔ ثم أنزلها علی آدم علیه السـلام بعد إنزاله. الثانی: أن اللّه تعالی أنزل الماء من السماء، و الأنعام لا توجـد إلا بوجود النبات، و النبات لا یوجد إلا بوجود الماء، فکأن الأنعام منزلهٔ من السـماء، و نظیره قوله تعالی: یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ [الأعراف: ۲۶]، و إنمـا أنزل الماء الـذی لا یوجـد القطن و الکتان و الصوف إلا به. [۹۵۲] فإن قیـل: کیف قـال تعـالی فی وصف الـذی جـاء بالصـدق و صـدق به لِیُکَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِی عَمِلُوا وَ یَجْزِیَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِی

كانُوا يَعْمَلُونَ [الزمر: ٣۵]؛ مع أنه سبحانه و تعالى يكفر عنهم سيئ أعمالهم و يجزيهم بحسنها أيضا؟ قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فى سورة التّوبة. [٩۵٣] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ لِلَّهِ الشَّفاعَةُ جَمِيعاً [الزمر: ۴۴]؛ مع أنه جاء فى الأخبار أن للأنبياء و العلماء و الشهداء و الأطفال شفاعة يوم القيامة؟ قلنا: معناه أن أحدا لا يملكها إلا بتمليكه، كما قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ [البقرة: ٢۵۵] و قال تعالى: وَ لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضى [الأنبياء: ٢٨]. [٩۵۴] فإن قيل: كيف ذكر الضمير فى أوتيته و هو للنعمة فى قوله تعالى: ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا و قال: إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ؟ [الزمر: ۴٩]. قلنا: إنما ذكره نظرا إلى المعنى؛ لأن معنى نعمة شيئا من النعمة و قسما منها، أو لأن النعمة و الإنعام بمعنى واحد. [٩۵۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ [الزمر: ۵۵] و القرآن كله حسن؟ قلنا: معناه اتبعوا أحسن وحى أو كتاب أنزل إليكم من ربكم و هو القرآن كله. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٧٩ و قيل: أحسن القرآن الآيات المحكمات. و قيل: أحسنه كلّ آية تضمنت أمرا بطاعة أو إحسان و قد سبق نظير هذه الآية فى سورة الأعراف فى قوله تعالى: وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها [الأعراف: ١۴۵] و الأجوبة المذكورة ثمّ تصلح هنا، و كذا الأجوبة المذكورة هنا تصلح ثمة إلا الجواب الأول. [٩۵۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ [الزمر: ۶۵]، مع أن الموحى إليهم جماعة، و لما أوحى إلى من قبله لم يكن فى الوحى إليهم خطابه؟ قلنا: معناه و لقد أوحى إلى كل واحد منك و منهم لئن أشركت. الثانى: أنّ فيه إضمارا تقديره: و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك التوحيد، ثم ابتدأ فقال لئن أشركت. الثالث: أنّ فيه تقديما و تأخيرا تقديره: و لقد أوحى إليك لئن أشركت، و كذلك أوحى إلى الذين من قبلك. [٩۵٧] فإن قيل: كيف عبّر سبحانه عن الذّهاب بأهل الجنة و النار بلفظ السوق فى قوله تعالى: وَ سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا [الزمر: ٧١] الآيتين و فيه نوع إهانة؟ قلنا: المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان و العنف كما يفعل بالأسارى و الخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، و المراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم حثّا و إسراعا بهم إلى دار الكرامة و الرضوان كما يفعل بمن يشرف و يكرم من الوافدين على السلطان، فشتان ما بين السوقين. [٩۵٨] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف النار فُتِحَتْ أَبْوابُها [الزمر: ٧١] بغير واو و قال: فى صفة الجنة: وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها [الزمر: ٧۵] بالواو؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنها زائدة قاله الفراء و غيره. الثانى: أنها واو الثمانية و أبواب الجنة ثمانية. الثالث: أنها واو الحال معناه: جاءوها و قد فتحت أبوابها قبل مجيئهم؛ بخلاف أبواب النار، فإنها إنّما تفتح عند مجيئهم؛ و الحكمة فى ذلك من وجوه: أحدها: أن يستعجل أهل الجنة الفرح و السرور إذا رأوا الأبواب مفتحة، و أهل النار يأتون النار و أبوابها مغلقة ليكون أشدّ لحرها. الثانى: أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل و هوان، فصين عنه أهل الجنة لا أهل النار. الثالث: أن الكريم يعجل المثوبة و يؤخر العقوبة، فلو وجد أهل الجنة بابها مغلقا لأثر انتظار فتحه فى كمال الكريم؛ بخلاف أهل النار. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٨٠

سورة المؤمن (غافر)

سورة المؤمن (غافر) [٩۵٩] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما يُجادِلُ فِي آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا [غافر: ۴]، مع أن الذين آمنوا يجادلون أيضا فيها، هل هى منسوخة أم محكمة؟ و هل فيها مجاز أم كلها حقيقة؟ و هل هى مخلوقة أم قديمة و غير ذلك؟ قلنا: المراد الجدال فيها بالتكذيب و دفعها بالباطل و الطعن بقصد إدحاض الحق و إطفاء نور اللّه تعالى، و يدل عليه قوله تعالى عقيبه وَ جادَلُوا بِالْباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ [غافر: ۵]. [٩۶٠] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى، فى وصف حملة العرش: وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ [غافر: ٧]؛ و لا يخفى على أحد أنّ حملة العرش يؤمنون باللّه تعالى؟ قلنا: فائدته إظهار شرف الإيمان و فضله و الترغيب فيه، كما وصف الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بالصلاح و الإيمان فى غير موضع من كتابه لذلك، و كما عقب أعمال الخير بقوله تعالى: ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا [البلد: ١٧]. [٩۶١] فإن قيل: فى قوله تعالى: قالُوا رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ [غافر: ١١] كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة؟ قلنا: هذا كما تقول: سبحان من صغر جسم البعوضة و كبر جسم الفيل، و كما تقول للحفار: ضيق فم الركية و وسع أسفلها، و ليس فيهما نقل من كبر إلى

صغر و من صغر إلى كبر، و لا من سعة إلى ضيق و لا من ضيق إلى سعة، و إنما أردت الإنشاء على تلك الصفات، و السبب في صحته أن الصغر و الكبر جائزان معا على ذات المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما، و كذلك الضيق و السعة، و إذا اختار الصانع أحد الجائزين و هو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه عنه كنقله منه. [۹۶۲] فإن قيل: قوله تعالى: لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ [غافر: ۱۶] بيان و تقرير لبروزهم في قوله تعالى: يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ [غافر: ۱۶] و اللّه تعالى لا يخفى عليه شيء برزوا أو لم يبرزوا؟ قلنا: معناه لا يخفى على اللّه منهم شيء في اعتقادهم أيضا، فإنهم كانوا في الدنيا يتوهمون إذا تستروا بالحيطان و الحجب لا يراهم اللّه، و يؤيده قوله تعالى: أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۱ وَ لكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ [فصلت: ۲۲]. [۹۶۳] «۱» فإن قيل: كيف قال المؤمن، في حقّ موسى عليه السلام: وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ [غافر: ۲۸]؛ مع أنه صادق في زعم القائل لهذا القول و في نفس الأمر أيضا، و يلزم من ذلك أنّ يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أن لفظة بعض صلة. الثاني: أنها بمعنى «كل» كما في قول الشاعر: إن الأمور إذا الأحداث دبّرها دون الشّيوخ ترى في بعضها خللا و منه قول لبيد: أو لم تكن تدري نوار بأنني وصّال عقد حبائل جذّامها ترّاك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها قلنا: و لقائل أن يقول: إن لفظة بعض في البيتين على حقيقتها، و كنى لبيد ببعض النفوس عن نفسه كأنه قال: أتركها إلى أن أموت، و كذا فسره ابن الأنباري. على أن أبا عبيدة قال: إنّ بعض في الآية بمعنى كل؛ و استدل ببيت لبيد، و أنكر الزمخشري على أبي عبيدة هذا التفسير. على أن غير أبي عبيدة قال في قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السلام لأمته: وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ [الزخرف: ۶۳]، أن بعضا فيه بمعنى كل. الثالث: أنها على أصلها. ثم في ذلك وجهان: (______________________________ ۱) ([۹۶۳]) البيت لم نقف على قائله. - البيتان من معلقة لبيد. و هما في ديوانه. - اختلف القول في معنى بعض في الشاهد. و قد اختار المصنف أن المراد بها نفس الشاعر. و سبق أن دفع الرضي هذا الرأي و اختار أن الضمير الراجع إلى بعض مؤنث، لأن البعض أضيف إلى النفوس و هي مؤنثة. و محل الكلام في المسألة يكون عادة في كتب النحو في باب أن المضاف إليه قد يكسب المضاف تأنيثا و تذكيرا. هذا و الشطر الأخير من بيتي لبيد يروى أحيانا و فيه: «يعتلق» بدل «يرتبط». - البيت الأخير للقطامي و هو في ديوانه: ۲۵. و يروى عجزه: و قد يكون مع المستعجل الزّلل- أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة: من أئمة النحو و اللغة و الأدب. ولد في البصرة سنة ۱۱۰ ه و توفي بها سنة ۲۰۹ ه. كان إباضي المذهب، شعوبي النزعة. و كان من حفاظ الحديث، كثير التصنيف. من مؤلفاته: نقائض جرير و الفرزدق، العققة و البررة، المثالب، مآثر العرب، أيام العرب، الشوارد، الإنسان، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۲ أحدهما: أنه وعدهم النجاة إن آمنوا و الهلاك إن كفروا، فذكر لفظة بعض؛ لأنهم على إحدى الحالتين لا محالة. الثاني: أنه وعدهم على كفرهم الهلاك في الدنيا و العذاب في الآخرة، و كان هلاكهم في الدّنيا بعضا، فمراده يصيبكم في الدنيا بعض الذي يعدكم. الرابع: أنه ذكر البعض بطريق التنزل و التلطف و إمحاض النصيحة من غير مبالغة و لا تأكيد ليسمعوا منه و لا يتّهموه؛ فيردّوا عليه، و ينسبوه إلى ميل و محاباة لموسى عليه السلام، كأنه قال: أقل ما يصيبكم البعض و فيه كفاية، و نظيره قول الشاعر: قد يدرك المتأنّي بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزّلل كأنه يقول أقل ما يكون في التأني إدراك بعض المطلوب، و أقل ما يكون في الاستعجال الزلل، فقد بان فضل التأني على العجلة بما لا يقدر الخصم على دفعه و رده. و الوجه الرابع هو اختيار الزمخشري رحمة اللّه عليه. [۹۶۴] فإن قيل: التّولي و الإدبار واحد فما فائدة قوله تعالى: يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ؟ [غافر: ۳۳]. قلنا: هو تأكيد، كقوله تعالى: فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ [النحل: ۲۶] و نظائره كثيرة. الثاني: أنه استثارة لحميتهم و استجلاب لأنفتهم لما في لفظ «مدبرين» من التّعريض بذكر الدّبر، فيصير نظير قوله تعالى: وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ [القمر: ۴۵]. [۹۶۵] فإن قيل: ما فائدة التكرار في قوله تعالى: لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ [غافر: ۳۶، ۳۷] و هلّا قال: أبلغ أسباب السموات؟ أي أبوابها و طرقها. قلنا: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه و تعظيما لمكانه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها. [۹۶۶] فإن قيل: مثل السيئة سيئة

فما معنى قوله تعالى: مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها [غافر: ۴۰]؟ قلنا: معناه أن جزاء السيئة له حساب و تقدير لا يزيد على المقدار المستحق، فأمّا جزاء العمل الصالح فبغير تقدير حساب، كما قال تعالى فى آخر الآية. [۹۶۷] فإن قيل: قوله تعالى: مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها [الأنعام: ۱۶۰] ينافى ذلك. قلنا: ذلك لمنع النقصان لا لمنع الزيادة، كما قال اللّه تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ [يونس: ۲۶]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۳ [۹۶۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ [غافر: ۴۹] و لم يقل: و قال الذين فى النار لخزنتها مع أنّه أخصر؟ قلنا: لأنّ فى ذكر جهنّم تهويلا و تفظيعا. و قيل: إن جهنّم هى أبعد النار قعرا، و خزنتها أعلى الملائكة الموكلين بالنّار مرتبة، فإنّما قصدهم أهل النار بطلب الدّعاء منهم لذلك. [۹۶۹] فإن قيل: كيف قال المشركون: بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً [غافر: ۷۴]؛ مع قولهم: هؤُلاءِ شُرَكاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ [النحل: ۸۶]. قلنا: معناه أن الأصنام التى كنا نعبدها لم تكن شيئا؛ لأنها لا تنفع و لا تضر. الثانى: أنهم قالوا كذبا و جحودا كقولهم: وَ اللَّهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ [الأنعام: ۲۳]. [۹۷۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ [غافر: ۸۰] و لم يقل: و فى الفلك تحملون، كما قال تعالى: قُلْنَا احْمِلْ فِيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ [هود: ۴۰]؟ قلنا: معنى الوعاء و معنى الاستعلاء كلاهما صحيح فى الفلك؛ لأنه وعاء لمن يكون فيه و حمولة لمن يستعليه، فلما صح المعنيان استقامت العبارتان معا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۴

سورة فصلت

سورة فصلت [۹۷۱] فإن قيل: ما فائدة زيادة «من» فى قوله تعالى: وَ مِنْ بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ [فصلت: ۵] مع أن المعنى حاصل بقوله تعالى: بَيْنِنا وَ بَيْنِكَ حِجابٌ [فصلت: ۵]؟ قلنا: لو قيل كذلك لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين، و أما بزيادة من فمعناه أن الحجاب ابتداؤه منا و منك، فالمسافة المتوسطة بيننا و بينك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها. [۹۷۲] فإن قيل: قوله تعالى: أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [فصلت: ۹] إلى قوله تعالى: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ [فصلت: ۱۲] يدل على أن السموات و الأرض و ما بينهما خلقت فى ثمانية أيام. و قال تعالى فى سورة الفرقان: الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ [الفرقان: ۵۹] فكيف التوفيق بينهما؟ قلنا: معنى قوله تعالى: فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ [فصلت: ۱۰] فى تتمة أربعة أيام، لأنّ اليومين اللذين خلق فيهما الأرض من جملة الأربعة، أو معناه كل ذلك فى أربعة أيام يعنى خلق الأرض و ما ذكر بعدها فصار المجموع ستة، و هذا لا اختلاف فيه بين المفسرين. [۹۷۳] فإن قيل: السموات و ما فيها أعظم من الأرض و ما فيها بأضعاف مضاعفة فما الحكمة فى أن اللّه خلق الأرض و ما فيها فى أربعة أيام، و السموات و ما فيها فى يومين؟ قلنا: لأن السموات و ما فيها من عالم الغيب و من عالم الملكوت و من عالم الأمر؛ و الأرض و ما فيها من عالم الشهادة و الملك. و خلق الأول أسرع من الثانى، و وجه آخر و هو أنه فعل ذلك ليعلم أن الخلق على سبيل التدريج و التمهيل فى الأرض و ما فيها لم يكن للعجز عن خلقها دفعة واحدة؛ بل كان لمصالح لا تحصل إلا بذلك، و لهذه الحكمة خلق العالم الأكبر فى ستة أيام، و العالم الأصغر و هو الإنسان فى ستة أشهر. [۹۷۴] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى وصف أهل النار: فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۵ مَثْوىً لَهُمْ [فصلت: ۲۴] مع أنهم إن لم يصبروا على عذاب النار و جزعوا فالنار مثوى لهم أيضا؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم. على كل حال، و لا ينفعهم الصبر فى الآخرة كما ينفع الصبر فى الدنيا، و لهذا قيل الصبر مفتاح الفرج، و قيل من صبر ظفر. الثانى: أن هذا جواب لقول المشركين فى حث بعضهم لبعض على إدامة عبادة الأصنام أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ [ص: ۸۶] فقال اللّه تعالى فإن يصبروا على عبادة الأصنام فى الدنيا فالنار مثوى لهم فى العقبى. [۹۷۵] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف الكفار: وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ [فصلت: ۲۷] أى بأسوإ أعمالهم، مع أنهم يجزون بسيّئ أعمالهم أيضا؟ قلنا: قد سبق نظير هذا السؤال فى آخر سورة التوبة، و الجواب الأول هناك يصلح جوابا هنا. [۹۷۶] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لا لِلْقَمَرِ [فصلت: ۳۷] بعد قوله تعالى: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ [فصلت: ۳۷] و هو مستفاد من الأول بالطريق الأولى؟ قلنا: فائدته ثبوت الحكم بأقوى الدليلين و هو النص، و اللّه أعلم. أسئلة القرآن و

أجوبتها، ص: ۲۸۶

سورة الشورى

سورة الشورى [۹۷۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ [الشورى: ۳] بلفظ المضارع، و الوحى إلى من قبل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ماض؟ قلنا: قال الزمخشرى: قصد بلفظ المضارع كون ذلك عادة و سنة للّه تعالى، و هذا لا يوجد فى لفظ الماضى. قلت: و يحتمل أن يكون باعتبار وضع المضارع موضع الماضى، كما فى قوله تعالى: قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ [الجاثية: ۲۶]، أو بإضمار و أوحى إلى الذين من قبلك. [۹۷۸] فإن قيل: إلى ما ذا يرجع الضمير فى قوله تعالى: يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ [الشورى: ۱۱]، أى يكثركم، و قيل يخلقكم، و قيل يعيشكم فيه؟ قلنا: معناه فى هذا التدبير أو فى الجعل المذكور، و قيل فى الرّحم الذى دل عليه ذكر الأزواج. [۹۷۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ [الشورى: ۱۱] و ظاهره يقتضى إثبات المثل و نفى مثل المثل، كما يقال: ليس كدار زيد دار. فإنه يقتضى وجود الدار لزيد؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أن المثل فى لغة العرب كناية عن الذات، و منه قولهم: مثلى لا يقال له كذا، و مثلك لا يليق به كذا، فمعناه ليس كهو شىء. الثانى: أن الكاف زائدة للتأكيد، و المعنى ليس كمثله شىء. الثالث: أن مثل زائدة، فيصير المعنى ليس كهو شىء كما مر فى الوجه الأول، و الفرق بين الوجهين أن المثل فى الوجه الأول كناية عن الذات، و فى الوجه الثالث زائد مطروح كأنه لم يذكر. [۹۸۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى [الشورى: ۲۳] و لم يقل إلا مودة القربى: أى القرابة، أو إلا المودة للقربى. قلنا: جعلوا محلّا للمودة و مقرا لها للمبالغة، كأنه قال: إلا المودة الثابتة المستقرة فى القربى، كما يقال، فى آل فلان مودة، ولى فيهم هوى و حب شديد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۷ [۹۸۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ [الشورى: ۲۹] و الدواب إنما هى فى الأرض فقط؟ قلنا: فيهما بمعنى فيها، باعتبار إطلاق لفظ التثنية على المفرد كما فى قوله تعالى: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ [الرحمن: ۵۵] و إنما يخرج من أحدهما و هو الملح. و قيل: إن الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم أيضا و هم مبثوثون فى السماء، و يؤيد ذلك قوله تعالى: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ [الأنعام: ۳۸] فتقييده بالأرض يدل على وجود الدابة فى غير الأرض من حيث المفهوم. [۹۸۲] فإن قيل: كيف قدم سبحانه و تعالى الإناث على الذكور فى قوله تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ [الشورى: ۴۹] مع تقدمهم عليهن، ثم رجع فقدمهم عليهن، و لم نكر الإناث و عرف الذكور؟ قلنا: إنما قدم الإناث لأن الآية إنما سيقت لبيان عظمة ملكه و نفاذ مشيئته، و أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء عبيده، فكان ذكر الإناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه عبيده أهم، و الأهم واجب التقديم، فلما قدمهن و أخر الذكور لذلك المعنى تدارك تأخيرهم، و هم أحقاء بالتقديم بتعريفهم؛ لأن التعريف تنويه و تشهير، كأنه قال: و يهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المشهورين الذين لا يخفون على أحد، ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم و التأخير، فعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن و لكن لمقتض آخر فقال تعالى: ذُكْراناً وَ إِناثاً [الشورى: ۵۰] كما قال تعالى: إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى [الحجرات: ۱۳] و قال: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى [القيامة: ۳۹]. [۹۸۳] فإن قيل: قوله: وَ ما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ [الشورى: ۵۱] الآية؛ كيف يقال إن اللّه تعالى كلم محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم ليلة المعراج مواجهة بغير حجاب و لا واسطة، و قد خص اللّه تعالى تكليمه للبشر فى طريق الوحى و هو الإلهام، كما كلم أم موسى، و الإسماع من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، و إرسال الرسول كما كلم الأنبياء بواسطة جبريل عليه السلام، و كما كلم الأمم بواسطة الرسل؟ قلنا: قيل المراد بالوحى الأول هنا الإشارة، و منه قولهم وحى العين و وحى الحاجب، أى إشارتهما، و منه قوله تعالى: فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا [مريم: ۱۱] فتكليمه لمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم ليلة المعراج كان مواجهة بالإشارة. [۹۸۴] فإن قيل: قوله تعالى: ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ [الشورى: ۵۲] كيف كان لا يعلم الإيمان قبل أن يوحى إليه، و الإيمان هو التصديق بوجود أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۸ الصانع و توحيده، و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كلهم كانوا مؤمنين باللّه قبل أن يوحى إليهم بأدلة عقولهم؟ قلنا: المراد

بالإيمان هنا شرائع الإيمان و أحكامه، كالصّلاة و الصوم و نحوهما. و قيل المراد به الكلمة التى بها دعوة الإيمان و التّوحيد و هى لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، و الإيمان بهذا التفسير إنّما علمه بالوحى كما علم الكتاب و هو القرآن لا بالعقل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۸۹

سورة الزخرف

سورة الزخرف [۹۸۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا [الزخرف: ۳] و لم يقل قلناه أو أنزلناه، و القرآن ليس بمجعول، لأن الجعل هو الخلق، و منه قوله تعالى: وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ [الأنعام: ۱] و قوله تعالى: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثى [القيامة: ۳۹]؟ قلنا: الجعل أيضا يأتى بمعنى القول، و منه قوله تعالى: وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَناتِ [النحل: ۵۷] و قوله تعالى: وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْداداً [إبراهيم: ۳۰] أى قالوا و وصفوا، لا أنهم خلقوا كذلك هنا. [۹۸۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنا [الزخرف: ۴۵] و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ما لقيهم حتى يسألهم؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: و اسأل أتباع من، أو أمة من أرسلنا من قبلك. الثانى: أنه مجاز عن النظر فى أديانهم و البحث عن مللهم هل فيها ذلك. الثالث: أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حشر له الأنبياء عليهم السلام ليلة المعراج، فلقيهم و أمّهم فى مسجد بيت المقدس، فلما فرغ من الصلاة نزلت عليه هذه الآية و الأنبياء حاضرون، فقال: لا أسأل قد كفيت، و قيل إنه خطاب له و المراد به أمته. [۹۸۷] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ ما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها [الزخرف: ۴۸] يعنى الآيات التسع التى جاء بها موسى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإن كان المراد به أن كل واحدة منهن أكبر ممّا سواها لزم أن يكون كل واحدة فاضلة و مفضولة. و إن كان المراد به أن كل واحدة منهن أكبر من أخت معينة لها فأيتها هى الكبرى، و أيتها هى الصغرى؟ قلنا: المراد بذلك أنهن موصوفات بالكبرى لا يكدن يتفاوتن فيه، و نظيره بيت الحماسة: من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى

(۱) ([۹۸۷]) البيت من جملة أبيات تنسب لأحد بنى أبى بكر بن كلاب، يقال له: العرندس، و هو فى الحماسة لأبى تمّام: ۲/ ۲۶۸. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۰

[۹۸۸] فإن قيل: كيف قال عيسى عليه السلام لأمته: وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ [الزخرف: ۶۳]؟ قلنا: كانوا يختلفون فيما يعنيهم من أمر الديانات و فيما لا يعنيهم من أمور أخرى، فكان يبين لهم الشرائع و الأحكام خاصة، و قيل: إن البعض هنا بمعنى الكل كما سبق فى سورة المؤمن فى قوله تعالى: وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ [غافر: ۲۸]. [۹۸۹] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ بعد قوله: بَغْتَةً [الزخرف: ۶۶] أى فجأة. قلنا: فائدته أنها تأتيهم و هم غافلون مشغولون بأمور دنياهم، كما قال تعالى: ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً واحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ [يس: ۴۹] فلولا قوله: وَ هُمْ لا يَشْعُرُونَ جاز أن تأتيهم بغتة و هم فطنون حذرون مستعدون لها. [۹۹۰] فإن قيل: كيف وصف أهل النار فيها بكونهم مبلسين، و المبلس هو الآيس من الرحمة و الفرج، ثم قال تعالى: وَ نادَوْا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ [الزخرف: ۷۷] فطلبوا الفرج بالموت؟ قلنا: تلك أزمنة متطاولة و أحقاب ممتدة فتختلف فيها أحوالهم، فيغلب عليهم اليأس تارة فيسكنون، و يشتد ما بهم من ألم العذاب تارة فيستغيثون. [۹۹۱] فإن قيل: قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلهٌ [الزخرف: ۸۴] ظاهره يقتضى تعدد الآلهة، لأن النكرة إذا أعيدت تعددت كقوله: له علىّ درهم و درهم، و أنت طالق و طالق، و لهذا قال ابن عباس رضى اللّه عنهما لن يغلب عسر يسرين؟ قلنا: الإله هنا بمعنى المعبود بالنقل، كما فى قوله تعالى: وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَ فِي الْأَرْضِ [الأنعام: ۳] فصار المعنى: و هو الذى فى السماء معبود و فى الأرض معبود، و المغايرة ثابتة بين معبوديته فى السماء و معبوديته فى الأرض؛ لأن العبودية من الأمور الإضافية فيكفى فى تغايرهما التغاير من أحد الطرفين فإذا كان العابد فى السماء غير العابد فى الأرض صدق أن معبوديته فى السماء غير معبوديته فى الأرض، مع أن المعبود واحد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۱

سورة الدخان

سورة الدخان [۹۹۲] فإن قيل: الخلاف بين النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و منكرى البعث إنما كان فى الحياة بعد الموت لا فى الموت، فكيف قال تبارك و تعالى: إِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولى [الدخان: ۳۴، ۳۵] و لم يقل إلا حياتنا، كما قال تعالى فى موضع آخر إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنَا الدُّنْيا [الأنعام: ۲۹] و ما معنى وصف الموتة بالأولى، كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها و جحدوها و أثبتوا الموتة الأولى؟ قلنا: لما وعدوا موتة تكون بعدها حياة نفوا ذلك، كأنهم قالوا لا تقع فى الوجود موتة تكون بعدها حياة إلا ما كنا فيه من موتة العدم و بعثنا منه إلى حياة الوجود. و قيل: إنهم نفوا بذلك الموتة الثانية فى القبر بعد إحيائهم لسؤال منكر و نكير. [۹۹۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذابِ الْحَمِيمِ [الدخان: ۸۴] و العذاب لا يصب، و إنما يصب الحميم كما قال فى موضع آخر يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ [الحج: ۱۹] قلنا: هو استعارة ليكون الوعد أهول و أهيب، و نظيره قوله تعالى: فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ [الفجر: ۱۳] و قوله تعالى: أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً [البقرة: ۲۵۰]، و قول الشاعر: صبّت عليهم صروف الدّهر من صبب [۹۹۴] فإن قيل: كيف وعد اللّه أهل الجنة بلبس الإستبرق و هو غليظ الديباج فى قوله تعالى: يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ [الدخان: ۵۳] مع أن لبس الغليظ من الديباج عند السعداء من أهل الدنيا عيب و نقص؟ قلنا: كما أن رقيق ديباج الجنة و هو السندس لا يماثل رقيق ديباج الدنيا إلا فى الاسم فقط، فكذلك غليظ ديباج الجنة. و قيل السندس لباس السادة من أهل الجنة، و الإستبرق لباس العبيد و الخدم إظهارا لتفاوت المراتب. [۹۹۵] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى وصف أهل الجنة: لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولى [الدخان: ۵۶] مع أن الموتة الأولى لم يذوقوها فى الجنة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۲ قلنا: قال الزّجاج و الفرّاء: إلّا هنا بمعنى سوى، كما فى قوله تعالى: إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ [النساء: ۲۲]، و قوله تعالى: إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ [هود: ۱۰۷]. الثانى: أن إلا بمعنى بعد كما قال بعضهم فى قوله تعالى: إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ [النساء: ۲۲]. الثالث: أن السعداء إذا حضرتهم الوفاة كشف لهم الغطاء و عرضت عليهم منازلهم و مقاماتهم فى الجنة، و تلذذوا فى حال النزع بروحها و ريحانها، فكأنهم ماتوا فى الجنة، و هذا قول ابن قتيبة رحمه اللّه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۳

سورة الجاثية

سورة الجاثية [۹۹۶] فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال فى قوله تعالى: وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ [الجاثية: ۲۵، ۲۶]؟ قلنا: وجه المطابقة أنهم ألزموا بما هم مقرّون به من أن اللّه تعالى هو الذى أحياهم أوّلا ثم يميتهم، و من كان قادرا على ذلك كان قادرا على جمعهم يوم القيامة، فيكون قادرا على إحياء آبائهم. [۹۹۷] فإن قيل: كيف أضاف الكتاب إلى الأمة و إليه فى قوله تعالى: كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتابِهَا [الجاثية: ۲۸] ثم قال: هذا كِتابُنا [الجاثية: ۲۹]. قلنا: الإضافة تصح بأدنى ملابسة و قد لابسهم الكتاب بكون أعمالهم مثبتة فيه، و لابسه بكونه مالكه و كونه آمرا لملائكته أن يكتبوا فيه أعمالهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۴

سورة الأحقاف

سورة الأحقاف [۹۹۸] فإن قيل: كيف قال: أُولئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا [الأحقاف: ۱۶] مع أن حسن ما عملوا يتقبل عنهم أيضا. قلنا: أحسن بمعنى حسن، و قد سبق نظيره فى سورة الروم. [۹۹۹] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف الفريقين: وَ لِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا [الأحقاف: ۱۹] مع أن أهل النار لهم دركات لا درجات؟ قلنا: الدرجات الطبقات من المراتب مطلقا من غير اختصاص. الثانى: أن فيه إضمارا تقديره: و لكل فريق درجات أو دركات مما عملوا؛ إلا أنه حذفه اختصارا لدلالة المذكور عليه.

[۱۰۰۰] فإن قيل: كيف طابق الجواب السؤال فى قوله تعالى: فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ [الأحقاف: ۲۲، ۲۳]؟ قلنا: طابقه من حيث أن قولهم ذلك استعجال للعذاب الذى توعدهم به بدليل قوله تعالى بعده بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ [الأحقاف: ۲۴] فقال لهم لا علم لى بوقت تعذيبكم؛ بل اللّه تعالى هو العالم به وحده. [۱۰۰۱] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى وصف الريح: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها [الأحقاف: ۲۵] و كم من شىء لم تدمره؟ قلنا: معناه تدمر كل شىء مرّت به من أموال قوم عاد و أملاكهم. [۱۰۰۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ [الأحقاف: ۳۱] و لم يقل يغفر لكم ذنوبكم؟ قلنا: لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كمظالم العباد و نحوها. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۵

سورة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم

سورة محمد صلّى اللّه عليه و سلّم [۱۰۰۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ [محمد: ۳]، و لم يسبق ضرب مثل؟ قلنا: معناه كذلك يبين اللّه للناس أمثال حسنات المؤمنين و سيئات الكافرين، و قيل أراد به أنه جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار، و اتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين، أو أنه جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار، و تكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين. [۱۰۰۴] فإن قيل: كيف قال تعالى فى حقّ الشهداء بعد ما قتلوا فى سبيل اللّه سَيَهْدِيهِمْ [محمد: ۵] و الهداية إنما تكون قبل الموت لا بعد؟ قلنا: معناه سيهديهم إلى محاجة منكر و نكير. و قيل: سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة. [۱۰۰۵] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيها أَنْهارٌ [محمد: ۱۵] إلى قوله تعالى: كَمَنْ هُوَ خالِدٌ فِي النَّارِ [محمد: ۱۵]؟ قلنا: قال الفراء: معناه أ من كان فى هذا النعيم كمن هو خالد فى النار. و قال غيره تقديره: مثل الجنة الموصوفة كمثل جزاء من هو خالد فى النار، فحذف منه ذلك إيجازا و اختصارا. [۱۰۰۶] فإن قيل: كيف قال تبارك و تعالى للنبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ [محمد: ۱۹]، و هو عالم بذلك قبل أن يوحى إليه و بعده؟ قلنا: معناه أثبت على ذلك العلم. و قال الزّجاج: الخطاب له صلّى اللّه عليه و سلّم، و المراد أمته، كما ذكرنا فى أول سورة الأحزاب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۲۹۶

سورة الفتح

سورة الفتح [۱۰۰۷] فإن قيل: كيف جعل فتح مكّة علة للمغفرة، فقال تعالى: إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ [الفتح: ۱، ۲] الآية. قلنا: لم يجعله علة للمغفرة؛ بل لاجتماع ما وعده من الأمور الأربعة، و هى المغفرة و إتمام النعمة و هداية الصراط المستقيم و النصر العزيز، و قبل الفتح لم يكن إتمام النعمة و النصر العزيز حاصلا، و إن كان الباقى حاصلا. و يجوز أن يكون فتح مكّة سببا للمغفرة، من حيث أنّه جهاد للعدو. [۱۰۰۸] فإن قيل: قوله تعالى: ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ [الفتح: ۲]، إن كان المراد بما تأخر ذنبا يتأخر وجوده عن الخطاب بهذه الآية فهو معدوم عند نزولها، فكيف يغفر الذنب المعدوم، و إن كان المراد به ذنبا وجد قبل نزولها فهو متقدم فكيف سماه متأخرا. قلنا: المراد بما تقدم قصة مارية، و بما تأخر قصة امرأة زيد. و قيل: المراد بما تقدم ما وجد منه، و بما تأخر ما لم يوجد منه على معنى أنه موعود بمغفرته على تقدير وجوده، أو على طريق المبالغة كقولهم: فلان يضرب من يلقاه و من لا يلقاه؛ بمعنى يضرب كل أحد، فكذا هنا معناه ليغفر لك اللّه كل ذنب: فالحاصل أن الذنب المتأخر متقدم على نزول الآية، و إن كان متأخرا بالنسبة إلى شىء آخر قبله أو متأخرا عن نزولها و هو موعود بمغفرته، أو على طريق المبالغة كما بينا. [۱۰۰۹] فإن قيل: ما معنى قوله: وَ يَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً [الفتح: ۲] و هو مهدى إلى الصراط المستقيم، و مهدى به أمته أيضا؟ قلنا: معناه و يزيدك هدى، و قيل: و يثبتك على الهدى، و قيل: معناه و يهديك صراطا مستقيما فى كل أمر تحاوله. [۱۰۱۰] فإن قيل: كيف يقال إن الإيمان لا يقبل الزيادة و النقصان و قد قال اللّه تعالى: لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ [الفتح: ۴]؟ قلنا: الإيمان الذى يقال إنه لا يقبل الزيادة و النقصان هو الإقرار بوجود اللّه تعالى، كما أن إلهيته لا تقبل الزيادة و النقصان، فأما الإيمان بمعنى الأمن أو اليقين أو التصديق فإنه أسئلة القرآن و

أجوبتها، ص: ٢٩٧ يقبلهما، و هو فى الآيـة بمعنى التصديق؛ لأنهم بسبب السكينة التى هى الطمأنينة و برد اليقين كلما نزلت فريضة و شريعة صدقوا بها فازدادوا تصديقا مع تصديقهم. [١٠١١] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ أَهْلَها [الفتح: ٢٦] بعد قوله: وَ كانُوا أَحَقَّ بِها [الفتح: ٢٦]؟ قلنا: الضمير فى بها لكلمة التوحيد، و فى أهلها للتقوى فلا تكرار. [١٠١٢] فإن قيل: ما وجه تعليق الدخول بمشيئة اللّه تعالى فى إخباره سبحانه و تعالى؛ حتى قال: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ [الفتح: ٢٧]؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أن «إن» بمعنى إذ، كما فى قوله تعالى: وَ ذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [البقرة: ٢٧٨]. الثانى: أنه استثناء من اللّه تعالى فيما يعلم تعليما لعباده أن يستثنوا فيما لا يعلمون. الثالث: أنه على سبيل الحكاية لرؤيا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإنّه رأى أنّ قائلا يقول له: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ [الفتح: ٢٧]. الرابع: أنّ الاستثناء متعلق بقوله تعالى: آمِنِينَ [الفتح: ٢٧] فأما الدخول فليس فيه تعليق. [١٠١٣] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: لا تَخافُونَ [الفتح: ٢٧] بعد قوله: آمِنِينَ؟ قلنا: معناه آمنين فى حال الدّخول لا تخافون عدوكم أن يخرجكم منه فى المستقبل. [١٠١٤] فإن قيل: قوله تعالى: لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ [الفتح: ٢٩] تعليل لما ذا؟ قلنا: لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم و قوتهم كأنه قال: إنما كثّرهم و قوّاهم ليغيظ بهم الكفار. [١٠١٥] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْراً عَظِيماً [الفتح: ٢٩] و كل أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم موصوفون بالإيمان و العمل الصالح و بغيرهما من الصفات الحميدة التى ذكرها اللّه تعالى فى هذه الآية فما معنى التبعيض هنا؟ قلنا: من هنا لبيان الجنس لا التبعيض كما فى قوله تعالى: فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثانِ [الحج: ٣٠]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٩٨

سورة الحجرات

سورة الحجرات [١٠١٦] «١» فإن قيل: كيف قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ [الحجرات: ١] و المراد به نهيهم أن يتقدموا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بقول أو فعل، لا أن يقدموا غيرهم؟ قلنا: قدم هنا لازم بمعنى تقدم كما فى قولهم بين و تبين، و فكر و تفكر، و وقف و توقف، و منه قول الشاعر: إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا و إن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا أى توقفوا، و قيل معناه: لا تقدموا فعلا قبل أمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. [١٠١٧] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ [الحجرات: ٢]، بعد قوله: لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ [الحجرات: ٢]. قلنا: فائدته تحريم الجهر فى مخاطبته صلّى اللّه عليه و سلّم باسمه نحو قولهم يا محمد و يا أحمد، فهو أمر لهم بتوقيره و تعظيمه صلّى اللّه عليه و سلّم فى المخاطبة، و أن يقولوا يا رسول اللّه و يا نبى اللّه و نحو ذلك، و نظيره قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً [النور: ٦٣]. [١٠١٨] فإن قيل: كيف قال: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ [الحجرات: ٢]، أى مخافة أن تحبط أعمالكم؛ مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصى، و رفع الصوت فى مجلس النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم ليس بكفر؛ كيف و قد روى أنّ الآية نزلت فى أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما لما رفعا أصواتهما بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنها نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس و كان جهورى الصوت، فربما تأذى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بصوته؟ قلنا: معناه لا تستخفوا به، فإن الاستخفاف به ربما أدى خطؤه إلى عمده، و عمده كفر يحبط العمل. و قيل: حبوط العمل مجاز عن نقصان المنزلة و انحطاط المرتبة. [١٠١٩] فإن قيل: ما وجه الارتباط و التعلق بين قوله تعالى: وَ لكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ [الحجرات: ٧] و بين ما قبله؟

(١) ([١٠١٦]) البيت لجميل بثينة و هو فى ديوانه. و قد أغار عليه الفرزدق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٢٩٩ قلنا: معناه فاتركوا عبادة الجاهلية فإن اللّه تعالى لم يترككم عليها، و لكن اللّه حبب إليكم الإيمان. و قيل: معناه فتثبتوا فى الأمور كما يليق بالإيمان، فإن اللّه حبب إليكم الإيمان. [١٠٢٠] فإن قيل: إن كان الفسوق و العصيان بمعنى واحد، فما فائدة الجمع بينهما، و إن كان العصيان أعم من الفسوق فذكره مغن عن ذكر الفسوق لدخوله فيه فما فائدة الجمع بينهما؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما المراد بالفسوق هنا الكذب، و بالعصيان بقية المعاصى، و إنما

أفرد الكذب بالذكر، لأنه سبب نزول الآية. [۱۰۲۱] فإن قيل: كيف يقال إن الإيمان و الإسلام بمعنى واحد، و اللّه سبحانه و تعالى يقول: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا [الحجرات: ۱۴]. قلنا: المنفى هنا الإيمان بالقلب بدليل قوله تعالى: وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ [الحجرات: ۱۴] يعنى لم تصدقوا بقلوبكم وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا أى استسلمنا و انقدنا خوف السيف، و لا شك فى الفرق بين الإيمان و الإسلام بهذا التفسير، و الذى يدعى اتحادهما لا يريد به أنهما حيث استعملا كانا بمعنى واحد؛ بل يريد به أن أحد معانى الإيمان هو الإسلام. [۱۰۲۲] فإن قيل: كيف يقال إن العمل ليس من الإيمان، و اللّه تعالى يقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا [الحجرات: ۱۵] الآية؟ قلنا: معناه إنما المؤمنون إيمانا كاملا كما فى قوله تعالى: إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ [فاطر: ۲۸] و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «المسلم من سلّم المسلمون من لسانه و يده». و قولهم: الرّجل من يصبر على الشدائد. و يرد على هذا الجواب أن المنفى فى أول الآية عن الأعراب نفس الإيمان الكامل، فلا يناسب أن يكون المثبت بعد ذلك الإيمان الكامل؛ بل نفس الإيمان. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۰

سورة ق

سورة ق [۱۰۲۳] فإن قيل: أين جواب القسم فى قوله تعالى: ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ [ق: ۱]؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه مضمر تقديره: إنهم مبعوثون بعد الموت. الثانى: أن قوله تعالى: قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ [ق: ۴] و اللام محذوفة لطول الكلام تقديره: لقد علمنا كما فى قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها [الشمس: ۹]. الثالث: أنه قوله تعالى: ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ [ق: ۱۸]. [۱۰۲۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ حَبَّ الْحَصِيدِ [ق: ۹] و أراد به الحب الحصيد فأضاف الشىء إلى نفسه و الإضافة تقتضى المغايرة بين المضاف و المضاف إليه؟ قلنا: معناه و حب الزرع الحصيد أو النبات الحصيد. الثانى: أنّ إضافة الشىء إلى نفسه جائزة عند اختلاف اللفظين، كما فى قوله تعالى: حَقُّ الْيَقِينِ [الواقعة: ۹۵] و حَبْلِ الْوَرِيدِ [ق: ۱۶] و دار الآخرة و وَعْدَ الصِّدْقِ [الأحقاف: ۱۶]. [۱۰۲۵] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ [ق: ۱۷]، و لم يقل قعيدان، و هو وصف للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله تعالى: إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ [ق: ۱۷]؟ قلنا: معناه عن اليمين قعيد و عن الشمال قعيد؛ إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه كما قال الشاعر: نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرّأى مختلف

(____ ۱) ([۱۰۲۵]) المعروف أن البيت لقيس بن الخطيم، و هو فى ديوانه: ۱۱۵. و فى كتاب سيبويه ۱/ ۳۷ نسبته إلى قيس هذا، و كذلك فى خزانة الأدب: ۱۰/ ۲۹۵. و ينسب أيضا إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجى. - البيت الثانى لابن أحمر و هو فى ديوانه ۱۸۷. و ينسب إلى الأزرق بن طرفة. و يروى أيضا: «و من جول» بدل «و من أجل». و الجول: جدار البئر. و الطّوى: البئر. فيكون المعنى على ذلك: أن ما رمانى به يرتد إليه؛ لأنه رمانى و هو فى أسفل البئر. أما على الرّواية المشهورة فالمعنى واضح، أى أنه من أجل الخصام الذى بينى و بينه فى البئر، رمانى بالباطل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۱ و قال آخر: رمانى بأمر كنت و والدى بريئا و من أجل الطّوى رمانى الثانى: أنّ فعيلا يستوى فيه الواحد و الاثنان و الجمع، قال اللّه تعالى: وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم: ۴] و قيل: إنما لم يقل قعيدان رعاية لفواصل السورة. [۱۰۲۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: أَلْقِيا [ق: ۲۴]، و الخطاب لواحد، و هو مالك خازن النار؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: ما قاله المبرّد أنّ تثنية الفاعل أقيمت مقام تثنية الفعل للتأكيد باتحادهما حكما، كأنه قال: ألق ألق؛ و نظيره قول امرئ القيس: * قفا نبك ... أى قف قف. الثانى: أن العرب كثيرا ما يرافق الرجل منهم اثنين، على ألسنتهم خطاب الاثنين فقالوا: خليلى و صاحبى وقفا و اسمدا و عوجا و نحو ذلك. قال الفراء: سمعت ذلك من العرب كثيرا. قال و أنشدنى بعضهم: فقلت لصاحبىّ لا تحبسانا بنزع أصوله و اجتزّ شيحا فقال لا تحبسانا و الخطاب لواحد، بدليل قوله لصاحبىّ. قال: و أنشدنى أبو ثور: فإن تزجرانى يا ابن عفّان أنزجر و إن تدعانى أحم عرضا ممنّعا و قال امرؤ القيس: خليلىّ مرّا بى على أمّ جندب نقضى لبانات الفؤاد المعذّب ثم قال: أ لم تر أنّى كلّما جئت طارقا

وجدت بها طيبا و إن لم تطيّب (______________________________ ۱) (

[۱۰۲۶]) كلمة امرئ القيس من مطلع معلقته، و هى فى ديوانه. - الشواهد الواردة فى الوجه الثانى ينقلها الرّازى عن الفرّاء، فى معانى القرآن: ۳/ ۷۸- ۷۹. و لم ينسب الفرّاء البيت الذى أوّله: فقلت لصاحبى لا- تحبسانا/ و اكتفى بالقول: «و أنشدنى بعضهم» و ينسب البيت إلى المضرّس بن ربعى الفقعسى. و يروى عجز البيت كما ذكر الفرّاء: «و اجدزّ» بدل «و اجتز» و هو من باب إبدال الدال من التاء، و منه لازم كما فى ازدجر، و ادّكر، و اذتجر. و أصلهما: اذتكر، و اذتجر. و منه جائز، كما فى الشاهد. - قوله- حكاية لقول الفرّاء- و أنشدنى أبو ثوبان، فى معانى القرآن: أبو ثروان. - البيتان الأخيران لامرئ القيس فى ديوانه: ۴۱. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۲ الثالث: أنه أمر للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله تعالى: وَ جاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سائِقٌ وَ شَهِيدٌ [ق: ۲۱]. [۱۰۲۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: غَيْرَ بَعِيدٍ [ق: ۳۱]، و لم يقل غير بعيدة و هو وصف للجنة؟ قلنا: لأنه على زنة المصادر كالزبير و الصليل، و المصادر يستوى فى الوصف بها المذكر و المؤنث، أو على حذف الموصوف، أى مكانا غير بعيد، و كلا الجوابين للزمخشرى رحمه اللّه تعالى. [۱۰۲۸] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: غَيْرَ بَعِيدٍ بعد قوله: وَ أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ [ق: ۳۱] بمعنى قربت؟ قلنا: فائدته التأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، و عزيز غير ذليل. [۱۰۲۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ [ق: ۳۷]، و كل إنسان له قلب؛ بل كل حيوان؟ قلنا: المراد بالقلب هنا العقل، كذا قاله ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما. قال ابن قتيبة: لما كان القلب موضعا للعقل كنى به عن. الثانى: أنّ المراد لمن كان له قلب واع؛ لأن من لا يعى قلبه، فكأنّه لا قلب له؛ و يؤيد ذلك قوله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ [الأعراف: ۱۷۹] الآية. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۳

سورة الذاريات

سورة الذاريات [۱۰۳۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادِقٌ [الذاريات: ۵]، و الصادق وصف القائل لا وصف الوعد؟ قلنا: قيل صادق بمعنى مصدوق ك عِيشَةٍ راضِيَةٍ [الحاقة: ۲۱] و ماءٍ دافِقٍ [الطارق: ۶] و قيل معناه لصدق، فإن المصدر قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم: قمت قائما، و قولهم: لحقت بهم اللائمة، أى اللّوم. [۱۰۳۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ [الذاريات: ۱۵] و المتقون لا يكونون فى الجنة فى العيون؟ قلنا: معناه أنهم فى الجنات و العيون الكثيرة محدقة بهم من كل ناحية و هم فى مجموعها لا- فى كل عين، و نظيره قوله تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ [القمر: ۵۴] لأنه بمعنى أنهار، إلا أنه عدل عنها رعاية للفواصل. [۱۰۳۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ تَرَكْنا فِيها آيَةً لِلَّذِينَ يَخافُونَ الْعَذابَ الْأَلِيمَ [الذاريات: ۳۷] أى فى قرى قوم لوط، و قرى قوم لوط ليست موجودة، فكيف توجد فيها العلامة؟ قلنا: الضمير فى قوله فيها عائد إلى تلك الناحية و البقعة لا إلى مدائن قوم لوط. الثانى: أنه عائد إليها، و لكن «فى» بمعنى من، كما فى قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً [النحل: ۸۹] و قوله تعالى: وَ ارْزُقُوهُمْ فِيها [النساء: ۵] و يؤيد هذا الوجه مجيئه مصرحا به فى سورة العنكبوت بلفظ من فى قوله تعالى: وَ لَقَدْ تَرَكْنا مِنْها آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [العنكبوت: ۳۵] ثم قيل الآية آثار منازلهم الخربة. و قيل هى الحجارة التى أبقاها اللّه تعالى حتى أدركها أوائل هذه الأمة. و قيل هى الماء الأسود الذى يخرج من الأرض. [۱۰۳۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ [الذاريات: ۴۹] أى صنفين، مع أن العرش و الكرسى و القلم و اللوح لم يخلق منها إلا واحد؟ قلنا: قيل معناه و من كل حيوان خلقنا ذكرا أو أنثى. و قيل معناه: و من كل شىء تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل و النهار، و الصيف و الشتاء، و النور و الظلمة، و الخير و الشر، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۴ و الحياة و الموت، و البحر و البر، و السماء و الأرض، و الشمس و القمر، و نحو ذلك. [۱۰۳۴] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ [الذاريات: ۵۰] و قال سبحانه فى موضع آخر وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ [آل عمران: ۲۸]؟ قلنا: معنى قوله: فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ أى الجئوا إليه بالتوبة. و قيل معناه: ففروا من عقوبته إلى رحمته، و معنى قوله: وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ أى يخوفكم عذاب نفسه أو عقاب نفسه. و قال الزجاج: معنى نفسه إياه كأنه قال: و يحذركم اللّه إياه، كما قال سبحانه و تعالى:

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف: ۲۸]، أى إيّاه؛ فظهر أنه لا تناقض بين الآيتين. [۱۰۳۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات: ۵۶]، و إذا قلنا، خلقهم للعبادة كان مريدا لها منهم؛ فكيف أرادها منهم و لم توجد منهم؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه عام أريد به الخاص و هم المؤمنون؛ بدليل خروج البعض منه بقوله تعالى: وَ لَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ و من خلق لجهنم لا يكون مخلوقا للعبادة. الثانى: أنه على عمومه، و المراد بالعبادة التوحيد، و قد وحده الكل يوم أخذ الميثاق، و هذا الجواب يختص بالإنس، لأنّ أخذ الميثاق مخصوص بهم بالآية. و قيل معناه: إلا ليكونوا عبيدا لى. و قيل: معناه إلا ليذلوا و يخضعوا و ينقادوا لما قضيته و قدّرته عليهم فلا يخرج عنه أحد منهم. و قيل: معناه إلا ليعبدون إن اختاروا العبادة لا قسرا و إلجاء. و قيل: إلا ليعبدون العبادة المرادة فى قوله تعالى: وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً [الرعد: ۱۵] و العموم ثابت فى الوجوه الخمسة. [۱۰۳۶] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ ما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ [الذاريات: ۵۷]، بعد قوله: ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ [الذاريات: ۵۷]؟ قلنا: معناه ما أريد منهم من رزق لأنفسهم، و ما أريد أن يطعمون، أى أن يطعموا عبيدى؛ و إنما أضاف الإطعام إلى ذاته المقدسة؛ لأن الخلق عياله و عبيده، و من أطعم عيال غيره فكأنه أطعمه، و يؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح: «إنّ اللّه عزّ و جلّ يقول، يوم القيامة: يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمنى»، أى استطعمك عبدى فلم تطعمه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۵

سورة الطور

سورة الطور [۱۰۳۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ زَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ [الطور: ۲۰]؛ مع أنّ الحور العين فى الجنة مملوكات ملك يمين لا ملك نكاح؟ قلنا: معناه قرناهم بهنّ، من قولهم زوّجت إبلى، أى قرنت بعضها إلى بعض؛ و ليس من التزويج الذى هو عقد النكاح، و يؤيده أنّ ذلك لا يعدّى بالباء؛ بل بنفسه، كما قال تعالى: زَوَّجْناكَها [الأحزاب: ۳۷]. و يقال زوجه امرأة. و لا يقال بامرأة. [۱۰۳۸] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى فى وصف أهل الجنة كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ [الطور: ۲۱] أى مرهون فى النار بعمله؟ قلنا: قال الزمخشرى: كأن نفس كل عبد ترهن عند اللّه تعالى بالعمل الصالح الذى هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحا فكها و خلصها و إلا أوبقها. و قال غيره: هذه جملة من صفات أهل النار وقعت معترضة فى صفات أهل الجنة، و يؤيده ما روى عن مقاتل أنه قال معناه: كل امرئ كافر بما عمل من الكفر مرتهن فى النار، و المؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تعالى: كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا أَصْحابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ [المدثر: ۳۸، ۳۹، ۴۰]. [۱۰۳۹] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى حقّ النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ [الطور: ۲۹] و كل واحد غيره كذلك لا يكون كاهنا و لا مجنونا، بنعمة اللّه تعالى؟ قلنا: معناه فما أنت بحمد اللّه و إنعامه عليك بالصدق و النبوة بكاهن و لا مجنون كما يقول الكفار. و قيل: الباء هنا بمعنى مع، كما فى قوله تعالى: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ [المؤمنون: ۲۰]، و قوله تعالى: فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ [الإسراء: ۵۲]. و يقال: أكلت الخبز بالتمر، أى معه. [۱۰۴۰] فإن قيل: ما معنى الجمع فى قوله تعالى: فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا [الطور: ۴۸]؟ قلنا: معناه التفخيم و التعظيم، و المراد بحيث نراك و نحفظك؛ و نظيره فى معنى العين قوله تعالى: وَ لِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي [طه: ۳۹]؛ و نظيره فى الجمع للتفخيم و التعظيم قوله تعالى: تَجْرِي بِأَعْيُنِنا [القمر: ۱۴]، و قوله تعالى: أَ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا أَنْعاماً [يس: ۷۱]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۶

سورة النجم

سورة النجم [۱۰۴۱] فإن قيل: الضلال و الغواية واحدة، فما فائدة قوله تعالى: ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى [النجم: ۲]؟ قلنا: قيل إن بينهما فرقا لأن الضلال ضد الهدى و الغى ضد الرشد و هما مختلفتان مع تقاربهما. و قيل معناه ما ضل فى قوله و لا غوى فى فعله، و لو ثبت اتحاد معناهما يكون من باب التأكيد باللفظ المخالف، مع اتحاد المعنى. [۱۰۴۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى [النجم: ۹]، أدخل كلمة الشك، و الشك محال على اللّه تعالى؟ قلنا: أو هنا للتخيير لا للشك، كأنه قال سبحانه و تعالى: إن

شئتم قدروا ذلك القرب بقاب قوسين، و إن شئتم قدروه بأدنى منهما. و قيل معناه: بل أدنى. و قيل هو خطاب لهم بما هو معهود بينهم. و قيل هو تشكيك لهم لئلّا يعلموا قدر ذلك القرب، و نظيره قوله تعالى: وَ أَرْسَلْناهُ إِلى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ [الصافات: ۱۴۷] و الكلام فيهما واحد. [۱۰۴۳] فإن قيل: قوله تعالى: أَ فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى وَ مَناةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرى [النجم: ۱۹، ۲۰] من رؤية القلب لا من رؤية البصر، فأين مفعولها الثاني؟ قلنا: هو محذوف تقديره: أ فرأيتموها بنات اللّه و أنداده، فإنهم كانوا يزعمون أن الملائكة و هذه الأصنام بنات اللّه عز و جل. [۱۰۴۴] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: الثَّالِثَةَ الْأُخْرى [النجم: ۲۰] فوصف الثالثة بالأخرى و العرب إنما تصف بالأخرى الثانية لا الثالثة، فظاهر اللفظ يقتضى أن يكون قد سبق ثالثة أولى، ثم لحقتها الثالثة الأخرى فتكون ثالثتان؟ قلنا: الأخرى نعت للعزى، تقديره: أ فرأيتم اللات و العزى الأخرى و مناة الثالثة؛ لأنها ثالثة الصنمين فى الذكر؛ و إنما أخّر الأخرى رعاية للفواصل، كما قال: وَ لِيَ فِيها مَآرِبُ أُخْرى [طه: ۱۸]، و لم يقل أخر، رعاية للفواصل. [۱۰۴۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً [النجم: ۲۸] أى لا يقوم مقام العلم، مع أنه يقوم مقام العلم فى صورة القياس؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۷ قلنا: المراد به هنا الظن الحاصل من اتباع الهوى دون الظن الحاصل من النظر و الاستدلال، و يؤيده قوله تعالى قبل هذا إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ [النجم: ۲۳]. [۱۰۴۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى [النجم: ۳۹] و قد صح فى الأخبار وصول ثواب الصدقة و القراءة و الحج و غيرها إلى الميت؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: ما قاله ابن عباس رضى اللّه عنهما أنها منسوخة بقوله تعالى: وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ [الطور: ۲۱]، معناه أنه أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، قالوا و هذا لا يصح؛ لأن الآيتين خبر و لا نسخ فى الخبر. الثانى: أنّ ذلك مخصوص بقوم إبراهيم و موسى عليهم الصلاة و السلام، و هو حكاية ما فى صحفهم، فأمّا هذه الأمة فلها ما سعت و ما سعى لها. الثالث: أنه على ظاهره، و لكن دعاء ولده و صديقه و قراءتهما و صدقتهما عنه من سعيه أيضا؛ بواسطة اكتسابه للقرابة أو الصداقة أو المحبة من الناس بسبب التقوى و العمل الصالح. [۱۰۴۷] فإن قيل: كيف قال تعالى بعد تعديد النقم فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمارى [النجم: ۵۵] و الآلاء النعم؟ قلنا: إنما قال سبحانه بعد تعديد النعم و النقم، و النعم نعم لما فيها من الزّواجر و المواعظ فمعناه: فبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته تشك يا وليد بن المغيرة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۸

سورة القمر

سورة القمر [۱۰۴۸] فإن قيل: ما فائدة إعادة التكذيب فى قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنا [القمر: ۹] و هلّا قال تعالى كذّبت قبلهم قوم نوح عبدنا؟ قلنا: معناه كذبوا تكذيبا بعد تكذيب. و قيل: إن التكذيب الأول منهم بالتوحيد، و الثانى بالرسالة. و قيل: التكذيب الأول منهم للّه تعالى، و الثانى لرسوله صلّى اللّه عليه و سلّم. [۱۰۴۹] فإن قيل: كيف قال تعالى فى وصف ماء الأرض و السماء فَالْتَقَى الْماءُ [القمر: ۱۲] و لم يقل فالتقى الماءان؟ قلنا: أراد به جنس المياه. [۱۰۵۰] فإن قيل: الجزاء إنما يكون للكافر لا للمكفور، فكيف قال تعالى: جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ [القمر: ۱۴]. قلنا: جزاء مفعول له فمعناه: ففتحنا أبواب السماء و ما بعده مما كان يسبب إغراقهم جزاء للّه تعالى؛ لأنه مكفور به، فحذف الجار و أوصل الفعل بنفسه، كقوله تعالى: وَ اخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ [الأعراف: ۱۵۵]. و الجزاء يضاف إلى الفاعل و إلى المفعول كسائر المصادر. الثانى: أنه نوح عليه السلام إما لأنه مكفور به بحذف الجار كما مر من الكفر الذى هو ضد الإيمان، أو لأن كل نبى نعمة من اللّه على قومه، و منه قوله تعالى: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ [الأنبياء: ۱۰۷] و قال رجل للرشيد: الحمد للّه عليك، فقال ما معنى هذا: فقال أنت نعمة حمدت اللّه عليها، فكأنه قال: جزاء لهذه النعمة المكفورة، و كفران النعمة يتعدى بنفسه قال اللّه تعالى: وَ لا تَكْفُرُونِ [البقرة: ۱۵۲]. الثالث: أن «من» بمعنى ما فمعناه: جزاء لما كان كفر من نعم اللّه تعالى على العموم. و قرأ قتادة كفر بالفتح، أى جزاء للكافرين. [۱۰۵۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ [القمر: ۲۰]، أى منقلع، و لم يقل منقعرة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۰۹ قلنا: إنما ذكر الصفة؛ لأن الموصوف، و هو النخل،

مذكر اللفظ ليس فيه علامة تأنيث، فاعتبر اللفظ و فى موضع آخر اعتبر المعنى و هو كونه جمعا فقال: أَعْجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ [الحاقة: ٧] و نظيرهما قوله تعالى: لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ [الواقعة: ۵۲- ۵۴] و قال أبو عبيدة: النخل يذكر و يؤنث، فجمع القرآن اللغتين. و قيل: إنّما ذكر رعاية للفواصل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۰

سورة الرّحمن عزّ و جلّ

سورة الرّحمن عزّ و جلّ [۱۰۵۲] فإن قيل: أيّ مناسبة بين رفع السماء و وضع الميزان؛ حتى قرن بينهما؟ قلنا: لما صدّر هذه السورة بتعديد نعمه سبحانه على عبيده، ذكر من جملتها وضع الميزان الذى به نظام العالم و قوامه؛ لا سيما أن المراد بالميزان العدل فى قول الأكثرين، و القرآن فى قول، و كل ما تعرف به المقادير فى قول، كالمكيال و الميزان و الذراع المعروف و نحوها. [۱۰۵۳] فإن قيل: قوله تعالى: أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ [الرحمن: ٨]، أى لا تجاوزوا فيه العدل مغن عما بعده من الجملتين فما فائدتهما؟ قلنا: المراد بالطغيان فيه أخذ الزائد، و بالإخسار فيه إعطاء الناقص و أمر بالتّوسط الذى هو إقامة الوزن بالقسط؛ و نهى عن الطرفين المذمومين. [۱۰۵۴] فإن قيل: كيف قال تعالى هنا خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ كَالْفَخَّارِ [الرحمن: ١۴] و هو الطين اليابس الذى لم يطبخ؛ لكن له صلصلة، أى صوت إذا نقر، و قال تعالى، فى موضع آخر: مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ [الحجر: ٢۶]. و قال تعالى: مِنْ طِينٍ لازِبٍ [الصافات: ١١]. و قال تعالى: مِنْ تُرابٍ [الروم: ٢٠]؟ قلنا: الآيات كلها متفقة فى المعنى؛ لأنه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا. [۱۰۵۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ [الرحمن: ١٧] فكرر ذكر الرب و لم يكرره فى سورة المعارج بل أفرده فقال تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ [المعارج: ۴٠] و كذا فى سورة المزمل رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ [المزمل: ٩] لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا [المزمل: ٩]؟ قلنا: إنما ذكر الرب تأكيدا، فكان التأكيد بهذا الموضع أليق منه بذينك الموضعين؛ لأنه موضع الامتنان و تعديد النعم، و لأن الخطاب فيه مع جنسين و هما الإنس و الجن. [۱۰۵۶] فإن قيل: بعض الجمل المذكورة فى هذه السورة ليست من النعم كقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ [الرحمن: ٢۶] و قوله تعالى: يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِنْ نارٍ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۱ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ [الرحمن: ٣۵] فكيف حسن الامتنان بعدها بقوله تعالى: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ [الرحمن: ١٣]؟ قلنا: من جملة الآلاء دفع البلاء و تأخير العقاب، فإبقاء من هو مخلوق للفناء نعمة. و تأخير العقاب عن العصاة أيضا نعمة فلهذا امتن علينا بذلك. [۱۰۵۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلانِ [الرحمن: ٣١]، و اللّه تعالى لا يشغله شيء؟ قلنا: قال الزّجّاج: الفراغ فى اللغة على ضربين: أحدهما الفراغ من شغل، و الآخر القصد للشيء و الإقبال عليه، و هو تهديد و وعيد، و منه قولهم: سأتفرغ لفلان، أى سأجعله قصدى؛ فمعنى الآية سنقصد لعقابكم و عذابكم و حسابكم. [۱۰۵۸] فإن قيل: كيف وعد سبحانه الخائف جنتين فقط؟ قلنا: لأن الخطاب للثقلين، فكأنه قيل لكل خائفين من الثقلين جنتان، جنة للخائف الإنسى، و جنة للخائف الجنى. و قيل: المراد به أن لكل خائف جنتين، جنة لفعل الطاعات، و جنة لترك المعاصى. و قيل: جنة يثاب بها، و جنة يتفضل بها عليه زيادة لقوله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَ زِيادَةٌ [يونس: ٢۶] أى الجنة و زيادة. [۱۰۵۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ [الرحمن: ۵۵] و لم يقل فيهما، و الضمير للجنتين؟ قلنا: الضمير لمجموع الآلاء المعدودة من الجنتين و العينين و الفاكهة و غيرهما مما سبق ذكره. و قيل: هو للجنتين، و إنما جمعه لاشتمال الجنتين على قصور و منازل. و قيل: الضمير للمنازل و القصور التى دلّ عليها ذكر الجنتين. و قيل: الضمير لمجموع الجنان التى دل عليها ذكر الجنتين. و قيل: الضمير عائد إلى الفرش، لأنها أقرب؛ و على هذا القول «فى» بمعنى على، كما فى قوله تعالى: أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ [الطور: ٣٨]. [۱۰۶۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جَانٌّ [الرحمن: ۵۶] أى لم يفتضهن، و نساء الدّنيا لا يفتضهن الجان، فما فائدة تخصيص الحور بذلك؟ قلنا: معناه أن تلك القاصرات الطرف إنسيات للإنس و جنيات للجن، فلم يطمث الإنسيات إنسى، و لا الجنيات جنى، و هذه الآية دليل على أن الجن يواقعون كما يواقع الإنس. و قيل: فيها دليل على أن الجنى يغشى الإنسية فى الدّنيا. أسئلة القرآن و أجوبتها،

ص: ۳۱۲

سورة الواقعة

سورة الواقعة [۱۰۶۱] فإن قيل: ما فائدة التكرار فى قوله تعالى: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ [الواقعة: ۱۰]؟ قلنا: فيه وجهان: أحدهما: أنه تأكيد مقابل لما سبقه من التأكيد فى فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَ أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ [الواقعة: ۸، ۹]؛ كأنه قال تعالى: و السابقون هم المعروف حالهم المشهور وصفهم، و نظيره قول أبى النجم: أنا أبو النجم و شعرى شعرى الثانى: أن معناه: و السابقون إلى طاعة اللّه هم السابقون إلى جنته و كرامته. ثم قيل المراد بهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة. و قيل الذين صلوا إلى القبلتين. و قيل: أهل القرآن. و قيل: السابقون إلى المساجد إلى الخروج فى سبيل اللّه. و قيل: هم الأنبياء صلوات اللّه عليهم، فهذه خمسة أقوال. [۱۰۶۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ [الواقعة: ۱۷]؛ مع أنّ التخليد ليس صفة مخصوصة بالولدان فى الجنة؛ بل كل أهل الجنة مخلدون فيها لا يشيبون و لا يهرمون؛ بل يبقى كل واحد أبدا على صفته التى دخل الجنة عليها؟ قلنا: معناه أنهم لا يتحولون عن شكل الوالدان و هى الوصافة. و قيل: مقرطون. و قيل مسورون، و لا إشكال على هذين القولين. [۱۰۶۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ [الواقعة: ۵۲- ۵۴] أنث ضمير الشجر ثم ذكّره؟ قلنا: قد سبق جوابه فى سورة القمر. [۱۰۶۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: نَحْنُ خَلَقْناكُمْ فَلَوْ لا تُصَدِّقُونَ [الواقعة: ۵۷]، أى فهلّا تصدقون؛ مع أنهم مصدقون أنه خلقهم، بدليل قوله تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [الزخرف: ۸۷]. قلنا: هم و إن كانوا مصدقين بألسنتهم إلا أنهم لما كان مذهبهم على خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۳ الثانى: أنه تخصيص على التصديق بالبعث بعد الموت بالاستدلال بالخلق الأول، فكأنه قال تعالى: هو الذى خلقكم أوّلا باعترافكم، فلا يمتنع عليه أن يعيدكم ثانيا، فهلا تصدقون بذلك. [۱۰۶۵] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى الزرع: لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً [الواقعة: ۶۵] باللام و قال تعالى فى الماء: لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً [الواقعة: ۷۰] بغير لام؟ قلنا: الأصل أن تذكر اللام فى الموضعين، إذ لا بد منها فى جواب «لو» إلا أنها حذفت فى الثانى اختصارا، و هى مؤدية لدلالة الأولى عليها. الثانى: أن أصل هذه اللام للتأكيد، فذكرت مع المطعوم دون المشروب، لأنّ المطعوم مقدم وجودا و رتبة، لأنه إنما لا يحتاج إلى الماء تبعا له، و لهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب، فلما كان الوعيد بفقد المطعوم أشد و أصعب أكد تلك الجملة مبالغة، فى التهديد. [۱۰۶۶] فإن قيل: التسبيح التنزيه عن السوء، فما معنى باسم فى قوله تعالى: فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ [الواقعة: ۷۴] و هلّا قال تعالى فسبح ربك العظيم؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أن الباء زائدة و الاسم بمعنى الذّات، فصار المعنى ما قلتم. الثانى: أن الاسم بمعنى الذكر، فمعناه فسبح بذكر ربك. الثالث: أن الذكر فيه مضمر، فمعناه فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك. الرابع: قال الضحّاك: معناه فصلّ باسم ربك، أى افتتح الصلاة بالتكبير. [۱۰۶۷] فإن قيل: إذا كان القرآن صفة من صفات اللّه تعالى قديمة قائمة بذاته المقدسة، فكيف قال تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ [الواقعة: ۷۷، ۷۸] أى اللوح المحفوظ أو المصحف على اختلاف القولين؟ قلنا: معناه مكتوب فى كتاب مكنون، و لا يلزم من كتابة القرآن فى الكتاب أن يكون القرآن حالا فى الكتاب، كما لو كتب إنسان على كفه ألف دينار لا يلزم منه وجود ألف دينار فى كفه، و كذا لو كتب فى كفه العرش أو الكرسى، و كذا و كذا، قال تعالى فى صفة النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ [الأعراف: ۱۵۷]. الثانى: أن القرآن لو كان حالا فى المصحف فإما أن يكون جميعه حالا فى مصحف واحد، أو فى كل مصحف، أو فى بعضه، و لا سبيل إلى الأول، لأن المصاحف كلها سواء فى الحكم فى كتابته فيها؛ و لأن البعض ليس أولى بذلك من أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۴ البعض، و لا سبيل إلى الثانى و إلا يلزم تعدد القرآن و أنه متحد، و لا سبيل إلى الثالث؛ لأنه كله مكتوب فى كل مصحف، و لأن هذا المصحف ليس أولى بهذا البعض من ذلك المصحف، و كذا الباقى، فثبت أنه ليس حالا فى شىء منها؛ بل هو كلام اللّه تعالى و كلامه صفة قديمة قائمة به لا تفارقه!! [۱۰۶۸] فإن قيل: فإذا لم تفارقه

فكيف سماه تعالى منزلا و تنزيلا، و قال سبحانه: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ [الشعراء: ۹۳] و نظائره كثيرة، و إذا فارقه و باينه يكون مخلوقا، لأن كل مباين له فهو غيره، و كل ما هو غيره فهو مخلوق؟ قلنا: معنى إنزاله أنه سبحانه و تعالى علمه لجبريل فحفظه، و أمره أن يعلمه للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و يأمره أن يعلمه لأمته، مع أنه لم يزل و لا يزال صفة للّه تعالى قائمة به لا تفارقه!! أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۵

سورة الحديد

سورة الحديد [۱۰۶۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [الحديد: ۸] ثم قال سبحانه: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [الحديد: ۸]؟ قلنا: معناه إن كنتم مؤمنين بموسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام، فإن شريعتهما تقتضى الإيمان بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم. الثانى: إن كنتم مؤمنين بالميثاق الذى أخذه عليكم يوم أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام. الثالث: أن معناه، أى عذر لكم فى ترك الإيمان و الرسول يدعوكم إليه و يتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين و الحجج، و قد ركب اللّه تعالى فيكم العقول و نصب لكم الأدلة و مكنكم من النظر و أزاح عللكم، فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين بموجب ما، فإنّ هذا الموجب لا مزيد عليه. [۱۰۷۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قاتَلَ [الحديد: ۱۰] و لم يذكر مع من لا يستوى، و الاستواء لا يتم إلا بذكر اثنين، كقوله تعالى: قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَ الطَّيِّبُ [المائدة: ۱۰۰] لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النَّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ [الحشر: ۲۰۰]؟ قلنا: هو محذوف تقديره: و من أنفق و قاتل من بعد الفتح، و إنّما حذف لدلالة ما بعده عليه. [۱۰۷۱] فإن قيل: كيف يقال إن أعلى الدرجات بعد درجة الأنبياء درجة الصديقين، و اللّه تعالى قد حكم لكل مؤمن بكونه صدّيقا بقوله تعالى: وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَداءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ [الحديد: ۱۹]؟ قلنا: قال ابن مسعود و مجاهد: كل مؤمن صديق. الثانى: أن الصديق هو كثير الصدق، و هو الذى كل أقواله و أفعاله و أحواله صدق، فعلى هذا يكون المراد به بعض المؤمنين لا كلهم. و قد روى عن الضحاك أنها نزلت فى ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض فى زمانهم إلى الإسلام، و هم أبو بكر و عثمان و على و حمزة بن عبد المطلب و طلحة و الزبير و سعد و زيد، و ألحق بهم عمر رضى اللّه عنهم فصاروا تسعة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۶ [۱۰۷۲] فإن قيل: كيف ذكر سبحانه هؤلاء المذكورين بكونهم شهداء و منهم من لم يقتل؟ قلنا: معناه أن لهم أجر الشهداء. الثانى: أنه جمع شهيد بمعنى شاهد، فمعناه أنهم شاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان. الثالث: أنه مبتدأ منقطع عما قبله لا معطوف عليه؛ معناه: و الشّهداء عند ربهم لهم أجرهم و نورهم. [۱۰۷۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: سابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ [الحديد: ۲۱] و المسابقة من المفاعلة التى لا تكون إلا بين اثنين كقولك: سابق زيد عمرا؟ قلنا: قيل معناه سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى الميدان، و يؤيد هذا القول مجيئه بلفظ المسارعة فى سورة آل عمران. و قيل: سابقوا ملك الموت قبل أن يقطعكم بالموت عن الأعمال التى توصلكم إلى الجنة. و قيل: سابقوا إبليس قبل أن يصدكم بغروره و خداعه عن ذلك. [۱۰۷۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ جَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ [الحديد: ۲۱] و قال تعالى، فى سورة آل عمران: وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ [النساء: ۱۳۳] فكيف يكون عرضها كعرض السماء الواحدة و كعرض السموات السبع؟ قلنا: المراد بالسماء جنس السموات لا سماء واحدة، كما أن المراد بالأرض فى الآيتين جنس الأرضين، فصار التشبيه فى الآيتين بعرض السموات السبع و الأرضين السبع. [۱۰۷۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ [الحديد: ۲۳] و لا أحد يملك نفسه عند مضرة تناله أن لا يحزن، و لا عند منفعة تناله أن لا يفرح، و ليرجع كل واحد منا فى ذلك إلى نفسه؟ قلنا: ليس المراد بذلك الحزن و الفرح الذى لا ينفك عنه الإنسان بطبعه قسرا و قهرا؛ بل المراد به الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر و التسليم لأمر اللّه تعالى و رجاء ثواب الصابرين، و الفرح المطغى الملهى عن الشكر، نعوذ باللّه منهما. [۱۰۷۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ [الحديد: ۲۵]، و الميزان لم ينزل من السماء؟ قلنا: قيل المراد بالميزان هنا العدل. و قيل العقل: و قيل السلسلة التى أنزلها اللّه تعالى على داود عليه السلام. و قيل:

هو الميزان المعروف أنزله جبريل فدفعه إلى نوح عليه السلام و قال له: مر قومك يزنوا به. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۷ [۱۰۷۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ [الحديد: ۲۸]؛ مع أن المؤمنين مؤمنون برسوله صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قلنا: معناه يا أيها الذين آمنوا بموسى و عيسى عليهما السلام آمنوا بمحمد صلّى اللّه عليه و سلّم، فيكون خطابا لليهود و النصارى خاصة، و عليه الأكثرون. و قيل معناه: يا أيها الذين آمنوا يوم الميثاق اتقوا اللّه و آمنوا برسوله اليوم. و قيل معناه: يا أيها الذين آمنوا باللّه فى العلانية باللسان اتقوا اللّه و آمنوا برسوله فى السر بتصديق القلب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۸

سورة المجادلة

سورة المجادلة [۱۰۷۸] فإن قيل: لأى معنى خصّ اللّه تعالى الثّلاثة و الخمسة بالذّكر فى النجوى، دون غيرهما من الأعداد، فى قوله تعالى: ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ [المجادلة: ۷] الآية؟ قلنا: لأنّ قوما من المنافقين تخلفوا للتناجى على هذين العددين مغايظة للمؤمنين، فنزلت الآية على صفة حالهم تعريضا بهم و تسميعا لهم و زيد فيها ما يتناول كل متناجيين غير تلك الطائفتين، و هو قوله تعالى: وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ [المجادلة: ۷]. [۱۰۷۹] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ [المجادلة: ۱۴]؟ قلنا: فائدته الإخبار عن المنافقين أنهم يحلفون على أنهم ما سبوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه مع اليهود كاذبين متعمدين للكذب فهى اليمين الغموس، فكان ذلك نهاية فى بيان ذمهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۱۹

سورة الحشر

سورة الحشر [۱۰۸۰] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ [الحشر: ۹] و الإيمان ليس مكانا يتبوأ لأنّ معنى التبوء اتخاذ المكان منزلا؟ قلنا: فيه إضمار تقديره: و أخلصوا الإيمان، كقول الشاعر: علفتها تبنا و ماء باردا أى و سقيتها ماء باردا. الثانى: أنّه على ظاهره بغير إضمار و لكنه مجاز، فمعناه أنهم جعلوا الإيمان مستقرا و موطنا لتمكنهم منه و استقامتهم عليه، كما جعلوا دار الهجرة كذلك و هى المدينة. [۱۰۸۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ [الحشر: ۱۲] بعد الإخبار بأنهم لا ينصرونهم و حرف الشرط إنما يدخل على ما يحتمل وجوده و عدمه. قلنا: معناه: و لئن نصروهم على الفرض و التقدير كقوله تعالى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: ۶۵] و قوله تعالى: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [الأنبياء: ۲۲] و اللّه تعالى كما يعلم ما يكون قبل كونه، فهو يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون. [۱۰۸۲] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى للمؤمنين: لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ [الحشر: ۱۳]، أى فى صدور المنافقين أو اليهود على اختلاف القولين، و ظاهره لأنتم أشدّ خوفا من اللّه؛ فإن كان «من» متعلقا بأشد لزم ثبوت الخوف للّه

____

(۱) ([۱۰۸۰]) تمام البيت: علفتها تبنا و ماء باردا حتى شتت همّالة عيناها و هو فى خزانة الأدب: ۱/ ۴۹۹. و لعلّ أوّل من استشهد بهذا البيت الفرّاء، و عنه نقل غيره. فقد أورده الفرّاء فى معانى القرآن مرّة فى الجزء الأول ص ۱۴، و قال هناك: «و أنشدنى بعض بنى أسد يصف فرسه» ثم ذكر البيت و لم يسم قائله. و ذكره مرة أخرى فى الجزء الثالث ص ۱۲۴، و قال: «و أنشدنى بعض بنى دبير» ثم ذكر البيت. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۰ تعالى، كما تقول: زيد أشدّ خوفا فى الدار من عمرو، و ذلك محال، و إن كان من اللّه متعلقا بالخوف فأين الذى فضل عليه المخاطبون، و أيضا فإن الآية تقتضى إثبات زيادة الخوف للمؤمنين؛ و ليس المراد ذلك باتفاق المفسرين؟ قلنا: رهبة مصدر رهب مبنيا لما لم يسم فاعله، فكأنه قيل أشد مرهوبية، يعنى أنكم فى صدورهم أهيب من اللّه فيها، كذا فسره ابن عباس رضى اللّه عنهما، و نظيره قولك: زيد أشد ضربا فى الدار من عمرو، يعنى مضروبية. [۱۰۸۳] فإن قيل: كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرّهبة، مع أنّهم كانوا لا يرهبون اللّه، لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق و الكفر؟ قلنا: معناه أن رهبتهم فى السر منكم أشدّ من رهبتهم من اللّه التى يظهرونها

لكم، و كانوا يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من اللّه تعالى. [۱۰۸۴] فإن قيل: كيف قال إبليس: إِنِّی أَخافُ اللَّهَ [الحشر: ۱۶] و هو لا يخاف اللّه تعالى؛ لأنه لو خافه لما خالفه ثم أضل عبيده؟ قلنا: قد سبق هذا السؤال و جوابه فی سورة الأنفال. [۱۰۸۵] فإن قيل: ما فائدة تنكير النفس و الغد فی قوله تعالى: وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ [الحشر: ۱۸]؟ قلنا: أما تنكير النفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمت للآخرة كأنه قال: و لتنظر نفس واحدة فی ذلك، و أين تلك النفس. و أما تنكير الغد فلعظمته و إبهام أمره كأنه قال لغد لا يعرف كنهه لعظمه. [۱۰۸۶] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: لِغَدٍ [الحشر: ۱۸] و أراد به يوم القيامة، و الغد عبارة عن يوم بينه و بيننا ليلة واحدة؟ قلنا: الغد له مفهومان: أحدهما ما ذكرتم. و الثانی مطلق الزمان المستقبل، و منه قول الشاعر: و أعلم ما فی اليوم و الأمس قبله و لكنّنی عن علم ما فی غد عمی و أراد به مطلق الزّمان المستقبل، كما أراد بالأمس مطلق الزمان الماضی؛ فصار لكل واحد منهما مفهومان. و يؤيده أيضا قوله تعالى: كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ [يونس: ۲۴] و قيل إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد تقريبا له كقوله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ [القمر: ۱] و هو قوله تعالى: وَ ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ [النحل: ()

____

(۱) [۱۰۸۶] البيت لزهير بن أبی سلمی، و هو فی ديوانه: ۳۵. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۱ ۷۷]، و كأنه تعالى قال: إن يوم القيامة لقربه يشبه ما ليس بينكم و بينه إلا ليلة واحدة، و لهذا روی عن النبیّ صلّى اللّه عليه و سلّم أنّه قال: «اعمل لليلة صبيحتها يوم القيامة». قالوا أراد بتلك اللّيلة ليلة الموت. [۱۰۸۷] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ [الحشر: ۲۱] الآية؟ قيل: معناه: أنه سبحانه لو جعل فی جبل على قساوته تمييزا، كما جعل فی الإنسان ثم أنزل عليه القرآن، لتشقق خشية من اللّه تعالى و خوفا أن لا يؤدی حقه فی تعظيم القرآن. و المقصود توبيخ الإنسان على قسوة قلبه و قلة خشوعه عند تلاوة القرآن، و إعراضه عن تدبر قوارعه و زواجره. [۱۰۸۸] فإن قيل: ما الفرق بين الخالق و البارئ حتى عطف تعالى أحدهما على الآخر؟ قلنا: الخالق هو المقدر لما يوجده، و البارئ هو المميز بعضه عن بعض بالأشكال المختلفة. و قيل: الخالق المبدئ و البارئ المعيد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۲

سورة الممتحنة

سورة الممتحنة [۱۰۸۹] فإن قيل: من ما ذا استثنى قوله تعالى: إِلَّا قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ [الممتحنة: ۴]؟ قلنا: من قوله تعالى: قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْراهِيمَ [الممتحنة: ۴]، لأنه سبحانه أراد بالأسوة الحسنة قوله الذی حكاه عنه و عن أتباعه و أشياعه ليقتدوا به و يتخذوه سنة يستنون بها، و استثنى سبحانه استغفاره لأبيه، لأنه كان عن موعدة وعدها إياه. [۱۰۹۰] فإن قيل: فإن كان استغفاره لأبيه أو وعده لأبيه بالاستغفار مستثنى من الأسوة، فكيف عطف عليه قوله: وَ ما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْ‌ءٍ [الممتحنة: ۴] و هو لا يصح استثناؤه. أ لا ترى إلى قوله تعالى: قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً [المائدة: ۱۷]؟ قلنا: المقصود بالاستثناء هو الجملة الأولى فقط، و ما بعدها ذكر لأنه من تمام كلام إبراهيم صلوات اللّه عليه لا بقصد الاستثناء، كأنه قال: أنا أستغفر لك و ما فی طاقتی إلا الاستغفار. [۱۰۹۱] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ لا يَعْصِينَكَ فِی مَعْرُوفٍ [الممتحنة: ۱۲]، و معلوم أن النبیّ صلّى اللّه عليه و سلّم لا يأمر إلا بمعروف، فهلا اقتصر على قوله تعالى و لا يعصينك؟ قلنا: فائدته سرعة تبادر الأفهام إلى قبح المعصية منهن، لو وقعت، من غير توقف الفهم على المقدمة التی أوردتم فی السؤال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۳

سورة الصف

سورة الصف [۱۰۹۲] «۱» فإن قيل: ما فائدة «قد» فی قوله تعالى: وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّی رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ [الصف: ۵]؟ قلنا: فائدتها التأكيد، كأنه قال: و تعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه. هذا جواب الزمخشری. و قال غيره: فائدتها التكثير، لأن قد مع الفعل المضارع تارة تأتی للتقليل كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، و تارة تأتی للتكثير كقول الشاعر: قد أعسف النازح المجهود معسفه فی ظلّ أخضر

يدعو هامة البوم و إنما يمتدح بما يكثر وجوده منه لا بما يقل. [۱۰۹۳] فإن قيل: كيف قال عيسى عليه السلام: وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف: ۶] و لم يقل محمّد و محمّد أشهر أسماء النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قلنا: إنما قال أحمد، لأنه مذكور فى الإنجيل بعبارة تفسيرها أحمد لا محمد، و إنما كان كذلك، لأن اسمه فى السماء أحمد و فى الأرض محمّد، فنزل فى الإنجيل اسمه السماوى. و قيل: إن أحمد أبلغ فى معنى الحمد من محمّد، من جهة كونه مبنيا على صيغة التفضيل. و قيل: محمد أبلغ من جهة كونه على صيغة التفضيل الذى هو للتكثير. [۱۰۹۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ [الصف: ۶] و لم يقل سبحانه هذه، و المشار إليه البينات و هى مؤنثة؟ قلنا: معناه هذا الذى جئت به، فالإشارة إلى المأتىّ به. (_______________________________________ ۱) ([۱۰۹۲]) البيت لذى الرّمة، من قصيدة مطلعها: أ عن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم و هو فى ديوانه: ۶۵۶. – أعسف: أى أسير على غير هدى. – أثبتنا البيت فى المتن كما وجدناه فى الأصل، غير أن الرّواية الصحيحة للبيت هى: قد أعسف النازح المجهول معسفه فى ظلّ أخضر يدعو هامه البوم أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۴ [۱۰۹۵] فإن قيل: ما وجه صحة التشبيه و ظاهره تشبيه كونهم أنصار اللّه بقول عيسى عليه السلام مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ [الصف: ۱۴]؟ قلنا: التشبيه محمول على المعنى تقديره: كونوا أنصار اللّه كما كان الحواريون أنصارا لعيسى عليه السلام حين قال لهم من أنصارى إلى اللّه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۵

سورة الجمعة

سورة الجمعة [۱۰۹۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ [الجمعة: ۹] و السعى العدو، و العدو إلى صلاة الجمعة و إلى كلّ صلاة مكروه؟ قلنا: المراد بالسعى القصد. و قال الحسن: ليس هو السعى على الأقدام، و لكنّه على النيات و القلوب. و يؤيد قول الحسن قوله تعالى: وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا ما سَعى [النجم: ۳۹]، و قول الدّاعى فى دعاء القنوت: و إليك نسعى و نحفد، و ليس المراد به العدو و الإسراع بالقدم. [۱۰۹۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: انْفَضُّوا إِلَيْها [الجمعة: ۱۱] و المذكور شيئان اللهو و التجارة؟ قلنا: قد سبق جواب هذا فى سورة التوبة فى قوله تعالى: وَ لا يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللَّهِ [التوبة: ۳۴]، و الذى يؤيده هنا ما قاله الزّجاج معناه: و إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. و قرأ ابن مسعود رضى اللّه عنه إليهما بضمير التثنية، و عليه فلا حذف. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۲۶

سورة المنافقون

سورة المنافقون [۱۰۹۸] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ [المنافقون: ۱]؟ قلنا: لو قال تعالى: قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ، و اللّه يشهد إنّهم لكاذبون [المنافقون: ۱] لكان يوهم أن قولهم هذا كذب، و ليس المراد أن شهادتهم هذه كذب؛ بل المراد أنهم كاذبون فى غير هذه الشهادة. و قال أكثر المفسرين: إنه تكذيب لهم فى هذه الشهادة لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا و لم يعتقدوا أنه رسول اللّه بقلوبهم، فسماهم كاذبين لذلك، فعلى هذا يكون ذلك تأكيدا. [۱۰۹۹] فإن قيل: المنافقون ما برحوا على الكفر، فكيف قال تعالى: ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا [المنافقون: ۳]. قلنا: معناه ذلك الكذب الذى حكم عليهم به، أو ذلك الإخبار عنهم بأنهم ساء ما كانوا يعملون بسبب أنهم آمنوا بألسنتهم ثُمَّ كَفَرُوا [المنافقون: ۳] بقلوبهم فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ [المنافقون: ۳] كما قال تعالى فى وصفهم وَ إِذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا وَ إِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ [البقرة: ۱۴] الآية. الثانى: أن المراد به أهل الرّدّة منهم. [۱۱۰۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ [المنافقون: ۴] و لم يقل هى العدو؟ قلنا: عليهم هو ثانى مفعولى يحسبون تقديره: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم: أى لجبنهم و هلعهم، فالوقف على قوله تعالى عليهم و قوله سبحانه: هُمُ الْعَدُوُّ [المنافقون: ۴] ابتداء كلام. و قيل: إن المفعول الثانى هو قوله تعالى: هُمُ الْعَدُوُّ [المنافقون: ۴] و لكن تقديره: يحسبون أهل كل

صيحة عليهم هم العدوّ، و الأول أظهر بدليل عدم نصب العدو. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٢٧

سورة التغابن

سورة التغابن [١١٠١] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ [التغابن: ٢] قدم الكافر في الذكر؟ قلنا: الواو لا تعطى رتبة و لا تقتضى ترتيبا كما قال تعالى: فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ [هود: ١٠٥] و قال تعالى: لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النَّارِ وَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ [الحشر: ٢٠] و قال سبحانه: فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَيْراتِ [فاطر: ٣٢] و قال تعالى: يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ [الشورى: ۴٩] و قد ذكرنا فى الآية الأخيرة معنى آخر فى موضعها. [١١٠٢] فإن قيل: قوله تعالى: وَ تَوَلَّوْا وَ اسْتَغْنَى اللَّهُ [التغابن: ۶]، يوهم وجود التولى و الاستغناء معا بعد مجىء رسلهم إليهم؛ و اللّه تعالى لم يزل غنيا؟ قلنا: معناه و ظهر استغناء اللّه تعالى عن إيمانهم و عبادتهم؛ حيث لم يلجئهم إلى الإيمان و لم يضطرهم إليه؛ مع قدرته تعالى على ذلك. [١١٠٣] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ [التغابن: ١١] مع أن الهداية سابقة على الإيمان، لأنه لو لا سبق الهداية لما وجد الإيمان؟ قلنا: ليس المراد يهد قلبه للإيمان، بل المراد يهد قلبه لليقين عند نزول المصائب، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه. الثانى: يهد قلبه للرضا و التسليم عند نزول المصائب. الثالث: يهد قلبه للاسترجاع عند نزول المصائب، و هو أن يقول: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ». الرابع: يهد قلبه، أى يجعله ممن إذا ابتلى صبر، و إذا أنعم عليه شكر، و إذا ظلم غفر. الخامس: يهد قلبه لاتّباع السنة إذا صح إيمانه، و قرئ يهدأ بفتح الدال و بالهمز من الهدوّ و هو السكون، فمعناه: و من يؤمن باللّه إيمانا خالصا يسكن قلبه و يطمئن عند نزول المصائب و المحن و لا يجزع و يقلق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٢٨

سورة الطلاق

سورة الطلاق [١١٠۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ [الطلاق: ١]. أفرد الخطاب أوّلا، ثم جمعه ثانيا؟ قلنا: أفرد سبحانه النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم أوّلا بالخطاب؛ لأنّه إمام أمته و قدوتهم، إظهارا لتقدمه و رئاسته؛ و أنه وحده فى حكم كلهم و سادّ مسدّ جميعهم. الثانى: أنّ معناه: يا أيها النبيّ قل لأمتك إذا طلقتم النساء. [١١٠۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ [الطلاق: ٢، ٣]، و نحن نرى كثيرا من الأتقياء مضيقا عليهم رزقهم؟ قلنا: معناه يجعل له مخلصا من هموم الدنيا و الآخرة. و عن النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: مخرجا من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و من شدائد يوم القيامة. و قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: ينجيه من كلّ كرب فى الدّنيا و الآخرة. و الصحيح أنّ هذه الآية عامة، و أن اللّه يجعل لكلّ متّق مخرج من كلّ ما يضيق على من لا يتقى؛ و لهذا قال النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «إنّى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم وَ مَنْ يَتَّقِ [الطلاق: ٢] و جعل يقرؤها و يعيدها». و أما تضييق رزق الأتقياء فهو، مع ضيقه و قلته، يأتيهم من حيث لا يأملون و لا يرجون؛ و تقليله لطف بهم و رحمة ليتوفر حظهم فى الآخرة و يخف حسابهم، و لتقل عوائقهم عن الاشتغال بمولاهم، و لا يشغلهم الرخاء و السعة عما خلقوا له من الطاعة و العبادة، و لهذا اختار الأنبياء و الأولياء و الصديقون الفقر على الغنى. [١١٠۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق: ٣]، أى من يتق به فيما نابه كفاه اللّه شر ما أهمه. و قد رأينا كثيرا من الناس يتوكل على اللّه فى بعض أمورهم و حوائجهم و لا يكفيهم اللّه تعالى همها؟ قلنا: محال أنه يتوكل على اللّه حقّ التوكل و لا يكفيه همه؛ بل ربما قلق و ضجر و استبطأ قضاء حاجته بقلبه أو بلسانه أيضا ففسد توكّله، و إليه الإشارة بقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ [الطلاق: ٣]، أى نافذ حكمه، يبلغ ما يريده و لا يفوته مراد و لا يعجزه مطلوب، و بقوله تعالى: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً [الطلاق: ٣]، أى جعل أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٢٩ لكلّ شيء من الفقر و الغنى و المرض و الصحة و الشّدة و الرخاء و نحو ذلك أجلا و منتهى ينتهى إليه لا يتقدم عنه و لا يتأخر. [١١٠٧] فإن قيل: قوله تعالى: وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ [الطلاق: ۴]

علقه بشكنا، مع أن عدتهن ذلك سواء وجد شكنا أم لا؟ قلنا: المراد بالشك الجهل بمقدار عدة الآيسة و الصغيرة، و إنما علقه به؛ لأنه لمّا نزل بيان عـدة ذوات الأقراء فی سورة البقرة قال بعض الصحابة رضـی اللّه عنهم: قـد بقی الكبار و الصغار لا نـدری كم عـدتهن، فنزلت هـذه الآيـة على هـذا السبب، فلذلك جاءت مقيدة بالشك و الجهل. [۱۱۰۸] فـإن قيل: إذا كانت المطلقـة طلاقا بائنا تجب لها النفقـة عنـد بعض العلماء، فما فائدة قوله تعالى: وَ إِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ [الطلاق: ۶]، عند ذلك القاتل؟ قلنا: فائدته أن لا يتوهم أنه إذا طالت مـدة الحمل بعـد الطلاق حتى مضت مـدة عـدة الحامل سـقطت النفقـة، فنفى هذا الوهم بقوله: أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ [الطلاق: ۴]. [۱۱۰۹] فإن قيل: كيف قال هنا آتاها سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً [الطلاق: ۷] و قال تعالى فی موضع آخر: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً [الشرح: ۶] فكيف التوفيق بينهمـا؟ قلنا: المراد بقوله تعالى «مَعَ» بعـده؛ لأن الضـدين لا يجتمعان. [۱۱۱۰] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَ رُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَ عَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً [الطلاق: ۸]، فنسب العتوّ إليها، و قال تعالى: فَحاسَبْناها وَ عَذَّبْناها [الطلاق: ۸]، بلفظ الماضی؛ مع أن الحساب و العذاب المرتبين على العتو إنما هما فی الآخرة لا فی الدنيا؟ قلنا: معناه عتا أهلها، و إنما جیء به على لفظ الماضـی تحقيقا له و تقريرا، لأن المنتظر من وعـد اللّه تعالى و وعيـده آت لا محالة، و ما هـو كـائن فكـأنه قـد حصـل، و نظيره قـوله تعـالى: وَ نـادى أَصْحابُ النَّارِ [الأعراف: ۵۰]، و مـا أشـبهه. (____ ۱) ([۱۱۱۰]) العتو: البعد عن الطّاعة.

و هو معنى جامع للمعصية و الاستكبار. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۰

سورة التحريم

سورة التحريم [۱۱۱۱] فإن قيل: قوله تعالى: وَ صالِحُ الْمُؤْمِنِينَ [التحريم: ۴] إن كان المراد به الفرد، فأی فرد هو؛ و أيضا فإنه لا يناسب مقابلة الملائكـة الـذين هم جمع؛ و إن كـان المراد به الجمع فهلاـ كـان مكتوبـا فی المصـحف بـالواو؟ قلنـا: هو فرد أريـد به الجمع كقولـك: لاـ يفعل هـذا الفعل الصالـح من الناس، تريـد به الجنس كقولك: لا يفعله من صـلح منهم، و قوله تعالى:* إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً [المعارج: ۱۹] و قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ [العصر: ۲] و قوله تعالى: وَ الْمَلَكُ عَلى أَرْجائِها [الحاقـة: ۱۷] و قوله تعالى: ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا [غافر: ۶۷]. و نظـائره كثيرة. الثـانی: أنه يجوز أن يكون جمعـا، و لكنه كتب فی المصـحف بغير واو و على اللفظ كما جـاءت ألفـاظ كثيرة فی المصـحف على اللفظ دون اصـطلاح الخط. [۱۱۱۲] فـإن قيل: كيف قال تعالى: وَ الْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم: ۴]؛ و لم يقل ظهراء، و هو خبر عن الجمع، و هم الملائكة؟ قلنا: هو فرد وضع موضع الجمع كما سبق. الثانی: اسم على وزن المصدر كالزميل و الدبيب و الصـليل، فيسـتوى فيه الفرد و التثنية و الجمع. الثالث: أن فعيلا يستوى فيه الواحد و الاثنان و الجمع بدليل قوله تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ [ق: ۱۷]. [۱۱۱۳] فإن قيل: قوله تعالى بَعْدَ ذلِكَ [التحريم: ۴] تعظيم للملائكة و مظاهرتهم، و قد تقدمت نصـرة اللّه تعالى و جبريل و صالح المؤمنين، و نصرة اللّه سبحانه أعظم؟ قلنا: مظاهرة الملائكة من جملة نصرة اللّه تعالى، فكأنه فضل نصرته بهم على سائر وجوه نصرته لفضلهم و شرفهم، و لا شك أن نصرته بجميع الملائكة أعظم من نصرته بجبريل وحده أو بصالح المؤمنين. [۱۱۱۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: عَسى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ [التحريم: ۵] إلى آخر الآية، فأثبت الخيرية لهن باتصافهن بهذه الصـفات، و إنما تثبت لهن الخيرية بهذه الصـفات لو لم تكن تلك الصفات ثابتة فی نساء النبیّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم و هی ثابتـة فيهن؟ أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۱ قلنـا: المراد به خيرا منكن فی حفـظ قلبه و متابعة رضاه، مع اتصافهن بهذه الصفات المشتركة بينكن و بينهن. [۱۱۱۵] فإن قيل: كيف أخليت الصفات كلها عن الواو و أثبتت بين الثيبات و الأبكار؟ قلنا: لأنهما صـفتان متضادتان لا تجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات، فلم يكن بدّ من الواو، و من جعلها واو الثمانية فقـد سـها؛ لأن واو الثمانية لا يفسد الكلام بحذفها بخلاف هذه. [۱۱۱۶] فإن قيل: هـذه الصـفات إنما ذكرت فی معرض المدح، و أیّ مـدح فی كونهن ثيبات؟ قلنا: التثييب مـدح من وجه، فإن الثيب أقبل للميل بالنقل، و أكثر تجربة و عقلا، و البكارة مدح من وجه فإنها

أطهر و أطيب و أكثر مراغبة و ملاعبة. [۱۱۱۷] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ [التحريم: ۶]؛ بعد قوله سبحانه: لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ [التحريم: ۶]؟ قلنا: قيل المراد بالأمر الأول الأمر بالعبادات و الطاعات، و بالأمر الثانى الأمر بتعذيب أهل النار. و قيل: هو تأكيد. [۱۱۱۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: تَوْبَةً نَصُوحاً [التحريم: ۸] و لم يقل توبة نصوحة؟ قلنا: لأنّ فعولا من أوزان المبالغة الذى يستوى فى لفظه الذكور و الإناث، كقولهم: امرأة صبور و شكور و نحوهما. [۱۱۱۹] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: مِنْ عِبادِنا؛ بعد قوله تعالى: كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ [التحريم: ۱۰]. قلنا: فائدته مدحهما و الثناء عليهما بإضافتهما إليه إضافة التشريف و التخصيص، كما فى قوله تعالى: وَ عِبادُ الرَّحْمنِ [الفرقان: ۶۳]، و قوله تعالى: فَادْخُلِي فِي عِبادِي [الفجر: ۲۹]. و هو مبالغة فى المعنى المقصود. و هو أن الإنسان لا ينفعه إلا صلاح نفسه لا صلاح غيره؛ و إن كان ذلك الغير فى أعلى مراتب الصلاح و القرب من اللّه تعالى. [۱۱۲۰] فإن قيل: و كيف قال تعالى: وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ [التحريم: ۱۲] و لم يقل سبحانه من القانتات؟ قلنا: معناه كانت من القوم القانتين، أى المطيعين للّه تعالى، يعنى رهطها و أهلها، فكأنه تعالى قال: و كانت من بنات الصالحين. و قيل: إن اللّه تعالى لما تقبلها فى النذر و أعطاها مرتبة الذّكور الذين كان لا يصلح النذر إلا بهم، عاملها معاملة الذكور فى بعض الخطاب إشارة إلى ذلك، و قال تعالى: وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ [آل عمران: ۴۳]، و قال تعالى: وَ كانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ [التحريم: ۱۲]، أو رعاية للفواصل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۲

سورة الملك

سورة الملك [۱۱۲۱] فإن قيل: ما فائدة تقديم الموت على الحياة فى قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَياةَ؟ [الملك: ۲]. قلنا: إنما قدم سبحانه الموت لأنه هو المخلوق أوّلا. قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: أراد به خلق الموت فى الدنيا و الحياة فى الآخرة، و لو سلّم أن المراد به الحياة فى الدنيا فالموت سابق عليها لقوله تعالى: وَ كُنْتُمْ أَمْواتاً فَأَحْياكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [البقرة: ۲۸]. [۱۱۲۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ [الملك: ۳]؛ مع أن فى خلقه سبحانه تفاوتا عظيما، فإن الأضداد كلها من خلقه عز و جل و هى متفاوتة؛ و السموات أيضا متفاوتة فى الصغر و الكبر و الارتفاع و الانخفاض و غير ذلك؟ قلنا: المراد بالتفاوت هنا الخلل و العيب و النقصان فى مخلوقه تعالى الذى هو السموات، و يؤيده قوله تعالى: فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ [الملك: ۳]، أى من شقوق و صدوع فى السماء. [۱۱۲۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: أَ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ [الملك: ۱۶]، و اللّه سبحانه و تعالى ليس فى السماء و لا فى غير السماء؛ بل هو سبحانه منزه عن كل مكان؟ قلنا: من ملكوته فى السماء؛ لأنّها مسكن ملائكته، و محل عرشه و كرسيه و اللوح المحفوظ، و منها تنزل أقضيته و كتبه و أوامره و نواهيه. الثانى: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، و أنه سبحانه و تعالى فى السماء، فخوطبوا على حسب اعتقادهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۳

سورة ن (القلم)

سورة ن (القلم) [۱۱۲۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا يَسْتَثْنُونَ [القلم: ۱۸] أى و لا يقولون إن شاء اللّه فسمّى الشرط استثناء؟ قلنا: إنما سماه استثناء لأنه فى معناه، فإن معنى قولك لأخرجن إن شاء اللّه، و لا أخرج إلا أن يشاء اللّه واحد. و قال عكرمة: المراد به حقيقة الاستثناء: أى أنهم لا يستثنون حقّ المساكين. و الجمهور على الأول. [۱۱۲۵] فإن قيل: كيف سمّى أوسطهم الاستثناء تسبيحا فقال: أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ [القلم: ۲۸]، أى لو لا تستثنون؟ قلنا: إنما سماه تسبيحا لاشتراكهما فى معنى التعظيم؛ لأن الاستثناء تفويض إليه و إقرار بأنه لا يقدر أحد أن يفعل فعلا إلا بمشيئته، و التسبيح تنزيه له عن السوء. الثانى: أنه كان استثناؤهم قول سبحان اللّه. الثالث: أنّ معناه لو لا تنزهون أنفسكم و أموالكم عن حقّ الفقراء. [۱۱۲۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ [القلم: ۴۳] و لا تكليف فى الدار الآخرة؟ قلنا: لا يدعون إليه تكليفا و تعبّدا، و لكن توبيخا و تعنيفا على تركه فى الدنيا.

[۱۱۲۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ قَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ [القلم: ۴۳]، و هم إنّما كانوا يدعون إلى الصلاة، فإن المراد بالآية دعاؤهم إلى الجماعات بأذان المؤذن، حين يقول حى على الصلاة؟ قلنا: عبر سبحانه عن الصلاة بالسجود لأنه من أركانها، بل هو أعظم الأركان و غايتها، كما عبر عنها بالركوع و بالقرآن. [۱۱۲۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ هُمْ سالِمُونَ [القلم: ۴۳] أى صحيحون، مع أن الصحة ليست شرطا لوجوب الصلاة؟ قلنا: وجوب الخروج إلى الصلاة بالجماعة مشروط بالصحة و هو المراد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۴

سورة الحاقة

سورة الحاقة [۱۱۲۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: بِرِيحٍ صَرْصَرٍ [الحاقة: ۶]؛ و لم يقل صرصرة، كما قال تعالى: عاتِيَةٍ [الحاقة: ۶]، و هو صفة لمؤنث؛ لأنها الشديدة الصوت، أو الشديدة البرد؟ قلنا: لأنّ الصرصر وصف مخصوص بالرّيح لا يوصف به غيرها، فأشبه باب حائض و طامث و حامل، بخلاف عاتية فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به. [۱۱۳۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَتَرَى الْقَوْمَ فِيها صَرْعى [الحاقة: ۷]، أى فى تلك الليالى و الأيام، و النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم ما رآهم و لا يراهم فيها؟ قلنا: فيها ظرف لقوله تعالى صَرْعى، لا لقوله تعالى فَتَرَى، و الرؤية هنا من رؤية العلم و الاعتبار، فصار المعنى فتعلمهم صرعى فى تلك الليالى و الأيام بإعلامنا حتى كأنك تشاهدهم. [۱۱۳۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ [الحاقة: ۱۳] إلى قوله سبحانه: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ [الحاقة: ۱۸]، و المراد بها هنا النفخة الأولى، و هى نفخة الصعق؛ بدليل ما ذكر بعدها من فساد العالم العلوى و السفلى، و العرض إنما يكون بعد النفخة الثانية، و بين النفختين من الزمان ما شاء اللّه تعالى فكيف قال سبحانه يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ [الحاقة: ۱۸]. قلنا: وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذى يقع فيه النفختان و ما بعدهما. [۱۱۳۲] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ [الحاقة: ۲۰]؟ قلنا: معناه تيقنت. و الظنّ يطلق بمعنى اليقين، كما فى قوله تعالى: الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ راجِعُونَ [البقرة: ۴۶]. [۱۱۳۳] فإن قيل: كيف قال تعالى، فى وصف أهل النار: فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هاهُنا حَمِيمٌ وَ لا طَعامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ [الحاقة: ۳۵، ۳۶]. و قال سبحانه، فى موضع آخر: لَيْسَ لَهُمْ طَعامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ [الغاشية: ۶]، و فى موضع آخر: إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعامُ الْأَثِيمِ [الدخان: ۴۳، ۴۴]، و فى موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۵ فَمالِؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ [الواقعة: ۵۱- ۵۳]، و فى موضع آخر: أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ [البقرة: ۱۷۴]. قلنا: معناه إلا من غسلين و ما أشبهه، أو وضع الغسلين موضع كل طعام مؤذ كريه. الثانى: أن العذاب ألوان و المعذبون طبقات؛ فمنهم أكلة الزقوم، و منهم أكلة الغسلين، و منهم أكلة الضريع، لكل باب منهم جزء مقسوم. [۱۱۳۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ [الحاقة: ۴۰]، يعنى أن القرآن قول جبريل عليه السلام؛ مع أنه قول اللّه تعالى لا قول جبريل؟ قلنا: معناه، عند الأكثرين، أن المراد به النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، و المعنى أنه يقوله و يتكلم به على وجه الرّسالة من عند اللّه، لا من تلقاء نفسه، كما تزعمون. [۱۱۳۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ [الحاقة: ۴۷]؛ فوصف الفرد بالجمع؟ قلنا: قد سبق مثل هذا السؤال و جوابه فى آخر سورة البقرة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۶

سورة المعارج

سورة المعارج [۱۱۳۶] فإن قيل: كيف قال تعالى:* إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً [المعارج: ۱۹]؛ و يفسره ما بعده و الإنسان فى حال خلقه ما كان موصوفا بهذه الصفات؟ قلنا: هلوعا حال مقدرة. فالمعنى مقدرا فيه الهلع كما فى قوله تعالى: مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ [الفتح: ۲۷]، و هم ليسوا محلقين حال الدخول. [۱۱۳۷] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى أوّلا: الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ [المعارج: ۲۳]، ثم قال تعالى ثانيا: وَ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ [المعارج: ۳۴]؛ فهل بينهما فرق؟ قلنا: المراد بالدوام المواظبة و الملازمة أبدا. و قيل: المراد به

سكونهم فيها بحيث لا يلتفتون يمينا و لا شمالا؛ و اختاره الزجاج، و قال: اشتقاقه من الدائم بمعنى الساكن، كما جاء فى الحديث: «أنه صلّى اللّه عليه و سلّم نهى عن البول فى الماء الدّائم». قلت: و قوله «على» ينفى هذا المعنى؛ فإنّه لا يقال هو على صلاته ساكن؛ بل يقال: هو فى صلاته ساكن. و المراد بالمحافظة عليها أداؤها على أكمل وجوهها، جامعة لجملة سننها و آدابها؛ فالدّوام يرجع إلى نفس الصلاة، و المحافظة إلى أحوالها (______________________________. ۱)

([۱۱۳۷]) الحديث أخرجه مسلم و النسائى و أبو داود بمعناه. انظر أبو داود رقم ۶۹، و الفتح الكبير ۳/ ۲۶۶. و بمثل هذا اللفظ الذى ذكره الرّازى أخرجه البخارى، انظر فتح البارى ۱/ ۳۴۶، و النسائى بحاشية السندى ۱/ ۴۹. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۷

سورة نوح (عليه السلام)

سورة نوح (عليه السلام) [۱۱۳۸] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى [نوح: ۴]، فإن كان المراد به تأخيرهم عن الأجل المقدر لهم فى الأزل فهو محال، لقوله تعالى: وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها [المنافقون: ۱۱]، و قوله تعالى: إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ [نوح: ۴]، و إن كان المراد به تأخيرهم إلى مجىء الأجل المقدّر لهم فى الأزل، فما فائدة تخصيصهم بهذا و هم و غيرهم فى ذلك سواء، على تقدير وجود الإيمان منهم و عدم وجوده؟ قلنا: معناه و يؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان، فلا يعذّبكم فى الدنيا، كما عذّب غيركم من الأمم الكافرة فيها. الثانى: أنه سبحانه قضى أنهم إن آمنوا عمرهم ألف سنة، و إن لم يؤمنوا أهلكهم بالعذاب لتمام خمسمائة سنة، فقيل لهم آمنوا يؤخركم إلى هذا الأجل. [۱۱۳۹] فإن قيل: كيف أمرهم بالاستغفار، و الاستغفار إنما يصح من المؤمن دون الكافر؟ قلنا: معناه استغفروا ربكم من الشرك بالتوحيد. [۱۱۴۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً [نوح: ۱۷]، و الحيوان ضد النبات، فكيف يطلق على الحيوان أنه نبات؟ قلنا: هو استعارة للإنشاء و الإخراج من الأرض بواسطة آدم عليه السلام. [۱۱۴۱] فإن قيل: كيف دعا نوح عليه السلام على قومه بقوله: وَ لا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلالًا [نوح: ۲۴]؛ مع أنه أرسل ليهديهم و يرشدهم؟ قلنا: إنما دعا عليهم بذلك بعد ما أعلمه اللّه تعالى أنهم لا يؤمنون. [۱۱۴۲] فإن قيل: كيف قال نوح: وَ لا يَلِدُوا إِلَّا فاجِراً كَفَّاراً [نوح: ۲۷] وصفهم بالفجور و الكفر فى حال ولادتهم و هم أطفال، و كيف علم أنهم لا يلدون إلا فاجرا كفارا؟ قلنا: إنهم لا يلدون إلا من يفجر و يكفر إذا بلغ، و إنما علم ذلك بإعلام اللّه تعالى، أو وصفهم بما يئولون إليه من الفجور و الكفر؛ و علم ذلك بإعلام اللّه إيّاه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۸

سورة الجن

سورة الجن [۱۱۴۳] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ [الجن: ۱۹]، و لم يقل سبحانه رسول اللّه أو نبىّ اللّه، و المراد به النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قلنا: لأنه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن فى ذلك المقام مرسلا إليهم؛ بل اتفق مرورهم به و جوازهم عليه؛ فلو قال تعالى رسول اللّه أو نبى اللّه لأوهم ذلك قصد أداء الرسالة إليهم. [۱۱۴۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: قُلْ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً [الجن: ۲۵] مع أن الأمد اسم للغاية، و الغاية تكون زمانا قريبا و زمانا بعيدا، و يؤيده قوله تعالى: تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً [آل عمران: ۳۰]. قلنا: أراد بالقريب الحال، و بالمجعول له الأمد المؤجل؛ سواء كان الأجل قريبا أو بعيدا. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۳۹

سورة المزمّل

سورة المزمّل [۱۱۴۵] فإن قيل: ما معنى وصف القرآن بالثقل فى قوله تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا [المزمل: ۵]. قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه كان يثقل نزول الوحى على النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم، حتى يعرق عرقا شديدا فى اليوم الشاتى. الثانى: أن العمل بما فيه

من التكاليف ثقيل شاق. الثالث: ثقيل فى الميزان يوم القيامة. الرابع: أنّه ثقيل على المنافقين. الخامس: أنه كلام له وزن و رجحان، كما يقال للرجل العاقل: رزين راجح. السادس: أنّه ليس بسفساف؛ لأنّ السفساف من الكلام يكون خفيفا. [۱۱۴۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: السَّماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ [المزمل: ۱۸]، و لم يقل سبحانه منفطرة به، و السماء مؤنثة؟ قلنا: هو على النسبة، أى ذات انفطار. و قيل: ذكر السماء على معنى السقف. و قيل: معناه السماء شيء منفطر به. و قيل: السماء تذكر و تؤنث. [۱۱۴۷] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ [المزمل: ۲۰] و لم يقل تعالى أن لن تحصوهما، أى لن تعرفوا تحقيق مقادير ساعات اللّيل و النهار؟ قلنا: الضمير عائد إلى مصدر يقدر معناه: لن تحصوا تقديرهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۰

سورة المدّثر

سورة المدّثر [۱۱۴۸] فإن قيل: ما فائدة قوله تعالى: غَيْرُ يَسِيرٍ [المدثر: ۱۰]؛ بعد قوله سبحانه: فَذلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكافِرِينَ [المدثر: ۹، ۱۰]. قلنا: قيل معناه أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا، كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا. و قيل: إنه تأكيد. [۱۱۴۹] فإن قيل: ما فائدة التكرار فى قوله تعالى: لا تُبْقِي وَ لا تَذَرُ [المدثر: ۲۸]، و معناهما واحد؟ قلنا: معناه لا تبقى للكفار لحما و لا تذر لهم عظما. و قيل: معناه لا تبقيهم أحياء و لا تذرهم أمواتا. [۱۱۵۰] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ لا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ [المدثر: ۳۱]، و ما سبق من وصفهم بالاستيقان و ازدياد الإيمان دلّ على انتفاء الارتياب. و الجمل كلها متعلقة بعدد خزنة النار؛ و المعنى ليستيقن الّذين أوتوا الكتاب أن ما جاء به محمد صلّى اللّه عليه و سلّم حق؛ حيث أخبر عن عدد خزنة النار بمثل ما فى التوراة، و يزداد الّذين آمنوا من أهل الكتاب إيمانا بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و القرآن؛ حيث وجدوا ما أخبرهم به مطابقا لما فى كتابهم؟ قلنا: فائدته التأكيد و التعريض أيضا بحال من عداهم من الشّاكين، و هم الكفار و المنافقون؛ فمعناه: و لا يرتاب هؤلاء، كما ارتاب أولئك. [۱۱۵۱] فإن قيل: كيف قال تعالى: ما ذا أَرادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا [البقرة: ۲۶]، يعنى حصر عدد الخزنة فى تسعة عشر، و ذلك ليس بمثل. قلنا: هو استعارة من المثل المضروب مما وقع غريبا و بديعا فى الكلام استغرابا منهم لهذا العدد و استبعادا له، و المعنى: أى شيء أراد اللّه بهذا العدد العجيب، و أىّ حكمة قصد فى جعل الخزنة تسعة عشر لا عشرين. الثانى: أن المثل هنا بمعنى الصفة، كما فى قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ [الرعد: ۳۵]. و المعنى: ما ذا أراد اللّه بهذا العدد صفة للخزنة. [۱۱۵۲] فإن قيل: كيف طابق قوله تعالى: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ [المدثر: ۴۲]، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۱ و هو سؤال للمجرمين، قوله تعالى: يَتَساءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ [المدثر: ۴۰، ۴۱]، و هو سؤال عنهم؛ و إنّما المطابق يسألون المجرمين أو يتساءلون عن المجرمين ما سلكهم فى سقر، أى يسأل أهل الجنّة بعضهم بعضا عن أهل النار؟ قلنا: قوله تعالى: ما سَلَكَكُمْ [المدثر: ۴۲] ليس بيانا للتساؤل عنهم؛ و إنما هو حكاية قول المسئولين عن المجرمين، فالمسئولون من أهل الجنة ألقوا إلى السائلين ما جرى بينهم و بين المجرمين، و ذلك أن المؤمنين إذا أخرجهم اللّه تعالى من النار بعد ما عذبهم بقدر ذنوبهم و أدخلهم الجنة يسألهم بعض أصحاب اليمين عن حال المجرمين، و سبب تخليدهم؛ فقال المسئولون: قلنا لهم: ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ [المدثر: ۴۲] الآية؛ و هؤلاء المؤمنون بعد إخراجهم من النار و إدخالهم الجنة صاروا من أصحاب اليمين. و قيل: المراد بأصحاب اليمين الملائكة عليهم السلام. و قيل: الأطفال لأنّهم لا يرتهنون بذنوب إذ لا ذنوب لهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۲

سورة القيامة

سورة القيامة [۱۱۵۳] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۸]؛ و القارئ على النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم إنّما هو جبرائيل عليه السلام؟ قلنا: معناه فإذا جمعناه فى صدرك؛ و يؤيده أول الآية: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [القيامة: ۱۷]، أى إنّ علينا جمعه و ضمّه فى صدرك، فلا تعجل بقراءته قبل أن يتم حفظه. و قيل: إنما أضيفت القراءة إلى اللّه تعالى، لأن جبريل عليه السلام

يقرؤه بأمره، كما تضاف الأفعال إلى الملوك و الأمراء بمجرد الأمر؛ مع أنّ المباشر لها أعوانهم أو أتباعهم. [۱۱۵۴] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ [القيامة: ۲۲، ۲۳]، و الذى يوصف بالنظر الذى هو الإبصار و الإدراك إنما هو العين دون الوجه؟ قلنا: قيل إن المراد بالوجوه هنا السعداء و أهل الوجاهة يوم القيامة، لا الوجه الذى هو العضو؛ و لا أرى هذا الجواب مطابقا لقوله تعالى: وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ [القيامة: ۲۴]؛ لأن العبوس و القطوب إنّما يوصف به الوجه الذى هو العضو. و مما يؤيد أنّ المراد بقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ [القيامة: ۲۲] الأعضاء المعروفة، قوله تعالى: تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: ۲۴]. [۱۱۵۵] فإن قيل: النطفة المنى، فما فائدة قوله تعالى: أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنى [القيامة: ۳۷]؟ قلنا: النطفة استعملت هنا بمعنى القطرة؛ لأن النطفة تطلق على الماء القليل و الكثير، و منه الحديث: «حتّى يسير الرّاكب بين النطفتين لا يخشى جوازا». أراد بحر المشرق و المغرب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۳

سورة الإنسان

سورة الإنسان [۱۱۵۶] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشاجٍ [الإنسان: ۲] فوصف المفرد و هى النطفة بالجمع و هو الأمشاج لأنّه جمع مشج، و الأمشاج الأخلاط، و المراد أنّه مخلوق من نطفة مختلطة من ماء الرّجل و المرأة؟ قلنا: قال الزمخشرى رحمة اللّه تعالى عليه: أمشاج لفظ مفرد لا جمع، كقولهم: برمة أعشار، و بيت أكباش، و بر أهدام. و قال غيره الموصوف به أجزاء النطفة و أبعاضها. [۱۱۵۷] «۱» فإن قيل: كيف قال تعالى: نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْناهُ سَمِيعاً بَصِيراً [الإنسان: ۲]، و الابتلاء متأخر عن جعله سميعا بصيرا؟ قلنا: قال الفراء: فيه تقديم و تأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه. و قال غيره: معناه ناقلين له من حال إلى حال نطفة ثم علقة ثم مضغة، فسمى ذلك ابتلاء استعارة. [۱۱۵۸] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: قَوارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيراً [الإنسان: ۱۶] و القوارير اسم لما يتخذ من الزّجاج؟ قلنا: معناه أن تلك الأكواب مخلوقة من فضة، و هى مع بياض الفضّة و حسنها فى صفاء القوارير و شفيفها. قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: لو ضربت فضة الدّنيا حتى جعلتها جناح الذباب لم ير الماء من ورائها، و قوارير الجنة من فضة و يرى ما فيها من ورائها. [۱۱۵۹] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: كانَتْ قَوارِيرَا [الإنسان: ۱۵]؟ قلنا: معناه تكونت، فهى من قوله تعالى: كُنْ فَيَكُونُ [يس: ۸۲]، و كذا قوله تعالى: كانَ مِزاجُها كافُوراً [الإنسان: ۵].

(______________________________) ۱) ([۱۱۵۷]) علقة: هى مبدأ تكون الجنين. مأخوذ من العلق و هو التشبث بالشىء، و لعله لتعلق العلقة بالرحم. يقال: علقت المرأة، أى حبلت. - مضغة: هى المرحلة التى يمرّ بها الجنين، فى أطوار نموه، و تكون بعد مرحلة العلقة. و المضغة هى القطعة الصغيرة من اللحم قدر ما يمضغ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۴ [۱۱۶۰] فإن قيل: كيف شبه اللّه تعالى الولدان باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟ قلنا: إنما شبههم سبحانه و تعالى باللؤلؤ المنثور؛ لأنه أراد تشبيههم باللؤلؤ الذى لم يثقب بعد؛ لأنه إذا ثقب نقصت مائيته و صفاؤه، و اللؤلؤ الذى لم يثقب لا يكون إلا منثورا. و قيل: إنّما شبههم اللّه تعالى باللؤلؤ المنثور لأن اللؤلؤ المنثور على البساط أحسن منظرا من المنظوم. و قيل: إنّما شبههم باللؤلؤ المنثور لانتشارهم و انبثاثهم فى مجالسهم و منازلهم و تفريقهم فى الخدمة بدليل قوله تعالى: وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ [الإنسان: ۱۹]، و لو كانوا وقوفا صفا لشبهوا بالمنظوم. [۱۱۶۱] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ حُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ [الإنسان: ۲۱]؛ مع أنّ ذلك فى الدّنيا إنما هو عادة الإماء و من فى مرتبتهن؟ قلنا: القرآن أول من خوطب به العرب، و كان من عادة رجالهم و نسائهم من بيت المملكة التحلى بالذّهب و الفضّة منفردين و مجتمعين: الثانى: أن الاسم و إن كان مشتركا بين فضّة الدّنيا و الآخرة، و لكن شتّان ما بينهما! قال النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: «المثقال من فضّة الآخرة خير من الدّنيا و ما فيها». و كذا الكلام فى السندس و الإستبرق و غيرهما ممّا أعده اللّه تعالى فى الجنة. [۱۱۶۲] فإن قيل: أىّ شرف لتلك الدّار يسقى اللّه تعالى عباده الشّراب الطّهور فيها؛ مع أنه تعالى فى الدنيا سقاهم ذلك بدليل قوله تعالى: وَ أَسْقَيْناكُمْ ماءً فُراتاً [المرسلات: ۲۷]، و قوله تعالى: فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ [الحجر: ۲۲]. قلنا:

المراد به فى الآخرة سقيهم بغير واسطة، و شتّان ما بين الشرابين! و الآنيتين أيضا، و المنزلتين! [۱۱۶۳] فإن قيل: قوله تعالى: وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً [الإنسان: ۲۴]، الضمير لمشركى مكّة بلا خلاف؛ فما معنى تقسيمهم إلى الآثم و الكفور، و كلهم آثم و كلّهم كفور؟ قلنا: المراد بالآثم عتبة بن ربيعة، فإنه كان ركّابا للمآثم متعاطيا لأنواع الفسوق؛ و المراد بالكفور الوليد بن المغيرة، فإنه كان متغاليا فى الكفر شديد الشكيمة فيه؛ مع أن كليهما آثم و كافر، و المراد به نهيه عن طاعتهم فيما كانوا يدعونه إليه من ترك الدّعوة و موافقتهم فيما كانوا عليه من الكفر و الضلال.

(____ ۱) ([۱۱۶۱]) السندس: ضرب من الديباج رقيق. و المشهور أنّه معرب. - الإستبرق: فسّره الفيروزآبادى ب الديباج الغليظ. أو ديباج يعمل بالذهب، أو ثياب حرير صفاق نحو الديباج الخ، أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۵ [۱۱۶۴] فإن قيل: ما معنى النهى عن طاعة أحدهما، و هلّا نهى عن طاعتهما؟ قلنا: قال بعضهم إن أو هنا بمعنى الواو كما فى قوله تعالى: أَوِ الْحَوايا [الأنعام: ۱۴۶]. الثانى: أنه لو قال تعالى: و لا تطعهما جاز له أن يطيع أحدهما، و أما إذا قيل له: و لا تطع أحدهما كان منهيا عن طاعتهما بالضّرورة. [۱۱۶۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى، هنا: وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ [الإنسان: ۲۸] أى خلقهم، و قال تعالى، فى موضع آخر: وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِيفاً [النساء: ۲۸]؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما و الأكثرون: المراد به أنه ضعيف عن الصبر عن النساء، فلذلك أباح اللّه تعالى له نكاح الأمة كما سبق قبل هذه الآية. و قال الزّجّاج: معناه أنه يغلبه هواه و شهوته فلذلك وصف بالضعف. و أما قوله تعالى: وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ [الإنسان: ۲۸] فمعناه ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق و الأعصاب. و قيل: المراد بالأسر العصعص، فإن الإنسان فى القبر يصير رفاتا إلا عصعصة فإنه لا يتفتت. و قال مجاهد: المراد بالأسر مخرج البول و الغائط، فإنه يسترخى، حتى يخرج منه الأذى، ثم ينقبض و يجتمع و يشتد بقدرة اللّه تعالى. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۶

سورة المرسلات

سورة المرسلات [۱۱۶۶] فإن قيل: قوله تعالى: هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ [المرسلات: ۳۵] ينفى وجود الاعتذار منهم؛ لأنّ الاعتذار إنّما يكون بالنّطق، فما فائدة نفى الاعتذار، بعد نفى النطق؟ قلنا: معناه أنهم لا ينطقون ابتداء بعذر مقبول و حجة صحيحة. و لا بعد أن يؤذن لهم فى الاعتذار؛ فإن الأسير و الجانى الخائف عادة قد لا ينطق لسانه بعذره و حجّته ابتداء لفرط خوفه و دهشته؛ و لكن إذا أذن له فى إظهار عذره و حجته انبسط و انطلق لسانه؛ فكانت الفائدة فى الجملة. الثانى: نفى هذا المعنى: أى لا ينطقون بعذر ابتداء و لا بعد الإذن. [۱۱۶۷] فإن قيل: قوله تعالى: يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ [غافر: ۵۲]، يدل على وجود الاعتذار منهم، فكيف التوفيق بينه و بين ما نحن فيه؟ قلنا: قيل المراد بتلك الظالمون من المسلمين، و بما نحن فيه الكافرون. و آخر تلك الآية يضعف هذا الجواب، أى قوله: وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [غافر: ۵۲]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۷

سورة النبأ

سورة النبأ [۱۱۶۸] فإن قيل: كيف اتصل و ارتبط قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً [النبأ: ۶] بما قبله؟ قلنا: لمّا كان النبأ العظيم الذى يتساءلون عنه هو البعث و النشور و كانوا ينكرونه، قيل لهم: أ لم يخلق من وعد بالبعث و النشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدّالة على كمال قدرته على البعث. [۱۱۶۹] فإن قيل: لو كان النبأ العظيم الذى يتساءلون عنه ما ذكرتم، لما قال اللّه تعالى الذى هم فيه مختلفون؛ لأن كفار مكّة لم يختلفوا فى أمر البعث؛ بل اتفقوا على إنكاره؟ قلنا: كان فيهم من يقطع القول بإنكاره، و فيهم من يشك فيه و يتردد فثبت الاختلاف؛ لأن جهة الاختلاف لا تنحصر فى الجزم بإثباته و الجزم بنفيه. الثانى: أن بعضهم صدّق به فآمن، و بعضهم كذّب به فبقى على كفره؛ فثبت الاختلاف بالنفى و الإثبات. الثالث: أنّ الضمير فى يتساءلون و فى هم عائد إلى الفريقين من المسلمين

و المشركين؛ و كلهم كانوا يتساءلون عنه لعظم شأنه عندهم، فصدق به المسلمون فأثبتوه، و كذب به المشركون فنفوه. [۱۱۷۰] فإن قيل: قوله تعالى: فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ مَآباً [النبأ: ۳۹] هو جزاء الشّرط فأين الشّرط؛ و شاء وحده لا يصلح شرطا؛ لأنه لا يفيد بدون ذكر مفعوله، و إن كان المذكور هو الشّرط فأين الجزاء؟ قلنا: معناه فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف اتّخذ إلى ربه مرجعا بطاعته. الثاني: أنّ معناه فمن شاء أن يتّخذ إلى ربه مآبا، كقوله تعالى: فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ [الكهف: ۲۹]، أي فمن شاء الإيمان فليؤمن، و من شاء الكفر فليكفر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۸

سورة النازعات

سورة النازعات [۱۱۷۱] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ النَّازِعاتِ وَ النَّاشِطاتِ [النازعات: ۱، ۲]؛ ذكرها بلفظ التأنيث، و كذا ما بعده، و الكل أوصاف الملائكة، و الملائكة ليسوا إناثا؟ قلنا: هو قسم بطوائف الملائكة و فرقها، و الطوائف و الفرق مؤنثة. [۱۱۷۲] فإن قيل: كيف أضاف اللّه تعالى الإبصار إلى القلوب في قوله تعالى: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ أَبْصارُها خاشِعَةٌ [النازعات: ۸، ۹]، أي ذليلة لمعاينة العذاب؛ و المراد بها الأعين بلا خلاف؟ قلنا: المراد أبصار أصحابها بدليل قوله تعالى: يَقُولُونَ [النازعات: ۱۰]. [۱۱۷۳] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَأَراهُ الْآيَةَ الْكُبْرى [النازعات: ۲۰]؛ مع أن موسى عليه الصلاة و السلام أراه الآيات كلها؛ بدليل قوله تعالى: وَ لَقَدْ أَرَيْناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ [طه: ۵۶]، و كل آية كبرى؟ قلنا: الإخبار في هذه الآية عن أوّل ملاقاته إياه، و إنما أراه في أوّل ملاقاته العصا و اليد، فأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحاد معناهما. و قيل: أراد بالآية الكبرى العصا؛ لأنها كانت المقدمة، و الأصل، و الأخرى كالتّبع لها؛ لأنه كان يتبعها بيده؛ فقيل له أدخل يدك في جيبك. [۱۱۷۴] فإن قيل: كيف أضاف اللّه تعالى اللّيل إلى السماء، بقوله تعالى: وَ أَغْطَشَ لَيْلَها [النازعات: ۲۹]؛ مع أنّ اللّيل إنّما يكون في الأرض لا في السماء؟ قلنا: إنما أضافه إليها لأنه أوّل ما يظهر عند غروب الشمس إنما يظهر من أفق السماء من موضع الغروب، و أمّا قوله تعالى: وَ أَخْرَجَ ضُحاها [النازعات: ۲۹] فالمراد به ضوء الشمس بدليل قوله تعالى: وَ الشَّمْسِ وَ ضُحاها [الشمس: ۱]، أي وضوئها فلا إشكال في إضافته إليها. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۴۹

سورة عبس

سورة عبس [۱۱۷۵] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: كَلَّا إِنَّها تَذْكِرَةٌ [عبس: ۱۱]، ثم قال سبحانه و تعالى: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ [عبس: ۱۲]، و لم يقل ذكرها؟ قلنا: الضمير المؤنث لآيات القرآن أو لهذه السورة، و الضمير في قوله تعالى ذكره راجع إلى القرآن. و قيل: راجع إلى معنى التذكرة و هو الوعظ و التذكير لا إلى لفظها. [۱۱۷۶] فإن قيل: في قوله تعالى: وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا [عبس: ۳۱] روى أن عمر رضى اللّه تعالى عنه قرأ هذه الآية و قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب؟ ثم قال: هذا لعمر اللّه التكلف، و ما عليك يا عمر أن لا تدرى ما الأب، ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب و ما لا فدعوه، و هذا شبيه النهي عن تتبع معاني القرآن و البحث عن مشكلاته؟ قلنا: لم يرد بقوله ما ذكرت، و لكن الصحابة رضى اللّه عنهم كانت أكثر هممهم عاكفة على العمل، و كان الاشتغال بعلم لا يعمل به تكلفا عندهم، فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه و استدعاء شكره، و قد علم من فحوى الآية أن الأب بعض ما أنبته اللّه تعالى للإنسان متاعا له و لأنعامه، فكأنه قال: عليك بما هو الأهم فالأهم، و هو الشكر على ما تبين لك، و لم يشكل مما عدد من نعمه تعالى، و لا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب و معرفة النبات الخاص، و اكتف بمعرفته منه جملة إلى أن يتبين لك في وقت آخر. و عن أبي بكر الصديق رضى اللّه عنه أنه سئل عن الأب فقال: أي سماء تظلني و أي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب اللّه بما لا علم لي به. و أكثر المفسرين قالوا: الأب كل ما ترعاه البهائم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۰

سورة التكوير

سورة التكوير [۱۱۷۷] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ [التكوير: ۸، ۹]، و السؤال إنّما يحسن للقاتل لا ـ للمقتول؟ قلنا: إنما سؤالها لتبكيت قاتلها و توبيخه بما تقوله من الجواب، فإنّها تقول: قتلت بغير ذنب، و نظيره فى التبكيت و التّوبيخ قوله تعالى، لعيسى عليه السلام: أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي [المائدة: ۱۱۶]؛ حتى قال: سبحانك ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ [المائدة: ۱۱۶]. [۱۱۷۸] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ [التكوير: ۱۴] فأثبت العلم لنفس واحدة؛ مع أن كلّ نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة؛ بدليل قوله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً [آل عمران: ۳۰]؟ قلنا: هذا مما أريد به عكس مدلوله، و مثله كثير فى كلام اللّه تعالى، و كلام العرب كقوله تعالى: رُبَما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كانُوا مُسْلِمِينَ [الحجر: ۲]؛ فإن رب هنا بمعنى كم للتكثير، و قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة و السلام لقومه: وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ [الصف: ۵]، و قول الشاعر: قد أترك القرن مصفرّا أنامله كأنّ أثوابه مجّت بفرصاد

(____۱) ([۱۱۷۸]) القرن: هو الكفؤ فى الشجاعة. و يقال للأعم من ذلك. - الفرصاد: هو التّوت، أو الأحمر منه خاصة. و صبغ أحمر. - و البيت لعبيد بن الأبرص، فى ديوانه: ۴۹. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۱

سورة الانفطار

سورة الانفطار [۱۱۷۹] فإن قيل: لأيّ فائدة تخصيص ذكر صفة الكرم دون سائر صفاته فى قوله تعالى: ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ [الانفطار: ۶]؟ قلنا: قال بعضهم: إنّما قال ذلك لطفا بعبده و تلقينا له حجته و عذره ليقول: غرّنى كرم الكريم. و قال الفضيل رحمه اللّه: لو سألنى اللّه تعالى هذا السؤال لقلت: غرّنى ستورك المرخاة. و روى أنّ عليّا كرم اللّه وجهه صاح بغلام له مرات فلم يلبه، ثم أقبل فقال: مالك لم تجبنى؟ فقال: لثقتى بحلمك و أمنى عقوبتك، فاستحسن جوابه و أعتقه. و لهذا قالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. و الحقّ أنّ الواجب على الإنسان أن لا يغتر بكرم اللّه تعالى وجوده فى خلقه إياه و إسباغه النعمة الظاهرة و الباطنة عليه فيعصيه و يكفر نعمته اغترارا بتفضّله الأول، فإن ذلك أمر منكر خارج عن حدّ الحكمة، و لهذا قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لما قرأها: غرّه جهله. و قال عمر رضى اللّه تعالى عنه: غره حمقه و جهله. و قال الحسن: غره و اللّه شيطانه الخبيث الذى زين له المعاصى، فقال له: افعل ما شئت فإن ربك كريم. [۱۱۸۰] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً [الانفطار: ۱۹] و النفوس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئا و هو الشفاعة؟ قلنا: المنفى ثبوت النصرة بالملك و السلطنة و الشفاعة ليست بطريق الملك و السلطنة فلا تدخل فى النفى، و يؤيده قوله تعالى: وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ [الانفطار: ۱۹]. و قال مقاتل: المراد بالنفس الثانية الكافرة، و الأصح أنه على العموم فى النفسين. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۲

سورة المطففين

سورة المطففين [۱۱۸۱] فإن قيل: هلّا قال اللّه تعالى إذا اكتالوا أو اتزنوا على الناس يستوفون، كما قال سبحانه فى مقابله وَ إِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ [المطففين: ۳]؟ قلنا: لأنّ المطففين كانت عادتهم أنهم لا يأخذون ما يكال و ما يوزن إلّا بالمكيال؛ لأنّ استيفاء الزّيادة بالمكيال كان أمكن لهم و أهون عليهم منه بالميزان، و إذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس فيهما. [۱۱۸۲] فإن قيل: كيف فسر سبحانه و تعالى سجينا بكتاب مرقوم فقال تعالى: وَ ما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ كِتابٌ مَرْقُومٌ [المطففين: ۸؟ ۹] و كذا فسر تعالى عليين به؛ مع أن سجينا اسم للأرض السابعة، و هو فعيل من السجن، و عليين اسم للجنة أو لأعلى الأمكنة، أو للسماء السابعة، أو لسدرة المنتهى؟ قلنا: قوله تعالى: كِتابٌ مَرْقُومٌ [المطففين: ۹] وصف معنوى لكتاب الفجّار و لكتاب الأبرار، لا تفسير لسجّين و لعليين تقديره: و هو كتاب مرقوم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۳

سورة الانشقاق

سورة الانشقاق [۱۱۸۳] فإن قيل: أين جواب «إذا» فى قوله تعالى: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: ۱]؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه متروك لتكرر مثله فى القرآن. الثانى: أنه أذنت و الواو فيها زائدة. الثالث: أنه محذوف تقديره بعد قوله تعالى: وَ حُقَّتْ [الانشقاق: ۲] بعثتم أو جوزيتم أو لاقيتم ما عملتم، و دلّ على هذا المحذوف قوله تعالى: فَمُلاقِيهِ [الانشقاق: ۶]. الرابع: أن فيه تقديما و تأخيرا، تقديره: يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِيهِ [الانشقاق: ۶] إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ [الانشقاق: ۱]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۴

سورة البروج

سورة البروج [۱۱۸۴] فإن قيل: أين جواب القسم؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه متروك. الثانى: أنه قوله تعالى: قُتِلَ [البروج: ۴] أى لقد قتل، أى لعن. الثالث: أنه قوله تعالى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشَدِيدٌ [البروج: ۱۲]. الرابع: أنه محذوف تقديره: لتبعثن أو نحوه. الخامس: أنّه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا [البروج: ۱۰]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۵

سورة الطارق

سورة الطارق [۱۱۸۵] فإن قيل: أين جواب القسم؟ قلنا: إِنْ کُلُّ نَفْسٍ [الطارق: ۴] فإن بمعنى ما، و لمّا بالتّشديد بمعنى إلّا؛ فيكون المعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ، و لما بالتخفيف ما فيه زائدة و إن هى المخففة من الثقيلة، فيكون المعنى: إن كل نفس لعليها حافظ، و القسم يتلقى بمعنى إن (كذا). [۱۱۸۶] فإن قيل: ما وجه ارتباط قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ [الطارق: ۵] بما قبله؟ قلنا: وجهه أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه بوصية الإنسان بالنظر فى أول أمره و نشأته الأولى؛ ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته و مجازاته، فيعمل ليوم الإعادة و الجزاء، فلا يملى على حافظه إلا ما يسره فى عاقبته. [۱۱۸۷] فإن قيل: ما فائدة الجمع بين فمهّل و أمهل و معناهما واحد؟ قلنا: التأكيد، و إنما خولف بين اللفظين طلبا للخفة. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۶

سورة الأعلى

سورة الأعلى [۱۱۸۸] «۱» فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: فَذَکِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّکْری [الأعلى: ۹] مع أنه كان صلّى اللّه عليه و سلّم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع؟ قلنا: معناه إذ نفعت. و قيل: معناه قد نفعت. و قيل: إن نفعت و إن لم تنفع، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. و ذكر الماوردى أنها بمعنى ما؛ و كأنه أراد معنى ما الظرفية؛ و إن بمعنى ما الظرفية ليس بمعروف. [۱۱۸۹] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: لا يَمُوتُ فِيها وَ لا يَحْيی [الأعلى: ۱۳] مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحد هذين الوصفين؟ قلنا: معناه لا يموت موتا يستريح به، و لا يحيا حياة ينتفع بها. و قال ابن جرير، رحمة اللّه تعالى عليه: تصعد نفسه إلى حلقومه، ثم لا تفارقه فيموت، و لا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا؛ و اللّه سبحانه و تعالى أعلم.

(______________________________

۱) ([۱۱۸۸]) الماوردى: هو على بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردى. كان قاضيا يميل إلى مذهب المعتزلة. ولد سنة ۳۶۴ ه فى البصرة و توفى ببغداد سنة ۴۵۰ ه. من مؤلفاته: الأحكام السلطانية، النكت و العيون (فى التفسير)، نصحية الملوك، أعلام النبوّة، أدب الوزير، تسهيل النظر، الخ. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۷

سورة الغاشية

سورهٔ الغاشیهٔ [۱۱۹۰] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ خاشِعَهٌ عامِلَهٌ ناصِبَهٌ تَصْلی ناراً حامِیَهً [الغاشیهٔ: ۲- ۴]؛ مع أنّ جمیع أبدانهم أیضا تصلی النار؟ قلنا: الوجه یطلق و یراد به جمیع البدن کما فی قوله تعالی: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَیِّ الْقَیُّومِ [طه: ۱۱۱] و قیل: إن المراد بالوجوه هنا الأعیان و الرؤساء، کما یقال: هؤلاء وجوه القوم، و یا وجه العرب، أی و یا وجیههم، و یؤید هذا القول ما روی عن ابن عباس، رضی اللّه تعالی عنهما، أنّه قال: إن المراد به الرّهبان و أصحاب الصوامع. [۱۱۹۱] «۱» فإن قیل: کیف ارتبط قوله تعالی: أَ فَلا یَنْظُرُونَ إِلَی الْإِبِلِ کَیْفَ خُلِقَتْ [الغاشیهٔ: ۱۷] بما قبله، و أیّ مناسبهٔ بین السماء و الإبل و الجبال و الأرض؛ حتی جمع بینها؟ قلنا: لما وصف اللّه تعالی الجنّهٔ بما وصف، عجب من ذلک الکفار، فذکرهم عجائب صنعه. و قال قتادهٔ: لما ذکر ارتفاع سرر الجنهٔ قالوا: کیف نصعدها؟ فنزلت هذه الآیهٔ: أَ فَلا یَنْظُرُونَ إِلَی الْإِبِلِ [الغاشیهٔ: ۱۷] نظر اعتبار، کیف خُلِقَتْ [الغاشیهٔ: ۱۷] للنهوض بالأثقال و حملها إلی البلاد البعیدهٔ، و جعلت تبرک حتی تحمل و ترکب عن قرب و یسر ثم تنهض بما حملت، فلیس فی الدواب ما یحمل علیه و هو بارک و یطیق النهوض إلا هی، و سخرت لکل من قادها حتی الصبی الصغیر، و لما جعلت سفائن البر أعطین الصبر علی احتمال العطش عشرهٔ أیام فصاعدا و جعلت ترعی کل نبات فی البراری و المفاوز مما لا یرعاه سائر البهائم، و إنما لم یذکر الفیل و الزرافهٔ و الکرکند و غیرها مما هو أعظم من الجمل؛ لأن العرب لم یروا شیئا من ذلک و لا کانوا یعرفونه؛ و لأن الإبل کانت أنفس أموالهم و أکثرها لا- تفارقهم و لا- یفارقونها؛ و إنما جمع بینها و بین ما بعدها لأن نظر العرب قد انتظم هذه الأشیاء فی أودیتهم و بوادیهم، فانتظمها الذکر علی حسب ما انتظمها نظرهم و کثرهٔ ملابستهم و مخالتهم، و من فسر الإبل بالسحاب و الماء قصد بذلک طلب المناسبهٔ بطریق تشبیه الإبل (______________________________ ۱) (

[۱۱۹۱]) ابن درید: هو محمد بن الحسن بن درید، من أزد عمان، من قحطان، أبو بکر، أحد أئمهٔ اللغهٔ و الأدب. ولد فی البصرهٔ، و قیل فی عمان، سنهٔ ۲۲۳ ه و توفی سنهٔ ۳۲۱ و قیل ۳۲۳. أخذ عن السجستانی و الرّیاشی. من مؤلفاته: الاشتقاق، المقصور و الممدود، الجمهرهٔ، المجتنی، الخ. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۸ بالسحاب فی السیر و فی النشط أیضا، فی بعض الأوقات؛ لا أنه أراد أنّ المراد من الإبل السحاب حقیقهٔ. و قد جاء فی أشعار العرب تشبیه السحاب بالإبل کثیرا، و قد شبهه ابن درید أیضا بالسّحاب فی قصیدته. و قرأ أبیّ بن کعب و عائشهٔ رضی اللّه عنهما الإبل بتشدید اللام. قال أبو عمرو و هو اسم للسحاب الذی یحمل الماء، و اللّه أعلم. أسئلهٔ القرآن و أجوبتها، ص: ۳۵۹

سورهٔ الفجر

سورهٔ الفجر [۱۱۹۲] فإن قیل: کیف نکر اللیالی العشر دون سائر ما أقسم به، و هلّا عرّفها بلام العهد و هی لیالی معلومهٔ معهودهٔ فإنها لیالی عشر ذی الحجهٔ فی قول الجمهور؟ قلنا: لأنها مخصوصهٔ من بین جنس اللیالی العشر بفضیلهٔ لیست لغیرها فلم یجمع بینها و بین غیرها بلام الجنس، و إنما لم تعرف بلام العهد لأن التنکیر أدل علی التفخیم و التعظیم بدلیل قوله تعالی: وَ إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ [البقرهٔ: ۱۶۳] و نظیره قوله تعالی: لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ [البلد: ۱] فعرفه ثم قال: وَ والِدٍ [البلد: ۳] فنکره، و المراد به آدم و إبراهیم أو محمد صلّی اللّه علیهم أجمعین، و لأن الأحسن أن تکون اللامات کلها متجانسهٔ، لیکون الکلام أبعد عن الألغاز و التعمیهٔ، و هی فی الباقی للجنس. [۱۱۹۳] فإن قیل: کیف ذم اللّه تعالی الإنسان علی قوله: رَبِّی أَکْرَمَنِ [الفجر: ۱۵]، مع أنّه صادق فیما قال: لأنّ اللّه تعالی أکرمه، بدلیل قوله تعالی: فَأَکْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ [الفجر: ۱۵]، کیف و أن هذا تحدث بالنعمهٔ و هو مأمور به؟ قلنا: المراد به أن یقول ذلک مفتخرا علی غیره، و متطاولا به علیه، و معتقدا استحقاق ذلک علی ربّه، کما فی قوله تعالی: إِنَّما أُوتِیتُهُ عَلی عِلْمٍ عِنْدِی [القصص: ۷۸] و مستدلا به علی علو منزلته فی الدار الآخرهٔ؛ و کل ذلک منهی عنه. و أما إذا قاله علی وجه الشکر و التحدث بنعمهٔ اللّه فلیس بمذموم و لا منهی عنه. [۱۱۹۴] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی فی الجملهٔ الأولی: فَأَکْرَمَهُ [الفجر: ۱۵] و لم یقل فی الجملهٔ الثانیهٔ فأهانه؟ قلنا: لأن بسط الرزق إکرام، لأنه إنعام و إفضال من غیر سابقهٔ؛ و قبضه لیس بإهانهٔ؛ لأن ترک الإنعام و الإفضال لا یکون إهانهٔ، بل هو واسطهٔ بین الإکرام و

الإهانة؛ فإن المولى قد يكرم عبده و قد يهينه، و قد لا يكرمه و لا يهينه. و تضييق الرزق ليس إلّا عبارة عن ترك إعطاء القدر الزائد، أ لا ترى أنه يحسن أن تقول زيد أكرمنى إذا أهدى لك هدية، و لا يحسن أن تقول أهاننى إذا لم يهد لك. [۱۱۹۵] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ جاءَ رَبُّكَ [الفجر: ۲۲] و الحركة و الانتقال على اللّه محالان؛ لأنهما من خواص الكائن فى جهة؟ أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۰

سورة البلد

سورة البلد قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: و جاء أمر ربك لأن فى القيامة تظهر جلائل آيات اللّه تعالى؛ و نظيره قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ [الأنعام: ۱۵۸] و قيل: معناه و جاء ظهور ربك لضرورة معرفته يوم القيامة. و معرفة الشيء بالضرورة تقوم مقام ظهوره و رؤيته، فمعناه: زالت الشكوك و ارتفعت الشبه كما ترتفع عند مجيء الشيء الذى كان يشك فيه. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۱

سورة البلد

سورة البلد [۱۱۹۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ والِدٍ وَ ما وَلَدَ [البلد: ۳]، و لم يقل سبحانه و تعالى و من ولد؟ قلنا: لأنّ فى «ما» من الإبهام ما ليس فى من، فقصد به التفخيم و التعظيم، كأنه تعالى قال: و أىّ شيء عجيب غريب ولد، و نظيره قوله تعالى: وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ [آل عمران: ۳۶].

سورة الشمس

سورة الشمس [۱۱۹۷] فإن قيل: كيف نكّر اللّه تعالى النفس، دون سائر ما أقسم به، حيث قال تعالى: وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها [الشمس: ۷]؟ قلنا: لأنه لا سبيل إلى لام الجنس؛ لأنّ نفوس الحيوانات غير الإنسان خارجة عن ذلك، بدليل قوله تعالى: فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها [الشمس: ۸]، و لا سبيل إلى لام العهد، لأن المراد ليس نفسا واحدة معهودة. و على قول من قال إن المراد منه نفس آدم عليه السلام، فالتنكير للتفخيم و التعظيم، كما سبق فى سورة الفجر. [۱۱۹۸] فإن قيل: أين جواب القسم؟ قلنا: قال الزجاج و غيره: إنه قوله تعالى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها [الشمس: ۹]، و حذفت اللّام لطول الكلام. و قال ابن الأنبارى: جوابه محذوف. و قال الزمخشرى: تقديره ليدمدمنّ اللّه على أهل مكة لتكذيبهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، كما دمدم على ثمود، لتكذيبهم صالحا عليه السلام. قال: و أما قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها [الشمس: ۹] فكلام تابع لما قبله على طريق الاستطراد و ليس من جواب القسم فى شيء. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۳

سورة الليل

سورة الليل [۱۱۹۹] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: لا يَصْلاها إِلَّا الْأَشْقَى [الليل: ۱۵] مع أنّ الشقى أيضا يصلاها: أى يقاسى حرّها و عذابها؟ قلنا: قال أبو عبيدة: الأشقى هنا بمعنى الشقى، و المراد به كل كافر، و العرب تستعمل أفعل فى موضع فاعل و لا تريد به التفضيل، و قد سبق تقرير ذلك و الشواهد عليه فى سورة الرّوم فى قوله تعالى: وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ [الروم: ۲۷] و قال الزجاج: هذه نار موصوفة معينة، فهو دركة مخصوص ببعض الأشقياء، ورد عليه ذلك بقوله تعالى: وَ سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى [الليل: ۱۷]، و الأتقى يجنب عذاب أنواع نار جهنم كلّها، و المراد بالأتقى هنا أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه بإجماع المفسرين؛ و لهذا قال الزمخشرى: إن الأشقى ليس بمعنى الشّقى؛ بل هو على ظاهره؛ و المراد به أبو جهل أو أمية بن خلف، فالآية واردة للموازنة بين حالتى أعظم المؤمنين و أعظم المشركين، فبولغ فى صفتيهما المتناقضتين، و جعل هذا مختصا بالصلى كأنّ النار لم تخلق إلا له لوفور نصيبه منها و جاء قوله تعالى: وَ

سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى [الليل: ١٧] على موازنة ذلك و مقابلته، مع أن كل تقى يجنبها. قال بعض العلماء: هذه الآية تدل على أن أبا بكر رضى اللّه عنه أفضل الصحابة، لأنه وصفه بالأتقى، و قال: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ [الحجرات: ١٣]، و إذا كان أكرم عند اللّه كان أفضل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣۶۴

سورة الضحى

سورة الضحى [١٢٠٠] فإن قيل: كيف وصف صلّى اللّه عليه و سلّم بالضال و النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم معاذ اللّه أن يكون ضالّا، أى كافرا، لا قبل النبوّة و لا بعدها؛ و الضّال أكثر ما ورد فى القرآن بمعنى الكافر؟ قلنا: المراد به هنا أنه تعالى وجده ضالا عن معالم النبوة و أحكام الشريعة فهداه إليها. هذا قول الجمهور. الثانى: أنّه ضل و هو صغير فى شعاب مكة فردّه اللّه تعالى إلى جدّه عبد المطلب. الثالث: أن معناه و وجدك ناسيا فهداك إلى الذكر؛ لأن الضلال جاء بمعنى النسيان، و منه قوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى [البقرة: ٢٨٢]. [١٢٠١] فإن قيل: لو كان الضّلال بمعنى النسيان لما جمع بينهما فى قوله تعالى: لا يَضِلُّ رَبِّی وَ لا يَنْسى [طه: ۵٢]؟ قلنا: لا ندعى أنه حيث ذكر كان بمعنى النسيان، فهو فى تلك الآية. بمعنى الخطأ، و قيل بمعنى الغفلة. الرابع: أن معناه: و وجدك جاهلا فعلمك. [١٢٠٢] «١» فإن قيل: كيف منّ سبحانه عليه بإخراجه من الفقر إلى الغنى بقوله تعالى: وَ وَجَدَكَ عائِلًا فَأَغْنى [الضحى: ٨] أى فقيرا، و العائل الفقير سواء كان له عيال أو لم يكن؟ قلنا: قال ابن السائب، و اختاره الفرّاء: أنه لم يكن غناه بكثرة المال، و لكن اللّه أرضاه بما آتاه، و لم يكن ذلك الرضا قبل النبوة، و ذلك حقيقة الغنى، و يؤيده قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «الغنى غنى القلب». و قال غيره: المراد به أنه أغناه بمال خديجة عن مال أبى طالب، و المراد به الإغناء بتسهيل ما لا بد منه و تيسيره، لا الإغناء بفضول المال الذى لا يجامع صفة الفقر.

(١) ([١٢٠٢]) الحديث مروى عن أبى هريرة بلفظ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، و لكنّ الغنى غنى النفس» أخرجه: أحمد ٢/ ٣١۵، و مجمع الزوائد ١٠/ ٢۴٠. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣۶۵

سورة الانشراح

سورة الانشراح [١٢٠٣] فإن قيل: أىّ فائدة فى زيادة ذكر لك و عنك و الكلام تام بدونهما؟ قلنا: فائدته الإبهام ثم الإيضاح، و هو نوع من أنواع البلاغة، فلمّا قال تعالى: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ [الشرح: ١] فهم أن ثم مشروحا له ثم قال: صَدْرَكَ [الشرح: ١] فأوضح ما علم مبهما بلفظ لك، و كذا الكلام فى وَ وَضَعْنا عَنْكَ [الشرح: ٢]. [١٢٠۴] فإن قيل: قال تعالى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً [الشرح: ۵] و كلمة مع للمصاحبة و القران، فما معنى اقتران العسر و اليسر؟ قلنا: سبب نزول هذه الآية أن المشركين عيروا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أصحابه رضى اللّه عنهم بالفقر و الضائقة التى كانوا فيها، فوعدهم اللّه تعالى يسرا قريبا من زمان عسرهم؛ و أراد تأكيد الوعد لتسليتهم و تقوية قلوبهم، فجعل اليسر الموعود كالمقارن للعسر فى سرعة مجيئه. [١٢٠۵] فإن قيل: ما معنى قول ابن عمر و ابن عباس رضى اللّه عنهم و ابن مسعود رضى اللّه عنه: لن يغلب عسر يسرين، و يروى ذلك عن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أيضا؟ قلنا: هذا عمل على الظّاهر و بناء على قوة الرّجاء، و إن وعد اللّه لا يحمل إلا على أحسن ما يحتمله اللفظ و أكمله، و أما حقيقة القول فيه فهو أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تأكيدا للأولى، كما فى قوله تعالى: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات: ۴٩] و ما أشبهه، و كما فى قولك: جاءنى رجل جاءنى رجل؛ و أنت تعنى واحدا فى الجملتين، فعلى هذا يتحد العسر و اليسر، أو يكون تعريف العسر لأنه حاضر معهود، و تنكير اليسر لأنه غائب مفقود؛ و للتفخيم و التعظيم. و يحتمل أن تكون الجملة الثانية و عدا مستأنفا فيتعدد اليسر حينئذ على ما قيل، و يؤيد أن الجملة الثانية للتأكيد أنه ليس فى مصحف عبد اللّه بن مسعود إلا مرة واحدة. [١٢٠۶] فإن قيل: و إذا ثبت فى قراءته غير

مكرر، فكيف قال: و الذى نفسى بيده لو كان العسر فى جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين؟ قلنا: كأنه نزل ما فيه من التفخيم و التعظيم بالتنكير منزلة التثنية؛ لأن المعنى يسرا و أى يسر، و أما من فسره بيسرين فإنه قال: أحد اليسرين ما تيسر من الفتوح فى أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۶ زمن النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم. و الثانى ما تيسر بعده فى زمن الخلفاء. و قيل: هما يسر الدنيا و يسر الآخرة، كقوله تعالى: هَلْ تَرَبَّصُونَ بنا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ [التوبة: ۵۲] و هما حسن الظفر و حسن الثواب. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۷

سورة التّين

سورة التّين [۱۲۰۷] فإن قيل: كيف وجه صحة الاستثناء فى قوله تعالى: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ [التين: ۶]؟ قلنا: قال الأكثرون: المراد بالإنسان هنا الجنس، و بردّه أسفل سافلين إدخاله النار، فعلى هذا يكون الاستثناء متّصلا ظاهر الاتصال، و يكون قوله تعالى: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ [التين: ۶] قائما مقام قوله تعالى فلا نردهم أسفل سافلين. و أما على قول من فسر أسفل سافلين بالهرم و الخرف و قال السافلون هم الضعفاء و الزمنى و الأطفال و الشيخ الهرم أسفل هؤلاء كلهم، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا بمعنى لكن. و معنى قوله تعالى: فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ [التين: ۶] أى غير مقطوع بالهرم و الضعف الحاصل من الكبر، أى إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فى حال شبابهم و قوتهم، فإنهم إذا عجزوا عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات و الحسنات إلى وقت موتهم، و هذا معنى قول ابن عباس رضى اللّه عنهما: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. و قال بعض العلماء: الذين آمنوا و عملوا الصالحات فى شبابهم و قوتهم فإنهم لا يردون إلى الخرف و أرذل العمر و إن عمروا طويلا، و تمسك بظاهر قول ابن عباس رضى اللّه عنهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۸

سورة العلق

سورة العلق [۱۲۰۸] فإن قيل: أين مفعول خلق الأول: قلنا: يحتمل وجهين: أحدهما: أن لا يقدّر له مفعول؛ بل يكون المراد الذى حصل منه الخلق و استأثر به لا خالق سواه؛ كما قال تعالى: أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ [الملك: ۱۴] فى أحد الوجهين، و قولهم: فلان يعطى و يمنع و يصل و يقطع. الثانى: أن يكون مفعوله مضمرا تقديره: الذى خلق كل شيء، ثم أفرد الإنسان بالذكر تشريفا له و تفضيلا. [۱۲۰۹] فإن قيل: كيف قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ [العلق: ۲] على الجمع و لم يقل: من علقة؟ قلنا: لأن الإنسان فى معنى الجمع بدليل قوله تعالى: إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ [العصر: ۲، ۳]، و الجمع إنما خلق من جمع علقة لا من علقة. [۱۲۱۰] فإن قيل: هذا الجواب يرده قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ [الحج: ۵]؟ قلنا: المراد فإنا خلقنا أباكم من تراب، ثم خلقنا كل واحد من أولاده من نطفة. و قيل: إنما قال من علق رعاية للفاصلة الأولى و هى خلق. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۶۹

سورة القدر

سورة القدر [۱۲۱۱] فإن قيل: ما معنى قوله تعالى: مِنْ كُلِّ أَمْرٍ [القدر: ۴] و تنزلهم من الأمر لا معنى له؟ قلنا: من هنا بمعنى الباء، كما فى قوله تعالى: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ [الرعد: ۱۱] و قوله تعالى: يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ [غافر: ۱۵] أى بكلّ أمر قضاه اللّه تعالى فى تلك السنة من ليلة القدر إلى مثلها تنزل الملائكة به من اللّوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، و قيل: إلى الأرض. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۰

سورة البيّنة

سورة البيّنة [۱۲۱۲] فإن قيل: المراد بالرسول هنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بلا خلاف، فكيف قال تعالى: يَتْلُوا صُحُفاً [البينة: ۲] و ظاهره يدل على قراءة المكتوب من الكتاب و هو منتف فى حقه صلّى اللّه عليه و سلّم، لأنه كان أميّا؟ قلنا: المراد يتلو ما فى الصحف عن ظهر قلبه؛ لأنه هو المنقول عنه بالتواتر. [۱۲۱۳] فإن قيل: ما الفرق بين الصحف و الكتب؛ حتى قال تعالى: صُحُفاً مُطَهَّرَةً فِيها كُتُبٌ [البينة: ۲، ۳]؟ قلنا: الصحف القراطيس، و قوله تعالى مُطَهَّرَةً، أى من الشرك الباطل، و قوله تعالى: فِيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ [البينة: ۳]، أى مكتوبة مستقيمة ناطقة بالعدل و الحق، يعنى الآيات و الأحكام. [۱۲۱۴] فإن قيل: كيف قال تعالى: وَ ما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ [البينة: ۴]، أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أو القرآن، و المراد بأهل الكتاب اليهود و النصارى، و هم ما زالوا متفرقين مختلفين يكفر كل فريق منهم الآخر قبل مجىء البينة و بعدها؟ قلنا: المراد به تفرقهم عن تصديق النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم و الإيمان به قبل أن يبعث، فإنهم كانوا مجتمعين على ذلك متفقين عليه بأخبار التوراة و الإنجيل، فلما بعث إليهم تفرقوا، فمنهم من آمن و منهم من كفر. و قال بعض العلماء: المراد بالبينة ما فى التوراة و الإنجيل من الإيمان بنبوته صلّى اللّه عليه و سلّم، و يؤيّد هذا القول أن أهل الكتاب أفردوا بالذكر فى هذا التفرق مع وجود التفرق من المشركين أيضا بعد ما جمعوا مع المشركين فى أول السورة، فلا بد أن يكون مجىء البينة أمرا يخصهم، و مجىء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و القرآن العزيز لا يخصهم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۱

سورة الزلزلة

سورة الزلزلة [۱۲۱۵] فإن قيل: قوله تعالى: إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها [الزلزلة: ۱] ما معنى إضافة الزلزال الذى هو المصدر إلى الأرض، و هلّا قال زلزالا، كما قال تعالى: كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا [الفجر: ۲۱] و ما أشبهه؟ قلنا: معناه الزلزال الذى تستوجبه فى حكمة اللّه تعالى و مشيئته فى ذلك اليوم، و هو الزلزال الذى ليس بعده زلزال، و نظيره قولك: أكرم التقى إكرامه، و أهن الفاسق إهانته، تريد ما يستوجبانه من الإكرام و الإهانة، و يجوز أن يكون المراد بالإضافة الاستغراق؛ معناه: زلزالها كله الذى هو ممكن لها. [۱۲۱۶] فإن قيل: كيف قال تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ [الزلزلة: ۷] على العموم فيهما، و حسنات الكافر محبطة بالكفر، و سيئات المؤمن معفو عنها، مغفورة باجتناب الكبائر؛ فكيف تثبت رؤية كل عامل جزاء عمله؟ قلنا: معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء، و من يعمل مثقال ذرّة شرا من فريق الأشقياء؛ لأنه جاء بعد قوله تعالى: يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً [الزلزلة: ۶]. و ذكر مقاتل أنها نزلت فى رجلين من أهل المدينة كان أحدهما يستقل أن يعطى السائل الكسرة أو التمرة و يقول: إنما نؤجر على ما نعطيه و نحن نحبه، و كان الآخر يتهاون بالذنب اليسير و يقول: إنما أوعد اللّه النار على الكبائر. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۲

سورة العاديات

سورة العاديات [۱۲۱۷] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ [العاديات: ۱۱]؛ مع أنّه تعالى أخبر بهم فى كلّ زمان، فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟ قلنا: معناه أن ربهم سبحانه مجازيهم يومئذ على أعمالهم، فالعلم مجاز عن المجازاة، و نظيره قوله تعالى: أُولئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ [النساء: ۶۳]. معناه يجازيهم على ما فيها؛ لأنّ علمه شامل لما فى قلوب كلّ العباد، و يقرب منه قوله تعالى: يَوْمَ هُمْ بارِزُونَ لا يَخْفى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ [غافر: ۱۶]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۳

سورة القارعة

سورة القارعة [۱۲۱۸] فإن قيل: كيف قال اللّه تعالى: وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ [القارعة: ۸]، أى رجحت سيئاته على حسناته: فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ [القارعة: ۹]، أى فمسكنه النار؛ و أكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناته. قلنا: فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ [القارعة: ۹] لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة. و قيل: المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية، و تلك موازين الكفار. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۴

سورة التكاثر

سورة التكاثر [۱۲۱۹] فإن قيل: أين جواب لَوْ تَعْلَمُونَ؟ [التكاثر: ۵]. قلنا: هو محذوف تقديره: لو تعلمون الأمر يقينا لشغلكم عن التكاثر و التفاخر، ثم ابتدأ تعالى بوعيد آخر فقال سبحانه: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ [التكاثر: ۶]. [۱۲۲۰] فإن قيل: كل أحد لا يخلو عن نيل نعيم فى الدنيا و لو مرة واحدة، فما النعيم الذى يسأل عنه العبد؟ قلنا: فيه سبعة أقوال: أحدها: أنه الأمن و الصحة. الثانى: أنه الماء البارد. الثالث: أنه خبز البرّ و الماء العذب. الرابع: أنّه مأكول و مشروب لذيذان. الخامس: أنه الصحة و الفراغ. السادس: أنه كل لذّة من لذّات الدنيا. السابع: أنه دوام الغداء و العشاء. و قيل إن السؤال خاص للكفار. و الصحيح أنه عام فى كل إنسان و فى كل نعيم، فالكافر يسأل توبيخا و المؤمن يسأل عن شكرها، و يؤيد هذا ما جاء فى الحديث أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: «يقول اللّه تعالى: ثلاث لا أسأل عبدى عن شكرهنّ و أسأله عمّا سوى ذلك: بيت يكنّه، و ما يقيم به صلبه من الطّعام، و ما يوارى به عورته من اللّباس». أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۵

سورة العصر

سورة العصر [۱۲۲۱] فإن قيل: الاستثناء الذى فى السورة لا يدلّ على أنّ المؤمنين الموصوفين فى ربح؛ مع أن الاستثناء إنما سيق لمدحهم بمضادة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء؟ قلنا: الاستثناء و إن لم يدل بصريحه على أنّهم فى أعظم ربح؛ و لكن اتصافهم بتلك الصفات الأربعة الشريفة يدل على أنهم فى أعظم ربح؛ مع أنا لو قدرنا أنهم ليسوا فى ربح فالمضادة حاصلة أيضا، لأنهم ليسوا فى خسر، بمقتضى الاستثناء. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۶

سورة الهمزة

سورة الهمزة [۱۲۲۲] فإن قيل: ما الفرق بين الهمزة و اللمزة؟ قلنا: قيل إنهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، و إنما الثانى تأكيد للأول. و قيل: إنهما مختلفان، فقيل الهمزة المغتاب، و اللمزة العياب. و قيل: الهمزة العياب فى الوجه، و اللّمزة فى القفا، و قيل: الهمزة الطعان فى الناس، و اللّمزة الطعان فى أنساب الناس. و قيل: الهمزة يكون بالعين، و اللمزة باللّسان. و قيل: عكسه. فهذه ستة أقوال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۷

سورة الفيل

سورة الفيل [۱۲۲۳] فإن قيل: ما معنى الأبابيل، و هل هو واحد أو جمع؟ قلنا: معناها جماعات فى تفرقة، أى حلقة حلقة. و قيل: التى يتبع بعضها بضعا. و قيل: الكثيرة. و قيل: المختلفة الألوان. و قال الفراء و أبو عبيدة: لا واحد لها. و قيل: واحدها أبال و أبول و أبيل. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۸

سورة قريش

سورة قريش [۱۲۲۴] فإن قيل: بأىّ شىء تتعلق اللّام فى قوله تعالى: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ؟ [قريش: ۱]. قلنا: قيل إنها متعلقة بآخر السورة التى قبلها، أى فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، و يؤيد هذا أنهما فى مصحف أبىّ رضى اللّه عنه سورة واحدة بلا فصل. و المعنى أنه أهلك أصحاب الفيل الذى قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيهابوهم و يحترموهم، فينتظم لهم الأمر فى رحلتهم و لا يجترئ أحد عليهم. و قيل: معناه أهلكهم ليألف قريش رحلة الشّتاء و الصيف بهلاك من كان يخيفهم و يمنعهم. و قيل: إنها متعلقة بما بعدها، و هو قوله تعالى: فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ [قريش: ۳] إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف. معناه أن نعم اللّه تعالى عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدون لهذه النعمة الظاهرة. و قيل: هى لام التعجب معناه اعجبوا لإيلاف قريش. و كانت لقريش فى كل سنة رحلتان للتجارة التى بها معاشهم، رحلة فى الشتاء إلى اليمن، و رحلة فى الصيف إلى الشام. ثم قيل: الإيلاف هنا مصدر بمعنى الإلف تقول: آلفته إيلافا بالمد، كما تقول ألفته إلفا بالقصر كلاهما متعد إلى مفعول واحد، فيكون لإيلاف قريش لإلف قريش، أى لحبهم الرحلتين. و قيل آلف بالمد متعد إلى مفعولين، يقال ألف زيد المكان و آلف زيد عمرا المكان، فيكون معنى الآية لإيلاف اللّه تعالى قريشا الرحلتين؛ فعلى هذا الوجه يكون المصدر مضافا إلى المفعول، و على الوجه الأول يكون مضافا إلى الفاعل. و أمّا تكرار إضافة المصدر فى قوله تعالى: لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ [قريش: ۱، ۲]، فقيل: إن الثانى بدل من الأول. و قيل: إنه للتأكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن ذل السؤال. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۷۹

سورة الماعون

سورة الماعون [۱۲۲۵] «۱» فإن قيل: كيف توعّد اللّه الساهى عن الصلاة، و الحديث ينفى مؤاخذته، و هو قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «رفع عن أمّتى الخطأ و النسيان»؟ قلنا: المراد بالسّهو هنا، التغافل عنها، و التكاسل فى أدائها، و قلّة الالتفات إليها؛ و ذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من المسلمين؛ و ليس المراد ما يتفق فيها من السهو بوسوسة الشّيطان أو حديث النفس ممّا لا صنع للعبد فيه و لا اختيار، و هو المراد فى الحديث، و كان النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره، و لهذا قال تعالى: عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ [الماعون: ۵] و لم يقل فى صلاتهم. و عن أنس رضى اللّه عنه أنه قال: الحمد للّه على أن لم يقل فى صلاتهم.
(____ ۱) ([۱۲۲۵]) الحديث مروى عن ابن عباس: أخرجه الطبرانى فى الكبير: ۱۱/ ۱۳۳، و الدارقطنى: ۴/ ۱۷۱، و ابن ماجة ۱/ ۶۵۹، و الحاكم: ۲/ ۱۹۸. - كلام المصنف هنا كما ترى، و قد روى القوم أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، نام عن الصلاة، و أنه ينسى و أنه سهى فى صلاته حتى لم يدر كم صلّى، و لا حول و لا قوة إلّا باللّه. ثم، إنما جاز السهو عمّن يقيم صورة الصلاة دون حقيقتها و حاشا رسول اللّه ... أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۰

سورة الكوثر

سورة الكوثر [۱۲۲۶] «۱» فإن قيل: ما الكوثر؟ قلنا: فيه قولان: أحدهما: و هو قول ابن عباس رضى اللّه عنهما أنه الخير الكثير فوعل من الكثرة، كقولهم: رجل نوفل، أى كثير النوافل. و منه قول الشاعر: و أنت كثير يا ابن مروان طيّب و كان أبوك ابن العقائل كوثرا قيل لأعرابية رجع ابنها من سفر: كيف آب ابنك؟ قالت: آب بكوثر. و لقد أعطى النبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم خيرا كثيرا، فإنه آتاه الحكمة، و من يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا، و منهم من فسّر هذا الخير الكثير بالنبوة، و منهم من فسره بالعلم و الحكمة، و منهم من فسره بالقرآن. و القول الثانى: أنّ الكوثر اسم نهر فى الجنّة، و هو قول أكثر المفسرين، و قد جاء فى الحديث الصحيح عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه قال: «الكوثر نهر وعدنيه ربّى فى الجنّة، عليه خير كثير، ترد عليه أمّتى يوم القيامة». و عنه صلّى اللّه عليه و سلّم أيضا، فى الحديث أنّه قال: «بينا أنا أسير فى الجنّة فإذا بنهر حافّتاه قباب اللّؤلؤ المجوّف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر

الّذی أعطاک ربّک، فضرب الملک بیده فإذا طینه المسک الأذفر». و روی عن صفته أنّه أحلی من العسل، و أشد بیاضا من اللبن، و أبرد من الثلج، و ألین من الزّبد، حافتاه الزبرجد، و أوانیه من فضة عدد نجوم السماء، لا یظمأ من شرب منه أبدا. (____١) ([١٢٢۶]) یصعب تحدید نسبة هذا البیت لقائل معین. فهو ینسب إلی الکمیت بن زید الأسدی، و مذکور فی مجموع شعره: ٢/ ٢٠٩. و نسبه ابن هشام إلی رجل من بنی عبد مناة و منه قوله: فلا أب و ابنا مثل مروان و ابنه إذا هو بالمجد ارتدی و تأزّرا و هذا البیت فی کتاب سیبویه: ١/ ٣۴٩ من غیر نسبة. و نسب فی شرح شواهد الکشاف للفرزدق، و انظر خزانة الأدب: ٢/ ١٠٢. - الحدیث أخرجه أحمد فی مسنده: ١/ ٢٣١، ٢٣٢. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٨١

سورة الکافرون

سورة الکافرون [١٢٢٧] فإن قیل: کیف قال اللّه تعالی: وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ [الکافرون: ٣]؛ و لم یقل «من»، مع أنّه القیاس؟ قلنا: فیه وجهان: أحدهما: أنه إنما قال «ما» رعایة للمقابلة فی قوله تعالی: لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ [الکافرون: ٢]. الثانی: أن «ما» مصدریة، أی لا أعبد عبادتکم و لا تعبدون عبادتی. و قال الزّمخشری: إنّما قال «ما» لأنّ المراد الصفة؛ کأنه قال: لا أعبد الباطل و لا تعبدون الحق. و قال غیره: «ما» فی الکل بمعنی الذی، و العائد محذوف. [١٢٢٨] فإن قیل: ما فائدة التکرار؟ قلنا: فیه وجهان: أحدهما: أنّه للتأکید و قطع أطماعهم فیما طلبوه منه. الثانی: أنّ الجملتین الأولیین لنفی العبادة فی الحال، و الجملتین الأخریین لنفی العبادة فی الاستقبال فلا تکرار فیه؛ و هذا قول ثعلب و الزجاج. و الخطاب لجماعة علم اللّه تعالی أنهم لا یؤمنون. و قال الزمخشری: ما یرد الوجه الثانی، و ذلک أنه قال لا أعبد أرید به العبادة فی المستقبل؛ لأنّ «لا» لا تدخل إلّا علی مضارع فی معنی الحال، فالجملتان الأولیان لنفی العبادة فی المستقبل، و الجملتان الأخریان لنفی العبادة فی الماضی، فقوله: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ [الکافرون: ۴] أی ما عهدتم من عبادة الأصنام فی الجاهلیة. فکیف یرجی منی بعد الإسلام، و قوله: وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ [الکافرون: ٣]، أی ما عبدتم فی وقت ما ما أنا علی عبادته، و یرد علی قوله و الجملتان الأخریان لنفی العبادة فی الماضی أن اسم الفاعل المنون العامل عمل الفعل لا یکون إلا بمعنی الحال أو الاستقبال، و عابد هنا عامل فی «ما» و کذلک عابدون، و جوابه أنه علی الحکایة کما قال تعالی: وَ کَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَیْهِ بِالْوَصِیدِ [الکهف: ١٨]، و أورد علی هذا التقدیر فقال: [١٢٢٩] فإن قیل: هلّا قال تعالی: و لا أنتم عابدون ما عبدت، بلفظ الماضی، کما قال: وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ [الکافرون: ۴]. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٨٢ قلنا: لأنهم کانوا یعبدون الأصنام قبل بعثه، و هو ما کان یعبد اللّه تعالی قبل بعثه، بل بعد بعثه. و یرد علی هذا التقدیر: أن أعظم العبادة التوحید، و کل الأنبیاء کانوا موحدین بعقولهم قبل البعثة. و قال بعض العلماء: إنما جاء الکلام مکررا لأنه ورد جوابا لسؤالهم مناوبة، و کان سؤالهم مکررا، فإنهم قالوا: یا محمد تعبد آلهتنا کذا مدة و نعبد إلهک کذا مدة، ثم تعبد آلهتنا کذا مدة و نعبد إلهک کذا مدة، فورد الجواب مکررا لیطابق السؤال، و هذا قول حسن لطیف. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٨٣

سورة النصر

سورة النصر [١٢٣٠] فإن قیل: أیّ مناسبة بین الأمر بالاستغفار و بین ما قبله، فإن مجیء الفتح و النصر یناسب الشکر و الحمد لا الاستغفار و التوبة؟ قلنا: قال ابن عباس رضی اللّه عنهما لما نزلت هذه السورة علم النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أنه نعیت إلیه نفسه. و قال الحسن: أعلم النبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبیح و الاستغفار و التوبة لیختم له فی آخر عمره بالزّیادة فی العمل الصالح، فکان یکثر من قوله: سبحانک اللهم اغفر لی إنک أنت التّواب الرّحیم. و عن ابن مسعود رضی اللّه عنه أن هذه السورة تسمی سورة التودیع. و روی أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عاش بعد نزولها سنتین. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ٣٨۴

سورة تبّت

سورة تبّت [۱۲۳۱] فإن قيل: كيف ذكره اللّه تعالى بكنيته دون اسمه، مع أن ذلك إكرام و احترام؟ قلنا: فيه وجوه: أحدها: أنه يجوز أنه لم يعرف له اسم و لم يشتهر إلاـ بكنيته، فذكره بما اشتهر به لزيادة تشهيره بدعوة السوء عليه. الثانى: أنه نقل أنه كان اسمه عبد العزّى، و هو كان عبد اللّه لا عبد العزّى، فلو ذكره باسمه لكان خلاف الواقع. الثالث: أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لكنيته، فإن مصيره إلى النار ذات اللّهب، و إنما كنّى بذلك لتلهب وجنتيه و إشراقهما. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۵

سورة الإخلاص

سورة الإخلاص [۱۲۳۲] فإن قيل: فالمشهور فى كلام العرب أن الأحد يستعمل بعد النفى، و الواحد يستعمل بعد الإثبات، يقال: فى الدار واحد، و ما فى الدار أحد. و جاءنى واحد و ما جاءنى أحد، و منه قوله تعالى: وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ [البقرة: ۱۶۳] الْواحِدُ الْقَهَّارُ [يوسف: ۳۹] وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ [التوبة: ۸۴] لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ [البقرة: ۱۳۶] لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ [الأحزاب: ۳۲] فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ [الحاقة: ۴۷] فكيف جاء هنا أحد فى الإثبات؟ قلنا: قال ابن عباس رضى اللّه عنهما: لا فرق بين الواحد و الأحد فى المعنى، و اختاره أبو عبيدة، و يؤيده قوله تعالى: فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ [الكهف: ۱۹]، و قولهم أحد و عشرون و ما أشبهه. و إذا كانا بمعنى واحد لا يختص أحدهما بمكان دون مكان، و إن غلب استعمال أحدهما فى النفى و الآخر فى الإثبات. و يجوز أن يكون العدول عن الغالب هنا رعاية لمقابلة الصمد. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۶

سورة الفلق

سورة الفلق [۱۲۳۳] فإن قيل: قوله تعالى: مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ [الفلق: ۲] يتناول كل ما بعده، فما الفائدة فى الإعادة؟ قلنا: خصّ شر هذه الأشياء الثّلاثة بالذكر تعظيما لشرها، كما فى عطف الخاص على العام تعظيما لشرفه و فضله، أو خصّها بالذّكر لخفاء شرّها، و أنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر به؛ و لهذا قيل: شر الأعداء المداجى، و هو الذى يكيد الإنسان من حيث لا يعلم. [۱۲۳۴] «۱» فإن قيل: كيف عرّف سبحانه النفّاثات و نكّر ما قبلها و ما بعدها؟ قلنا: لأن كل نفاثة لها شر و ليس كل غاسق و هو الليل له شر، و كذا ليس كل حاسد له شر؛ بل ربّ حسد محمود و هو الحسد فى الخيرات، و منه قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «لا حسد إلّا فى اثنتين» الحديث. و قال أبو تمام: و ما حاسد فى المكرمات بحاسد و قال: إنّ العلى حسن فى مثلها الحسد

(____) (۱) ([۱۲۳۴]) الحديث عن أبى هريرة، و تمامه فى الفتح الكبير: ۳/ ۳۴۳. - انظر ديوان أبى تمام: ۲/ ۷۳ و ۲/ ۲۱. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۷

سورة الناس

سورة الناس [۱۲۳۵] فإن قيل: كيف خصّ الناس بالذّكر، فى قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ [الناس: ۱]، و هو ربّ كلّ شىء و مالكه و إلهه؟ قلنا: إنّما خصّهم بالذّكر تشريفا لهم، و تفضيلا على غيرهم؛ لأنهم أهل العقل و التمييز. الثانى: أنّه لمّا أمر بالاستعاذة من شرّهم ذكر مع ذلك أنه ربهم ليعلم أنه هو الذى يعيذ من شرهم. الثالث: أنّ الاستعاذة وقعت من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذى هو إلههم و معبودهم، كما يستغيث بعض العبيد إذا اعتراه خطب بسيده و مخدومه و ولى أمره. [۱۲۳۶] فإن قيل: هل قوله تعالى: مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ [الناس: ۶] بيان للذى يوسوس على أن الشيطان الموسوس ضربان جنّى و إنسى، كما قال تعالى: شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ [الأنعام: ۱۱۲] أو بيان للناس الذى أضيفت الوسوسة إلى صدورهم، و الناس المذكور آخرا بمعنى الإنس؟ قلنا: قال بعض أئمة

التفسیر: المراد المعنی الأول؛ کأنه قال: من شرّ الوسواس الجنّی، و من شرّ الوسواس الإنسی، فهو استعاذة باللّه تعالی من شر الموسوسین من الجنسین، و هو اختیار الزّجّاج، و فی هذا الوجه إطلاق لفظ الخنّاس علی الإنسی، و النقل أنه اسم للجنّی. و قال بعضهم: المراد المعنی الثانی، کأنه قال: من شر الوسواس الجنّی الذی یوسوس فی صدور الناس، من جنّهم و إنسهم؛ فسمی الجنّ ناسا کما سماهم نفرا و رجالا، فی قوله تعالی: أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ [الجن: ۱]، و قوله تعالی: یَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ [الجن: ۶]. فهو استعاذة باللّه من شر الوسواس الذی یوسوس فی صدور الجنّ، کما یوسوس فی صدور الإنس، و هو اختیار الفرّاء. و المراد من الجنّة هنا، الشّیاطین من الجنّ علی الوجه الأوّل، و مطلق الجنّ علی الوجه الثّانی؛ لأنّ الشیطان منهم هو الذی یوسوس لا غیره؛ و مطلقهم یوسوس إلیه. و اختار الزّمخشری الوجه الأول. و قال: ما أحق أن اسم الناس ینطلق علی الجنّ؛ لأنّ الجن سموا جنا لاجتنانهم، أی لاستتارهم، و الناس سموا أناسا لظهورهم من الإیناس و هو الإبصار، کما سموا بشرا لظهورهم من البشرة، و لو صح أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۸ هذا الإطلاق لم یکن هذا المجمل مناسبا لفصاحة القرآن. قال: و أجود منه أن یراد بالناس الأول الناسی، کقوله تعالی: یَوْمَ یَدْعُ الدَّاعِ [القمر: ۶] و کما قرئ مِنْ حَیْثُ أَفاضَ النَّاسُ ثم بیّن بالجنّة و الناس؛ لأن الثقلین هما الجنسان الموصوفان بنسیان حقوق اللّه تعالی، و اللّه أعلم، و صلّی اللّه علی سیدنا محمّد و علی آله و صحبه و سلّم. أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۸۹

الفهارس

اشارة

الفهارس ۱- فهرس الأحادیث النبویة ۲- فهرس الآثار ۳- فهرس الأبیات الشعریة ۴- فهرس أنصاف الأبیات ۵- فهرس الأعلام ۶- فهرس المحتویات أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۱

۱ فهرس الأحادیث النبویة

طرف الحديث رقم الفقرة [حرف الميم]- المؤمن و الكافر لا يتراءيان [۷۷۶]- ما من مسلم دعا اللّه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم [۴۷]- المثقال من فضة الآخرة خير من الدنيا و ما فيها [۱۱۶۱]- المرء مع من أحب [۵۱۶]- المسلم من سلّم المسلمون من لسانه و يده [۱۰۲۲]- من سن سنة حسنة [۲۳۰]- من عمل سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها [۳۰۶]- من مات فقد قامت قيامته [۶۹۱]- من ملأ سمعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين [۸۴۹] [حرف النون]- نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة [۶۴۴]- الندم توبة [۲۲۹]- نعم العبد صهيب، لو لم يخف اللّه لم يعصه [۶۴۸] [حرف الهاء]- هلّا قلت: و من عصى اللّه و رسوله فقد غوى [۳۵۸]- هو الطهور ماؤه، الحل ميتته [۵۳] [حرف الواو]- و اللّه إنى لأمين فى السماء أمين فى الأرض [۱۶۳]- و الذى نفسى بيده ليخفف على المؤمن [۸۵۸]- و الذى نفسى بيده ما رفع رجل قط عقيرته يتغنى [۸۴۹] [حرف الياء]- يقول اللّه تعالى: ثلاث لا أسأل عبدى عن شكرهن [۱۲۱۸] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۴

۲ فهرس الآثار

۲ فهرس الآثار الكلمة رقم الفقرة- الأول وصف، و الثانى تعليم (الإمام الصادق) [۹۳]- الدهر يومان: يوم لك، و يوم عليك (الإمام على) [۸۷]- فرض على النصارى صوم رمضان بعينه. فقدّموا عشرة، أو أخروا عشرة؛ لئلّا يقع فى الصيف ... (ابن عباس) [۴۴]- قيمة كل امرئ ما يحسنه (الإمام على) [۸۵۹]- كتاب أكثر من كتب (ابن عباس) [۸۵]- لو كشف [لى] الغطاء ما ازددت يقينا (الإمام على) [۷۰] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۵

۳ فهرس الأبيات الشعرية

۳ فهرس الأبيات الشعرية البيت رقم الفقرة [حرف الألف] و دعوت ربّى بالسّلامة جاهدا ليصحّنى فإذا السلامة داء [۹۲۷] [حرف الباء] و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب [۴۹۷] لدوا للموت و ابنوا للخراب فكلكم يصير إلى التراب [۳۱۶] خليلى مرّا بى على أم جندب نقضى لبانات الفؤاد المعذب [۱۰۲۶] فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإنّى و قيّار بها لغريب [۳۸۲] أ لم تر أنّى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيب [۱۰۲۶] [حرف الحاء] و لقد رأيت زوجك فى الوغى متقلّدا سيفا و رمحا [۷۲۲] فقالت لصاحبىّ لا تحبسانا بنزع أصوله و اجتز شيحا [۱۰۲۶] [حرف الدال] إخوتى لا تبعدوا أبدا و بلى و اللّه قد بعدوا [۴۵۸] قد أترك القرن مصفرّا أنامله كأن أثوابه مجت بفرصاد [۱۱۷۸] تمنى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد [۸۴۳] دعتك إليها مقلتاها و جيدها فملت كما مال المحب على عمد [۹۴۴] و ما الناس بالناس الذين عهدتهم و ما الدّار بالدّار التى كنت أعهد [۱۶۵] [حرف الراء] و أنت كثير يا ابن مروان طيّب و كان أبوك ابن العقائل كوثرا [۱۲۲۶] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۶ البيت رقم الفقراء أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا [۳۶۴] من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى [۹۸۷] شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه أنّ الوليد أحق بالغدر [۵۱۲] و كنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمّر حتى ينصف الساق مئزرى [۱۵۱] فإن حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوة إلا بكيت على عمرو [۷۰۵] [حرف العين] و ما المرؤ إلا كالشهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع [۵۲] فإن تزجرانى يا ابن عفّان انزجر و إن تدعانى أحم عرضا ممنّعا [۱۰۲۶] [حرف الفاء] إذا نحن سرنا سارت الناس خلفنا و إن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا [۱۰۱۶] نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرّأى مختلف [۱۰۲۵] [حرف اللّام] ألا كل شىء ما خلا اللّه باطل و كل نعيم لا محالة زائل [۴۷۲] فلمّا أجزنا ساحة الحى و انتحى بنا بطن خبت ذى خفاف عقنقل [۹۳۴] رأت مرّ السنين أخذن منّى كما أخذ السرار من الهلال [۷۶۶] إن الأمور إذا الأحداث دبّرها دون الشيوخ ترى فى بعضها خللا [۹۶۳] قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزّلل [۹۶۳] لعمرك ما أدرى و إنّى لأوجل على أينا تعدو المنية أوّل [۸۴۳] لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسرّ و لا أرسلتهم برسول [۷۶۷] إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و

أطول [۸۴۳] يريـد الرّمـح صدر أبی براء و يعدل عن دماء بنی عقيل [۶۳۶] أصـبحت أمنحك الصدود و إننی قسما إليك مع الصدود لأميل [۸۴۳] [حرف الميم] و أعلم ما فی اليوم و الأمس قبله و لكنّنی عن علم ما فی غـد عمی [۱۰۸۶] و كن للذی لم تحصه متعلّما و أمّا الذی أحصيت منه فعلّم [۶۶۹] قد أعسف النازح المجهول معسفه فی ظلّ أخضر يدعو هامة البوم [۱۰۹۲] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۷ البيت رقم الفقرة [حرف النون] إنّ دهرا يلف شملی بجمل لزمان يهمّ بالإحسان [۶۳۶] رمانی بأمر كنت منه و والدی بريئا و من أجـل الطّوی رمانی [۱۰۲۵] فللموت تغـذوا الوالـدات سـخالها كما لخراب الـدّهر تبنی المساكن [۵۱۴] إن شـرخ الشـباب و الشعر الأسـ ود ما لم يعاص كان جنونا [۳۸۲] و مـا أدری إذا يمّمت أرضا أريـد الخير أيهما يلينی [۵۵۹] [حرف الهـاء] إنّ من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جدّه [۹۵۰] إذا رضيت علی بنو قشير لعمر اللّه أعجبنی رضاها [۷۲۷] أولم تكن تدری نوار بأنّنی وصّال عقد حبائل جذّامها [۹۶۳] ترّاك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها [۹۶۳] [حرف الياء] علی أنّنی راض بأن أحمل الهوی و أخلص منه لا علی و لا ليا [۸۷] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۸

۴ فهرس أنصاف الأبيات

۴ فهرس أنصـاف الأبيات العجز رقم الفقرة ۱- الأعجاز [حرف الألف] و من بعد أرض بيننا و سـماء [۱۰] [حرف الباء] فإنّی و قيّار بها لغريب [۲۲۶] [حرف النون] نكن مثل من يا ذئب يصطحبان [۴۹۹] فألفی قولها كذبا و مينا [۷۹۰] معاذ اللّه من كذب و مين [۸۹۵] ۲- الصدور الصدر رقم الفقرة [حرف الألف] إذا لسعته النحل لم يرج لسعها [۱۸۵] أشدد حيازيمك للموت [۸۲۰] أنا أبو النجم و شعری شعری [۱۰۶۱] [حرف العين] علفتهـا تبنا و ماء باردا [۱۰۸۰] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۳۹۹ الصدر رقم الفقرة [حرف الفاء] فقلت يمين اللّه أبرح قاعدا [۲۲۸] [حرف القاف] قفا نبك [من ذكری حبيب و منزل] [۱۰۲۶] أسئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۰۰

۵ فهرس الأعلام «۱»

۵ فهرس الأعلام «۱» [حرف الأـلف] آدم (ع): ۱۰۷، ۱۱۱، ۱۳۸، ۲۰۵، ۲۰۶، ۲۰۷، ۳۱۳، ۳۵۰، ۵۲۷، ۵۵۲، ۶۲۴، ۶۸۴، ۶۸۵، ۶۸۶، ۶۹۸، ۷۴۳ ۷۹۵، ۸۹۶، ۹۲۴، ۹۳۲ ۹۵۰، ۱۱۴۰، ۱۱۹۲. آصف: ۸۰۳. آل محمد (ع): ۷۹۴. آل يعقوب (ع): ۶۴۴، ۶۴۵. إبراهيم (ع): ۱۸، ۲۸، ۲۹، ۶۶، ۶۹، ۷۰، ۱۱۱، ۴۰۴، ۴۸۹، ۵۲۲، ۵۲۴، ۵۲۵، ۵۲۷، ۵۳۲، ۶۵۹، ۶۶۰، ۷۰۱، ۷۰۲، ۷۲۵، ۷۲۶، ۸۳۳، ۸۷۳، ۹۲۵، ۹۲۷، ۹۲۸، ۹۳۲، ۱۰۸۹، ۱۱۹۲. إبراهيم النخعی: ۹۲۴. إبليس: ۱۶۸، ۲۶۸، ۳۱۴، ۳۱۵، ۳۱۸، ۳۵۰، ۳۶۸، ۶۲۴، ۶۸۴، ۶۹۶، ۸۹۶، ۹۴۷، ۱۰۷۳، ۱۰۸۴. ابن الأنباری: ۴۲۶، ۵۳۱، ۵۴۱، ۶۰۱، ۶۵۰، ۸۷۶، ۷۲۷، ۹۳۴، ۹۶۳، ۱۱۹۸. ابن جريج: ۸۱۶. ابن جرير- (الطبری): ۵۸۷، ۷۸۶، ۸۳۲، ۱۱۸۹. ابن جنّی: ۶۵۱. ابن دريد: ۱۱۹۱. ابن السائب: ۱۲۰۲. ابن السكّيت: ۶۸۳. ابن عباس: ۴۴، ۸۵، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۴۷، ۱۴۹، ۲۵۴، ۳۸۴، ۳۸۸، ۴۲۶، ۴۴۰، ۴۶۹، ۴۷۱، ۴۹۱، ۵۲۴، ۵۴۹، ۵۹۶، ۶۰۱، ۶۰۳، ۶۱۲، ۶۱۴، ۶۲۴، ۶۴۸، ۶۶۲، ۶۶۴، ۶۷۳، ۶۸۸، ۷۰۳، ۷۰۵، ۷۱۵، ۷۶۳، ۷۸۴، ۷۹۳، ۸۰۷، ۸۴۴، ۸۴۹، ۸۵۸، ۸۷۶، ۸۸۱، ۹۲۴، ۹۹۱، ۱۰۲۰، ۱۰۲۹، ۱۰۴۶، ۱۰۸۲، ۱۱۰۵، ۱۱۲۱، ۱۱۵۸، ۱۱۶۵، ۱۱۹۰، ۱۱۹۵، ۱۲۰۵، ۱۲۰۷، ۱۲۹۶، ۱۲۳۰، ۱۲۳۲. ابن عرفة: ۶۷۵. ابن عمر: ۱۲۰۵. ابن قتيبة: ۱۴۹، ۳۹۴، ۴۲۶، ۴۴۰، ۴۶۹، ۸۷۶، ۱۰۲۹ (____. ۱) تنـبيه: تحيل الأرقـام علی أرقـام الفقرات، لا أرقام الصـفحات. أسـئلة القرآن و أجوبتها، ص: ۴۰۱ ابن مسـعود: ۵۲۷، ۵۷۳، ۶۳۸، ۶۴۸، ۷۶۸، ۸۴۹، ۹۲۴، ۱۰۷۱، ۱۰۹۷، ۱۲۰۵، ۱۲۳۰. أبو بكر: ۱۰۱۸، ۱۰۷۱، ۱۱۷۶، ۱۱۹۹. أبو ثور: ۱۰۲۶. أبو جندب الهذلی: ۱۵۱. أبو جهل: ۱۱۹۹. أبو رجاء: ۶۴۸. أبو سليمان الدّارانی: ۸۴۰. أبو طالب: ۷۳۱، ۱۲۰۲. أبو عبيدة: ۹۶۳، ۱۰۵۱، ۱۱۹۹، ۱۲۲۳، ۱۲۳۲. أبو علی: ۸۲۰. أبو اللّيث (الفقيه): ۹۸. أبیّ بـن كعب: ۵۲۷، ۶۳۸، ۱۱۹۱، ۱۲۲۴. الأخفش: ۵۷۹، ۶۵۱، ۷۵۱. إدريس (ع): ۷۰۳. الأزهری: ۶۵۱، ۶۷۵. إسحاق (ع): ۲۸۹، ۵۲۶، ۵۲۷، ۷۹۴. الإسلام: ۳۰، ۳۱، ۸۷۴، ۱۲۲۸. إسماعيل (ع): ۲۸۹، ۵۲۶، ۵۲۷، ۷۰۳. الأصمعی: ۴۱۶. الأعشی:

۶ فهرس المحتویات

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت – عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَى ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية

المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

